شرح

كتاب التوحيد

من

صحيح الإمام البخاري

لفضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين٠

أما بعد

بحمد الله تعالى وتوفيقه قام فضيلة الشيخ/محمد بن صالح العثيمين – حفظه الله– بشرح كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري رحمه الله حيث كان بداية الشرح في اليوم الثالث من شهر الله المحرم لعام ١٤١٤هـ ، وانتهى فضيلته من الشرح في اليوم العاشر من شهر صفر من نفس العام ، فجزى الله شيخنا خير الجزاء وبارك الله لنا في عمره ، ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين٠

قال فضيلة الشيخ /محمد بن صالح العثيمين حفظه الله:–

هذا الكتاب ختم المؤلف رحمه الله به الجامع الصحيح كما إبتدأه بالوحي ، لان الوحي به الإبتداء ، والتوحيد به الغاية ، ولهذا كان من مات وأخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة٠

والتوحيد مصدر وحد يوحد أى جعل الشيئ واحدا هذا في اللغة ، ولا يتم التوحيد إلا إذا تضمن شيئين: النفي والإثبات لأن النفي وحده تعطيل وإخلاء ، والإثبات وحده لايمنع المشاركة ، فلا توحيد إلا بإثبات ونفي ، وطرق الإثبات والنفي كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿إنما إلهكم الله﴾ وقوله: ﴿لا إله إلا الله﴾ وقوله: ﴿إلهكم إله واحد﴾ المهم أن طرق الإثبات والنفي كثيرة ، لكن التوحيد لا يتم إلا بأمرين هما: النفي والإثبات لماذا ؟ الجواب: كما سبق ، ويتضح هذا بالمثال فإذا قلت: لا قائم في البيت ، هذا نفي معناه إنتفاء القيام عمن في البيت وإذا قلت: زيد قائم في البيت ، هذا إثبات ولا يمنع أن يكون غيره قائماً أيضا ، وإذا قلت: لا قائم في البيت إلا زيد ، هذا نفي وإثبات يتضمن قيام زيد وعدم مشاركة غيره له في ذلك ، المثال مرة ثانية: لا قائم في البيت ، زيد قائم في البيت ، لا قائم في البيت إلا زيد ، أيهما التوحيد؟ الجواب: الأخير، والتوحيد في الشرع إفراد الله تعالي بما يختص به علماً وعقيدةً سواء كان ذلك مما يتعلق بأسمائه وصفاته أو أفعاله أو عباداته ، فالذي يختص با لله يجب إفراد الله به ولا يجوز أن يشرك به معه غيره ، وقد قسم العلماء رحمهم الله التوحيد إلى ثلاثة أقسام ، توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية ويقال توحيد العبادة ، أما توحيد الربوبية فهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير ، بأن نؤمن بأنه لا خالق إلا الله ولا مالك إلا الله ولا مدبر إلا الله ، فإن قال قائل كيف الجواب عن قوله صلى الله عليه وسلم في المصورين: "احيوا ما خلقتم" وقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ قلنا الخلق الثابت لله غير الخلق الثابت للمخلوق ، الخلق الثابت لله هو إيجاد من عدم وهذا لا يملكه أحد ، والخلق الثابت للمخلوق تغيير وتحويل يحول الشيئ من شئ إلى آخر أو يغيره وليس إيجاداً ، مثال ذلك هذا الباب الذي أمامنا الأن من الذي خلقه ايجاداً؟ الجواب: الله خلقه من الشجر ولا يملك أحدٌ أن يخلق شجرة حتى يكون منها هذا الباب ، لكن خلق النجار لهذا الباب يعتبر تحويلاً وتغيراً ، أى حول الخشبة التي أنبتها الله – عز وجل – إلى صورة معينة ، فليس بخالق ثم إن خلق النجار لها كان بقدرته أى بقدرة النجار وعلمه وإرادته ، ومن الذى أودعه العلم

والإرادة والقدرة؟ الجواب: ا لله – عز وجل – فكان خلق النجار لهذا البـاب فرعـاً عَنْ خلـق ا لله سـبحانه وتعالى له ، لأن هذا من صفاته أي من صفات النجار وأخلاقه ، والإنسـان مخلـوق لله – عـز وجـل – بذاتـه وصفاته وأفعاله فتبين الأن أن كل الخلق يدور على ا لله – عز وجل – كذلك الملـك ، الملـك الثـابت لله غـير الملك الثابت للإنسان فالإنسان يملك كما قال تعالى: ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ وقوله ﴿أوما ملكـت أيمـانهم﴾ لكن ملك الإنسان للشئ ليس كملك ا لله للشئ ، ملك ا لله للشئ ملك مطلق شامل عام يفعل في ملكه كما يشاء ، وملك الإنسان للشئ ملك مقيد ليس تاماً ولا شاملاً ، فالإنسان مثلا يملك كتابه لكنه لا يملك كتاب غيره ، وا لله – عز وجل – يملك كل ما في السموات والأرض ، الإنسان يملك الكتاب ولكنه لا يتصـرف في الكتاب كما يشاء بل تصرفه في الكتاب تصرف مقيد بحدود شرعية ، ولهذا لو أراد أن يحرق هذا الكتاب لغير سبب شرعي لمنع منه ، ولو كان ملكه تاما لكان يفعل ما يشاء ، الإنسان يملك البعير فهي له فيركبها وينتفع بها وينحرها ويأكلها لكنه لا يملك أن يعذبها ، لو أراد أن يحفر في ظهرها جرحاً لم يُمَكَّـن مـن ذلـك ، وا لله عز وجل يملك هذا ، يخرج غدة في ظهر البعير تنجرح وتتألم البعير منها وربما تموت ، إذاً تبين أن الملك الثابت للخالق ليس كالملك الثابت للمخلوق ، كذلك في التدبير ، الإنسان له تدبير يقول: لولده أفعـل كـذا ولولـده الآخر افعل كذا ويوجه ، لكن التدبير المطلق لله وحده ، فا لله – عز وجل – يدبر كما يشـاء وكمـا تقتضيـه حكمته ولا معقب لحكمه ، بخلاف الإنسان ، وبهذا تبين إنفراد ا لله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير ٠

وتوحيد الأسماء والصفات من تمام توحيد الربوبية في الحقيقة ، لكن نص العلماء عليه لوجود الخـلاف فيه بين أهل القبلة (أي المسلمين) فلذالك جعلوه قسماً مستقلاً وإلا فإنه يتعلـق بـذات الـرب ، فهـو مـن تمام توحيد الربوبية لكن نظراً إلى أن أهل الملة أعني الأمة التي تستقبل القبلة الواحدة إختلفوا فيه لـذا جعلـوه قسـماً مستقلاً بذاته ، فما هو توحيد الأسماء والصفات؟ الجواب: إفراد ا لله – سبحانه وتعـالى – بأسمائـه وصفاتـه ، بحيث يثبتها له إثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ،

أى نثبتها لله على وجه لا يماثل ما للمخلوقين من ذلك ، مثاله اليد: لله – عـز وجـل – يـد وللمخلـوق يـد لكن يجب أن نوحد ا لله بيده بحيث نثبت له يداً لا تماثل أيدي المخلوق ، لأنك لو جعلت يدي المخلـوق مثـل يدي ا لله ، أو يد ي ا لله مثل يد ي المخلوق كنت بذلك مشركاً في صفات ا لله ، فتوحيد الأسمـاء والصفـات إثبات ما أثبته ا لله لنفسه من الأسماء والصفات من غير تمثيل لها بما للمخلوق من ذلك ، فقـد يسـمي الإنسـان العزيز كما قال تعالى: ﴿ وقالت إمرأة العزيز﴾ وا لله تعالى سَمَّى نفسه بالعزيز ، لكن هل العزيز الذى سمي بـه البشر كالعزيز الذي سمى به ا لله؟ الجواب: لا ، يختلف إختلافاً كبيراً ، فالمخلوق قد يسمى بالعزيز ولا عزة له ، أما الخالق فإنه سمي بالعزيز لكمال عزته ، وقد يسمى المخلوق بصالح وليس فيه صلاح ويسمى خالداً وهـو يموت ، لكن أسماء ا لله مشتملة على معانيها التامة فلذالك حصل الفرق بين ما يثبت لله من الأسماء وما يثبـت للمخلوق ، وكذلك نقول في الصفات ، وهذا هو توحيد ا لله تعالى بأسمائه وصفاته ، القسم الثـالث: توحيـد ا لله تعالى بالعبادة ، بأن لا يعبد غير ا لله أيا كان ذلك المعبود سواءاً كان ملكاً أو رسولاً أو ولياً أو صالحـاً أو سلطاناً أو أماً أو أباً أو غير ذلك ، لا يعبد إلا ا لله وحده لا شريك له ، وذكر العلماء ذلك قسماً برأسـه لأنـه

وقع فيه خلاف بين المسلمين وبين المشركين ، توحيد الربوبية لم يقع فيه خلاف بين المسلمين والمشركين ، توحيد الألوهية والعبادة وقع فيه خلاف بين المسلمين والمشركين ، وتوحيد الأسماء والصفات وقع الخلاف فيه بين المسلمين ، فصارت الأن هذه الأقسام ثلاثة أقسام من حيث إتفاق الناس عليها ، ولا يرد على هذا التقسيم أن مِنْ الناس مَنْ أنكر وجود الخالق ، لأن من أنكر وجود الخالق قد عطل تعطيلاً نهائياً والكلام مع من أثبت الخالق ، أما من أنكر فلا كلام معه لأنه لا يثبت الرب ولا أسماء الرب وصفاته مثل: الشيوعية والدهرية وغيرهم كثيرون ، إذاً هل وقع الخلاف بين المسلمين والمشركين في توحيد الربوبية؟ الجواب: لا ، لأن الله صرح في آيات كثيرة أنهم يقرون بتوحيد الربوبية قال تعالى:﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله﴾ أليس كذالك ، سيقولون الله هو رب السموات السبع ورب العرش العظيم وقوله :﴿قل من يرزقكم من السمآء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله﴾ وقوله:﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ فهم يقرون تماماً بتوحيد الربوبية ، نعم ، توحيد الألوهية هل يتفق المسلمون والمشركون عليه؟ الجواب لا ، لأن المشركين ، يشركون با لله في توحيد الألوهية ، يعبدون مع الله غيره مثل اللات والعزى ومناة وهبل وغيرهما من الأصنام كثيرة ، المعنية بعينها وغير المعنية ، يعني المشركون لهم أصنام معنية بعينها كاللات والعزى ومناة وما أشبهها ، ولهم أصنام غير معنية ، ومن سفههم أن الإنسان إذا نزل أرضاً إختار أربعة أحجار ، ثلاثة منها يجعلها تحت القدر والأحسن منها يجعله إلهاً يعبده •

هذه أقسام التوحيد التي ذكرها أهل العلم ، فإذا قال قائل: ما هو الدليل على هذه الأقسام؟ الجواب: قلنا الدليل على هذا التقسيم هو التتبع والاستقراء ، أي أن العلماء رحمهم الله تتبعوا واستقرؤا ماحصل من أنواع التوحيدفوجدوه يدور على هذه الأقسام الثلاثة •

ثم قال المؤلف رحمه الله:[والرد على الجهمية] الجهمية أتباع الجهم ابن صفوان ، والجهم ابن صفوان ليس هو رأس الأمر في التعطيل ، بل رأس الأمر في التعطيل شيخه الجعد ابن درهم ، لكن الجهم كان فصيحاً بليغاً نشيطاً ، فحرك هذه الدعوة ونشرها وناظر فيها وجادل فيها فنسب المذهب إليه ، وإن كان المذهب في الأصل من الجعد ابن درهم ، وأول هذا المذهب الخبيث مبنيٌ على شيئين: إنكار المحبة ، وإنكار الكلام لله ، قال الجعد: الله لا يحب ولا يتكلم ، وهذا هدم للدين كله ، إذا كان لا يحب صار المؤمن والكافر عند الله سواء ، وإذا كان لا يتكلم صارت الشرائع والخلق سواء ، يعني أن حكمه الكوني وحكمه الشرعي سواء ، وهذا تعطيل واضح ، وعلى هذا فنقول: الجعد ابن درهم زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، قال هذا إنكار تأويل لا إنكار جحد ، لأنه لو كان يريد إنكار الجحد لأعلن على نفسه بالكفر ، إذ أن من أنكر حرفاً واحداً من القرآن فهو كافر ، لكنه أنكره إنكار تأويل ، قال: إن الله يتكلم وإن الله إتخذ إبراهيم خليلاً لكن ليس على المعنى الذي تريدون ، إتخذه خليلاً من الخِلَةُ (بالكسر) وهي الإحتياج والفقر ، وليست الخُلَةُ التي هي المحبة أو أعلى أنواع المحبة ، ولم يكلم موسى تكليماً بمعنى الكلام الذي يسمع لكن كَلَمَهُ أي جَرَحَهُ بمخالب الحكمة ، لأن الكَلْم في اللغة بمعنى الجرح ، ومنه قول النبي صلى

ا الله عليه وآله وسلم:"ما من مكلوم يكلم في سبيل ا الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يثعبَ دَماً ، اللون لون الدم والريح ريح المسك" معنى كلمه يعني جرحه هذا على سبيل الاستعارة ، وعلى كلامه كأن الحكمة وحش لها أظفار جرح ا الله بها موسى عليه السلام ، ولا شك أن هذا الكلام منكر عظيم ، لكن من طُبع على قلبه فإنه لا يرى الباطل باطلاً والعياذ با الله ، ويقال أنه لما خرج خالد ابن عبد ا الله القصري ذات عيد من أعياد الأضحى ، وكان قد حبس الجعد ابن درهم ، خرج به موثوقاً وخطب الناس وقال: أيها الناس ضحوا تقبل ضحاياكم ، فإني مضح بالجعد ابن درهم إنه زعم أن ا الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ، ثم نزل من المنبر فذبحه ، يقول ابن القيم رحمه ا الله :-

ولأجل ذا ضحى بجعد ، خالد　　القسري يوم ذبائح القربان

إذا قال إبراهيم ليس خليله　　كلا ولا موسى الكليم الدان

شكر الضحية كل صاحب سنة　　لله درك مِن أخي قربان

ونحن نشكره أن ضحى بهذا الرجل الذي هو أصل البدعة العظيمة .

فالبخاري رحمه ا الله قال: التوحيد والرد على الجهمية ، ويفهم من هذا الكلام أن الجهمية في رأي البخاري رحمه ا الله ليسوا من أهل التوحيد ، وقد صرح كثير من العلماء بكفر الجهمية وأنهم كفار ، وبعضهم فصل وقال: المجتهد كافر والمقلد العامي ليس بكافر ، وبعضهم زاد قيداً في المجتهد الداعي إلى بدعته كافر وغير الداعي الذي تكون بدعته على نفسه ليس بكافر ، وهذه المسألة أعني تكفير الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة ونحوهم تحتاج إلى نظرٍ عميق ، وفي كل قضية بعينها ، لأن إطلاق الكفر قد يدخل فيه من ليس بكافر ونفي الكفر قد يخرج منه من هو كافر ، والكفر حكم من أحكام ا الله لا يجوز لنا أن نطلقه على أحد إلا إذا علمنا أنه يستحق هذا الوصف ، كما أن التحليل والتحريم من أحكام ا الله فلا يجوز أن نطلق على شيء أنه حرام أو حلال إلا عندنا فيه من ا الله برهان ، بل الكفر أعظم لأن الكفر فوق الحرام وفوق الكبائر .

ثم قال البخاري رحمه ا الله:- باب ما جاء في دُعاء النبيِّ صلى ا الله عليه وسلم أُمَّتَه إلى توحيد ا الله تباركَ وتعالى ، الظاهر أن (ال) في قول النبي صلى ا الله عليه وسلم للعهد الذهني وليست للعموم ، بدليل سياق الأحاديث ، ويصح أن نجعلها للعموم أي دعاء كل نبي أمته إلى توحيد ا الله ، وإذا جعلناها للعموم فإن دليل ذلك قوله تعالى:﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا ا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ وقوله:﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ فكل الرسل جاؤا لتحقيق هذا التوحيد ، نسأل ا الله أن يحققه لنا ولكم ، تحقيق هذا التوحيد مهمّ جداً ، عبادة ا الله وحده وإخلاص العبادة له أمر عظيم جداً ، وليس بالسهل وليس باليسير ، ولذلك قال بعض السلف: ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص، النفس تحتاج إلى جهاد فى تحقيق هذا التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ، بل من أجله خلق الجن والإنس قال تعالى:﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فجميع الرسل دعوا أممهم إلى التوحيد وعلى رأسهم خاتمهم محمد صلى ا الله عليه وسلم فقد دعا إلى التوحيد في مكة وفي المدينة بالقول والفعل .

فمن ذلك ما قاله البخاري رحمه الله: حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن اسحاق عَنْ يحيى بن عبد الله بن صيفي عن أبي معبد "عن إبن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن".

وحدثني عبد الله بن أبي الأسود حدثنا الفضل بن العلاء حدثنا إسماعيل بن أمية عن يحي بن عبد الله بن صيفى أنه سمع أبا معبد مولى بن عباس يقول: "سمعت بن عباس يقول: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى نحو أهل اليمن قال له: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس".

بَعْثُهُ معاذاً إلى اليمن كان في السنة العاشرة من الهجرة ، بعث النبى صلى الله عليه وسلم معاذا وأبا موسى الأشعري ، لكن بعث كل واحد منهما إلى ناحية ، ولهذا وردت ألفاظ حديث بن عباس في بعث معاذ على وجهين ، الوجه الأول: بعث معاذاً إلى اليمن ، الوجه الثاني: بعث معاذاً نحو اليمن أى جهة اليمن ، والثاني أقرب إلى الواقع لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى جهة ، وبعث أبا موسى إلى جهة أخرى ، ولا يمنع أن يكون اللفظ الذى فيه "إلى اليمن" يراد به الخصوص وإن كان للعموم ، ومعلوم أن معاذا لم يتجول في كل اليمن ، والشاهد من هذا الحديث قوله: "فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله" كلمة يوحدوا الله مطابقة للترجمة تماماً ، وفي لفظ أخر قي الحديث نفسه "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله" فبأيهما نأخذ؟ الجواب: نأخذ بالثاني لأن فيه زيادة وهو قوله وأن محمدا رسول الله ، لأن أهل الكتاب لا يؤمنون بأن محمداً رسول الله إلى جميع الخلق فيكون هذا اللفظ هو المعتبر وهو المأخوذ به لأنه أوفى وأكثر فائدة ، ومن المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبعث معاذاً إلا مرة واحدة ، ولم يوصه بما أوصاه به إلا مرة واحدة ، وعلى هذا فينبغي أن نختار من ألفاظ هذا الحديث أوفاها وأتمها سياقاً ، لأن الوافي التام السياق يدل على أن راويه قد ضبطه وأحاط به ، على كل حال قوله: "إلى أن يوحدوا الله" هي معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، وفي الحديث دليل على أن أهل الكتاب لم يوحدوا الله عز وجل وهو كذلك ، فإن اليهود يقولون: عزير بن الله ، والنصارى يقولون: المسيح بن الله وأن الله ثالث ثلاثة ، فهم لم يوحدوا الله عز وجل إلى السنة العاشرة ، وبهذا نعرف أن قوله تعالى:﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يفيد حِل نساء أهل الكتاب ولو كانوا يقولون بالشرك ، وفي الحديث دليل على رد قول من يقول: إن أول واجب على الإنسان المعرفة قبل أن يعتقد ، أى أننا ندعوا الناس أولاً إلى أن يعرفوا ويتعلموا ثم بعد ذلك يعتقدون ، وأفسد منه قول من يقول: إن أول واجب على الإنسان الشك ، أن يشك أولاً ثم ينظر في الآيات من أجل أن يدفع هذا الشك ، وهذا القول من أبطل الأقوال بل هو أبطل قول سمعته ، لأن الذى يلقي نفسه في الطين ليتعود كيف يخرج من الطين هل يأمن أن يركس في الطين أو لا يأمن؟ الجواب: لا يأمن ، فنسأل الله العافية من هذه الأقوال ، وسبب هذه الأقوال هو إنحراف الفطرة والطبيعة عند هؤلاء فيظنون أن الناس مثلهم ، والناس في الحقيقة مجبولون على الفطرة ، لا يحتاج أن نقول انظروا من خلق



السموات والأرض لأن هذا أمر معلوم فطرياً بل نقول: وحدوا من خلق السموات والأرض، اعبدوه وحده ، نعم لو احتاج إلى نظر فإننا نخبره مثل أن يكون شخص نشأ في بلاد شيوعية لا يعرف رباً ولا إلهاً ، وإنما هم كالأنعام فهؤلاء قد نحتاج إلى أن نعرفهم با لله أولاً ثم ندعوهم إلى التوحيد ثانياً ، لكن مثل أهل الكتاب ، يحتاجون؟ الجواب: لا يحتاجون لأنهم عندهم علم با لله ، يعرفون ا لله عز وجل بل يعرفون الرسول صلى ا لله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم فصار أول ما ندعوا الناس إلى توحيد ا لله عز وجل قبل المعرفة لأن هذا أمر فطري ، إلا إذا كان إنسان منغمسا في قوم أفسدوا فطرته فحينئذ نعرفه با لله أولا ثم ندعوه إلى التوحيد ، أما القول بأن الواجب الشك أولاً ثم المعرفة ثانياً ثم العقيدة ثالثاً فهذا قول من أبطل الأقوال بل هو أبطل قول سمعته ، وفي الحديث قوله: "فإذا عرفوا ذلك" استدل به بعض الناس أن أول شيء هو المعرفة لقوله: "فإذا عرفوا ذالك" لكن ذكرنا لكم آنفا أن الحديث روي بالفاظ متعددة وأوفى هذه الألفاظ هو اللفظ الثاني ، "فإن أطاعوا لذالك" أو "فإن هم أطاعوا لك بذلك" وعلى هذا فيكون هذا اللفظ الذي ذكره المؤلف هنا منقولا بالمعنى ، على أن قوله: "إذا عرفوا ذالك" لا يتعين أن يكون المراد به إذا عرفوا ا لله ، بل المراد إذا عرفوا ذلك أى عرفوا أن ا لله إلهٌ واحد ، أى عرفوا التوحيد وأقروا به وانقادوا له فأخبرهم بأن ا لله قد أفترض عليهم ... إلى آخر الحديث ، وهذا لا يحتاج إلى شرح لأنه معروف وقد سبق ، وفي قوله في الحديث: "زكاة في أموالهم" تدل هذه اللفظة على أن الزكاة واجبة فى المال وهو كذلك ولهذا لا يشترط لوجوبها على القول الراجح أن يكون مالك المال مكلفاً أى بالغاً عاقلاً ،

فتجب في مال الصبي وفي مال المجنون وقوله: "من غنيهم فترد على فقيرهم" المراد بالغني هنا من يملك نصاباً زكوياً هذا الغنى ، أما من يملك العقار ولو كثر فإنه ليس غنيا بالنسبة لوجوب الزكاة عليه ، لأن العقارات على القول الراجح لا تجب فيها الزكاة ما لم تكن للتجارة ، وفى قوله: "على فقيرهم" دليل على أن الصدقة توزع على مستحقيها توزيع أفراد ، لا توزيع جمع فقوله تعالى:﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ لبيان جنس المستحقين وليس المراد أن نستوعب هذه الأصناف في الزكاة ، وهذه المسألة اختلف فيها الفقهاء رحمهم ا لله مع وجود هذا النص ، فقال بعضهم لابد أن نقسم الزكاة ثمانية أقسام لكل واحد من الأصناف الثمانية قسم ، وقال أخرون زيادة على ذلك بل ما جاء بلفظ الجمع من هذه الأصناف وجب أن نعطي ثلاثةً منهم ، وعلى هذا فيكون الواجب أن نعطي ثلاثة فقراء وثلاثة مساكين وثلاثة عاملين عليها وثلاثة غارمين وثلاثة رقاب وثلاثة مؤلفة قلوبهم ، أما في سبيل ا لله وابن السبيل فهذه مفردة تصدق بالواحد ولكن القول الراجح أن المراد بيان المستحقين لا وجوب التفريق فى الجميع بدليل هذا الحديث ، والحديث له فوائد سبق الكلام عليها لكن الذى يختص بهذا الباب قوله: "إلى أن يوحدوا ا لله".

قال البخاري رحمه ا لله: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي حصين والأشعث بن سليم سمعنا الأسود ابن هلال "عن معاذ بن جبل قال: قال النبي صلى ا لله عليه وسلم يا معاذ ، أتدري ما حق ا لله على العباد؟ قال: ا لله ورسوله أعلم. قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدرى ما حقهم عليه؟ قال: ا لله ورسوله أعلم. قال أن لا يعذبهم" ، حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد ا لله بن

عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه "عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سمع رجلا يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك – فكأن الرجل يتقالها – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن" زاد اسماعيل بن جعفر عن مالك عن عبد الرحمن عن أبيه "عن أبي سعيد أخبرني أخي قتادة بن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم" ،

هذا الحديث مختصر، البخارى رحمه الله اختصر سياقه لأن المقصود هو الشاهد في الحديث وهو قوله لما سأله ما حق الله على العباد قال: الله ورسوله أعلم قال: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا" فذكر النبى صلى الله عليه وسلم شيئين ، العبادة وعدم الشرك فلابد من عبادة ولابد من عمل وكلمة "يعبدوه" يعنى عبادة تامة لا تقتضي مخالفة تستحق العقاب ولهذا قال: "أتدري ما حقهم عليه" قال: الله ورسوله أعلم ،قال: "أن لايعذبهم" إذا عبدوه ولا يشركوا به شيئا فإن الله لا يعذبهم لأنهم قاموا بحق الله ، والله – عز وجل – أكرم منهم فإذا قاموا بحقه قام بحقهم ، فإذا قال قائل كيف يكون للعباد حق على الله وهم مربوبون؟ والجواب: أن الله هو الذى أوجب الحق على نفسه والممنوع أن نوجب نحن حقاً على الله ، أما إذا أوجب الله على نفسه حقا لنا فهذا من فضله وكرمه ، ولهذا قال بن القيم رحمه الله:

ما للعباد عليه حق واجب	هو أوجد الأجر العظيم الشان
كلا ولا عملٌ لديه ضائعٌ	إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عذبوا فبعدله أو نعموا	فبفضله ، والفضل للمنان

فبين رحمه الله أنه ليس لنا على ربنا حق نوجبه نحن بأنفسنا ، بل هوالذى أوجب الحق على نفسه وله أن يفعل ما شاء قال الله تعالى:﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالةٍ ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفورٌ رحيم﴾ •

الحديث الرابع ، الشاهد من هذا الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إنها لتعدل ثلث القرآن وأقسم على ذلك ، قال أهل العلم وإنما كانت تعدل ثلث القرآن لأن القرآن ثلاثة مواضيع أحكاماً وأخباراً عن الله وأخباراً عن مخلوقات الله ، كل القرآن يدور على هذه المعارف الثلاثة فالأحكام تتعلق بأعمال العباد ، والأخبار عن مخلوقات الله أيضا تتعلق بما أخبر الله به عنه ، والأخبار عن الله تضمنته سورة الإخلاص ففيها توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، الألوهية في قوله: ﴿الله﴾ والربوبية والأسماء والصفات في قوله:﴿الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد﴾ ، ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن ، وفي الحديث من المسائل الفقهية جواز ترديد السورة أو الآية لأن النبى صلى الله عليه وسلم أقره على ذلك و لم ينكره ، فإذا كرر الإنسان الآية أو السورة فإنه لا بأس ، وكثيراً ما تعجب الإنسان آية من كتاب الله ، إما لمعناها أو للفظها ، فيرددها فنقول هذا لا بأس به حتى لوكرر ، لكن تكرارها بعدد معين يعتاده الإنسان هذا يحتاج إلى توقيف ، فمثلا لو أراد الإنسان أن يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرة وجعل لنفسه ورداً يقرءها كل يوم مائة مرة؟ كان: بدعة لكن لوكان يقرؤها بدون عدد معين كلما قرأ قرأ العدد قلنا هذا ليس ببدعة وليس بحرام ولا بمكروه •

الدرس الثاني:-

قال فضيلة الشيخ/محمد بن صالح العثيمين حفظه الله:-

إختلاف المسلمين في توحيد الأسماء والصفات ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه على ستة أقسام:-

القسم الأول:-

من أجروا النصوص على ظاهرها اللائق بالله ، فقالوا إننا نثبت ما أثبته الله لنفسه من غير تمثيل ولا تكييف وهؤلاء هم السلف ، أهل السنة والجماعة ·

القسم الثاني:-

من أجروا النصوص على ظاهرها ، وجعلوا ظاهرها من جنس صفات المخلوقين وهؤلاء هم الممثلة ·

القسم الثالث:-

من حرفوا النصوص على خلاف ظاهرها ، أى حملوها على خلاف ظاهرها وعينوا لها المعاني ، هم عينوها بأنفسهم وقالوا مثلا معنى استوى أى استولى ، هؤلاء هم أهل التحريف المأولة مثل الأشاعرة والمعتزلة ونحوهم ·

القسم الرابع:-

من خالفوا ظاهرها ولكن قالوا الله أعلم بما أراد ، لم يثبتوا الظاهر و لم يثبتوا معنى يخالف الظاهر ، بل قالوا الله أعلم بما أراد ، وهؤلاء قوم من المتكلمين و لم يعينهم الشيخ ·

القسم الخامس:-

من قالوا يجوز أن يكون المراد بها إثبات صفة تليق بالله ، أو لا يكون المراد ذلك ، وهؤلاء أيضا قوم من المتفقة و لم يعينهم الشيخ ·

القسم السادس:-

من أعرضوا عن هذا كله واقتصروا على قرأة القرآن والحديث و لم يثبتوا معنى ظاهرا ولا معنى مأولا ولا يجوزون شيئا ، وهؤلاء لم يعينهم الشيخ رحمه الله · هذه ستة أقسام ذكرها رحمه الله في الفتوى الحموية ·

قال البخاري رحمه الله:-

حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو عن ابن أبي هلال أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن - وكانت في حجر عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم "عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: سلوه لأى شيئ يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه" ·

الشاهد من هذا الحديث هذا الرجل الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم على سرية فكان يقرأ لاصحابه ويختم بقل هوالله أحد ، وقوله: "فيختم بقل هو الله أحد" يحتمل أن يكون يختم قراءة كل ركعة ، أو أنه يختم قراءة الصلاة عموما فعلى الإحتمال الأول إذا كانت الصلاة رباعية يقرأ قل هو الله أحد أربع

مرات ، وعلى الإحتمال الثاني يقرؤها مرة واحدة ، وقد استدل به الفقهاء على جواز جمع سورتين في ركعة واحدة وقوله: "لأنها صفة الرحمن" هذا هو الشاهد بأنها أى ﴿قل هو الله أحد﴾ صفة الرحمن ولا يريد أنها كلام الله ، فهي صفته لأن هذا الوصف لا يختص بقل هو الله أحد ، بل هو شامل للقرآن كله لكن مراده لأنها تشتمل على صفة الرحمن فإن جميع صفات الله عز وجل تتضمنها هذه السورة وتشتمل عليها.

وفي هذا الحديث اثبات الصفة لله كما جرى على ذلك علماء السلف أن لله أسماء وصفات ، وأنكر ابن حزم الظاهري ذكر الصفة وقال إن ذكر الصفة مما أحدثه المتكلمون ولكن قوله مردود بالقرآن وبالسنة.

أما القرآن فإن الله تعالى قال ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ فنفى ما وصفه به المشركون عن نفسه ، أو تنزيه نفسه عما وصفه المشركون يدل على إثبات صفة الكمال له وهو كذالك ، وأما الحديث فظاهر لأنها صفة الرحمن فأثبت للرحمن صفة ومن العلوم أن بن حزم لم يحتج لقولهم ، إلا أن الصفة لاتقوم إلا بجسم والجسم ممتنع على الله ونحن نتكلم عن الجسم الأن والحيز والجهة وما أشبه ذلك من العبارات التي توصل أهل التعطيل بها – أى بنفيها إلى نفى الصفات – عن الله ، فقالوا لا نصف الله بصفة لأن هذا يقتضي أن يكون جسما والجسم محدث ، والله عزوجل هو الأول الذي ليس قبله شيئ.

فنقول لهم إن كان يلزم من إثبات الصفة أن يكون الله جسما فهذا لازم من كتاب الله وسنة رسوله ، وكتاب الله وسنة رسوله حق ، واللازم من الحق حق وإن كان لا يلزم فقد حصل الإنفكاك عما ألزمنا به ، ثم نقول له ولغيره – حتى الأشاعرة أيضا ينكرون الصفات – بناء على هذا نقول ما هو الجسم الذي تريدون أن تنفوه عن الله؟ هل مرادكم بذلك الجسم المركب الذى يفتقر بعضه إلى بعض ويتجزأ ؟ أم مرادكم بذلك الشيئ القائم بنفسه المتصف بالصفات الفاعل لما يريد الذى يجئ ويذهب ويأخذ ويقبض ويبسط؟ إن أردتم الأول فنحن نوافقكم على أن الله لا يوصف بالجسم بهذا المعنى ، وإن أردتم الثاني فنحن نصف الله به وسموه ما شئتم ، سموه جسما أو غير جسم نحن نصف الله عزوجل أنه قائم بنفسه متصف بالصفات الائقة به ، يجيئ وينزل ويستوي ويأخذ ويقبض يبسط ويتكلم ، نقول بذلك ولا يمكن أن ننكر هذا ، لأن إنكار هذا هو التعطيل المحض ، ثم نقول لهم: أنتم تقولون أنه لا يتصف بالصفات إلا الجسم وهذا خطأ مخالف للواقع ، فإنه يوصف بالصفات ما ليس بجسم فاللغة العربية مملوءة من وصف الأزمان بالصفات فيقال مثلا: هذا الليل طويل وهذا نهار قصير ، وهل النهار والليل أجسام ؟ الجواب: لا ، ويقال حر شديد وبرد شديد ، والحر والبرد ليس بجسم فدعواكم أن الصفات لا تقوم إلا بالجسم دعوى باطلة تكذبها اللغة ويكذبها الحس ، وبناءا على ذلك تبين أن نفي الجسمية عن الله عز وجل خطأ ، وأن إثباتها كذالك خطأ هذا من حيث اللفظ أما من حيث المعنى فإن أريد بها معنى لا يليق بالله وجب نفيها ، وإن أريد بها معنى يليق بالله فهي حق ، لكن لا تطلق لفظا على الله إثباتا ولا نفيا ، لأنه لم يرد إثباتها ولا نفيها ، والعجب أن هؤلاء القوم الذين أعتمدوا في نفي الصفات عن الله على نفى الجسمية قالوا: إن الله لا يحزن ، لأنه لو حزن لكان جسما ، إذ أن الحزن صفة والصفة لا تقوم إلا بجسم ، فأنظر كيف أدى بهم هذا الخطأ إلى هذا الخطأ الفادح ، أيهما أعظم: أن نصف الله بالحزن والعجز والتعب وما أشبه ذلك ، أو أن نصفه بأنه جسم؟ الجواب: الأول ، فذهبوا ينفون

الأوضح في الفساد بناء على ما هو أخطأ ، فعكسوا القضية لأن القضية أن يستدل بـالأوضح على الأفضـل ، أما هؤلاء استدلوا بما هو أخفى على ما هو أوضح ، فنقول لهم: إن هذا الكلام من أبطل ما يكون •

أولا:- أنتم إذا قلتم أننا لو أثبتنا الحزن لله لزم أن يكون جسما ، لمن أثبت الحزن؟ أن يقـول أنـا أثبـت الحـزن ولا أقول إنه جسم كما قال السلف نحن نثبت القدرة ولا نقـول أنـه جسـم ، يمكـن نقـول هكـذا ثـم نقـول كلامكم هذا يؤدى إلى أن يكون الرد على السلف والرد على المعطلة بطريق واحد ، وهو إثبات الجسـمية إن ثبت الحزن أو إثبات الجسمية إن ثبتت القدرة مثلا ، على كل حال هذا وجهة نظر ابن حزم في إنكار الصفـة وقال إن الله ليس له صفة ولا يجوز أن نثبت له صفـة ، لأن ذالـك يستلزم أن يكـون جسـما إذ أن الصفـات أعراض والأعراض لا تقـوم إلا باجسـام ، ولا يخفـى علينـا أن هـذا اسـتعمال للقيـاس وهـو ينكـر القيـاس في الأحكام العملية ويأتي به في الأحكام العقائدية •

فـوائد الحـديث:-

١- اثبات الصفة لله عز وجل•

٢- اثبات المحبة لله لقوله: "أخبروه"•

أن الله يحبة ، وهذه المحبة محبة حقيقية ، يجب أن نؤمن بأن الله يحب لأن القرآن مملوء بذلك قوله تعـالى: ﴿إن الله يحب المتقين﴾ ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ ﴿إن الله يحب الذين يقاتلن في سبيله صفا﴾ ﴿والله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ وذكر محبة الله لمن علقت محبة الله بـه أكـثر مـن ذكر محبتنا لله ، في القرآن ذكر إضافة المحبة لله عز وجل أكثر من إضافتها للمخلوق ، ومع ذلك أنكرها أهل التعطيل من الأشاعرة وغيرهم لماذا؟ لأن المحبة لا تكون إلا بين شيئين متجانسـين ، والخـالق لا يماثل المخلـوق فالجواب على هذا سهل ، المحبة تكون بين شيئين متجانسين مثل محبة الرجل لأمرأته كما قال تعالى: ﴿وجعـل بينكم مودة ورحمة﴾ وتكون أيضا بين الجماد والإنسان اليس كذالك؟ في الحديث الصحيح "أحـد جبـل يحبنـا ونحبه" وأنت بنفسك تحب بعض مالك على بعض ، يكون مثلا لك قلم ريشتة سهلة ولينة ولا تشقق الورق ، وقلم أخر ريشتة صعبة تشقق الورق ، مرة تكون الكتابة غليظة ومرة تكون دقيقة أيهما أحب إليك؟ الجواب: الأول ، تحبه وهو جماد ، مثلا ساعة كل يوم تخبط عليك وتؤذيك وتضرك في الوقت مرة تقدم ومرة تؤخـر ، وساعة أخرى مضبوطة و لم تر منها شيئ ، أيهما أحب إليك؟ الجواب: الثاني ، حتى البهائم ترى البعير يحـب صاحبه ويأوي إليه دون الأخرين أليس كذالك؟ ونرى أيضـا أن الأنسـان يحب هـذه البعير بعينهـا ولا يحـب الأخرى لأن الأخرى صعبة وهذه سهلة ذلول ، فإذا انتقض كلامهم وقياسهم ، هل هم ينكرون المحبـة إنكـار جحود أو انكار تأويل؟ الجواب: إنكار تأويل لأنهم لو أنكروها إنكار جحود لكفروا ، لو قالوا الله لا يحـب فهذا أكفر لكن يقول: هو يحب ومعنى المحبة كذا وكذا ، فما معنى المحبة عندهم؟ الجواب: يقولـون المحبـة إمـا الثواب وإما إرادة الثواب ، الثواب مخلوق منفصل بائن عن الله ولا أحد ينكره ، كل يقول المخلوقات ثابتة ، الله هو الذى خلقها ، أو إرادة الثواب والإرادة صفة ، لكن الأشاعرة يقرون بإثبـات الأرادة لله عـز وجـل ، فيفسرون المحبة اما بالثواب وهو منفصل بائن عن الله مخلوق ، وإما بإرادة الثـواب والإرادة وإن كـانت صفـة

للمريد ، لكن هم يثبتون صفة الإرادة لان العقل عندهم دل على ثبوت الإرادة لله عز وجل ، كيف دل العقل على الإرادة عندهم؟ الجواب: قالوا تخصيص المخلوقات بما تختص به يدل على الإرادة ، يعني جعل السماء سماءا ، والأرض أرضا ، والبعير بعيرا ، والشاة شاة ، هذا يدل على الإرادة ، أراد الله أن تكون السماء سماء على هذا الوجه فصارت كذالك ، وكذالك الأرض ، وكذالك البعير ، وكذالك الشاة ونحن نوافقهم أن الإرادة دل عليها الشرع والعقل ، لا نرد الحق عن أى إنسان ، لكن كوننا نجعل المحبة بمعنى الإرادة هذا خطأ ، المحبة أعلى وأعظم من الإرادة وتجد الفرق بين أن تقول لشخص إن الله يحبك أو تقول لشخص إن الله يريد أن يثيبك أيهما أعظم؟ الجواب: الأول أعظم وأشرح للصدر وأطمن للقلب وأوفى للنفس ، فكيف ننكر المحبة ونثبت الإرادة؟ ، على كل حال هذا الحديث يدل على:-

إثبات المحبة لله عز وجل لقوله: "إن الله يحبه" وجاء هذا فى الكتاب والسنة ومحبة الله تعالى تتعلق أحيانا بالأشخاص ، وأحيانا بالأعمال ، وأحيانا بالأماكن ، وأحيانا بالأزمان والأوقات .

تتعلق بالأشخاص مثل هذا الحديث " أخبروه أن الله يحبه " وتتعلق بالأعمال كقول النبى صلى الله عليه وسلم: " أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها " ، وتتعلق بالأوصاف لقوله تعالى: ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ .

هل هناك فرق بين الإرادة والمحبة أو هل هناك تلازم بين الإرادة والمحبة؟

الجواب لا تلازم بين الإثنين ، قد يريد الله ما لايحب ، وقد يحب ما لا يريد ، ولا تلازم بين ما أراد الله وأحبه ، يعني ليس كل ما أحبه الله فهو يريده ، ولا كل ما أراده الله فهو يحبه ، فإذا قال قائل: ليس كل ما أراد الله يحبه – فيه اشكال – كيف يريد ما لايحب؟ الجواب: يريد ما لا يحب للحكمة والمصلحة التي تقتضيه ، فالمعاصي لا يحبها الله ولكنه يريدها ، وقعت بإرادته الكونية لكنه لا يحبها ، كيف يريدها وهو لا يحبها؟ الجواب: المصلحة ، ألم تسمع إلى قول الله في الحديث القدسي " ما ترددت بشئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكره اساءته" ولابد له منه فهنا أراد سبحانه وتعالى ما يكره ، ولكن المصلحة لابد منها ، ونظير ذلك في المحسوس أن الإنسان يأتي بإبنه إلى الطبيب فيقرر الطبيب أنه لابد من كيه بالنار ، فيحمي الحديد حتى تكون جمرة ثم يكوى بها ابن الرجل ، وهنا هل الرجل يحب أن يحرق ابنه بالنار؟ الجواب: يكره ذلك لا شك ، لكن أحب إحراقه بالنار من أجل مصلحة أعظم من ذلك وهي شفاء الولد ، فالله – عز وجل – قد يريد ما يكره لحكمة تقتضيه ، وقد يحب مالا يريد يحب منا أن نكون مؤمنين به قائمين بأمره ، ولكن قد لا يريد ذلك لمصلحة أيضا فإن الله تعالى قسم العباد إلى قسمين:-

القسم الأول: قال تعالى: ﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ ولو جاء الناس على ما يحبه الله لم ينقسموا إلا إلى قسم واحد ، ولبطلت الحكمة من خلق الجنة والنار ، ولبطل الجهاد في سبيل الله ، ولبطل الأمر بالمعروق والنهي عن المنكر ، ولبطل الإمتحان الذى يمتحن الله به العباد قال تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ فتبين بهذا أنه لا إتفاق بين المحبة والإرادة ، قد يجتمعان في شيء واحد وقد يفترقان ، فطاعة المطيع اجتمع فيها الإرادة والمحبة ، ومعصية العاصي اجتمع فيها الإرادة دون المحبة .

قال البخارى رحمه الله :-

- باب قول الله تبارك وتعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ ·

ذكر أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا سمعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يا الله يا رحمن فقالوا: هذا الرجل يقول إن الإله واحد وينهانا أن نجعل له شريكا وهو يدعوا إلهين يا الله يا رحمن ، فأنزل الله هذه الآية ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ أى ادعوا ربكم باسم الله أو باسم الرحمن ، أى ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، ليس المعنى أن هناك من يسمى با لله ومن يسمى بالرحمن ، يعنى قولوا يا الله ، وقولوا يا رحمن وقوله تعالى ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا﴾ أيا: اسم شرط جازم مفعول به مقدم لتدعوا وجملة ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ هى جواب الشرط ، يعنى أى اسم تدعوا الله به فله الأسماء الحسنى ، يعنى فأسمائه كلها حسنى تصح أن تكون وسيلة للدعاء بها والشاهد من هذا الباب :-

هو إثبات اسم الرحمن ، وإثبات اسم الله ، وإثبات الأسماء الحسنى عموما ، أما اسم الله واسم الرحمن فهو نص وتعيين ، وأما الأسماء الحسنى فهى عامة ·

وفي هذا البحث بحوث:-

أولا:- على أى شيئ يدل الإسم ؟ الجواب: نقول كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على شيئين:-

١- الذات المقدسة ·

٢- الصفة التى اشتق منها ·

فكلمة الله تدل على الرب عز وجل وعلى الصفة التى اشتق منها وهى الآلوهية ، الرحمن تدل على ذات الله عز وجل وعلى الصفة التي اشتق منها وهى الرحمة ·

هذه قاعدة:- كل اسم من أسماء الله يدل على شيئين: الذات والصفة ، وهل يدل على أكثر من ذلك؟ الجواب:نعم ربما يدل على أكثر من صفة باللزوم لا بالتضمن مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ هو الله الخالق البارئ﴾ دلت الخالق على ذات الله وعلى وصفه بالخلق ، ودلت على علمه وقدرته ، كيف وهى ليس فيها علم ولا قدرة؟ الجواب: لآن من لازم الخلق العلم والقدرة ، اذ مع الجهل لا يمكن أن يخلق ، ومع العجز لا يمكن أن يخلق·

ثانيا:- كل أسماء الله حسنى ولذالك قال تعالى: ﴿ وله الأسماء الحسنى ﴾ والحسنى اسم تفضيل يقابله في المذكر أحسن ، يقال رجل أحسن وإمرأة حسنى ، وهنا قال الأسماء الحسنى فجعل الوصف وصف مؤنث لأن الأسماء جمع ، والجمع يوصف بالمؤنث ، إلا جمع العاقل فيوصف بحسب ما يقتضيه المعنى ، إن كان للذكور فجمع مذكر سالم ، وإن كان للإناث فجمع مؤنث سالم ، أما غير العاقل فإنه يجمع وصفه على جمع المؤنث ، إذا أسماء الله تعالى كلها حسنى ، والحسنى هي المشتملة على أكمل وجوه الحسن ، فهي حسنى ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ، فيفهم من هذه القاعدة:-

أنه لا يوجد في أسماء الله اسم يحتمل معنيين ، معنى حسن ومعنى غير حسن ولهذا لم يكن من أسماء الله المتكلم ، ولا من أسمائه المريد مع أنه متكلم ومريد ، قال العلماء: لأن المتكلم من قام به الكلام ، والكلام

قد يكون حسنا وقد يكون سيئا ، وكذالك الإرادة ، ولهذا لا يصح أن نسميَ الله بالمتكلم أو نسميَ الله بالمريد ، لكن يوصف بأنه متكلم وأنه مريد ، لأن باب الإخبار أوسع من باب التسمية ، لأن التسمية إنشاء ، تنشأ إسماً للمسمى الذى تريد أن تسميه ، لكن الإخبار مجرد خبر ليس بإنشاء ، ولذالك قالوا الإخبار أوسع من الإنشاء ، فقد يخبر عن الشيئ بشيئين ولا يسمى به مثل المتكلم ، وحينئذ يمكن أن نقسم ما يضاف إلى الله عز وجل إلى أربعة أقسام:-

القسم الأول:- ما تضمن كمال الحسن فهذا يكون من أسمائه ·

القسم الثانى:- ما كان حسنا من وجه دون وجه ، فهذا يخبر به عنه ولا يسمى به ·

القسم الثالث:- ما كان محمودا في حال دون حال ، فهذا يوصف به في الحال التي يكون فيها محمودا ، ولا يسمى به على الإطلاق مثل المكر والخداع والإستهزاء والكيد ، هذه أوصاف إن ذكرت في مقابل من يعامل بهذه الأوصاف صارت أوصافا محمودة ويوصف الله بها ، وإلا فلا ، فمثلا المكر ، وصف الله نفسه بأنه يمكر ولكن وصفا مقيدا بمن يمكر به فقال: ﴿يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ فلا يصح أن تقول أن الله ماكر ، وهذا هو الفرق بين هذا وبين قولنا الله متكلم ، لأنه يجوز أن نقول أن الله متكلم على وجه الإطلاق ، لكن لا يجوز أن تقول أن الله ماكر إلا إذا قيدته ، فقلت ماكر بمن يمكر به ، لأن المكر لا يكون مدحا إلا حيث كان في مقابل مكر أخر ليتبين به أن قوة الله عز وجل أقوى من قوة هذا الماكر ، وكذالك نقول في الخداع ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ فلا تصح بأن تصف الله بأنه خادع أو مخادع على وجه الإطلاق ، قل خادع من يخادعه ، كذالك المستهزء لا يصح أن نقول الله مستهزء على سبيل الإطلاق بل نقول مستهزء بمن يستهزء به ، وكذالك الكيد نقول أن الله لا يكيد على أحد إلا من كاد عليه لقوله تعالى:- ﴿إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا﴾ ·

القسم الرابع:- مالا يصح أن ينسب لله إطلاقا ، وهو ما تضمن نقصا مطلقا فهذا لا يصح أن يضاف إلى الله إطلاقا مثل الخائن والعياذ بالله ، هذا لا يمكن أن نصف الله به مطلقا ، وقول العامة: خان الله من يخون خطأ فادح وغلط ، ولهذا لما ذكر الله خيانة أعدائه لم يذكر خيانته لهم فقال تعالى: ﴿ذلك بأنهم خانوا الله من قبل فأمكن منهم﴾ و لم يقل فخانهم ، لكن في الخداع قال: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ فإذا قال قائل ما الفرق بين الخيانة والخداع؟ قلنا الفرق بينهما ظاهر الخيانة أن تخون الأمانة فيمن إئتمنك والخداع أن تخادع من خادعك ، وبينهما فرق يظهر بالمثال: يقال أن الحرب خدعة والحرابة في مقابلة عدو يريد أن يخدعك ، فإذا خدعته كان هذا مدحا ، لكن الخيانة لا يمكن أن تخون من إئتمنك اذا خنته فأنت أتيت ما يقدح فيك ، فهذا علي بن أبيي طالب أراد أن يبارزه عمرو بن ود ، والمبارزة تكون قبل بداية المعركة فإذا قتل أحدهما الأخر صار قوة وتشجيع لأصحاب القاتل وإنهزام لأصحاب المقتول ، فلهذا كانوا يستعملون هذا في الحرب لما خرج عمرو بن ود إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صاح به وقال ما خرجت لأبارز رجلين فظن عمرو بن ود أنه لحقه رجل آخر فالتفت ، فضربه علي حتى أبان رأسه على جسده ، هذا خداع لكنه خداع جائز لأن عمرو بن ود خرج ليقتل علي فخدعه ، فهذا الخداع يعتبر مدحا

وثناءا ، فهؤلاء المنافقون الذين يخادعون ا لله خدعهم ا لله عز وجل فيعتبر هـذا الخداع مدحاً ، لكـن الخيانـة ليست بمدح لأنها خديعة فى محل الأمانة وهذا ذم ولا يجوز على ا لله عز وجل فصار مـا يضـاف وينسـب إلى ا لله عز وجل ينقسم إلى أربعة أقسام:

١- أسماء وهذه كلها متضمنة لأحسن الكمالات٠

٢- أوصاف يخبر بها عنه ولا يسمى بها٠

٣- أوصاف يوصف بها مقيدة٠

٤- أوصاف لا يوصف بها مطلقا فإن وصف بها كان ذالك عدوانا وظلما ، اليهود قالوا إن ا لله فقير ، هـل يصح أن يوصف ا لله بالفقر؟ الجواب: لا، قالوا يد ا لله مغلولة ، وقالوا ا لله بخيل وهذا لا يمكن أن يوصف بـه لأنه نقص بكل حال٠

الدرس الثالث

قد ذكرنا أمس أن الإسم يدل على الذات والصفة ، كل إسم من أسماء ا لله يدل علـى ذات وصفـة ، دلالته على الأمرين تسمى دلالة مطابقة ، ودلالته على واحد منهما تسمى دلالة تضمن ، ودلالة الإلتزام تـدل على أمر لا يدل عليه اللفظ من حيث المادة ، ولكن يدل عليه مـن حيـث أنه يـلزم مـن كـذا ، كـذا وكـذا المثال:-

نمثل بمعقول ومحسوس ، من أسماء ا لله تعالى الخالق ، فالخالق دل على ذات الرب وعلى صفة الخلق ، دل على أن هناك خالقاً هو الفاعل وأن هناك خلقاً هو الفعل

الخالق تدل على الرب عز وجل بصفة الخلق فدلالته على الذات والصفـة دلالـة مطابقـة ، لأن اللفـظ مطـابق للمعنى مساويا له ، كالطبق على الصحن يطابقه ، دلالته على واحد منهمـا دلالـة تضمـن يعني مثـلا: كلمـة الخالق تضمنت الدلالة على الرب عز وجل وعلى الخلق الذي هو الصفة٠

هل يكون هناك خلق بلا علم ولا قدرة؟٠ الجواب: لا ، مـن أيـن عرفنـا أن الخـالق يـدل علـى صفـتي العلـم والقدرة؟ طريق الزوم ، من لازم أن يكون خالقا أن يكون عالما قادرا ، إذ الجاهل لا يمكن أن يخلق والعاجز لا يمكن أن يخلق ، هذا مثال بمعقول ، المثال المحسوس قلت: هذا قصر فلان ، كلمة قصر تشتمل على كـل هـذه البناية بما فيها من غرف وحجر وساحات وغير ذلك تدل على هذا بالمطابقة ، وتدل على غرفة فيه أو حجـرة فيه أو ساحة فيه بالتضمن ، يعني من ضمن هذا القصر غرفة وحجرة وساحة تودل على أن هناك بانيا بنى هذا القصر باللزوم ، دلالة المطابقة والتضمن غالب الناس يفهمها ولا تشكل عليهم ، لكن دلالة الـلزوم هـى الـتي يختلف فيها العلماء إختلافا كبيرا بحسب ما أعطاهم ا لله من الفهم هذه عدة أبحاث في الأسماء:-

البحث الأول: أن أسماء ا لله سبحانه وتعالى متباينة ومترادفة ، بإعتبارين٠

فما هو التباين ، وما هو الترادف؟

التباين تعدد اللفظ والمعنى ، أى أن يكون كل لفظ له معنى غير معنـى اللفـظ الآخـر مثالـه: إنسـان وحجـر ، فاللفظ متعدد والمعنى متعدد٠

والترادف تعدد اللفظ واتحاد المعنى ، أى أن يكون للشيء الواحد عدة ألفاظ مثل البر والقمح فهما لفظان لشيء واحد وهو (الحَبّ) المعروف.

وعلى هذا فأسماء الله تعالى متباينة مترادفة باعتبارين؟ فباعتبار دلالتها على الذات فقط مترادفة ، لأن السميع العليم العزيز الحكيم كلها لمسمى واحد ، فهي مترادفة ، وباعتبار دلالة كل منها على معناه الخاص متباينة ، لأن معنى السميع غير البصير، ومعنى العزيز غير الحكيم ، وعلى هذا يتبين بطلان مذهب المعتزلة الذين يقولون أن أسماء الله مترادفة ،فالعليم والسميع والبصير كلها واحدة ، لا يدل السميع على معنى غير ما يدل عليه البصير ، ولا البصير على معنى غير ما يدل عليه السميع ، لأن هذا القول يكذبه كل لغة العالم ، إذ أن المشتق من البصر غير المشتق من السمع مثلا ، فإذا أسماء الله متباينة مترادفة فلو قيل لك هل أسماء الله متباينة؟ الجواب: إن قلت نعم أخطأت ، وإن قلت لا أخطأت ، وإن فصلت أصبت.

البحث الثاني:- هل أسماء الله سبحانه وتعالى محصورة بعدد معين أم هي لاحصر لها؟ الجواب:

قال بعض أهل العلم إنها محصورة بتسعة وتسعين إسما ، لأن الله وتر ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة" وقال بعض العلماء إن أسماء الله ليست محصورة بعدد ، واستدل هؤلاء بحديث ابن مسعود ، الصحيح ، حديث الهم والحزن ، أن الإنسان إذا أصابه هم أو حزن دعا به ، وفيه أسألك بكل إسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك" ، الشاهد من هذا الحديث قوله: "أو استأثرت به في علم الغيب عندك" لأن ما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن إدراكه ، لو أمكن إدراكه لم يكن الله مستأثرا به ، وإذا لم يمكن إدراكه فإنه لا يحصر بتسعة وتسعين ، وهذا القول هو الراجح ، إن أسماء الله غير محصورة وليست كلها معلومة لنا ، لأن الرسول يقول: "أو استأثرت به في علم الغيب عندك" تبقى الحاجة إلى الجواب عن قوله: "إن لله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة" فنقول الجواب إن هذا الحديث جملة واحدة ، إن لله تسعة وتسعين إسما موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة ، يعني وهناك أسماء أخرى لا علاقة لها بهذا الحكم ، ونظير ذالك أن تقول: عندى مائة فرس أعددتها للجهاد في سبيل الله ، فهل يعني ذالك أنه ليس لك سوى هذه المائة إذا علمنا أن لك ألف فرس؟ الجواب: لا ، فالحديث نظير هذا المثال الذي ذكرنا ، أن المعنى من أسماء الله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة ، وحيئذ تكون الأسماء غير محصورة ، ولكن هل هذه التسعة والتسعون هل يمكن الإحاطة بها علما؟ الجواب: نعم ، لأنه لو كان لا يمكن لكان كلام النبي صلى الله عليه وسلم وحاشاه لغوا ، فما هو الطريق إلى إحصائها؟ الجواب: الطريق إلى هذا جاء حديث بسرد هذه الأسماء ، لكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: إن سردها مدرج وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يحتج به ، ووجه قوله بأن من أسماء الله مالم يوجد في هذه الأسماء المسرودة ، مثل الرب ، الرب من أسماء الله ولا يوجد في الأسماء المسرودة ، والرب من أسماء الله لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب" ولقوله: "أما الركوع فعظموا فيه الرب" وكذالك من أسماء الله الشافي و لم يذكر في الأسماء المسرودة ، كان من رقية النبي صلى الله عليه وسلم على المريض أنه يقول: "وأشف وأنت الشافي" ،

إذا ماهو الطريق إلى حصرها؟ الطريق أن يقال أن ا لله عز وجل أبهمها عنا ، كما أبهم ليلة القدر وكما أبهم ساعة الإجابة في الجمعة ، من أجل أن يكون لنا عمل في تتبع هذه الأسماء وحصرها ليتبين الحريص على حصر هذه الأسماء حتى ينال أجرها من غير الحريص ، ونقول: هذا القرآن وهذه سنة الرسول صلى ا لله عليه وسلم ، تتبع القرآن وتتبع السنة وخذ من هذا القرآن ومن السنة تسعة وتسعين إسما وأحصها ، وحينئذ تدخل الجنة ، لكن يبقى النظر ما معنى إحصائها؟ هل هو إحصائها عدًّا؟ أو الإحصاء شيئ وراء ذالك؟ نقول: إذا أردت أن تعرف المراد فإعرف العوض ،ما هو العوض؟ الجواب: دخول الجنة ، ومجرد العد لا يكون عوضا لدخول الجنة ، فالمراد بالإحصاء معرفتها لفظا ومعنى ودعاء ا لله بها والتعبد له لله بمقتضاها ، فمثلا إذا علمت أن ا لله عز وجل غفور فلا يكفي في إحصاء هذا الإسم أن تعرف أن من أسماء ا لله الغفور ، وأن الغفور معناه: الساتر للذنوب العافي عنه ، حتى تدعو ا لله به فتقول: ياغفور إغفرلى وحتى تتعبد لله بمقتضاه بأن تتعرض لمغفرة ا لله بكثرة الإستغفار وكثرة الأعمال الصالحة التي توجب المغفرة وما أشبه ذالك.

البحث الثالث:—هل أسماء ا لله توقيفية يقتصر فيها على ما جاء به النص؟ أو هى عقلية فيسمى ا لله عز وجل بما يقتضيه العقل؟ الجواب: هى توقيفية لأننا لا نعلم الإسم الذي يستحق أن يسمى ا لله به ، عقولنا تقصر عن ذالك ، فيعتمد في هذا على النص ولا يُسمى ا لله بما لم يسم به نفسه ، وإذا كان لا يمكن أن تسمي الشخص من بني آدم بما لم يسم به نفسه أى بما لاتعلم أنه إسمه فكيف بالرب عز وجل؟ إذا كان لا يمكن أن تقول لشخص لا تعلم اسمه مثلا يا عبد ا لله ، ياعلي ، يا خالد ، يابكر ، فالرب عز وجل أولى أن لاتسميه بإسم لا تعلم أنه سمى به نفسه ، لأن جانب الربوبية أعظم إحتراما من جانب البشرية ، وعلى هذا فالأسماء توقيفية ، لا يجوز أن نسمى ا لله بما لم يسم به نفسه ولهذا عد العلماء تسمية ا لله بما لم يسم به نفسه من الإلحاد في أسماء ا لله ، ، ومما يتعلق بالأسماء تعليقا على ما سبق: أن قلنا إن أسماء ا لله حسنى ، وأن نطبق ما جاء في الحديث الصحيح من قوله تعالى في الحديث القدسي: "يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" قال ا لله عز وجل: "وأنا الدهر" فهل الدهر من أسماء ا لله؟ الجواب: نقول أن ا لله قال: ﴿و لله الأسماء الحسنى﴾ فخص أسماءه بأنها حسنى ، والدهر ليس من أسمائه الحسنى ، ثم إن ا لله قال: "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر" والذين يسبون الدهر ليسوا يسبون ا لله بل يسبون الوقت يسبون الزمن يسبون السنة ، ليسوا يسبون ا لله ، وعلى هذا فيكون معنى قوله: "وأنا الدهر" يعني أنا المدبر والمتصرف في الدهر بدليل قوله: "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" وهذا أمر واضح أن الدهر هنا الوقت وليس اسما من أسماء ا لله ، بناء على القاعدة التي دل عليها قوله تعالى: ﴿و لله الأسماء الحسنى﴾ ولأن سياق الحديث يأبى أن يكون المراد إثبات إسم الدهر من أسماء ا لله تعالى].

البحث الرابع:—أن الصفة أوسع من الإسم ، وذلك أن كل إسم متضمن لصفة ، أليس كذالك؟ كل إسم متضمن لصفة ، وبناء على هذه القاعدة الكلية تتساوى الأسماء والصفات لكن ليس كل صفة يشتق منها إسم ، وبهذا تكون الصفات أوسع من الأسماء ، ولهذا من صفات ا لله أنه متكلم مريد صانع وجائى ونازل وما أشبه ذالك من الصفات الكثيرة التي لا تحصى ، لكن لا يسمى ا لله تعالى بشيئ دلت عليه هذه الصفة ،

فكانت الصفات أوسع من الأسماء لهذا السبب ، وهل القابض الباسط وما أشبه ذلك هل[17] هما من أسماء الله؟ لولا الحديث لقلنا جزما إنها ليست من أسماء الله ، لأنه لم يأت في القرآن إلا بلفظ الفعل ، يبسط ويقبض ، لكن جاء في الحديث إن الله هو القابض الباسط ، فهل نقول إن القابض الباسط من أسماء الله لقوله إن الله هو القابض الباسط؟ أو نقول إن الحديث ورد على قضية معينة وهى التسعير ، لما طلب الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسعر حين غلا السعر قال: "إن الله هو القابض الباسط المسعر" فيكون القابض الباسط يعني في الرزق ، هو الذي يقبضه ويبسطه وهو الذي يقدر الغلاء والرخص فيكون هذا من باب الصفة لا من باب الإسم ، والأمر محتمل هذا ما يتعلق بالأسماء مما حضرني الأن وربما يكون هناك أشياء تأتي فيما بعد٠

هل يوصف الله بأنه عالم أو هل يوصف الله بأنه عارف؟ الجواب: يقولون لا يوصف الله بأنه عارف لسببين:-

السبب الأول: أن المعرفة تشمل العلم والظن ولهذا قال العلماء في تعريف الفقه ، معرفة الأحكام الشرعية علما أو ظنا ، والظن في جانب الله ممتنع٠

السبب الثاني:- أن المعرفة إنكشاف بعد لبس ، فتكون المعرفة واردة على جهل وهذا غير لأئق بالله عز وجل ولهذا قال صاحب مختصر التحرير ولا يوصف الله بأنه عارف فإن قال قائل ما الجواب عن قول النبي صلى الله عليه وسلم "تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة"؟ قلنا المعرفة هنا ليست هى المعرفة التي هى العلم لأن الله عالم بالإنسان في حال الشدة وفي حال الرخاء لكن المراد بذالك لازمها ، وهو أنك إذا تعرفت إلى الله في الرخاء فإن الله يرأف بك في حال الشدة ، وكم من إنسان لم ينقذه من شدته إلا لمعرفته لربه تعالى في الرخاء٠

وحدثنا من نثق به أن رجلا في زمن نقل البضائع على الإبل قبل وجود السيارات انقطع به السفر في الدهناء ، والدهناء ما فيها ماء في ذالك الوقت وأنه نام على عطش شديد وجوع فرأى في المنام أن رجلا جاء إليه بقدح من لبن فشربه فقام نشيطا شابعا ريان ، وقال إن القدح الذي جيئ به إلي في المنام مثل القدح الذي كنت أسقي به عجوزا لنا من جيراننا ، سبحان الله ، يقول: هو هو ، وهذا مصداق الحديث "تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة" فالحاصل أن المعرفة في الحديث ليست هى المعرفة التي هى معرفة العلم ، بل المراد لازمها وهو أن الله عز وجل يرأف به ويذكره حتى يزيل شدته٠

قال الإمام البخاري رحمه الله:-

حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال: كنا عند النبي صلى الله وسلم إذ جاءه رسول إحدى بناته ٠٠٠٠٠ الحديث٠

أحب أن أكمل الحديث ، أكمل الكلام عن الحديث الذي قبله "لايرحم الله من لا يرحم الناس"٠

مناسبة الحديث للترجمة ظاهرة في قوله تعالى ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ فيستفاد من هذا الحديث أن الرحمن من أسماء الله له حكم يتعلق به ، وهو ما يطلق عليه بعض العلماء الأثر ، وذالك أن أسماء الله سبحانه

وتعالى قسمان: لازم ومتعدي فاللازم يدل على الإسم والصفة فقط مثل الحي ليس متعلق[18] بآتن عن الله عز وجل بل هو صفة لازمة ، الحي معناها ذو الحياة العظيم ذو العظمة الجليل ذو الجلال وما أشبهها هذه أسماء لازمة يتم الإيمان بها بإثبات الإسم وإثبات الصفة ، هناك أسماء متعدية أى لها تعلق بالمخلوق فهذه لابد للإيمان بها من الإيمان بالإسم والصفة والحكم المترتب على هذا الإسم أو هذه الصفة ، وبعضهم يقول الأثر بدل الحكم مثل الرحمن ، الرحمن يدل على الإسم والصفة وهى الرحمة ويدل على الحكم وهو أنه يرحم ، كما في الحديث "لا يرحم الله من لايرحم الناس" وكما في القرآن الكريم ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ السميع من أى القسمين؟ الجواب: من الثاني ، لقوله تعالى ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ الحكيم تقول أما من الحكمة فهو غير متعدي وأما من الحكم فهو متعدي قال الله تعالى ﴿ذالكم حكم الله يحكم بينكم﴾ فالبخاري رحمه الله أتى بهذا الحديث "لا يرحم الله من لا يرحم الناس" للإشارة والله أعلم إلى أن الرحمن إسم متعدي يتعلق بالمخلوقين ، وفي الحديث الحث على الرحمة ، وأنه ينبغي للإنسان أن يكون رحيما بالخلق ، طيب هل الرحمة تتعلق بالناس فقط أم حتى بالبهائم؟ حتي بالبهائم فالإنسان الذي يجد من قلبه رحمة للناس وللبهائم فليبشر بالخير أنه ممن يرحمهم الله عز وجل ، فالجنة رحمة لله وأهلها الرحماء "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" وإذا وجدت من قلبك غلظة على من يستحق الرحمة فيجب عليك أن تعالج هذه الغلظة وأن تحولها إلى رحمة ، وأسباب الرحمة كثيرة منها الفقر والصغر والمرض ومنها القرابة ، يعني منها أسباب كثيرة ، كونك ترحم هذا لكونه صبيا صغيرا لكونه يتيما ، وترحم هذا الرجل لأنه فقير ، فإذا وجدت من نفسك رحمة لمن يستحق الرحمة فاعلم أنك موفق إن شاء الله.

قال الإمام البخاري رحمه الله:-

حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال: كنا عند النبي صلى الله وسلم إذ جاءه رسول إحدى بناته ..... الحديث.

الشاهد من هذا الحديث قوله: "وإنما يرحم الله" وهذه صفة من صفات الله عز وجل من آثار الإسم الذي هو الرحمن ، فإن قال قائل هل الرحمة صفة ذاتية لازمة لله أو صفة فعلية؟ فالجواب: أنها في أصلها ذاتية لانها صفة كمال ، لكن في أفرادها وآحادها فعلية لأنه يرحم من يشاء وكل شيئ يتعلق بالمشيئة فهو صفة فعلية ، وفي هذا الحديث رحمة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه رفع إليه الصبي وهو في سياق الموت ونفسه تقعقع يعني لها صوت قعقعة كأنها في شن ، والشن هو القربة البالية ، وهذه حشرجة النفس من صدر هذا الصبي ففاضت عينا رسول الله رحمة به ، فقال سعد ما هذا يارسول الله - كأنه استغرب أن يبكي النبي على هذا الصبي ، فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده "وإنما يرحم الله من عباده الرحماء" وفي هذه الكلمات النيرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم تعذية بالغة "أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى" سبحان الله كلمات النبوة لها نور ، أيجاز مع عظم المعنى ، فما موقفنا نحن مما أخذ الله من بين أيدينا ، موقفنا التسليم لأن الأمر لله له ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى ، الشيء

المقدر لا يمكن أن يتقدم أو يتأخر ، كل شيء بأجل مسمى ، وفي القرآن الكريم ﴿كل شيء عنده بمقدار﴾[19] ، فهذا الحديث عائد للمدة ، وهذه الآية عائدة للكمّ ، كل شيء بمقدار ، ويمكن أن نجعل كل شيء بمقدار عائدا حتى على الزمن ، وهذا دليل على كمال عناية الرب بخلقه ، وأنه سبحانه وتعالى يقدر كل شيء بأجل لا يتعداه ولا يقصر عنه فإن قلت كيف نجمع بين اسمي الرحمن والرحيم وهما من وصف واحد لمسمى واحد ، فالجواب أنهما إختلفا في الصيغة ، فوزن الرحمن فعلان ، ووزن الرحيم فعيل ، فهما متباينان من هذا الوجه ، فإن قلت كيف يكونان متباينين وهما من الرحمة ، الرحمن من الرحمة والرحيم من الرحمة قلت؟ أجاب العلماء عن ذالك بما يقتضي أن يكون جوابين ، الجواب الأول: أن الرحمن صفة عامة والرحيم صفة خاصة فالرحمن عامة لكل أحد ، والرحيم خاصة بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ المعنى الثاني: أن الرحمن باعتبار الوصف ، والرحيم باعتبار الفعل فإسم الرحمن جاء على صيغة فعلان الذي يدل على السعة والإمتلاء ، فغضبان مثلا للممتلئ غضبا ، وسكران للممتلئ سكرا ، وريان لمن إمتلاء بطنه ماء ، فلما أريد الوصف جاءت على وزن فعلان أما حين أريد الفعل فجاءت على اسم رحيم ، وهذا الثاني أقرب أن الرحمن بإعتبار الوصف والرحيم بإعتبار الفعل الذي هو ايصال الرحمة إلى المرحوم.

باب قول الله تعالى: ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾

إن الله هو الرزاق ، الرزاق صيغة مبالغة من الرزق وهو العطاء ومنه قوله تعالى: ﴿فارزقوهم منه﴾ أي أعطوهم منه ، وجاءت بصيغة المبالغة لأحد وجهين إما أنها من باب النسبة وأن الرزق وصف لازم لله ، وإما للمبالغة الدالة على الكثرة وذالك لكثرة من يرزقه الله عز وجل ولكثرة رزقه عز وجل ، أن تكون للمبالغة ، لأن كلمة فعال تكون للنسبة كالنجار والحداد وما أشبه ذالك ، وتكون للمبالغة ، فإذا كانت للنسبة فالمعنى أن الله موصوف بهذه الصفة وصفا لازماً ، وإذا كانت للمبالغة فالمعنى كثرة من يرزقهم الله عز وجل وكثرة رزقه الذي يعطيه ، وقوله: ﴿هو الرزاق﴾ هو ضمير فصل يدل على الحصر فالرزاق بصيغة المبالغة لا تكون إلا لله ، أما الرازق أو رزق يرزق فتكون لله وللمخلوق ، وقوله: ﴿ذو القوة﴾ ذو بمعنى صاحب ، والقوة هي الفعل بلا ضعف وليست هي القدرة ، لأن القدوة: الفعل بلا عجز ، والقوة الفعل بلا ضعف والدليل قوله تبارك وتعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ ولم يقل ثم جعل من بعد ضعف قدرة وقال عز وجل: ﴿وما كان الله ليعجزه من شيئ في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾قال ليعجزه ، ثم قال إنه كان عليما قديرا ، ولم يقل كان عليما قويا ، لأن العجز ضده القدرة ، والضعف ضده القوة ، طيب أيهما أكمل القدرة أو القوة؟ الجواب: القوة أكمل ويظهر ذالك بالمثال لو قيل لك احمل هذا الحجر فأردت أن تحمله فعجزت أن تقله عن الأرض فأنت غير قادر أليس كذالك؟ ولو قيل لك احمل هذا الحجر فحملته لكن بمشقة فأنت قادر غير قوي ، ولو قيل لك احمل هذا الحجر فحملته بسهولة حتى رفعته إلى فوق فأنت قادر قوي ، إذاً القوة أكمل من القدرة ، لأن كل قوي قادر وليس كل قادر قويا ، ما الذي يقابل القوة؟ الجواب: الضعف ولهذا نقول فلان قوي

غير ضعيف ولا نقول فلانا قوى غير عاجز ، ونقول فلان قادر غير عاجز ، هـذا فرق بين القـوة والقـدرة ، فرق أخر أن القوة تكون في الحيوان والجماد ، والقدرة تكون في الحيوان فقط ، مثال ذلك نقول هـذا الحديـد قوى؟ ولا تقول هذا حديد قادر؟ تقول الفيل قوى أو تقول قادر؟ كلاهما ، الإنسان قوى أو قادر؟ الجـواب: كلاهما وقوله عز وجل: ﴿المتين﴾ المتين أى الشديد القوة فهو ذو قوة شديدة ، وفي هذه الآية مـن أسمـاء الله ثلاثة ما هي؟ الجواب الله والرازق والمتين ، وفيها من صفات الله أربع: الألوهية والرزق والقوة والمتانة٠

الدرس الرابـع

عرض علينا محمد السلامة كلام صاحب الفتح في تفسير الرحمة ، أنها إرادة الإحسـان ، أو الإنعـام نفسه ، أو الإحسان نفسه ، وهذا تحريف للرحمة ، عن معناها الحقيقـي ، لإن الرحمة صفـة تتعلـق بالراحم ، لكن هم أعني الأشاعرة وأشباههم لا يثبتون من الصفات إلا ما دلت عليه عقولهم ، وينكرون من الصفات مـا لم تدل عليه عقولهم ، وإن كان العقل يدل على أنها ثابتة لله عز وجل ، فالرحمة ينكرون أن يوصف الله بهـا ، ويقولون أن الرحمة رقة ولين ، والله عز وجل يقول: ﴿ذو القوة المتين﴾ وحينئـذ تفسـر الرحمـة بأنهـا إرادة الإنعام أو الإنعام نفسه ، أما تفسيرها بالإنعـام عندهـم فظـاهر ، لإن الإنعـام نعمـة منفصلـة بائنـة عـن الله ، والإرادة ثابتة عندهم لا ينكرونها ، ولكننـا نقـول: هـذا تحريـف للكلـم عـن مواضعـه ، لأن إرادة الإنعـام أو الإنعام من أثر الرحمة ، فالإرادة مترتبة على الرحمة لأن الرحيم هو الـذي يريـد الإنعـام أو الإحسـان ، فتفسـير الرحمة بما كان من أثارها تحريف للكلم عن مواضعه ، ولهذا نقول نحن نثبت أن لله تعالى رحمة يرحم بهـا مـن يشاء ، وأن هذه الرحمة إذا كانت رقة في المخلوق فإنها لا تكون كذلك في الخالق ، لأن الله ﴿**ليـس كمثلـه سيء وهو السميع البصير**﴾ على أننا لا نسلم لهم أن الرحمة رقة ، فقـد يكـون الرجـل القـوي الشـجاع ، أو السلطان القوي النافذ أمره رحيما ، ولا يقتضي ذلك شيئاً ينقص من سلطته وقدرته وقوته٠

حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السلمي "عن أبـي موسى الأشعري قال:النبي صلى الله عليه وسلم "ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، يدعون لـه الولـد ثم يعافيهم ويرزقهم"٠

"**ما أحد أصبر**" ٠٠ أصبرُ بالضم هذه لغة تميم ، وأصبرَ بالفتح لفة قريش ، يجعلون مـا النافيـة تعمـل عمل ليس بشروط معروفة ، والتميميون يرونها لا تعمل عمل ليس بل هي مهملة قال الشاعر:-

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب　　　　فأجاب : ما قتل المحب حرام

بدفع حرام فدل على أنه من تميم٠ في هذا الحديث وصف الله سبحانه وتعالى بالصبر وهـو التحمـل ، وفيـه الأذية لله عز وجل ، ولكن هل الصبر صفة عيب ، أو وصف كمال؟ الجواب: لاشك أنـه صفـة كمـال وأن الأنسان يثنى عليه بالصبر ، والرب عز وجل يثنى عليه بالصبر ، الأذى ، وأما التـأذي بمـا يـؤذي فليـس صفـة نقص؟ لأنه لا يلزم من الأذى الضرر ، ولهذا نقول: أن الله سبحانه وتعالى يتأذى ولكن لا يتضرر ، كمـا قـال تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**﴾ وفي الحديث القدسـي: "**يؤذيـني ابـن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر**" ونفى عن نفسه الضرر فقال: ﴿**لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن**

يضروا الله شيئا﴾ وقال في الحديث القدسي: "**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني**[21] ، **ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**" والأذى لا يدل على ضعف المتأذي ، فإن الرجل قد يتأذى بالرائحة الكريهة ولكنها لا تضره ، ولا يدل على ضعف بل قد يدل على كمال إذا تأذى بما يؤذي حقيقة ، **يقول:** "**يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم**" يعني أنهم يقولون إن لله ولداً ، كما قالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقال المشركون الملائكة بنات الله وهو يعافيهم ويرزقهم ، فهو صابر على أذاهم ، ودعوى الولد لله عز وجل تتضمن محظورين:-

الأول: تكذيب الله عز وجل ، فإن الله تعالى نفى أن يكون له ولد ، بل نزه نفسه عن ذلك **﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾**•

الثاني:- وصف الله بالنقص ، لأنه لا يحتاج إلى الولد إلا من كان ناقصاً ، يحتاج إلى الولد ليعينه في مهماته وليبقى ذكره بنسله بعده ، لأن الإنسان إذا مات بلا نسل نسي و لم يأت له ذكر اللهم إلا من علم أو صدقة جارية وما أشبه ذلك ، على كل حال هؤلاء آذو الله عز وجل بدعوى الولد ومع ذلك يعافيهم ويرزقهم ، ولولا صبره تبارك وتعالى لأهلكهم **﴿لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾**•

فالشاهد من الحديث قوله: "**يعافيهم ويرزقهم**" يعافيهم في أبدانهم من الأمراض ، وأعراضهم من أن تنتهك ، ويرزقهم أيضا ، وفي هذا الحديث من الصفات:-

1- إثبات صفة الصبر لقوله: "**ما أحد أصبر على أذىً** سمعه من الله من الله وهل هو حقيقي• الجواب نعم حقيقي ولكنه لا يشبه صبر المخلوق لأن المخلوق قد يصبر لكن مع تضجر ، وأما الرب عز وجل فلا ، لا يلحقه من صبره نقص كما يلحق المخلوق من صبره وفيه إثبات أن الله يرزق ويعافي لقوله: "**يعافيهم ويرزقهم**" وهل نشتق من يرزقهم إسما؟ الجواب لا ، لكن جاء الإسم في قوله **﴿إن الله هو الرزاق﴾** هل نشتق من يعافي إسما؟ لا ولهذا لا يسمى الله بالمعافي لكن يخبر عنه أنه يعافي من الأمراض القلبية والبدنية "**واشف أنت الشافي**"•

باب قول الله تعالى "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد"

هذه الترجمة ترجمة لإثبات صفة العلم لله عز وجل والعلم لله عز وجل ثابت وجاء على وجوه متعددة ، وهو أعني العلم إدراك المعلوم على ما هو عليه فقولنا ادراك خرج به الجهل البسيط ، وقولنا على ما هو عليه خرج به الجهل المركب ، لأن الجهل نوعان:-

النوع الأول:-جهل بسيط وهو عدم العليم•

النوع الثاني:- جهل مركب وهو أن يكون الإنسان جاهلا ويجهل أنه جاهل ولهذا قيل مركب من جهلين• الجهل بالواقع والجهل بحاله لذلك مثلا يتبين به ذلك سألنا رجلا متى كانت غزوة بدر فقال كانت غزوة بدر في رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، بماذا تصفون هذا الرجل المجيب؟ نصفه بأنه عالم ، لأنه ذكر الأمر على ما هو عليه وسألنا رجلا آخر قلنا متى كانت غزوة بدر قال كانت في السنة الخامسة من الهجرة هذا جاهل جهلا مركبا وسألنا الثالث فقلنا متى كانت غزوة بدر فقال لا أدري هذا جهل جهلا بسيطا فالرب عز وجل

عالم أي مدرك للمعلومات على ما هي عليه ، ثم إن علم الله سبحانه وتعالى أزلي أبدي؟ عام شامل لكل شيئ جملة وتفصيلا ، كل شيئ يعلمه ، جملة وتفصيلا لأن الله خلق كل شيئ والخالق لابد أن يكون عالما كما قال تعالى ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾ وعلم الله لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان كما قال موسى عليه السلاة والسلام ﴿**علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**﴾ فعلم الله موصوف بوصفين:-

الأول:- أنه أزلي أبدي ، لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان • الثاني:- أنه واسع عام شامل لكل شيء جملة وتفصيلا سواء كان ذلك في الأمور الجائزة أو الواجبة أو المستحيلة ، وسواء كان فيما يتعلق به نفسه سبحانه أو فيما يتعلق بمخلوقاته •

وهنا نريد أن تعرف ما هي الفائدة من معرفتنا بهذه الصفة العظيمة؟ الفائدة أن الإنسان إذا علم أن الله واسع العلم وأن الله قد أحاط بكل شيئ علما فلابد أن يحمله هذا الإعتقاد على الإستقامة على أمر الله ومراقبته والخوف من أن يعلم منك ما لا يرضيه عنك ، وهذه مسألة تغيب عن كثير من الذين يتكلمون عن صفات الله ، تجدهم يتكلمون عن إثبات الصفة لكن لا يتكلمون عما يثمره الإعتقاد بالنسبة إلى هذه الصفة من الأحوال المسلكية ، وهذه مهمة يعنى أنت إذا علمت أن الله يعلم كل شيئ هل تضمر في قلبك ما يخالف الإستقامة وأنت تعلم أن الله يعلم ذلك؟ لا هل تفعل ما يخالف الإستقامة؟ لا هل تقول ما يخالف الإستقامة؟ لا وهذه مسألة ينبغى للإنسان أن يجعلها على باله أنه ليس المقصود أن نعلم ما يتعلق بالعقيدة فقط من الأسماء والصفات بل المقصود مع ذلك ما يترتب على هذا الإعتقاد من تصحيح المسلك والإستقامة على الأمر ، طيب من أنكر أن يكون الله عالما؟ فإنه كافر ، ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله بالنسبة للقدرية قال: جادلوهم بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا لأن القدرية يقولون أن الله سبحانه وتعالى لم يقدر عمل العبد ولم يشأه ولا له علاقة به فقال جادلوهم بالعلم اسألوهم هل الله كان عالما بأعمال العباد أم لا؟ إن قالوا لا فهم كفار وإن قالوا نعم فقد خصموا ، وذلك بأن يقال هل وقعت هذه الأعمال على خلاف معلوم الله ، أو على وفقه ، إن قالوا على خلاف معلومه فهذا هو إنكار العلم وإن قالوا على وفقه فهذا يلزم منه أنها وقعت بمشيئته •

ثم ذكر المؤلف رحمه الله آيات العلم فقال:-

باب قول الله تعالى: ﴿عالم الغيب﴾ •

الآية الأولى:-قال الله تعالى:- ﴿**عالم الغيب**﴾ وهو ما غاب عن الخلق • والغيب ينقسم إلى قسمين:-

القسم الأول:- غيب مطلق لا يعلمه الخلق • القسم الثاني:- وغيب مقيد يعلمه بعض الناس دون بعض •

فمثلا الذين في مكة الآن غائبون عنا لكنهم عند من يشاهدهم في مكة ليسوا غائبين ، إذاً هذا غيب نسبي ، فلو أن أحداً جاءنا يقول إن مكان المسروق الذي سرق لك كذا وكذا يعني تعيين مكان المسروق الذي سرق السارق ودفنه ، هل تقول هذا من علم الغيب؟ بالنسبة لنا غيب لكن بالنسبة لمن شاهد السارق وهو يدفنه لا يكون غيبا ، أما الغيب المطلق فهذا هو الذي يختص الله به وهو الذي يغيب عن كل الناس مثل

العلم بالمستقبل فمن ادعى أنه يعلم ما سيكون غدا فقد ادعى علم الغيب لأنه مستقبل والمستقبل مجهول لكل الناس نعم: يقول تعالى ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ وليت أن المؤلف رحمه الله أتى بآخر الآية لأن آخرها لابد أن يذكر وهو ﴿إلا من ارتضى من رسوله فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ لأن الله أظهر على غيبه من أظهر من الرسل فالنبي صلى الله عليه وسلم حدثنا عن أمور غيبية مستقبلة من أشراط الساعة ومن أحوال القيامة فليت أن البخاري رحمه الله ذكر هذا الإستثناء لأنه مهم.

الآية الثانية:— قال تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ وهذا أيضا علم الغيب فالساعة علمها عند الله حتى النبي صلى الله عليه وسلم سأله جبريل عنها فقال له "**ما المسئول عنا بأعلم من السائل**" فأفضل الرسل من الملائكة لا يعلمها وأفضل الرسل من الآدميين لا يعلمها ، ومن دونهم من باب أولى.

فمن ادعى علم الساعة وقال إن الساعة ستكون في السنة الفلانية أو في الشهر الفلاني فإنه مكذب لهذه الآية ومدعي دعوى باطلة ويكون كافرا ، والظاهر أن المؤلف أراد جميع هذه الآية ﴿**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأى أرض تموت**﴾ وهذه الخمسة هى مفاتح الغيب المذكورة في قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب وكيف كان العلم بهذه الخمسة مفاتح الغيب ، لأن الساعة مفتاح الأخرة ، تنزيل الغيث مفتاح النبات علم ما في الأرحام مفتاح الجنين الذي خلقه الله تعالى في هذا الرحم يعني مفتاح حياة الإنسان في الدنيا ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غدا**﴾ مفتاح العمل في المستقبل ﴿**وما تدرى نفس بأى أرض تموت**﴾ مفتاح الآخرة بالنسبةلكل واحد من الناس ، فلهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إن مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله قال ﴿**وينزل الغيث**﴾ فكيف جعل تنزيل الغيث وهو فعل جعله في ضمن المعلومات الغيبية يعني لم يقل ويعلم نزول الغيث.

نقول لأن الخالق لابد أن يكون عالما بالمخلوق ، فإذا كان هو الذي ينزل الغيث وحده فلا أحد يعلم متى ينزل الغيث إلا هو ، لأن علم نزول الغيث عند من ينزل الغيث لكن جاءت الآية هكذا لأن إنزال المطر الذي به الغيث لا يكون أبدا إلا من الله عز وجل فإن قال قائل: ماذا تقول عن من يتكلمون الأن في الطقس؟ يقول سيكون غدا مطر في الأرض الفلانية بعد الظهر أو في أول النهار وما أشبه ذلك فالجواب عن ذلك من وجهين:—

الوجه الأول:—أن هذا مبني على علم محسوس يدرك بالحس ، فإن الجو يتغير ويتكيف على وجه يعلم بالآلات الدقيقة أنه مهيأ للمطر أو غير مهيأ ، وإذا كان كذلك فليس من أمور الغيب.

الوجه الثاني:—أن هذا الذي يقولونه قد يخطئ كثيرا ولو كان علم غيب ما أخطأ ، لأن العلم ليس فيه خطأ ، قال تعالى ﴿**ويعلم ما في الأرحام**﴾ أى أرحام الآدميين وغيرهم.

فما متعلق العلم؟ هل هى الذكورة والأنوثة ، أو أحوال هذا الجنين من كل وجه؟ الجواب: الثاني ، لأن أحوال الذكورة والأنوثة يعلمها غير الله عز وجل ، فالملك الذي يؤمر بأن يُخَلِق هذا الجنين ذكرا أو أنثى يعلم ذلك ، لأن الملك يقول يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما يشاء ، إذاً فالملك يعلم ما في الرحم ذكرا أو أنثى قبل أن يخرج ، ثم إن الأجهزة الأخيرة في عصرنا صارت يمكن أن يعلم بها الجنين ذكر أم أنثى ، إذا

فمتعلق العلم بالجنين ليس هو الذكورة والأنوثة لأن الذكورة والأنوثة إذا خُلِقَ الجنين فصار ذكرا أمكن العلم به ، وكذلك إذا صار أنثى ، ولكن هل الجنين سيخرج حيا أو ميتا ، من يعلم؟ الله عز وجل ، ستطول حياته إذا خرج حيا أم تقصر ، من يعلم؟ الله ، سيكون غنيا أو فقيرا ، سيكون عالما أو جاهلا ، سيكون أميرا أو مأمورا؟ من يعلم؟ الله ، يعني متعلقات العلم بالنسبة للجنين كثيرة فإذا قدر أن الناس علموا أنه ذكرا أم أنثى بعد تخليقه ، فإنهم لا يعلمون بقية متعلقات العلم الكثيرة التي لا يعلمها إلا الله ، قال تعالى ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غدا**﴾ و لم يقل ماذا تعمل ، لأن الإنسان يقدر ماذا يعمل ، فيقول سأسافر غدا ، سأذهب إلى الكلية ، سأختبر وما أشبه ذلك ، ولكن هل يدري أن هذا يتحقق ويكون كسبا له؟ الجواب لا ، فربما يكون هناك موانع تمنع من تحقيق ما أراد وربما يفعل ولكن لا يكسب بفعله شيئاً ، فالكسب لا يعلمه إلا الله ، ولهذا قال الله تعالى لنبيه ﴿**ولا تقولن لشئ إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله**﴾ قال ﴿**وما تدري نفس بأى أرض تموت**﴾ حتى لو أن الإنسان قرر أنه لن يخرج من بلده وكان الله قد قدر أنه يموت في بلد آخر فلابد أن يقدر الله سببا ينتقل به إلى البلد الآخر ، وإذا كان لا يعلم بأى أرض يموت مع أنه يمكنه التنقل فهو لا يعلم في أى وقت يموت من باب أولى ٠

الآية الثالثة:–قال تعالى:– ﴿**قال أنزله بعلمه**﴾ أى أنزل الله إليك القرآن بعلمه وهذا يحتمل معنيين كلاهما صحيح: **الأول:**– أنزله عن علم منه فالباء للملابسة ٠ **الثاني:**– أنزله بمعلومه أى بما علمه من مصالح العباد من الشرائع الكاملة التي لم تعلم إلا بإنزاله ٠

الآية الرابعة:–قال الله تعالى: ﴿**وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾ (ما) نافية ، لماذا لا تكون شرطية؟ لأن الفعل بعدها مرفوع ولو كانت شرطية لجزم ، لأنه وقع بعدها إلا ﴿**وما تحمل كل أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾ يعني إبتداء الحمل ووضع الحمل ، كل ذلك بعلم الله عز وجل وهذه الآية مما يقرأ به للمرأة إذا تعسرت ولادتها ، وهى مفيدة جدا إذا قرأ الإنسان بماء هذه الآية وقرأ إذا زلزلت الأرض وقرأ ﴿**الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيئ عنده بمقدار**﴾ ثم تشربه المرأة وتمسح به بطنها فإنها تضع بسهولة بإذن الله ﴿**إلا بعلمه**﴾ يعني إلا كان ذلك صادرا عن علم الله عز وجل ، لأن حملها ووضعها من خلق الله ، والله عز وجل يقول:–

الآية الخامسة:–يقول تعالى: ﴿**ألا يعلم من خلق وهواللطيف الخبير**﴾ قال تعالى ﴿**إليه يرد علم الساعة**﴾ إلى الله لا إلى غيره يرد علم الساعة أى القيامة ، وهذا شيئ معلوم بالقرآن والسنة والإجماع أنه لا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله عز وجل ، وقال يحيى: الظاهر على كل شيئ علماً الباطن على كل شيئ علماً يشير إلى قوله تعالى في سورة الحديد ﴿**هو الأول والأخر والظاهر والباطن**﴾ هذه أربعة أسماء إستوعبت الأزمنة والأمكنة ٠

فأما بالنسبة للزمان ، فهو الأول الذى ليس قبله شيئ والأخر الذى ليس بعده شيئ وأما بالنسبة للمكان فقد أحاط بكل مكان قرب أم بعد فهو ﴿**الظاهر والباطن**﴾ الظاهر العالى على كل شيئ فإن الظهور هنا بمعنى العلو ، ومنه قوله تعالى: ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾ أى ليعليه وهو الباطن الذي لا يحول دونه ، الذى

يعلم بواطن الأمور فهو مع علوه محيط بكل شيئ وليس المعنى أنه في كل شيئ لأن هـذا مذهب الحلولية من الجهمية وغيرهم ، فهذه الآيات كما ترون فيها إثبات علم الله عز وجل ولم ينكر أحد فيما نعلم علم الله تعالى في كل شيئ إلا غلاة القدرية ، فإن غلاة القدرية أنكروا علم الله بما يفعله الخلق وقالوا إن الله لا يعلم ما يفعله الخلق إلا بعد وقوعه أى فلا يعلمه علم غيب وإنما يعلم علم مشاهدة ، إذا وقع علم الله به ، أما قبل ذلك فلا يعلمه ولكن شيخ الإسلام رحمه الله قال: إن هذا قول غلاة القدرية قديما وأن منكره اليوم قليل (يقول هذا في زمانه يرحمه الله) •

حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن اسماعيل عن الشعبي عن مسروق "عن عائشة رضى الله عنها قالت: من حدثك أن محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ، وهو يقول ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب ، وهو يقول: ﴿لايعلم الغيب إلا الله﴾ •

الشاهد من هذا قوله: **﴿لا يعلم الغيب إلا الله﴾** أما الحديث فتقول رضى الله عنها عائشة لمسروق "**من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب**" والله يقول **﴿لا تدركه الأبصار﴾** ولا شك أن عائشة رضى الله عنها في هذا الإستدلال لم تصب لأن الله تعالى قال: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** ولم يقل لا تراه الأبصار ، ولهذا جعل علماء أهل

السنة هذه الآية من الأدلة على ثبوت رؤية الله عز وجل ، ووجه ذلك أن نفى الأخص يدل على وجود الأعم ، فلما قال: لا تدركه علمنا أنها تراه ولكن لا تدركه ولو كان المراد نفى الرؤية لقال لا تراه الأبصار ولكن لو استدلت رضى الله عنها بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**" كما جاء ذلك في حديث الدجال حيث يدعي أنه الرب ، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "**واعلموا أنكم لن تروو ربكم حتى تموتوا**" لكان هذا أصح من استدلالها بالآية ، وهذه المسألة اختلف فيها العلماء هل النبى صلى الله عليه وسلم رأى ربه يعني في الدنيا أم لم يره؟ فقيل أنه رآه وممن قال ذلك بن عباس رضى الله عنه في المشهور عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى ربه ، أما عائشة فكانت تنكر ذلك كما رأيتم ، وهذا في اليقظة أما في المنام فقد رأى ربه كما في حديث اختصام الملاء الأعلى وهو حديث مشهور شرحه زين الدين عبد الرحمن بن رجب رحمه الله ، والصحيح أنه لم ير ربه لأن النبى صلى الله عليه وسلم نفسه سئل هل رأيت ربك؟ فقال: "**رأيت نورا**" وفي رواية "**نور أني أراه**" يعنى بينى وبينه نور فكيف أراه وهذا كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن إذا قال قائل كيف نجمع بين هذا الحديث الذي حدث به النبى صلى الله عليه وسلم عن نفسه وبين قول بن عباس؟ فالجواب أن شيخ الإسلام بن تيمية قال: إن بن عباس لم يصرح بأن النبى صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينى رأسه ، بل قال راء ربه ، فتحمل الرؤية التي قالها بن عباس رضى الله عنهما على أن المراد بذلك رؤية اليقين ، وهذا وإن كان خلاف الظاهر لكن ابن عباس أنه يخالف ما حدث به النبى صلى الله عليه وسلم عن نفس أنه لم ير الله سبحانه وتعالى ، ومعلوم أن رؤية الله في الدنيا لا تمكن لأن الإنسان لا يستطيع ذلك ، ولا يقوم بهذه الرؤية أبدا ، والدليل على هذا أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: **﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾** يعني لا يمكن أن تراني ولكن أنظر إلى الجبل **فإن استقر**

مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا بمجرد ما تجل ا لله له إندك الجبل و لم يستقر مكانه فرأى موسى منظرا أفزعه ﴿فخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ وموسى عليه الصلاة والسلام لم يسأل ا لله رؤيته شكا في الأمر لكن تلذذا برؤية ا لله عز وجل ، لقوة محبته لله سأل ا لله أن يريه نفسه ﴿ربى أرني أنظر إليك﴾ فلما رأى ما حصل للجبل صعق فلما أفاق قال سبحانك أى تنزيها لك أن تدركك الأبصار أو أن تراك في هذه الدنيا ، إني تبت إليك من سؤال الرؤية ، لأن أنعم شيئ يكون للإنسان أن يرى ا لله عز وجل ، ولهذا كان أكبر نعيم لأهل الجنة رؤية ا لله سبحانه وتعالى وأكبر فوز ، وبالمناسبة يقولون أن الزمخشرى صاحب التفسير المشهور الجيد الذى كان من بعده عيالا عليه هو من المعتزلة ويقول البلقيني إننى استخرجت من هذا التفسير إعتزاليات بالمناقيش ، من ذلك قوله على هذه الآية ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ فقد فاز قال: أى فوز أعظم من هذا أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، قال أشار إلى به إلى عدم الرؤية فالكلام هذا إذا قرأه الإنسان يقول صحيح لكنه أشار بذلك إلى نفى رؤية ا لله عز وجل في الجنة ، لأن رؤية ا لله في الجنة أشد فوزا من أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، فتأمل كيف يتكلم هؤلاء الأذكياء بمثل هذا الكلام الذى لا يدركه إلا من عرف مذهبه وعقيدته ، أنا لو قرأت هذا الكلام في تفسير بن كثير مثلا فإنني لا أظن بهذا الظن بل أقول إذا دخل الجنة فمن نعيمها أن يرى ا لله ، لكن لما كان هذا الرجل قد علم أنه ينكر رؤية ا لله في الآخرة صار هذا الكلام إشارة إلى أنه لا رؤية ، قالت عائشة رضى ا لله عنها: "**ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب**" وهو يقول: ﴿**لا يعلم الغيب إلا ا لله**﴾ هكذا قالت ولفظ الآية ﴿**قل لا يعلم من في السموات الغيب إلا ا لله**﴾ فليست على هذا اللفظ الذي ذكرته عائشة رضي ا لله عنها فالظاهر أنها لم يرد التلاوة ، فالحاصل أن الذي يحدثك أنه يعلم الغيب فإنه كاذب ، ولا يكفي أن نقول إنه كاذب بل نقول إنه كافر ، ولهذا قال النبى صلى ا لله عليه وسلم: "**من أتى كاهنا أو عرافا وصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**"

الدرس الخامس

باب قول ا لله تعالى: ﴿السلام المؤمن﴾

نحن إذا نظرنا إلى صنيع البخاري رحمه ا لله في كتاب التوحيد وجدنا أنه يصدر غالبا الأبواب بآيات من القرآن ، وذلك لأن من المبتدعة من يقول لا نقبل من أدلة الصفات إلا ما كان متواترا ، ولا نقبل أخبار الآحاد ، فاراد رحمه ا لله أن يعزز أخبار الآحاد التي يسوقها في الكتاب بآيات من القرآن لألا يبقى عذر لمن رد هذه الأسماء أو الصفات، وهذا من فقهه رحمه ا لله ، المبتدعة الذين يحكمون العقل ويتلقون عقيدتهم في ا لله من عقولهم يقولون لا نقبل أخبار الآحاد في باب الصفات ، لأن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن والعقيدة يجب أن تكون مبنية على اليقين ، وقد رد ابن القيم رحمه ا لله هذه القاعدة الباطلة بوجوه كثيرة في الصواعق المرسلة على غزو الجهمية والمعطلة .

باب قول ا لله تعالى: ﴿ **السلام المؤمن**﴾ السلام إسم من أسماء ا لله والمؤمن من أسماء ا لله ، والسلام في الأصل إسم مصدر سلم ، والمصدر تسليم ، وإسم المصدر عند علماء النحو ما كان بمعنى المصدر و لم يتضمن

حروف المصدر ، كالكلام إسم مصدر كلّم والسلام إسم مصدر سلم ، فما معنى السلام[٢٧] الذي هو إسم من أسماء الله؟ السلام يكون الوصف به من باب المبالغة ، أن الله عز وجل سلام أى سالم من كل عيب ونقص ، حياته ليس فيها نقص ولا عيب ، علمه ليس فيه نقص ولا عيب ، قدرته ليس فيها نقص ولا عيب ، سمعه ، بصره ليس فيه نقص ولا عيب ، كل أسمائه وصفاته ليس فيها نقص ولا عيب ، أما ﴿**المؤمن**﴾ فهى مشتقة من الإيمان ومن الأمان ، أى أن الفعل آمن أو أمن ، ومعنى المؤمن من آمن المصدق لرسله بما جاؤا به ، قال الله تعالى: ﴿**لكن الله يشهد بما أنزل إليه أنزله بعلمه**﴾ وهذا تصديق لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام والآيات في هذا كثيرة ﴿**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب**﴾ ﴿**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل**﴾ ﴿**يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا**﴾ فهو سبحانه وتعالى مصدق لرسله وكذلك مصدق لغير الرسل ممن شهد الله لهم بالصدق كقوله تعالى:- ﴿**أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾ وأما ﴿**مؤمن**﴾ من الإيمان فمعناه مؤمن أى يؤمن من يستحق الأمان وهو المؤمن فالمؤمن له الأمن من الله قال الله تعالى ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾.

حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا مغيرة حدثنا شقيق ابن سلمة قال **"قال عبد الله: كنا نصلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم فنقول: السلام على الله ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم إن الله هو السلام ، ولكن قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليط أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"**.

هذا من حسن تعليم الرسول عليه الصلاة والسلام ، أنه لما ذكر الممنوع ذكر المشروع ، كانوا يقولون السلام على الله ، تحية ، فيسلمون على الله "السلام على الله" وهذه الكلمة لا تقال لمن لا يمكن أن يلحقه نقص ، لأن السلام إنما يدعى به لمن يلحقه النقص ، أما من هو منزه عن ذلك عز وجل فإنه لا يقال السلام عليك ، ولهذا أبدلهم النبى عليه الصلاة والسلام وأمرهم أن يقولوا بدل السلام على الله التحيات لله ، لأن الله كامل من كل وجه فلا يحتاج أن يدعى له بالسلام فقال النبى عليه الصلاة والسلام: **"إن الله هو السلام"** فبدأ بالتعليل قبل الحكم من أجل أن يرد الحكم على النفس وهى مطمئنة بما ذكر لها من العلة ، ولكن قولوا: **"التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبى السلام عليك ورحمة الله وبركاته .....** " التحيات لله ، اللام هنا للإختصاص والإستحقاق والتحيات جمع تحية وهى كل لفظ يدل على التعظيم وجمعت بإعتبار أنواعها وأجناسها ، وقوله: **"والصلوات"** يعني الصلوات لله ، **"والطيبات"** يعني الطيبات لله ، فما هى الصلوات التي لله؟ هى العبادة المعروفة وقيل الدعاء وعلى هذا القول يكون محمولا على الصلاة لغة وشرعا ولا مانع من أن يقال إنه يعم هذا وهذا **"والطيبات"** والطيبات يعني الأوصاف الطيبات والأعمال الطيبات لله فالله عز وجل طيب ولا يقبل إلا الطيب فكل طيب من الأعمال فهو لله وكل خبيث فإن الله لا يقبله وكل وصف طيب فهو لله إذاً الطيبات هنا وصف لأوصاف الله ووصف

للأعمال التي تفعل لله ، ولهذا ينبغي أن تستحضر عندما تقرأ هذا في الصلاة أنك إذا قلت[٢٨] الطيبات يعني أن الله تعالى ذو الأوصاف الطيبات الذى لا تقبل من الأعمال إلا الطيبات ، لما بدأ بحق الله ووصف الله بما يستحق ثنى بحق الرسول فقال: "**السلام عليك أيها النبى**" لأنه عليه الصلاة والسلام محتاج إلى أن يسلمه الله ولهذا كان دعاء الأنبياء على الصراط يوم القيامة اللهم سلم اللهم سلم ، فالأنبياء محتاجون إلى أن يسلمهم الله عز وجل وقوله: "**عليك**" هنا فيه إشكال وهو كاف الخطاب فإن كاف الخطاب في الجملة تحولها إلى مخاطبة آدميين ، فكيف نجمع بين هذا وبين قول الرسول صلى الله عليه وسلم "**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيئ من كلام الآدميين أو قال من كلام الناس**" الجواب عن هذا من أحد وجهين:-

الأول:- أن هذا مستثنى فيكون العموم مخصوصا بهذا فيقال تبطل الصلاة بكاف الخطاب إلا ما كان لله ﴿**إياك نعبد**﴾ أو لرسوله "**السلام عليك أيها النبى**".

الثاني:- أن يقال هذا الخطاب لا يراد حقيقته وإنما هو لقوة استحضار المصلى صار كأن النبى صلى الله عليه وسلم مواجها له كأنه يخاطبه وعلى هذا فلا يراد بالخطاب حقيقته والدليل لذلك أن المصلي يقول السلام عليك بصوت خفى لا يسمعه الرسول ، ولو كان خطابا حقيقيا لرفعوا أصواتهم ليسمعه فلا يراد بالخطاب حقيقته والدليل على هذا أمور:-

أولا:- أن المصلي يسر بهذا الخطاب ولو كان خطابا حقيقيا لرفع صوته.

ثانيا:- أن المصلي يقول ذلك ولو كان في الشرق والرسول في الغرب ، ولهذا يقال حتى بعد موت الرسول يقال السلام عليك أيها النبى لأنه لا يراد بذلك حقيقة الخطاب وإنما المراد كما قال شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب إقتضاء الصراط المستقيم المراد قوة الإستحضار كأنه بين يديك تخاطبه فيقال هذا حتى بعد موت الرسول.

وما أخرجه البخاري رضى الله عنه عن ابن مسعود قال "**كنا نقول في حياة النبى صلى الله عليه وسلم السلام عليك أيها النبى فلما مات قلنا السلام على النبى**" فهذا من إجتهاده رضى الله عنه لكنه إجتهاد فيه نظر ، والصواب أن نقول ما أمرنا به الرسول قال قولوا "**السلام عليك أيها النبى**" ولم يقل إلا إذا مت ثم إنه قد روى الإمام مالك في الموطأ بسند صحيح أن أمير المؤمنين عمرابن الخطاب خطب الناس يعلمهم التشهد فقال: "**التحيات لله... ... السلام عليك أيها النبى**" خطب بذلك في خلافته بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام وعمر أعلم من ابن مسعود رضى الله عنه وقاله بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد وبهذا يكون قول عبدالله ابن مسعود من باب الاجتهاد ولكن الصواب ما دل عليه الحديث وما تحدث به أمير المؤمنين رضى الله عنه "**السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته**" هنا أطلق "**النبى**" وأراد به النبى الرسول لأن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى رسول ، عرفنا أنه نبى رسول من أدلة أخرى واضحة ولهذا نرى الله عز وجل يطلق في القرآن وصف النبي على من هو نبي رسول قال تعالى:- ﴿**واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا**﴾ ﴿**واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا**﴾ ﴿**واذكر في الكتاب ادريس إنه كان صديقا نبيا**﴾ **فإن قال قائل ماذا تقولون في حديث**

البراء ابن عازب رضى الله عنه الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقول إذا أوى إلى فراشه ومنه "**وبنبيك الذي أرسلت**" فقال البراء لما أعادها على الرسول قال وبرسولك الذى أرسلت قال الرسول "**وبنبيك الذي أرسلت**" فالجواب على هذا من وجهين:

الوجه الأول:— أن دلالة الرسالة على النبوة دلالة إلتزام لأنه لا يمكن أن يكون رسولا حتى يكون نبيا وجمع النبوة مع الرسالة دلالة مطابقة لأنه وصفه بوصفين وصفه بالنبوة ووصفه بالرسالة.

الوجه الثاني:— أنه إذا قال وبرسولك الذي أرسلت فإنه لا يخرج بذلك الرسول الملكي مثل جبريل لكن إذا قال بنبيك الذي أرسلت خرج الرسول الملكي وتعين أن يكون المراد به الرسول البشري وهو محمد صلى الله عليه وسلم "**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**" ثلاث هدايا للرسول صلى الله عليه وسلم وهي لنا دعونا له بالسلام وبالرحمة وبالبركة ، فالسلام يزول به المرهوب ، والرحمة يحصل بها المطلوب ، والبركة ينتشر بها المطلوب والخير تدعوا للرسول صلى الله عليه وسلم بالرحمة وبالبركة ، والبركة تشمل البركة عليه وعلى آثاره وسنته وهذا هو الواقع ، فإن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم أبرك الرسالات وأعمها وأشملها ملايين الملايين من البشر كلهم قد انتفعوا بها وبركاتها كثيرة معروفة لمن تتبع التاريخ "**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**" جاء حقنا نحن فحق الله مقدم على حق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحق الرسول مقدم على حقنا ثم حقنا بعد ذلك ، إذاً فحق رسول الله علينا أعظم من حق أنفسنا علينا وحق الله فوق ذلك ، وانظر حسن هذا التعليم لما جاء الدعاء العام غير الخاص بالرسول صلي الله عليه وسلم أمرنا أن نبدأ بأنفسنا "**علينا وعلى عباد الله الصالحين**" وهنا قال علينا بالجمع ومقام الدعاء مقام ذل وخضوع (ونا) تدل على التعظيم فكيف جاءت بصيغة التعظيم؟ نقول: لأن المراد بها علينا معشر أمة محمد بقرينة قوله السلام عليك أيها النبي وهو مرسل للأمة فيكون معنى السلام علينا معشر هذه الأمة المتبعة للنبي صلى الله عليه وسلم فضمير الجمع هنا ليس للتعظيم ولكنه يُراد به حقيقة الجمع وقيل المراد السلام علينا معشر المصلين وهذا يصح إذا كنا في جماعة وعلى هذا فإن المعنى الأول أصح "**وعلى عباد الله الصالحين**" المراد بالعبودية هنا عبودية الذل والخضوع الشرعي لأن عبوديتنا لله عز وجل تنقسم إلى قسمين:—

القسم الأول:—عبودية تتضمن الخضوع والذل الكوني وهذه عامة للإنسان والحيوان وكل شيئ حتى الكافر عبد لله ﴿**إن كل من في السموات والأرض إلا أت الرحمن عبدا**﴾.

القسم الثاني:— عبودية ذل وخضوع شرعي وهذه خاصة بالمؤمنين ولهذا قيدت العبودية هنا بقوله: "**وعلى عباد الله الصالحين**" والصالح هو الذي صلح أمره ولم يعتره فساد بأن كان عمله خالصا لله متبعا فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم ويتضمن هذا أن يقوم هذا العبد بحق الله وحق عباده ، ولهذا فسر بعضهم "**الصالحين**" بأنهم الذين قاموا بحق الله وحق عباده ، عباد الله الصالحين مفرد أم جمع؟ جمع مضاف يفيد العموم والذي وضع لنا هذه القاعدة رسول الله صلي الله عليه وسلم لأنه قال فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض ، إذاً فللعموم صيغة قوله:— "**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**" الشهادة تكون بالرؤية الحسية يعني بما يدرك بالحس تقول أشهد على فلان أنه فعل كذا

وهنا المراد بالشهادة اليقين التام وقوله "أن لا إلـه إلا ا لله" إلـه بمعنـى مـألوه ، أي أشـهد أنّ لا معبـود إلا ا لله ومعلوم أننا لو أخذنا بهذا الظاهر لأدى ذلك إلى الكفر كيف ذلك؟ لأن فيه أصناما تعبد وتسمى آلهة فإذا قلنا لا إله إلا ا لله صار كل ما يعبد فهو ا لله ولهذا يتعين أن نقول إن خبر لا النافية محذوف تقديـره لا إلـه حـق إلا ا لله فإذا كان الخبر هكذا تقديره زال الإشكال لأن الألهـة الـتي تعبـد مـن دون ا لله بـاطل كمـا قـال تعـالى:- ﴿ذلك بأن ا لله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو البـاطل﴾ رأينـا مـن قدرهـا مـن العلمـاء بقولـه لا إلـه موجود إلا ا لله وهذا التقدير خطأ والصواب ما ذكرنا لا إله حق إلا ا لله فإذا قـال قـائل لمـاذا لم تجعلـوا لفـظ الجلالة ا لله هو خبر لا لأن الأصل عدم التقدير قلنا هذا لا يصح لفظا ولا معنى أما كونه لا يصح لفظـا فـلأن لا النافية لا تعمل إلا في النكرات قال ابن مالك عمل إن إجعل للا في نكرة ولو قلنا أن لفظ الجلالة هو الخـبر لأعملناها في المعارف وهذا لا يصح ، الوجه الثاني المعنوي أننا إذا قلنا لا إله إلا ا لله ورد علينا الإشكال الذي ذكرناه أولا وهو أن تكون الأصنام المعبودة التي تدعى آلهة أن تكـون هـي ا لله وهـذا لا يسـتقيم "**وأشـهد أن محمدا عبده ورسوله**" كلمة محمداً هنا علم على محمد ابن عبد ا لله الهاشمي القرشي ، عبد ا لله ورسوله وهـذه العبودية أخص العبوديات يعني عبودية شرعية خاصة بمحمد عليه الصلاة والسـلام أبـو بكـر عبـد ا لله ، لكـن ليست عبودية أبي بكر كعبودية رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عبودية الأنبياء هي عبودية خاصة هي أخص العبوديات "**ورسوله**" رسول رب العالمين أي مرسله ، رسوله بمعنى مرسله إلى الثقلين الإنس والجـن فـإذا قـال قائل: ما هو دليلك على ما شهدت به ، أنه لا إله إلا ا لله وأن محمدا رسول ا لله؟ قلنا أما الأول فدليلـي علـى ذلك الفطرة والقرآن ، أما القرآن فقد قال ا لله تبارك وتعالى: ﴿**شهد ا لله أنه لا إله إلا هـو والملائكـة وألـوا العلم**﴾ أما الفطرة: فالإنسان الذى لا يقيض له شيطان ولا بيئة فاسدة يشهد بفطرته أنـه لا إلـه إلا ا لله لقـول النبى صلى ا لله عليه وسلم: "**كل مولود يولد على الفطرة**" ، وأما دليلـي علـى أن محمـدا رسـول ا لله فقولـه تعالى: ﴿**يا أيها النبى إنا أرسلناك**﴾ ﴿**محمدٌ رسول ا لله**﴾ ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾ وأما كونه عبدا فقد قال ا لله تعالى:- ﴿**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده**﴾ ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنـا على عبدنا**﴾ إذاً نحن نشهد هذه الشهادة أنه لا إلـه إلا ا لله وأن محمـدا عبـده ورسـوله بمـا دل عليـه الكتـاب والسنة ، والشـاهد مـن هـذا الحديـث قولـه:"**إن ا لله هـو السـلام**" فيكـون مطابقـا للآيـة الكريمـة ﴿**السـلام المؤمن**﴾ •

باب قول ا لله تعالى:﴿ملكِ الناس﴾

فيه ابن عمر عن النبى صلى ا لله عليه وسلم•

حدثنا أحمد بن صـالح حدثنـا بـن وهـب أخـبرني يونـس عـن ابـن شـهاب عـن سعيـد – **هـو ابـن المسيّب**:- "**عن أبي هريرة عن النبى صلى ا لله عليه وسلم قـال: يقبـض ا لله الأرض يـوم القيامـة ويطـوى السـماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك ، أين ملوك الأرض؟**" **وقـال شـعيب والزبيـدى واسـحاق ابـن يحي عـن الزهرى عن أبي سلمة**•

في هذه الترجمة إثبات الملك ، اسماً من أسماء الله وقد ورد على ثلاثة أوجه فيما أعلم مضافا إلى الناس مضافا إلى الدين ، مطلق ، فالمطلق مثل قوله تعالى: ﴿الملك القدوس﴾ والمضاف إلى يوم الدين ﴿**مٰلِكِ يوم الدين**﴾ على إحدى القراءتين ، والمضاف إلى الناس ﴿**ملك الناس**﴾ وبهذا نعرف أن الملكية المطلقة في الدنيا والأخرة لله عز وجل ، فملك الناس هو ملكهم في الدنيا والآخرة ، وملك يوم الدين هو الملك الذي تظهر ملكيته أو ملكوته في يوم الدين حين لا يوجد ملك في ذلك الوقت ولهذا يقول الله عز وجل ﴿**لمن الملك اليوم**﴾ فيجيب نفسه ﴿**لله الواحد القهار**﴾ والملك والمالك إذا اجتمعا فإنه يظهر منهما كمال باجتماعهما ، زائد عن الكمال الذى يكون بإنفراد أحدهما لأن في قوله ملك تمام السلطة والسلطان والسيطرة ، وفي قوله مالك تمام التصرف والتدبير ، ولنضرب لذلك مثلا في المخلوق ، يكون الإنسان مالكا ولا يكون ملكا ، ويكون ملكا ولا يكون مالكا ، فإذا اجتمع ملك ومالك صار بذلك تمام السلطة والسيطرة ، وتمام التصرف والتدبير ، ولهذا جاءت القراءتان تبين هذا المعنى ﴿**ملك يوم الدين**﴾ و ﴿**مالك يوم الدين**﴾ ، وكلا الوصفين من خصائص رب العالمين عز وجل وهو متصف بهما حقيقة ، وهو مالك لا أحد يتصرف في ملكه إلا بما شاء ، ولا أحد يشفع عنده إلا بإذنه ، ملوك الدنيا مهما بلغوا من القوة والسيطرة يُشفع عندهم بلا إذن ، لكن الرب عز وجل لقوة سلطانه لا يشفع أحد ولو كان أقرب الناس إليه عبادة وخضوعا إلا بإذنه ، فالنبى عليه الصلاة والسلام لا يشفع إلا بإذن الله وهو أقرب الناس إلى الله وأتمهم عبودية ، وهو سبحانه أيضا مالك له تمام التصرف والتدبير ﴿**إنما أمره إذا شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾ ولا أحد يضاد الله في تدبيره أبدا حتى أكفر الكافرين ﴿**فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**﴾ ﴿**فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين**﴾ هل يمكن لأكبر واحد سلطة في العالم أن يرجعها أى الروح إذا بلغت الحلقوم؟ لا يمكن ،إذا تمام السلطة والتدبير لله عز وجل ، فهو إذا تام الملك وتام التدبير والتصرف ، وهنا قال ملك الناس و لم يقل ملك يوم الدين لأن لكل مقام مقالا، فالسورتان الفلق والناس نزلتا لنشرة النبى صلى الله عليه وسلم من السحر ، ومن الذى سحره؟ واحد من الناس ، فكانت المناسبة أن يقال: ﴿**ملك الناس**﴾ الذي بيده السلطة والسيطرة على الناس ومنهم الذي سحر النبى صلى الله عليه وسلم ولهذا كرر ﴿**ملك الناس إله الناس**﴾ لهذا فهو الملك وهو الإله المألوه للناس سبحانه وتعالى ، فلكل مقام مقال وهذا من بلاغة القرآن ، والنبى عليه الصلاة والسلام سحر ورقي بهاتين السورتين ، وما تعوذ متعوذ بمثلهما ولا أحسن منهما لرفع السحر لكن بشرط أن يكون هناك صدق من قارءهما وقابلهما (المقروء عليه) فإن كان في القارئ شك أو المقروء عليه شك فإن ذلك لا ينفع ، لكن إذا كان هناك قوة ويقين فإنه باذن الله ينفع ولا أنفع منه ، وهذا شيئ مجرب لمن وفق للإيمان واليقين وصار المحل قابلا وهو المقروء عليه ، أما إذا كان المحل غير قابل فلا ينفع ، ولهذا لو جاء رجل قوى شجاع ومعه سيف بتار وأتى على حديد صلب ونادى بأعلى صوت أنا أبو فلان ثم قام وضرب السيف على هذا الحديد الصلب ينقطع أو لا ينقطع؟ ينقطع السيف ، لماذا؟ لأن المحل غير قابل فلا يتأثر به ، مع أن الرجل شجاع والسيف بتار ولكن لا ينتفع لأن المحل غير قابل ، لكن لو جاء هذا الشجاع بسيف بتار على رقبة مجرم مستحق للقتل ثم ضربه بعد

أن إنفعل ، وستكون الضربة حينئذ قوية ، هل يتأثر وتنقطع رقبته؟ لاشك ؛ لماذا؟ لأن المحل قابل ، إذا في هذه الآية إثبات الملك لله وأنه عام.

ثم ذكر حديث أبو هريرة قال: "**يقبض الله الأرض يوم القيامة**" الأرض كلها يقبضها الله يوم القيامة ، وشاهد هذا في القرآن قوله: ﴿**والأرض جميعا قبضته يوم القيامة**﴾ ، ويطوى السماء بيمينه لقوله تعالى: ﴿**والسموات مطويات بيمينه**﴾ وهذا الطى حقيقي ، ليس المراد قوة السيطرة على السماء أو قوة السيطرة على الأرض ، وقبض حقيقي للأرض وطى حقيقي للسماء ، والسماء جعلها الله طيا لا قبضا ، لأن السماء أوسع من الأرض وأشد وأعظم وطيها أبلغ في القدرة ، وقد شبه الله هذا الطى بقوله: ﴿**كطى السجل للكتب**﴾ ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟ هل أحد منهم يرفع أصبعه؟ أبدا ما في ملك يوم القيامة ، الناس سواء ، أصغر الخدم وأكبر الملوك على حد سواء كلهم حفاة كلهم عراة كلهم غرل ، ما فيهم ملك ، الملك لله عز وجل.

الدرس السادس

قال البخاري رحمه الله:-

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقبض الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟".

قوله: "**يقبض الله الأرض يوم القيامة**" وهذا القبض قبض حقيقي يقبضها عز وجل بيده ويطوي السماء بيمينه أي بيده اليمنى وهذا يدل على أن لله سبحانه وتعالى يدين إثنتين وقد دل على ثبوت اليدين لله عز وجل في الكتاب والسنة وإجماع السلف ففي كتاب الله عز وجل قال الله تعالى لإبليس ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى**﴾ فأضاف الخلق إليه وجعله باليدين وهذا يدل على أنه ليس المراد باليد الذات إنما المراد بها اليد الحقيقية وليست الذات وقال الله تبارك وتعالى ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان**﴾ وقال الله تبارك وتعالى ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾ وقال تعالى ﴿**أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما**﴾ فهذه آيات كلها تدل على ثبوت اليد لله عز وجل ولكنها يد لا تماثل أيدى المخلوقين لأنها يد عظيمة كما جاء في هذا الحديث أن الله يقبض بها الأرض ويطوي بها السماء وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما "أنه قال ما السموات السبع والأراضين السبع في كف الله إلا كخردلة في كف أحدكم" وهذا يدل على عظمة هذه اليد وأنه لا يمكن أن يتصور الإنسان عظمتها وقدرتها والبحث فيها أي في اليد من وجوه:-

البحث الأول:- هل هي حقيقة أو مجاز عن القدرة أو القوة - مذهب السلف كما هو القاعدة الأصلية أنها حقيقة لأن الأصل فيما وصف الله نفسه أنه حقيقة ولكنها حقيقة منزهة عن التمثيل وعن التكييف أي لا تمثل بأيدي المخلوقين ولا تكيف بحيث يتصور الإنسان لها كيفية وإن لم توافق صفة أيدي المخلوقين المهم أنه لا تكييف ولا تمثيل وأما من قال المراد بها القدرة أو القوة فقوله باطل من عدة أوجه:-

الوجه الأول:– إجماع السلف على خلاف هذا القول فإن قال قائل أين إجماع السلف قلنا إن الصحابة يتلون كتاب الله ويؤمنون به بمقتضى اللغة العربية فإذا لم يرد عنهم نقل في مخالفة مقتضى اللغة العربية علمنا علم اليقين أنهم أجروا النص على ظاهره إذ لا يمكن أن نأتي عن كل صحابي بأنه قال المراد باليد اليد الحقيقية ، لا يمكن لكن إذا كانوا يتلون الكتاب واليد في الكتاب بمقتضى اللسان العربي الذي نزل به القرآن هي اليد الحقيقية و لم يرد عنهم حرف واحد يدل على نقلها إلى المعنى الأخر علمنا أنهم متفقون على ذلك وهذا يجري في اليد وغيرها من الصفات .

الوجه الثاني:– من الرد على القول بأنها القدرة أو القوة أو النعمة أن القدرة أو النعمة أو القوة لا يصح أن تثنى بالنسبة لله عز وجل بالنسبة لله لا يصح أن تثنى فما هما القدرتان وما هما القوتان وما هما النعمتان قوة الله سبحانه وتعالى صفة واحدة لا تتجزأ ولا تتعدد وكذلك قدرته أما نعمته فقد قال الله عنها ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ لا تنحصر بنعمتين .

الوجه الثالث:– أنه لو كان المراد باليد القوة ما صح أن يحتج إبليس بما إحتج به حين أمر أن يسجد لآدم وحين قال الله له: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ لأنه لو صح أن يكون المراد باليد القدرة أو القوة لقال ياربي وأى فضل له عليّ وقد خلقتني بقدرتك وقوتك ، أليس كذلك نعم هو كذلك حجة لإبليس أن يقول أى مزيه لآدم فإنه خلق بقدرتك وأنا خلقت بقدرتك و لم يذهب يأتي بعلة أخرى قد تقبل وقد لا تقبل وهي غير مقبولة .

الوجه الرابع:– أن هذه اليد جاءت على وجوه متعددة جاءت بلفظ الكف وجاءت بذكر الأصابع وجاءت بلفظ اليمين وكلتا يديه يمين فيمتنع مع هذا التنوع فيما جاءت عليه أن يكون المراد بها القوة أو القدرة .

الوجه الخامس:– أن تقول لهم لماذا فررتم عن تفسيرها باليد الحقيقية إذا قالوا لأن اليد جارحة والله منزه عن الجوارح فإننا تقول فسروا لنا الجارحة هذه ، الجارحة لم يرد نفيها ولا إثباتها بالنسبة لله عز وجل فماذا تريدون بالجارحة التي توصلتم بنفيها إلى نفي ما أثبت الله لنفسه أيردون بالجارحة أنه سبحانه وتعالى يكسب بها ويعمل بها ليكسب أم تريدون بالجارح أنه يأخذ بها ويعمل بها إن أرادوا الأول فهو باطل وإن أرادوا الثاني فهو حق ، وكونهم يتوصلون إلى نفي هذا الحق بنفي الجارحة هذا بلا شك أنه من القول على الله بلا علم وإن قالوا ننفي عنه اليد لأننا لو أثبتنا له اليد الحقيقية شبهناه بالمخلوق الذي له يد حقيقة ، نقول أنتم حرفتم المعنى إلى القوة وللمخلوق قوة فوقعتم في مثل ما فررتم منه وزدتم أنكم حرفتم النص عن ظاهره فجنيتم جنايتين و لم تتخلصوا من التشبيه على قاعدتكم وإن قلتم القدرة قلنا للمخلوق قدرةً أيضا ، فقد وقعتم في ما فررتم منه مع التحريف وإن قلتم نعمة ، قلنا للمخلوق نعمة ﴿وإذ تقول للذي أنعم اللـه عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك﴾ فوقعتم فيما فررتم منه مع التحريف فأنتم مدركون بكل حال .

البحث الثاني:– اليد وردت في القرآن على ثلاثة أوجه الإفراد والتثنية والجمع ، وقد يبدوا للإنسان أن هذا تناقض ، ولكن لا تناقض في ذلك ، ولا يمكن أن يوجد بين كتاب الله عز وجل تناقض ولا بين ما صح عن

رسول الله تناقض ولا بين كتاب الله وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين العقل الصريح تناقض.

هذه ثلاثة أشياء لا تناقض بينها ، الكتاب والسنة الصحيحة والعقل الصريح ونعني بالعقل الصريح السالم من الشبهات والشهوات ، يعني أنه عقل مبني على العلم فليس عنده شبهة ومبني على حسن القصد وإرادة الحق فليس عنده شهوة ، أي إرادة غير الحق ، إذا كان كذلك فلا تناقض فيما جاء في يد الله بين الإفراد والتثنية والجمع ، نقول أما المفرد فإنه مضاف والمفرد المضاف صالح للواحد والمتعدد ، الم تر قول الله تعالى: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ نعمة مفرد مضاف ، كم يشمل من نعمة؟ ما لا نحصيه ، فالمفرد المضاف في اليد لا ينافي التعدد إذاً سقط عنا ظن التناقض بالنسبة للإفراد والتثنية والجمع ، فنقول عندنا التثنية والجمع نقول:أما التثنية والجمع فإن قلنا بأن أقل الجمع إثنان كما ذهب إليه بعض النحاة وكما هو موجود في آيات المواريث فإن أقل الجمع فيها إثنان وكذلك في جمع الصلاة ، الجماعة تحصل بإثنين إن قلنا أقل الجمع إثنان فلا إشكال ، لأنه يحمل الجمع على أقله فيكون إثنين فيطابق المثنى ولا إشكال في هذا ، وإن قلنا بالمشهور وهو أن أقل الجمع ثلاثة فحينئذ يكون عندنا عددان إثنان وثلاثة يُحتاج إلى الجمع بينهما ، فنقول إن صيغة الجمع لا يراد بها معنى الجمع وإنما يراد بها التعظيم ، موافقة للضمير (ضمير الجمع) وهو (نا) ضمير جمع بالنسبة لإضافتها إلى الله ، لا يمكن أن يكون المراد بها التعدد ، فإذا كانت (نا) الدالة على الجمع للتعظيم كان الأنسب لفظاً ومعنىً أن يكون المضاف إليها بصيغة الجمع من أجل التناسب بين المضاف والمضاف إليه، ونبين لك هذا أنه لو كان تعبير الآية مما عملت يدانا أنعاما لوجدت هناك تنافرا بين يدى المثنى وبين الضمير ، فلذا كان الأفصح لفظا ومعنى أن تصاغ اليد بصيغة الجمع وبذلك يتبين أنه لا تعارض بين مجيء اليد بصيغة التثنية وصيغة الجمع وصيغة الإفراد.

البحث الثالث:- هذه اليد لا يجوز أن تكون كيد المخلوق ولكن ما ورد من الكتاب أو السنة في وصفها بما توصف به يد المخلوق فإنه لا تمثيل فيه ، فهذه اليد وصفت باليمين كما في الآية ﴿**والسموات مطويات بيمينه**﴾ فهل توصف بالشمال كما أن المخلوق له يد يمين وشمال؟ في هذا خلاف بين العلماء ، منهم من قال إنه يصح أن توصف بالشمال كما جاء ذلك في الصحيح رواه مسلم من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه: "**ثم يطوي الأرضين بشماله**" وقد ذكره شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب آخر كتاب التوحيد في مسائله: السادسة التصريح بتسميتها بالشمال ، ومنهم من قال لا توصف بالشمال وما جاء في الصحيح فإنه شاذ أو وهم من الراوي ، ودليل ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام: "**كلتا يديه يمين**" والحقيقة أن هذا اللفظ أو ان هذه الجملة لا تمنع من إثبات الشمال لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**كلتا يديه يمين**" لدفع توهم نقص في الشمال لماذا؟ لأنه المعروف في المخلوقات أن الشمال فيها نقص عن اليمين ، فقد يتوهم واهم أنها أنقص من اليمين فقال "**كلتا يديه يمين**" أى أنهما لا يختلفان في الكمال ، وينبني على هذه القاعدة أو المسألة هل توصف بالكف ، وهل له أصابع ، وهل له أنامل؟ الجواب لا يلزم من إثبات اليد أن يكون له كف أو أنامل أو أصابع ، لكن إذا ورد أن لله تعالى كفاً أو أن لله أنامل أو أن لله أصابع

بدلالة مستقلة ، وإذا أثبتنا الأصابع فلا يلزم أن تكون خمسة في كل يد أو أقل أو أكثر؟ لكن الذي بلغنا خمسة أصابع فيما تحدث به النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود: "**أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع ...**" فذكر خمسة ، لكن لا يلزم من ذكر الخمسة أن لا تزيد ، فلذا نقول نثبت من عدد الأصابع ما بلغنا والباقي نسكت عنه؟ هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، هذا ما يتعلق بصفة اليد ، والمهم أن نؤمن بأن الله تعالى يداً حقيقية يأخذ بها ويقبض وأنها لا تماثل أيدي المخلوقين ولا يجوز أن نكيفها ، أما نفي التمثيل فلقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيئ**﴾ وهذا عام في جميع صفاته ، واما نفي التكييف فلقوله تعالى: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم**﴾ وقال تعالى: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا با لله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾ هذه عقيدتنا فيما يتعلق بيد الله عز وجل.

باب قول الله تعالى:- ﴿وهوالعزيز الحكيم﴾ ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾

هذا الباب تضمن إسمين من أسماء الله أولهما العزيز والثاني الحكيم العزيز له اشتقاقات في اللغة العربية مأخوذ من عز أى إمتنع ومن عز أى قل ومن عز أى قوى فقوله تعالى: ﴿ **وما ذلك على الله بعزيز**﴾ أى بممتنع وقوله وعزني في الخطاب أى غلبني وقولهم هذه أرض عزاز أى صلبة قال العلماء وعزة الله عز وجل تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

عزة القدر وعزة القهر وعزة الإمتناع عزة القدر أى أن الله عز وجل ذو قدر عزيز لا نظير له ، وعزة القهر هى عزة الغلبة فإنه سبحانه وتعالى الغالب الذي لا يغلبه أحد حتى الجاهليون في جاهليتهم يقول قائلهم:-

أين المفـــر والإلــه الطـــالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

يؤمنون بأن الله تعالى ذو العزة الغالب وعزة الإمتناع معناها أنه يمتنع أن يناله نقص في أى شيئ من الصفات امتناع النقص على الله عز وجل هذا معنى عزة الإمتنان وهل العزيز من الأسماء المتعدية أو اللازمة هو في أحد معانيه من المتعدى العزيز بمعنى الغالب متعدى لأنه غالب وليس بمغلوب أما العزيز عزة القدر وعزة الإمتناع فهذه من الأسماء اللازمة وقد عرفتم كيف الإيمان بالأسماء المتعدية والأسماء اللازمة أما الحكيم فإنه فعيل بمعنى فاعل ، أو بمعنى مُفعِل ، فإن كان من الحكمة فهو بمعنى مفعل وإن كانت من الحكم فهو بمعنى فاعل وورود فعيل بمعنى فاعل كثير في اللغة العربية ، رحيم بمعنى راحم لكن فعيل بمعنى مفعل قليل قول الشاعر:-

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

الداعي السميع بمعنى المسمع ولهذا قال يؤرقني وأصحابي هجوع فصح أن فعيلا في اللغة العربية تأتي بمعنى مفعل أما إتيانها بمعنى فاعل فكثير الحكيم إذاً نقول مشتقة من الحكمة ومشتقة من الحكم ثم نرجع ونقول الحكم أى حكم الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين حكم كوني وحكم شرعي مثال الحكم السرعي قوله تعالى في سورة الممتحنة:- ﴿**ذالكم حكم الله يحكم بينكم**﴾ ومثال الحكم الكوني قوله تعالى: ﴿**فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى**﴾ أى يقدر لى والحكمة تكون في الحكم الكوني والحكم الشرعي فما من حكم كوني إلا وله حكمة وما من حكم شرعي إلا وله حكمة لأن الحكم الشرعي بدون حكمة أو

الكوني بدون حكمة سفه ، وا لله سبحانه وتعالى منزه عن السفه أو لغو وا لله تعالى منزه عن اللغو ولكن هـل يلزم من كونه ذا حكمة أن تكون الحكمة معلومة لنا؟ لا ، وما أكثر الأحكام الكونية والأحكام الشرعية الـتي تخفى علينا حكمتهاإما خفاءا نسبيا بأن تخفى على بعض دون بعض أو خفـاء حقيقياً علـى كـل أحـد فصار الحكم قسمان كوني وشرعي والحكمة تكون في الكوني وتكون في الشرعي ثم الحكمة تنقسم إلى قسمين:- **حكمة حالية**:- بمعنى كون الشيئ على هذه الحال حكمة. **حكمة غائية**:- بأن يكون المقصود من هذا الشيئ حكمة بالغة وثمرات جليلة وعلى هذا فيكون الحكم الكوني فيه الحكمة بوجهيها والحكم الشرعي فيه الحكمة بوجهيها فالحكم الكوني الذي يحكم ا لله به علـى العبـاد لـه حكمـة في كونـه علـى هـذا الوجـه الـذي قـدره وحكمة في كونه له غاية حميدة فالجدب والقحط وقلة المياه والحر الشديد المهلك للثمار والبرد هـذا فساد لكن إيقاعه في الحال التي يقع فيها حكمة قال ا لله تعالى: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا**﴾ إذاً هذا الفساد الذي سببه ما كسبت أيدينا لـه غايـة حميـدة ما هـى؟ ﴿**لعلهم يرجعون**﴾ إذاً فكل ما قضى ا لله عز وجل على العباد من محن ومصـائب وقتـال وغيرهـا فإن غايتـه حميدة حتى لو كان فيـه الهـلاك والدمار لأن المصابين بهـذا لهـم أجرهـم عنـد ا لله وتكفـير للسـيئات ورفعـة للدرجات وزيادة الحسنات مع الصبر والإحتساب والذين لم يصابوا يتخذون من ذلك عبوة فيرجعون لله عـز وجل ثم كون هذا الشيئ الذى قدره ا لله عز وجل على هذا الوجه موافق للحكمـة لكـن أحيانا نحـن نـدرك ذلك وأحيانا لا ندرك لأن عقولنا قاصرة كذلك أيضا بالنسبة للحكم الشرعي له حكمة حالية بمعنى أن شرعه على هذا الوجه المعين له حكمة وله حكمة غائية أن الغاية منه حميدة يحمد ا لله عليهـا أنظر في جميع الشـرائع تجدها هكذا فمثلا الوضوء تطهير الأعضـاء الأربعـة لا شـك أن شـرعيته علـى هـذا الوجـه حكمـة لأن هـذه الأعضاء هى أعضاء الكسب الوجه واليدان والرأس والرجلان ثـم كونـه غسـلا في ثلاثـة أعضـاء ومسـحا في عضو واحد أيضا حكمة لو أن ا لله فرض علينا غسل الرؤوس ولا سيما في زمن كان الناس يتخذون الشعر في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ثم ألزمنا بغسل الرأس كما نلزم بغسل الوجه مـاذا يحصـل من المشقة ولا سيما في أيام الشتاء ولهذا كانت طهارته المسح ، وطهارة الأعضاء الثلاثة الغسل.

إذاً هذا مطابق للحكمة واسحب هذا على جميع الشرائع تجد أن كونها على هـذه الحـال حكمـة ثـم الغاية منها حكمة عظيمة ففي الوضوء الغاية منه التطهير المعنوي هذا أهم شيئ فإن خطايا هذه الأعضاء تزول مع آخر قطرة من قطرات الماء وهذا التطهـير المعنـوي هـو المهـم هـل يوجـد تطهـير حسـي؟ نعـم ، لأن هـذه الأعضاء في الغالب بارزة وإذا كانت بارزة فإنها تتعرض للغبار وتتعرض للأوساخ فلهذا أمر بغسلها.

المهم نرجع الأن إلى قاعدة الحكمة ، الحكمة حالية وغائية وفي الشرع وفي القدر فتكون أربعة حكمة حالية في القدر حكمة غائية في القدر حكمة حالية في الشـرع وحكمـة غائيـة في الشـرع وقـد ذكـر المؤلـف البخاري في هذا الباب ثلاث آيات:-الآية الأولى:- قوله تعالى: ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ وسبق الكلام علي ذلك ، وفي جمع ا لله تبارك وتعالى بين العزيز والحكيم زيادة كمال لأن العزيز وهو الغالب قد تحمله عزته على سوء التصرف كما يكون في المخلوقين فقرن ا لله عز وجل العزة بالحكمة ليتبين أن عزتـه مبنيـة على الحكمـة

وأنه ليس كما يكون المخلوق من العزة التي قد تحمله على التهور وعدم إحسان التصرف. **لآية الثانية**:- قوله تعالى: ﴿**سبحان ربك رب العزة**﴾ سبحان يقول أهل اللغة إنها إسم مصدر سبح ، والمصدر تسبيح ويقولون أيضاً إنها ملازمة للنصب على المفعولية المطلقة ولم تخرج عن ذلك إلا نادرا نادرا ويقولون إنها ملازمة للإضافة إما لإسم ظاهر وإما لإسم مضمر ، وربما تفرد قليلا قليلا عن الإضافة فما معنى التسبيح؟

معناه التنزيه وما الذي ينزه الله عنه؟ ينزه عن مماثلة المخلوق وعن النقص والعيب قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وقال تعالى ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ ﴿**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**﴾ والنصوص في هذا كثيرة في نفي العيب عن الله وكذلك في نفي المماثلة وقوله ﴿**سبحان ربك**﴾ أضاف الربوبية إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنها ربوبية خاصة فإن الله تعالى رباه على أكمل الأخلاق فلذلك نقول أن الربوبية تنقسم إلى عامة وخاصة فالعامة هي الشاملة لجميع الخلق مثل قوله تعالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ ﴿**رب السموات والأرض وما بينهما**﴾ والخاصة هي التي تختص بمن تعبد لله عز وجل وتستلزم النصر والتأييد والتربية الخاصة وأخص هذا النوع ما أضيفت إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام لأن ربوبية الله لهم هي أخص ربوبية وقوله ﴿**رب العزة**﴾ معنى رب هنا صاحب العزة وليس معناها خالق وذلك أن العزة صفة من صفات الله وصفات الله تعالى غير مخلوقة فيتعين أن نحمل قوله رب معنى العزة على صاحب العزة وهنا أضاف الرب نفسه عز وجل إلى العزة لأن المقام يقتضيه فإن هؤلاء يصفون الله تعالى بما هو مبرأ منه فيظنون أنهم بذلك غالبون ولكنهم مغلوبون في الحقيقة لأن صاحب العزة على الكمال هو الله عز وجل فيهم وإن أمهلوا لكنهم لا يهملون ﴿**سبحان ربك رب العزة عما يصفون**﴾ الشاهد من هذا قوله رب العزة فإنها تطابق العزيز لأن العزيز مأخوذ من العزة.

الآية الثالثة:-قوله تعالى: ﴿**و لله العزة ولرسوله**﴾ هذا في جواب المنافقين لما قالوا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال الله تعالى: ﴿**و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ إذاً فليس هم أعز من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بل هم أذل فكأن في الآية تسليما لما قالوا أى أنه يخرج الأعز الأذل لكن من الأعز؟ الله ورسوله والمؤمنون ﴿**و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ وفي تقديم الخبر لله العزة دليل على أن العزة المطلقة لا تكون إلا لله وحده أما العزة التي قد تشاب بذل فهذه تكون للمخلوقين حتى للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**﴾ أذلة جمع ذليل لكن في النهاية تكون العزة للمؤمنين.

الشاهد من ترجمة هذا الباب قوله ﴿**و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ وهنا قد يشكل جمع العزة لله وللرسول وللمؤمنين بالواو مع أن عزة الرسول وعزة المؤمنين تابعة لعزة الله تعالى ثم إن عزة الرسول والمؤمنين ليست العزة المطلقة الثابتة لله؟ الجواب من وجهين:- **الوجه الأول**:-أن نقول العزة بالدين من عزة الله عز وجل يعني أن الله لا يعز المؤمنين ولا يعز النبي إلا لإعزاز دينه وهذا كقوله ﴿**إن تنصروا الله ينصركم**﴾. **الوجه الثاني**:- أن جمله و لله العزة جملة مستقلة ، ولرسوله هذه عطف جملة على جملة يعني ممكن أن يكون التقدير ولرسوله العزة أو ولرسوله عزة.

وقوله رحمه الله:- ومن حلف بعزة الله وصفاته

يعني وباب من حلف بعزة الله يعني هل نحلف بعزة الله وبصفاته؟ الجواب نعم بدليل ما ذكره البخاري رحمه الله نحلف بعزة الله نقول وعزة الله لأغلبن عدوي إن شاء الله قال البخاري وصفاته بقية الصفات أى صفة من صفات الله فإنه يجوز أن تحلف بها فتقول وقدرة الله لأحملن هذا الحجر أو تقول وسلطان الله لأستحوذن على أهل بيتي المهم أن الحلف بصفات الله جائز ومن ذلك الحلف بالقرآن جائز لأن القرآن صفة من صفات الله ، وأما الحلف بالمصحف فيه تفصيل أن أراد المصحف الذي هو الأوراق والجلد والمداد فإن هذا لا يجوز لأن هذا مخلوق وإن أراد بالمصحف القرآن فهذا جائز ، والحلف بآيات الله فيه تفصيل إن أراد بآيات الله الآيات الكونية فإنه لا يجوز وإن أراد بآيات الله الآيات الشرعية أى الوحى فهذا جائز والذين يحلفون الآن من عامة الناس الظاهر أنهم يريدون الآيات الشرعية لو سألت أى عامى هل أنت تريد بقولك وآيات الله أو أحلف بآيات الله الشمس والقمر؟ لقال: لا أنا أريد القرآن فيكون بذلك حالفا بصفة من صفات الله.

قال رحمه الله:-وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم "تقول جهنم قط قط وعزتك"

قط بمعنى حسب وفيها لغات قط قط مبنية على السكون وقط قـط مبنية على الكسر محركة منونة تقول جهنم قط قط إذا وضع الرب عز وجل عليها قدمه إنزوى بعضها على بعض وقالت قط قط لأنه لا تزال يلقى فيها وهى تقول هل من مزيد حتى يضع الرب عز وجل عليها قدمه وتقول قط قط لكن هذا اللفظ الذى علقه المؤلف **"قط قط وعزتك"** هذا قسم أقسمت النار بعزة الله وحكاه النبي عليه السلام عنها مقراً له.

وقال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم " يبقى رجل بين الجنة والنار وهو أخر أهل النار دخولا الجنة فيقول: رب اصرف وجهي عن النار ، لا وعزتك لا أسألك غيرها"

الشاهد قوله **"لا وعزتك"** فأقسم بعزة الله وحكاه النبي صلى الله عليه وسلم مقراً له ، قوله **"لا وعزتك"** لا ليست للنفى لأنها لو كانت للنفى لكان نفيا لليمين لكنها للتأكيد والتنبيه ونظيرها قوله تعالى **﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ ﴿لا أقسم بما تبصرون﴾** ليست لا نافية هنا ولكنها للتنبيه والتأكيد.

قال رحمه الله:- قال أبو سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل ، لك ذلك وعشرة أمثالها" قال أبو أيوب وعزتك لا غنى لي عن بركتك.

الشاهد قوله **"وعزتك"** فأقسم أيوب بعزة الله فدل ذلك على جواز القسم بصفة من صفات الله عز وجل أى صفة من صفات الله ولكن يحسن أن تكون الصفة التي تقسم بها مناسبة للمقسم عليه فإذا كنت تريد أن تقسم على غلبة مّا فالذي يناسب وعزتك ولهذا قال الشيطان لما أراد أن يخبر الله عز وجل بأنه سوف يغوى العباد ، وإغواء العباد يحتاج إلى قوة وإلى سلطة **﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾** فأقسم الشيطان بعزة الله لأنها تناسب المقام والتناسب بين المقسم والمقسم عليه هو طريقة القرآن ولهذا لا تجد قسماً في القرآن إلا وبين القسم والمقسم عليه مناسبة ولكنها قد تكون خفية لا يعلمها كل أحد وقد تكون قرينة معروفة لكل أحد.

الدرس الســـابع

حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا حسين المعلم حدثني عبـد الله بـن بريـدة عـن يحيى ابـن يعمر "عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الـذي لا يموت والإنس والجن يموتون"

حدثنا ابن أبي الأسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن قتادة "عن أنـس عـن النـبي صلـى الله عليـه وسلم قال يلقى في النار. وقال لي خليفة حدثنا يزيد ابن زريع حدثنا سعيد عن قتـادة "عـن أنـس. وعـن معتمر سمعت أبي عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يزال يلقى فيهـا وتقـول: هـل من مزيد حتى يضع فيها رب العلمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض ثم تقول: قد قد ، بعزتك وكرمـك. ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة"

الله أكبر هذا الحديث "لا يزال يلقى فيها" أي في جهنم وهي تقول "هل من مزيد" هـل اسـتفهام ، "من مزيد" مبتدأ فيه من الزائدة لفظا الزائدة معنا ، وهذا الإستفهام هل هو للطلب أو للنفي؟ في هـذا قـولان للعلماء منهم من قال إنه للنفي وأن المعنى لا مزيد على ما عندي ، يعني أنها قد إمتلأت ، وهذا القـول الثـاني هو المتعين لأن الحديث يدل عليه فإن قوله: "حتى يضع فيها رب العـالمين قدمـه فيـنزوي بعضهـا إلى بعـض" يدل على أنها تطلب المزيد لأن الله تعالى قد وعدها ، وهو أصدق الواعدين وأوفاهم وعدها بأن يملأهـا فـإذا سُئِلت "هل امتلئتِ" قالت هل من مزيد أي زيـدوا علـى "فيضـع فيهـا رب العـالمين قدمـه فيـنزوي بعضهـا إلى بعض . . . ." يدل على أنها تطلب المزيد لأن الله تعالى قد وعدها وهو أصدق الواعدين وأوفاهم وعدهـا بأن يملأها فإذا سئلت هل امتلئت قالت هل من مزيد يعني أعطوني زيدوا علي ، فيضع فيها رب العالمين قدمـه فينزوي بعضها إلى بعض ثم تقول "قد قد" وفي رواية قط قط وهما لغتـان معروفتـان في هـذه الكلمـة معناهـا حسب يعني يكفي "بعزتك وكرمك" تتوسل إلى الله بعزته وكرمه أن لا يضع عليها قدمه أكثر مما وضع لأنـه ينزوي بعضها إلى بعض تنضم ، وضع ربنا عز وجل قدمه عليها ليس بالأمر الهـين فيـنزوي بعضهـا إلى بعـض وتضيق حتى تقول بعزتك وكرمك ، فتوسلت بالعزة التي بها القهر والكرم الذي به الفضـل أن لايضـع قدمـه عليها. الشاهد من هذا الحديث قول النار "بعزتك" وحدث به النبي صلى الله عليه وسـلم مقـررا لـه ، وفيـه أيضا شاهد آخر لصفة من صفات الله الخبرية وهي "القدم" وفي رواية "رجله" فعند أهل السـنة والجماعة على القاعدة المعروفة المشهورة أن نجعل الرجل والقدم حقيقية تليق بالله عز وجل ، والدليل علـى هـذا أنـه يـنزوي بعضها إلى بعض من شدة ما وضع عليها وعظمته وهذا هو مذهـب أهـل السـنة والجماعـة ولكـن هـل هـذه الرجل تماثل أرجل المخلوقين؟ لا ، لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ والعقل يـدل أيضـا على أنه لا تماثل إذ لا تماثل بين الخالق والمخلوق فكما أن الله لا مثيل له في ذاته فلا مثيل لـه في صفاتـه وهـذا قال أهل العلم الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أن الذات ليـس لها مثيل فالصفـات كذلـك ليس لها مثيل ، لو سئلنا هل لها أصابع؟ نقول للسائل أنت مبتدع لماذا؟ لأن من هو أفضل منـك وأعلـم منـك وأخشع منك وأخشى منك وأتقى منك وأحب منك للعلم وأشد تعظيما لله لم يسألوا الرسـول عليـه الصـلاة

والسلام وهو الذي يأتيه الوحي هل لرجله أصابع أم لا؟ وأنت لما سألت أحباً لله أحباً لمعرفة صفات الله أطمعا في زيادة الدرجات وتكفير السيئات أم ماذا؟ إن قلت نعم قلنا لست أولى بهذا من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وإن قلت تعنتا وتعمقا وتنطعا قلنا هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون أسكت عن هذا يسعك ما وسع الناس السلف الصالح وبهذا نستريح يا إخواني من إيرادات كثيرة توردها الشياطين على قلوبنا أو يوردها بعضنا على بعض أي كيفية أي صفة تسأل عنه وهو لم يرد في الكتاب ولا السنة ولا الصحابة فأعرض عنه وجوبا لا تورده على نفسك ولا تورده على غيرك حتى تسلك سبيل السلف وحتى تستريح وتسلم لماذا قال الإمام مالك رحمه الله ومن قبله شيخه ربيعة لماذا قالوا السؤال عنه بدعة يعني إنتهي عن هذا والحقيقة أن الذي ضر أهل الكلام هو هذا التنطع وهذا التعمق لأنهم لو أخذوا الدين على ظاهره وعلى طلاوته وعلى حلاوته وعلى سهولته ويسره ما تولدت عندهم هذه الإستفهامات وهذه التقديرات إذاً أي واحد يسألنا هل للقدم أصابع نقول هذا بدعة كف لسانك ما سأله من هو خير منك على من هو خير مني ولو كان العلم بهذا من الدين لم يهمله الله عز وجل ولبينه في كتابه أو في سنة رسوله صلي الله عليه وسلم إبتداءً أو جواباً على سؤال أو إقراراً من قائل الدين لا يمكن أن ينقص أبداً ولهذا إذا لم يتكلم الرسول صلى الله عليه وسلم بشئ قدر الله أو يسر الله أعرابيا يأتي من البادية من أجل أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا كان الصحابة يفرحون إذا أتى أعرابيا من البادية ليسأل الرسول صلي الله عليه وسلم إذاً فما بالنا نتكلم ، ألا يسعنا ما وسع الأولين بلى والله هم أتقى منا لله وأعلم منا بالله وأشد منا أدباً مع الله ألم تعلم أنك إذا سألت أن لله أصابع في الرجل ألم تعلم أن الله يسمعك؟ بلى لو أن ملكاً من ملوك الدنيا عليه مشلح مغطي كل قدمه هل يليق بك أن تتقدم بين يديه وتقول أيها الملك هل لك أصابع في الرجل؟ أبداً ما تسأل ترى أن هذا خلاف الأدب وأنت مع الله لا تتأدب فلهذا أنا أنصح نفسي وإياكم في هذه المسائل ألا تقدروا شيئاً تعلموا أن الله فوق ما تتصورون وفوق ما يدركه العقل إذا كانت الأبصار وهي إدراك حسي وما يدرك البصر مدرك حسي لا تدركوا الله فكذلك العقول بل قال الله تعالى **﴿ولا يحيطون به علماً﴾** فلماذا تقدر أنا أتعجب كيف أن يورد على شاب أو طالب علم يقول كيف ينزل الله إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر وثلث الليل الآخر في كل الدنيا هل هذا أدب هل تريد أن تكذب الرسول هل تريد أن تنف عن الله هذه الصفة هل تريد أن تجعل هذه الصفة في كل وقت والله حددها في ثلث الليل كل هذا يا إخواني لا يرد والله ما يورده إلا إنسان جاهل أو ضعيف الإيمان هذه أمور ما للعقل مدخل إطلاقاً ولم يضر المتكلمين هذا الضرر العظيم حتى نفوا صفات الله أو أكثرها إلا هذه التقديرات قالوا هذا غير معقول هذا لا يدركه العقل ولذلك قالوا أشطب عليها ما يمكن ومن ذلك ما نحن فيه الأن القدم ، القدم قال المتكلمون لا يمكن أن يكون لله قدم هو مسماه بعض ما لأجسامنا ولكن نتأدب مع الله عز وجل نقول قدمه حقيقة صفة من صفاته الخبرية التي لا مدخل للعقل فيها وليست معنوية حتى يدركها العقل إجمالا فهي مجرد خبر آمنا بها لمجرد الخبر ، هم يقولون لا يمكن لله قدم مستحيل ، والقائل بأن لله قدم مجسم كافر ، ولذلك يطلقون على أهل السنة المشبهة ومن شبه الله بخلقه فهو كافر والرسول صلي الله عليه وسلم قال **"يضع رب العالمين قدمه**

فينزوي بعضها إلى بعض" وهو يتكلم بلسان عربي مبين ويخاطب أفصح العرب في زمانهم وبعد زمانهم الصحابة الذين علموا اللغة العربية شرعاً ووضعاً ومع ذلك لم ينكر أحدمنهم هذه الكلمة و لم يحرفها عن معناها بل قالوا سمعنا وأطعنا وصدقنا وآمنا المتكلمة لما كانوا ينكرون هذا بعقولهم الفاسدة وبعدهم عن حقيقة الإستسلام الكامل لله وهو تصديق الخبر وإن إستبعده العقل وإمتثال الأمر وإن جهل حكمته العقل هذا هو الإستسلام الحقيقي هم قالوا قدمه يعني مقدمه من الخلق يعني الذين قدمهم للنار إذاً حتى يضع رب العالمين قدمه يعني حتى يضيف إليها أناس آخرين فينزوي بعضها إلى بعض وهذا تحريف إذا ضم إليها آخرين لم ينزوي بعضها إلى بعض بل الناس يتراكم بعضهم فوق بعض لكن النار تبقى على ما هي عليه وهل النار تنضم إذا أدخل فيها أم تتوسع؟ تتوسع ليتضايقون من فيها ، ثم ما الذي جعلنا نقدر هذا التقدير؟ هؤلاء إن كانوا من أهل النا لم يحتاج أن يقال للنار أنت إمتلئت أم لا؟ إذا كانوا من أهل النار فهم من أهلها إمتلئت أو ما إمتلئت وإن ام يكونوا من أهل النار فإنهم لا يستحقون دخول النار من أجل ملئ النار ، قلنا في لفظ أخر للحديث **"رجله"** يضع رب العزة فيها رجله قالوا لله رجل؟ هذا تجسيم وكفر إذاً ما معنى الرجل قالوا الرجل الطائفة لأنه في الحديث أن أيوب عليه السلام أرسل الله إليه رجل جراد أى طائفة من الجراد والناس إذا سألوا الجراد كثير في المكان قالوا لا والله رجل يعني طائفة قليلة فمعنى "رجله" أى طائفته ثم من هي هذه الطائفة التي تستحق أن تضاف إلى الله إضافة خاصة لأن الخبيث لا يضاف إلى الله إضافة خاصة أنا أقول خلق الله العالمين كلهم لكن لا يليق أدباً أن أقول أن الله خلق الكلب إلا في مقابلة من ينفي أن الله خلق الكلب ، أما أن تضيف خلق الله إلى شيئ خبيث فهذا ممنوع لا يليق وإن كان داخل في العموم يعني هناك فرق بين العموم وبين الخصوص حتى عند العامة الأن لو قلت مثلا للملك أنت تأكل الطعام يعني كل ما أكل يدخل في هذا لكن لو تقول أنت تأكل القرص المحترق هذا سوء أدب يمكن أن يقول إذهبوا به إلى السجن ففرق بين التعين والعموم وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية بالنسبة للخلق.

إذاً ما قولنا في قوله صلى الله عليه وسلم **"حتى يضع فيها رب العالمين قدمه"** نقول هي قدم حقيقية تليق بالله ولا نتجاوز سوى ذلك لا نقول أصابع أو ليس له أصابع وما أشبه ذلك ، لا نتكلم فيها ، نقتصر على ما سمعنا ولا نتعرض لها.

أما بقية الحديث ففيه بيان أن الله سبحانه وتعالى كما ذكر عن نفسه في الحديث القدسي رحمته سبقت غضبه يبقى في الجنة فضل عمن دخلها والذي دخلها من بني آدم واحدمن ألف لكن له ملك طويل عريض مسيرة ألفي عام ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه إلا أن هذه الجنة عرضها السموات والأرض ومن يدرك عرض السموات والأرض؟ لا يدركه إلا الله ، يدخلها أهلها ويبقى فيها فضل وقد وعدها الله عز وجل أن يملآها وهو أوفى من وعد ﴿**من أوفى بعهده من الله**﴾ فيبقى فيها فضل يقول **"حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة"** في ذلك الوقت يخلق الله أقواماً جدداً ويدخلهم الجنة بلا عمل بل بفضله ورحمته وأهل النار في النار لا يخرج ممن يستحق الخلود في النار حتى يسكنه بقية الجنة النار غُلقت على أهلها ولا

يقول للجنة يقرب بعضكم من بعض حتى تمتلئ بمن فيها بل ينشئ الله لها أقواماً يملؤنها وهذا مصداق قوله إن رحمتي سبقت غضبي ولولا حلم الله ما بقي على ظهر البسيطة أحد.

باب قول الله تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق﴾

الباء للملابسة والغاية يعني خلقها حقاً لم يخلقها أحد سواه وخلقها بالحق الغاية منها الحق كما قال تعالى ﴿**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق**﴾ وخلق بمعنى أوجد من عدم فالسموات كانت عدم والأرضون كانت عدم وخلقها الله عز وجل وبين لنا سبحانه وتعالى أنه خلقها في ستة أيام بين ذلك إجمالا، وبين ذلك تفصيلا ، وهذا من حسن التعليم ﴿**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت**﴾ لماذا؟ لأن الإجمال يوجب قرار هذا الشيئ في النفس ثم تشوف النفس إلى التفصيل فيرد عليها التفصيل وهى متهيأة لقبول ما يجب عليها هذه الأيام الستة فصلها الله عز وجل ولهذا سميت فصلت فصلت قال تعالى ﴿**قل ءإنكم لتكفرونْ بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين**﴾ هذه يومين ، ﴿**وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها**﴾ هذه ثلاثة أمور ﴿**في أربعة أيام**﴾ مع اليومين السابقين يعني بمعنى اليومان السابقان ، واليومان في الأمور الثلاثة ولذلك قال ﴿**سواءً للسائلين**﴾ سواء يعنى لا تزيد ، هذه أربعة أيام خلق الأرض في يومين جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في يومين فالجميع أربعة أيام.

ولا بأس أن نستطرد على هذه الآية لأنها مهمة قال: ﴿**جعل فيها رواسى من فوقها**﴾ ولم يقل في وسطها أو من تحتها لأن هذه الرواسى التي جعلت من فوق لها مصلحة عظيمة أن كانت فوق الأرض لأنه أضبط للتوازن ولما يحصل من هذه الجبال العظيمة من كهوفها ومغاراتها وغير ذلك من المصالح العظيمة الشعاب العظيمة التي تملئ الرياض من أين تأتي؟ من الجبال لأن الأراضي المنبسطة ما تأتي منها الأودية ولذلك تجد الأودية في الأماكن التي فيها الجبال الشامخة تجدها أقوى إندفاعاً وأعظم ، كذلك أيضا هذه الجبال العظيمة من فوق الأرض تصد الرياح العظيمة العاتية التي تأتي من هنا وهناك يعرفها أهل الجغرافيا حيث قال: ﴿**وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها**﴾ أنزل الله فيها البركة وهذا هى تحمي بني آدم وأنعامهم وأرزاقهم على كثرة من يولد ويموت في هذه الأرض ، هى مباركة لنا ﴿**قدر فيها أقواتها**﴾ جعل في كل إقليم قوته الذي يحتاج إليه وجعل هذه الأقوات توجد في إقليم دون إقليم وفي بلد دون بلد ليتبادل الناس التجارة فيما بينهم ولهذا قال ﴿**قدر فيها أقوتها**﴾ وقبلها قال: ﴿**وجعل فيها رواسي**﴾ لأن الأقوات مقدرة بحسب الحاجة وبحسب المصلحة التي تقوم بين بني آدم ﴿**في أربعة أيام سواءً للسائلين**﴾ ثم ﴿**استوى إلى السماء**﴾ بعد أن خلق الأرض وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام استوى إلى السماء وهي دخان أى كالدخان قال بعض العلماء إن هذا هو بخار الماء لأن الأرض والسماء كانت ماءً كما قال تعالى: ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾ ﴿**فقال لها وللأرض ءإتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين**﴾ أنظر الحكمة العظيمة السموات ما فصل فيها كما فصل في الأرض ولا مدد خلقها كما مدد خلق الأرض مع أنها أعظم من الأرض أضعافاً مضاعفة لكن ليتبين للناس عناية الله سبحانه وتعالى بما يباشرهم من المصالح ،

لتبين لك أن خلق الله للأرض في ٤٣ ثم فانظر عناية الله في الأرض؟ أم في السماء أين هم الناس
أربعة أيام والسماء في يومين ليس عجزاً منه في أن يخلق الأرض في لحظة ولذلك خلق السموات وهى أعظم منها في يومين فإذاً تمديد الله خلق الأرض إلى أربعة أيام ليس لعجز أو ضعف لكن لحكمة بدليل أنه خلق السماء وهى أعظم منها بمدة أقصر من خلق الأرض ومع ذلك قال لها وللأرض ءإتيا طوعاً أو كرهاً هذا يحتمل أنه للتهديد أو للتخيير لينظر عز وجل كيف إنقياد السماء والأرض إليه ماذا قالتا؟ أتينا طائعين مع أن السماء والأرض جماد ، والجماد لا يجمع جمع مذكر سالم لأن شروط جمع المذكر السالم كما عرفنا في الألفية إسماً أو صفة لمذكر عاقل فكيف قال: ﴿أتينا طائعين﴾ قال بعض المفسرين قولا عجيباً قال قالتا أتينا بمن فينا من إنس وجن وملائكة طائعين فغلب العاقل على غير العاقل والصواب خلاف ذلك لأن الناس لم يخلقوا بعد حين خلق السموات والأرض لكن المعنى أنهما لما كان يُخَاطَبَانِ ، ويخاطِبانِ صار بمنزلة العاقل فقال ﴿أتينا طائعين﴾ وهذا أمر لا شك فيه.

الخلاصة أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ذكر ذلك مجملا وذكر ذلك مفصلا ولو شاء خلقهما في لحظة كن فيكون قال للقلم أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة والقلم جماد ومع ذلك كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة لأن أمر الله لا يرد لو قال للسماء والأرض كونا أرضاً كونا سماءاً كان في لحظة لكن قال العلماء إن الله عز وجل مدد الخلق إلى ستة أيام تعليماً للعباد إذا فعلوا أن يفعلوا على وجه الجودة والتأني وإتقان الشيئ دون التسرع والتعجل هذه من جهة. من جهة أخرى أن الله حكيم الخلق يحتاج إلى تدرج فكانت الحكمة تقتضي أن يخلقهما بالتدرج حتى يصلا إلى الكمال كما أن النخلة تبذر ثم تنمو شيئا فشيئا حتى تصل إلى الكمال. وأياً قلنا من التعليل هذا أو هذا فما هو إلا تعليل ظني وإلا فلله من الحكم والأسرار وراء عقولنا ، بأنه جعل الخلق في ستة أيام دون أن يكون في لحظة يعنى لنا أن نقول خلقهما في ستة أيام مع قدرته على خلقهما بلحظة لأمر لا نعلمه ونكون بذلك صادقين ، ونكون بذلك عاجزين أو قادرين؟ عاجزين عن إدراك الحكمة قادرين على الجواب ، نحن نقول الله أعلم فإن استنبطنا الحكمة وكانت هى الموافقة فهذا من لطف الله بنا وفتحه علينا وإن لم تكن فنسأل الله أن يعفوا عنا خطأنا.

الدرس الثامن

باب قول الله تعالى ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾

حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ابن جريج عن سليمان عن طاووس "عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعوا من الليل: اللهم لك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ، لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ، قولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت ، أنت إلهي لا إله لى غيرك" حدثنا ثابت ابن محمد حدثنا سفيان بهذا وقال "أنت الحق ، وقولك الحق"

ثم ذكر المألف رحمه الله حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعوا من الليل وذلك إذا قام لصلاة الليل يقول **"اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض"** فبدأ بحمده ثم قال **"أنت رب السموات والأرض"** اذاً ربوبيته سبحانه وتعالى مبنية على الحمد والحمد هو وصف المحمود بالكمال مع الحب والتعظيم فإن كرر الوصف بالكمال سمى ثناءاً والدليل على هذا قوله في الحديث القدسي **"إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فإذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدي"**

وقوله: **"رب السموات والأرض"** سبق أن معنى الربوبية يدور على ثلاثة أشياء:- الخلق ، الملك ، التدبير.

فهو خالقهما ومالكهما والمدبر لهما وجمع السموات بإعتبار العدد وأفرد الأرض بإعتبار الجنس ، السموات سبع بنص القرآن ﴿**قل من ربالسموات السبع ورب العرش العظيم**﴾ الأرض ليس فى القرآن تصريح بأنها سبع لكن فيه ما يدل على ذلك مثل قوله تعالى ﴿**الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن**﴾ والمماثلة هنا لا يمكن أن تتأتى إلا بالعدد إذ أن الكيفية والحجم والعظمة لا تماثل بين السماء والأرض فتعين أن يكون المراد مثلهن أى في العدد والسنة صريحة في ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم **"من إقتطع من الأرض شبراً طوقه الله يوم القيامة من سبع أراضين"** **"لك الحمد أنت قيم السموات والأرض"** أى بك تقوم السماء والأرض وأنت القيوم عليهن فبه سبحانه وتعالى تقوم السماء والأرض ولا غنى للسموات والأرض ولا من فيهما عن الله طرفة عين ، وهو القيم عيهما أيضا فالقيومية هنا إذا تتضمن الإيجاد والإعداد والقيامة على الشيئ كقوله تعالى ﴿**الرجال قوامون على النساء**﴾ أى يقومون عالى النساء ويتولون أمورهن ، فالله قيوم السموات أى به قامت السموات والأرض وهو الذي يقوم على السموات والأرض ، ويتولى أمر السموات والأرض ، قال الله تعالى: ﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**﴾ هذا أحد المعنيين.

المعنى الثاني:-أنه يقوم عليهما ويتولهما **"قيوم السموات الأرض ومن فيهن لك الحمد أنت نور السموات والأرض"** أى بك استنارت السموات والأرض ، فلولا أن الله سبحانه وتعالى جعل في السموات والأرض نورا ، لم يكن فيهما نورا ، أو أنه هو نفسه النور وقال إنه نور السموات والأرض وإن لم يكن في جوف السماء أو في جوف الأرض كقوله تعالى ﴿**وجعل القمر فيهن نوراً**﴾ ومن المعلوم أن القمر ليس ينير السموات وإنما ينير الأرض قال **"وقولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق"** يمكن أن يقول الإنسان هذه الأشياء الستة ويخبر عنها بكلمة واحدة **"حق"** ولكن مقام الثناء مقام بسط ولكل مقام مقال **"قولك الحق"** الحق من أى وجه؟

من وجهين لأن قول الله عز وجل إما أمر وإما خبر فإن كان أمراً ، وإن شئت فقل إما طلب وإما خبر فإن كان طلباً فهو عدل مشتمل على مصالح وإن كان خبراً فهو صدق وعليه قوله تعالى ﴿**وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً**﴾ **"وعدك الحق"** ولحد سواء كان وعد بمثوبة أو عقوبة فإنه حق ليس فيه كذب ولابد أن يقع لأن الله لا يخلف الميعاد إلا أن الوعد بالعقوبة إذا لم يكن الإثم شركاً تحت المشيئة لقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ **"ولقاؤك حق"** لقاء الله عز وجل حق قال الله تعالى ﴿**ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾ لابد أن يخلو ربك بك ليس بينك وبينه ترجمان لابد

أن يسألك ويقررك بذنوبك ويقول فعلت كذا في يوم كذا لكن بينك وبينه ثم إذا أقررت وإعترفت قال الله تعالى "**إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**" هكذا يحاسب الله العبد المؤمن يوم القيامة أما الكافر فإنهم لا يقررون هذا التقرير ولكن يخزون يوم القيامة وينادى عليهم على رؤوس الأشهاد ﴿**هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين**﴾ "**والجنة حق**" الجنة حق أى صدق وثابت وكذلك النار كلاهما حق وهما الأن موجودتان وهما مخلوقتان للأبد مؤبدتان بإجماع أهل السنة إلا أن هناك خلافاً يسيراً في أبدية النار ولكن القول بعدم أبديتها ضعيف للغاية لأن الله ذكر أبديتها في ثلاث آيات من القرآن قال الله تعالى ﴿**إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً**﴾ وقال الله تعالى ﴿**إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً**﴾ وقال تعالى ﴿**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً**﴾ وهذا خبر من الله عز وجل خير صدق وإذا كانوا خالدين فيها أبدا لزم أن يأبد المكان الذي خلدوا فيه ، يقول "**والساعة حق**" والساعة يعني ساعة القيامة حق لابد أن تقع لأن الله أخبر بها وما أخبر الله به فهو حق "**اللهم لك أسلمت**" الجر والمجرور في قوله لك أسلمت معمول مقدم لإفادة الحصر لك أسلمت أى إنقدت إنقياد تام لشرعك "**وبك آمنت**" والإيمان محله القلب فذكر النبي عليه الصلاة والسلام الدين الظاهر بالإسلام ، والدين الباطن بالإيمان "**وبك آمنت**" معنى الإيمان بالله الإقرار به المتضمن للقبول والإذعان هذا هو الإيمان بالله فأما الإقرار الذى لا يتضمن ذلك فليس بإيمان بل لابد من قبول للخبر وإذعان للطلب ولهذا قال أهل السنة إن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وإعتقاد بالجنان "**وعليك توكلت**" أى إعتمدت إعتماداً تاماً معترفاً بتقصيري وأفوض أمري إليك وهذا الفرق هو بين التوكل على الإنسان والتوكل على الله توكلي على الإنسان ليس توكل إفتقار وتفويض وتوكلي على الله توكل إفتقار وتفويض لو وكلت شخصاً يشتري لك حاجة فقد توكلت عليه إعتمدت عليه في شراء الحاجة لكن هل هذا إعتماد إفتقار وتفويض مطلق الجواب لا لو شئت لعزلته زخالف ما وكلته فيه لضمنته كلن توكلك على الله توكل إفتقار وتفويض تفوض الأمر إليه تسند الأمر إليه وهذا هو الفرق بين التوكل الذي لا يصح إلا لله والتوكل الذي يصح للمخلوق "**وإليك أنبت**" الإنابة بمعنى الرجوع أى إليك رجعت في أموري كلها رجعت من المعصية إلى الطاعة رجعت إليك في تسهيل أموري في رزقي في كل شيئ أنبت إليك في كل شيئ "**وبك خاصمت**" خاصمت من؟ كل من يخاصمني فيك فإنني أخاصم بك والباء هنا ليست للظرفية ولكنها للإستعانة أى إنك تعينني على خصومتي مع من أخاصم ويمكن أن تكون الباء للظرفية ويكون المعنى فيك خاصمت لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يخاصم في الله ويجادل فيه كما خوصم إبراهيم عليه السلام ﴿**ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه**﴾ فعلى هذا نقول أن الباء يحتمل أن تكون للظرفية بمعنى في ويحتمل أن تكون للإستعانة والفرق بين المعنيين واضح إذا كانت الباء للظرفية صار المعنى أنني أخاصم فيك إذا خاصمني مخاصم وجادلني مجادل في ذاتك أو في أسمائك وصفاتك جادلته وإذا كان للإستعانة فالمعنى أنني أستعين بك في خصومتي لغيري وكلا المعنيين صحيح فإذا قال قائل هل تأتي الباء للظرفية؟ قانا نعم ففي القرآن الكريم ﴿**وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون**﴾ أى وفي الليل "**وإليك حاكمت**" يعني حكومتي

تنتهي إليك لا أحاكم إلى غيرك فشرعك هو الحكم فأنا أحاكم إليكَ ولا أتعدى حكمك وهذا تفويض كامل لله كوناً وقدراً وكل هذه الكلمات والجمل التي تتضمن هذا الثناء العظيم على الله كلها وسيلة لما سيأتي قال "فاغفر لى"فالفاء هنا تسمى فاء الفصيحة ويجوز أن تكون للسببية أى فبسبب ذلك فاغفر لى والمغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه وليست الستر فقط ودليل ذلك أنها مشتقة من المغفر وهو ما يلبس على الرأس في أثناء القتال لحماية الرأس من السهام والمغفر يحصل به ستر ووقاية فإذا سالت ربك مغفرة الذنوب فأنت تسأله لأمرين الستر والتجاوز عن عقوبة هذا الذنب **"فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت"** ما في قوله ما قدمت موصولة وكذلك في قوله ما أخرت ، وأسررت وأعلنت معطوفة على الصلة والمعطوف على الصلة يقتضي أن يكون معطوفاً على الموصول أيضاً والمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يغفر له ما قدم وأخر وأسر وأعلن وفي هذه الجمل بسط ظاهر لأنه يغني عنها أن يقول إغفر لى ذنبي لأن ذنب مفرد مضاف فيشمل كل الذنوب ما أسر وأعلن وقدم وأخر لكن مقام الدعاء يقتضي البسط لماذا؟ لأمور:

الأمر لأول:- وهو أهمها لمن فتح الله على قلبه التلذذ بمناجاة الله عز وجل لأن كل واحد منا لو كان له صديق محبوب إليه أفلا يحب أن يبسط معه القول ويكثر معه القول بلى لا شك تجده إذا جلس إلى صديقه الذي يحبه وقاما يتحدثان تمضي الساعات الطوبلة وكأنها دقائق حتى أن بعض الأصدقاء يشيعوا صديقه إلى بيته يعنى يمشي معه إلى البيت يتحدثان ويمشيان رويداً رويداً فإذا وصل إلى بيته إنقلب فشيعه الأخر وهكذا دواليك ربما يطلع الفجر إن كان في الليل وهما على هذا الحال وهذا أمر مشاهد معروف أن الإنسان يحب أن يبسط القول مع من يحب هذه واحدة.

الشيئ الثاني أن الدعاء عبادة وكلما كررت إذدت لله تعبداً فيزداد أجرك بإزدياد جمل الدعاء.

الشيئ الثالث:- أن البسط والتفصيل يوجب تذكر الإنسان كل هذه الأنواع التي بسطها وفصلها وبينها واستحضار الإنسان لذنوبه تفصيلا أكمل في التوبة لأن التوبة المجملة ما تستوعب جميع الذنوب استحضاراً وإن كانت تستوعب جميع الذنوب لفظاً ومدلولا لكن استحضاراً لا أرأيت لوأنك قلت اللهم اغفر لى ذنبي كله وأنت فعلت ذنوباً قد تكون أكبر مما تتذكره الأن لكن غابت عن بالك فإذا ذكرت وفصلت كان هذا أبلغ في التوبة لأن الدلالة على تعين الأفراد أقوى من الدلالة على العموم هذه ثلاث فوائد في البسط.

يستفاد من هذا الحديث:-علو مرتبة النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة حيث أثنى على ربه هذا الثناء العظيم بهذا التفصيل العظيم مع أنه صلى الله عليه وسلم مع أنه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

يستفاد منه أن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ذنوباً لقوله **"إغفر لى ما قدمت وما أخرت"** وأصرح من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزا**﴾ وأصرح من ذلك ﴿**فاعلم أنه لا إله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**﴾ وبهذا يبطل قول من يقول إن استغفار النبى صلى الله عليه وسلم لذنبه إستغفار لذنوب أمته وليس استغفار لذنبه نقول سبحان الله هل أنت أعلم برسول الله من رسول الله؟ لا ليس أعلم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بنفسه وهو يقول اغفر لى ذنبي كله دقه وجله علانيته

وسره وأوله وأخره ثم نقول كيف يستقيم هذا الأمر وا لله تعالى يقول ﴿ **ليغفر لك ا لله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً**﴾ الأوصاف هذه لموصوف واحد فهل هذه الأوصاف للأمة ثم كيف يستقيم ذلك وا لله يقول ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا ا لله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**﴾ كيف يستقيم هذا؟ ولكن الفرق بين الرسول والأمه من حيث الذنب أن النبي صلى ا لله عليه وسلم لا يقر على الذنب والأنة تقر عليه ومعنى تقر يعني قدراً لا شرعاً أما شرعاً فلا أحد يقر على الذنب لكن قدراً الأمة تقر على الذنب لكن الرسول لايقر كيف لا يقر؟ لأنه عليه الصلاة والسلام لابد أن ينتبه أو يُنبه فيستغفر ، والإنسان إذا استغفر من الذنب فقد تكون حاله بعد ذلك أكمل من حاله قبل فعل الذنب ، وانظر إلى قوله تعالى ﴿**عفا ا لله عنك لما أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**﴾ فبدأ بالعفو قبل ذكر المخالفة ﴿**عفا ا لله عنك**﴾ ولا عفو إلا عن خطيئة ﴿**لما أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**﴾ سبحان ا لله هذا تعليم من ا لله عز وجل يعلم نبيه وهو لنا ألا نتعجل في الحكم على الشيئ حتى نتبين ﴿ **حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**﴾ وهذا ينطبق تماماً على ضد الحالة التي عليها نحن اليوم نحن الأن نسمع الكلمة ثم نطير بها الآفاق دون أن نتبين وا لله عز وجل يقول لرسوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿ **عفا ا لله عنك لما أذنت لهم**﴾ ويقول ﴿**واتق ا لله وتخفي في نفسك ما ا لله مبديه وتخشى الناس وا لله أحق أن تخشاه**﴾ كلمات عظيمة جداً ويقول ا لله عز وجل ﴿**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل ا لله لك تبتغي مرضاة أزواجك وا لله غفور رحيم**﴾ وكما قلت قد يكون الإنسان بعد الذنب والتوبة خير منه قبل ذلك متى حصل الإجتباء لآدم بعد أن أذنب وتاب ثم إجتباه ربه وتاب عليه وهداه وانظر ذلك في نفسك إذا أذنبت ذنبا حصل في قلبك من الإنكسار والخجل من ا لله عز وجل والخوف ما لم يحصل لو استمررت عليه فيما أنت عليه من الطاعة بل إن الإنسان ربما إذا كان على طاعة ربما ينشأ في قلبه مرض السرطان السرطان الحسي أو المعنوي الجواب المعنوي وهو مرض عجيب بالنفس لكن إذا الخطيئة إنكسر وخجل أمام ا لله عز وجل وإستحى من ا لله ورجع ثم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجوز في حقهم شيئ واحد وهو ما يخل بالرسالة منعهم ا لله منه فالخيانة والكذب ممنوع حتى أن الرسول صلى ا لله عليه وسلم ممنوع من الإشارة بالعين لأنه لابد أن يكون قوله صريحاً واضحاً بدون أى خداع أو أى خيانة .

هذا الذي يمنع منه الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ما يخل بالرسالة من الكذب والخيانة وما أشبهها وكذلك ما يخل بالشرف والمرؤة فإنهم ممنوعون منه مثل سفاسف الأخلاق فهم ممنوعون منه لأن هذا تنفر منه النفوس والطباع لكن المعاصي الأخرى قد يفعلونها ، موسى عليه السلام قتل نفسا بغير حق وإن كان هذا قبل أن ينبأ ولكنه عليه السلام جعل ذلك مانعاً له من الشفاعة للخلق حيث أنه إذا أُتى له ليشفع إعتذر بذلك ، لأن قتل النفس لا يحمل عليه سوء الخلق أو سوء الأخلاق أو ما يخل بالصدق والأمانة لكن تحمل عليه لغيره ولا سيما أن فرعون قد سام بني اسرائيل سوء العذاب حتى أنه كان يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم .

قال "أنت إلهي لا إله لى غيرك" ضمنها بالألوهية لأنها هى التي أُرسلت من أجلها الرسل وأُنزل الكتب "أنت إلهي لا إله لى غيرك" أى لا معبود لى غيرك يا الله.

باب قول الله تعالى ﴿وكان الله سميعاًبصيراً﴾

قوله ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ هذا اسمان من أسماء الله تعالى السميع والبصير ويقرن الله بهما كثيراً لأن بالسمع إدراك الأصوات وبالبصر إدراك الأفعال فألأقوال يتعلق بها السمع والأفعال البصر ولهذا يقرن الله بهما كثيراً، والسميع من أسماء الله تعالى وله معنيان:- إدراك المسموع، استجابة المسموع.

فمن الأول ما ذكره المألف رحمه الله ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ ومن الثاني قوله تعالى ﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾ أى لمجيبه وليس المراد ﴿لسميع الدعاء﴾ لمدركه وسامعه لأن مجرد السمع لا يتناسب مع قول الداع ﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾ وإنما الذي يتناسب مع دعائه هو استجابة الدعاء.

ثم اعلم بأن السمع بالمعنى الأول أى بمعنى إدراك المسموع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

سمع عام سمع للتأييد سمع للتهديد.

فالعام مثل هذه الآية ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ هذا عام يشمل كل ما يسمع، كل ما يسمع فسمع الله متعلق به فيسمع أصرات بني آدم وما يقولونه من خير وشر وأصوات البهائم وأصوات الحشرات حتى دبيب النمل على الصخرة الصماء فيسمعها الله لا يخفى عليه شيئ، وهذا هو السمع بالمعنى العام.

وتارة يراد به التهديد مثل قوله تعالى ﴿فقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ وقوله تعالى ﴿أم يحسبون أنّ لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾ هذا المراد به التهديد.

الثالث الذي يراد به التأييد مثل قوله تعالى لموسى وهارون لما قالا ﴿ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ فالمراد السمع هنا التأييد والنصر والمدافعة.

فهذه أقسام السمع الذي بمعنى إدراك المسموع، أى السمع الذي بمعنى إجابة الداع فمثله قوله تعالى ﴿إن ربى لسميع الدعاء﴾ وقول المصلي سمع الله لمن حمده، سمع بمعنى استجاب لمن حمده وليس المراد بذلك مجرد سماع صرت الحامد بل المراد بذلك استجابته فإذا قال قائل هل السمع يأتي بمعنى الإستجابة؟ قلنا نعم، السمع يأتي بمعنى الإستجابة، قال تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ معنى لا يسمعون لا يستجيبون، وإلا فهم يسمعون الذكر يتلى عليهم، يسمعونه من الناس لكنهم لا يستجيبون.

ثم اعلم أن سمع الله وبصره حقيقة وليست راجعة إلى العلم، خلافاً للمعتزلة الذين يقولمن لإن الله لا يسمع ولا يبصر والعياذ بالله، وأن معنى السمع والبصر هو العلم بدون رؤية مفعول أو سماع مقول، ولكن نقول أخطأتم خطأ كبيراً بل السمع غير العلم لأن علم الله تعالى متعلق بالشيئ قبل أن يكون مسموعاً وقبل أن يكون مبصرا فهو يعلم ما كان وما سيكون.

وقوله:-قال الأعمش عن تميم عن عروة "عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصرات فأنزل الله تعالى على النبى صلى الله عليه وسلم ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾.

هذه إمرأة تشتكي إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكان زوجها قد ظاهر منها أى قال لها: أنت علي كظهر أمي وكانوا يعدون الظهار فى الجاهلية طلاقا بائنا وجاءت تشتكي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها كبرت وأن لها أولادا من زوجها وأن زوجها ظاهر منها ، تشتكي إلى الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم يحاورها وييسر عليها الأمر ولكنها أبت وأصرت فأنزل الله هذه الأيات **﴿قد سمع الله التي تجادلك في زوجها﴾** أى في شأنه **﴿وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾** قالت عائشة **"الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات"** إني لفي الحجرة وإنه ليخفى على بعض حديثها ، سبحان الله والله عز وجل فوق عرشه يسمع كلامُها ويسمع محاورتها للنبى صلى الله عليه وسلم ومحاورته لها وتأمل كيف جاءت الآية بلفظ الماضي ولفظ المضارع قد سمع والله يسمع كما جاءت هذه المادة سمع بمعنى التعجب مثل قوله تعالى **﴿أسمع به وأبصر﴾** أسمع به يعني ما أسمعه وما أبصره فهنا أن الله سبحانه وتعالى يسمع سماعا حقيقيا لأنه قال **﴿قد سمع﴾** والله يسمع ولو كان المراد بذلك العلم ما صح لأن علم الله تعالى كان سابقاً وهذا يدل على أن سمعه متعلق بقول هذه المرأة حالا حيث قال **﴿والله يسمع﴾** ويسمع هذه فعل مضارع تدل على الحال ، قال تعالى **﴿إن الله سميع بصير﴾** الجملة هذه كالتعليل لما قبلها ومن هنا أخذ أهل السنة أن الإسم إذا كان متعدياً فإنه لا يتم الإيمان به إلا باثباته وإثبات ما دل عليه من صفة وإثبات الحكم ، فهنا الإسم إن الله سميع بصير والصفة السمع والبصر والحكم سمع ويسمع ثم إننا إذا آمنا بذلك ونحن مؤمنون إن شاء الله فإن ذلك يوجب لنا ألا نسمع ربنا ما يغضبه علينا إذا كنت تؤمن أن الله يسمع كل قول تقوله فإن هذا يوجب ألا تقول قولا لا يرضي الله عز وجل لأنه إذا كان ولله المثل الأعلى إذا كان أبوك لا يرضى أن يسمع منك مالا يرضاه فتحاول ألا يسمع منك مالا يرضاه فربك أولى وأعظم أن تسمعه مالا يرضاه منك.

الدرس التاسع:-

قال فضيلة الشيخ العثيمين حفظه الله:-وقوله **"أنت الحق"**كقوله تعالى: **﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾** لكن ينبه على أن كثيرا من الناس المحدِّثين صاروا بدل أن يقولوا: قال الله تعالى قالوا: قال الحق كذا وكذا ، والحقيقة أن هذا عدول عن مذهب السلف ، الذي نعرف أن مذهب السلف يقولون: قال الله تعالى ، وأشرف أسماء الله لفظ الجلالة الله ، هو أشرف الأسماء على الإطلاق ، ولهذا تجدون الأسماء كلها تأتي تبعا له إلا في آية واحدة.

فهذه مشكلة لبعض الناس ، كما أن كثيرا من الناس يقولون : قال المصطفى يريدون الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووصفه بالرسالة أفضل من وصفه بالمصطفى ، لأن المصطفى هنا كثيرون حتى من الأنبياء ، ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل منهم ، لكن إذا قلنا رسول الله هذا أفضل وأحسن من قال المصطفى ، ولهذا تتبعوا الأحاديث عن الصحابة تجدون ما يقول أحد منهم قال المصطفى ولا قال محمد ، يقول بن عبد الله ، فقول أيضا محمد بن عبد الله لو يأتي إنسان ما يدري عن محمد بن عبد الله من هو يظنه شخصا يسمى محمد بن عبد الله ، نعم لو قال محمد بن عبد الله رسول الله لا بأس ، لكن الأفضل من هذا أن نتبع السلف

فيما سلف ، يعني في طريقتهم السالفة ، قال النبي صلى الله وسلم قال الله تعالى وما أشبه ذلك ، ولهذا لا تكاد تجد إنسان يتنطع إلا وجدت في تنطعه خللا.

تحدثنا أمس عن سمع الله عز وجل ، وبينا أنه ينقسم إلى قسمين:-إدراك المسموع ، إستجابة الداعي.

وبينا الشاهد لكون السمع يأتي بمعنى الإستجابة ، ونينا أن السمع الذي يكون بمعنى إدراك المسموع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:- الأول: للتهديد ، والثاني: للتأييد ، الثالث: للعموم. وبينا أيضا أدله ذلك وأمثله ، وبينا أيضا نزول الآية ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك**﴾ ، حيث جاء السمع بالماضي والمضارع.

الماضي ما دل على المضي ، والمضارع ما يدل على الحال.

وهنا أسأل هل سمع الله من صفاته الذاتية؟ أو من صفاته الفعلية؟ الجواب من صفاته الذاتية الذي يحدث إنما هو المسموع أما السمع فلم يزل ولا يزال متصفاً به لكن المسموع هو الذي يحدث مثله العلم.

علم الله سبحانه وتعالى صفة أزلية أبدية من صفاته الذاتية لكن الذي يحدث هو المعلوم ومنه قوله تعالى ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين**﴾ فهذا علم متعلق بالمعلوم والمعلوم محدث أما العلم الأزلي الذي هو وصف الله فهو سابق فالله عام من يجاهد ومن لايجاهد ومن يصبر ومن لا يصبر عالم من قبل لكن هذا علم للشيئ بعد وجوده فهو متعلق بالمعلوم حين حدوثه.

قال البخاري رحمه الله حدثنا سليمان ابن حرب حدثنا حما ابن زيد عن أيوب عن أبي عثمان "عن أبي موسى قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفو ، **فكنا إذا علونا كبرنا ، فقال إربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، تدعون سميعاً بصيراً قريباً. ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال لي ياعبد الله ابن قيس قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة ، أو قال: ألا أدلك به"**

هذا الحديث يقول " **كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر**" أبو موسى عبد الله بن قيس فكنا إذا علونا كبرنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد علمهم إذا علو كبروا وإذا هبطوا وادياً سبحوا والمناسبة في هذا ظاهرة لأن العلو إرتفاع فإذا إرتفع الإنسا فقد يرى في نفسه الكبرياء فيقول الله أكبر إذا نزل فالنزول سفل والسفل نقص فكان من المناسب أن يسبح الله عز وجل فإذا نزلت وادياً فقل سبحان الله وإذا علوت فقل الله أكبر ومثل ذلك فيما يظهر الطائرة عند صعردها فقل الله أكبر وعند نزولها تقول سبحان الله لأن هذا النزول إلى أسفل كانوا يكبرون ولكنهم يرفعون أصواتهم ويشقون على أنفسهم بالتكبير فقال"**أربععوا على أنفسكم**" يعني هونوا عليها فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً وهنا قال تدعون و لم يقل لاتكبرون لأصم وذلك لأن الذكر يتضمن الدعاء فإن الذكر إنما يذكر الله لماذا؟ ليثيبه على ذلك فهو دعاء بلسان الحال لو سألت الذاكر لما تذكر الله؟ لقال ليثيبني فلهذا قال لا تدعون ويحتمل أنهم يكبرون ويدعون فحذف الدعاء من التكبير وذكر التكبير ولكن الأول أقرب إن الذكر دعاء لأن الذاكر يدعوا الله تعالى بلسان حاله "**لا تدعون أصم** " يعني لايسمع حتى ترفعوا أصواتكم له "**ولا غائباً**" يخفى عليه حالكم إنما تدعون **سميعا بصيراً** سميعاً ضد أصم بصيراً ضد أعمى وهنا لم يتعارض في الأول للعمى لكن ذكره في الثاني لأن الله **تعالى دائما**

يقرن بين قوله سميع بصير لأن في السمع إدراك المسموعات وفي البصر إدراك المرئيات "قريباً" هذا ضد قوله غائباً تدعون سميعاً بصيراً قريباً" وفي لفظ آخر إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته" وهم على رواحل فهو أقرب من عنق الراحلة عز وجل ففي هذا الحديث ما في الترجمة وهى قوله **"سميعاً بصيراً"**.

باب قوله تعالى: ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾.

وقوله بصيراً البصر يدرك المبصرات فهو جل وعلى لا يخفى عليه شيئ وقوله قريباً هل المراد القرب بالذات أم المراد القرب بالعلم إذا أجرينا اللفظ على ظاهره قلنا إنه قريب بذاته وقد نص بن القيم رحمه الله على ذلك في كتابه الصواعق المرسلة على أنه قرب ذاتي لإنه قريب بذاته ولكن يشكل علينا إذا كان قريباً بذاته أليس هو فوق عرشه؟ إذا كيف يمكن الجمع نقول إن صفات الله عز وجل لا تشبه صفات المخلوقين ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية إن الله قريباً في علوه علي في دنوه فهو عز وجل جامع بين العلو وبين والقرب وهو قرب حقيقي والأصل أن كل شيئ يضاف إلى الله فهو يضاف إليه ذاته هذا هو الأصل لكن يكون من لوازمه أشياء مثلا قربه يلزم منه علمه وسمعه وبصره وتدبيره وغير ذلك من لوازم الربوبية " **ثم أتى عليَّ وأنا أقول في نفسي لا حول ولا قوة إلا بالله**" في نفسي يعنى لا أنطق به بلساني **"لا حول ولا قوة إلا بالله"** لا حول جملة مركبة لا نافية للجنس واسمها ، فأين خبرها؟ خبرها محذوف أى لا حول كائن ولا قوة كائنة إلا بالله ، فما معنى الحول وما معنى القوة؟

معنى الحول التحول ، التحول من حال إلى حال ، فلا تحول لنا من حال إلى حال إلا بالله.

القوة معروفة ضد الضعف ولا قوة لنا أيضاً إلا بالله والباء هنا للسببية أو للإعانة ، والمعنى لا تستطيع أن تتحول ولا تقوى على ذلك إلا بالله عز وجل وهذه الكلمة كلمة استعانة وليست كلمة إسترجاع خلاف الاستعمال العام مثلها فإن العامة يستعملونها للإسترجاع فإذا أصيب بمصيبة قال لا حول ولا قوة إلا بالله والصواب أنك إذا أصبت بمصيبة تقول إنا لله وإنا إليه راجعون وإستعمالهم إياها له وجهه بأنهم يستعينون بها على تحمل الصبر وتلقي المصيبة لكن ما ورد وهو الإسترجاع أفضل وأحسن **"فقال لى يا عبد الله بن قيس وهو أبو موسى قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة أو قال ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة"** فينبغي للإنسان كلما أصابه أمر هام أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله لأنها كلمة إستعانة ولهذا نقول في إجابة المأذن إذا قال حى على الصلاة حى على الفلاح نقول لا حول ولا قوة إلا بالله.

سائل يسأل سؤال عن القرب؟ الجواب:قرب الله عز وجل قسمه العلماء إلى قسمين:

قرب عام وقرب خاص فالقرب العام هو قرب الإحاطة وهو شامل لكل أحد واستدل هؤلاء بقوله تعالى **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾** قالوا إن هذا عام يعني يقول **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾** والقرب الخاص مثل قوله تعالى **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾** يعني إذا سألك عبادي عني ، إذا دعوني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فيكون هذا قرب خاص فيمن يدعون وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم **"أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"** وهذا أقرب

للعابد فالقرب الخاص قرب الداعي وقرب العابد والعام الشامل لكل أحد لكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أبي ذلك وقال إن القرب لا ينقسم القرب لا يكون إلا ممن يستحق القرب وهو الداع والعابد قال الداعي مع الله يناجي ربه والعابد كذلك يناجي ربه فهذا هو الذي يستحق أن يكون الله قريباً منه أما غير ذلك فلا وأجاب عن قوله تعالى ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد**﴾ قال إن هذا قرب الكتبة بدليل قوله ﴿**إذ يتلقى المتلقيان**﴾ فإن إذ ظرف لابد له من متعلق ولا متعلق له فيما نعلم إلا كلمة أقرب التي سبقته يعني ونحن أقرب إليه حين يتلقى المتلقيان فيكون المراد هنا بالقرب قرب الملائكة قال ومثله قوله تعالى في المحتضر ﴿**فلولا إذا بلغت الحلقرو وأنتم حين إذٍ تنظرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين**﴾ ولم يرد في الكتاب والسنة القرب العام لكل أحد بخلاف المصيبة المصيبة وردت عامة وخاصة كما قال تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم إينما كانوا**﴾ ووردت خاصة مثل قوله تعالى ﴿**إن الله مع الذين إتقو والذين هم محسنون**﴾ لأن المصيبة أوسع من القرب القرب واضح بأنه دنو لكن يليق بجلاله وعظمته لا يلزمه منه إنتفاء العلو وإن كان قريباً لأن الإنسان ما يتصور كيف تكون هذه صفات الله عز وجل هى أعظم من أن يدركه العقل إذا كان الله سبحانه وتعالى وسع كرسيه السموات والأرض والكرسي موضع القدمين فكيف بعرش الرب عز وجل لا يمكن تصوره يعني لا يمكن الإحاطة به. فإذاً القرب ينقسم عند بعض العلماء إلى قسمين والراجح أنه لا ينقسم وأنه خاص بالعابد والداع فقط.

قال البخاري رحمه الله:- حدثنا يحي ابن سليمان حدثني بن وهب أخبرني عمرو عن يزيد عن أبي الخير " سمع عبد الله ابن عمرو أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله علمني دعاء أدعوا به في صلاتي قال هل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى من عندك مغفرة إنك أنت الغفور الرحيم".

هذا أبو بكر رضي الله عنه أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه قال لو كنت متخذاً من أمتي خليلا لإتخذت أبا بكر سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو أنصح الخلق للخلق ولا سيما لأبي بكر الذي هو أحب الناس إليه في أشرف عبادة يتعبد بها الإنسان لربه وهى الصلاة فهل الدعاء الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر يتبين لك عظمه أنه من أبي بكر وبتوجيه الرسول وفي أشرف الأعمال وهى الصلاة.

إذاً فهو دعاء عظيم وقوله في صلاتي لم يتبين موضعه من الصلاة ويحتملأن يكون في السجود لقول النبى صلى الله عليه وسلم وأما السجود فإجتهدوا فيه في الدعاء ويحتمل أن يكون بعد التشهد الأخير لقول النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر التشهد ثم مع الدعاء أعجبه ولعل هذا أولى أن يكون بعد التشهد الأخير يعني عند السلام لأن التشهد الأخير فيه ثناء على الله عز وجل وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم على وجهه المشروع بالتعيين فإننا مأمورون في التشهد الأخير بالتحيات لله والشهادة له بالوحدانية والصلاة

على رسوله والتبريك على رسوله وحينئذ يكون مقدمة الدعاء مأموراً بها فيكون أول مـا يذكـر هـذا الدعـاء عند السلام بعد التشهد الأخير وفي هذا الدعاء جمع لجميع أنـواع الدعـاء لأن الدعـاء يشـمل إمـا الثنـاء علـى المدعوا أو الإعتراف بالذني وذكر الحال أو الجمع بينهما.

وهنا الحديث جمع بين هذا كله "**اللهم إني ظلمت نفسى ظلماً كثيراً**" هذا حال الداع وذكـر حـال الداع وسيلة من وسائل إجابة الدعاء كما قال موسى عليه السلام﴿**ربى إنى لما أنزلت إلى من خير فقير**﴾ هنا حاط الإحالة فقط أنه فقير لما أنزل الله إليه من خير قوله ﴿ **اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً**﴾ هـذا ذكـر الحال حال الداعي وإعترافه بالحالة التي هو عليها وبماذا يكون ظلم الإنسان نفسه؟ يكـون إمـا بـترك الواجـب وإما بفعل المحرم وقوله ظلماً كثيراً وردت في بعض الآيات كبيراً قال بعض العلمـاء والأفضـل أن يجمـع بينهـم فيقول ظلماً كبيراً ولكن هذا ضعيف أن يجمع بينهما والصواب أن يقول بأرجحهما وأرجحهما كثيراً فيقتصر عليها وقوله "**إلا أنت**" هذا ثناء على الله فذكر حال نفسه وذكر الثناء على ربه "**ولا يغفر الذنوب إلا أنـت**" والمراد بالذنوب هنا الذنوب الذنوب التي بين العبد وبين ربه فإنه لايغفرها إلا الله أما الذنوب الـتي بينـه وبـين غيره من الخلق فإن الإنسان يغفرها لغيره ﴿**قل للذين أمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله**﴾ ﴿**ياأيها الذين** أمنوا إن من أزواجكم وأولاكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾

إذاً فالذنوب التي بين الإنسان وبين الناس لا يغفرها إلا الله ، لا يغفرها الناس ﴿**ولا يغفر الذنوب إلا أنت**﴾ والذنوب هى المعاصى والآثام التي تكون على الإنسان "**فاغفر لى**" هذا الدعاء سبقه ثناء وإعتراف "**من عندك مغفرة**" أضاف الله من عنده لأن العطاء يكون على حسب المعطي فـإذا كـانت مـن عنـد الله لابـد أن تكون مغفرة عظيمة لا تغادر ذنباً "**إنك أنت الغفور الرحيم**" هذا ثناء أيضاً على الله تعالى وتوسل إليـه باسمه الغفور الرحيم. هل في هذا الحديث ذكـر للسـمع والبصـر لأن البـاب بـاب قولـه تعـالى ﴿وكـان الله سميعـاً بصيراً﴾؟ البخاري رحمه الله جعل هذا الباب في هذه الترجمة ﴿**وكان الله سميعاً بصيراً**﴾ لأنـه تضمـن المغفـرة والرحمة ولكن حتى لو قلنا بهذا ما أستطيع أن أقول أن هناك مناسبة بينـة وأمـا كونـه لازم لإجابـة الدعـاء أن يقول قد سمع وأبصر هذا ما يكفي في المناسبة والله أعلم.

المهم أن نقول بالنسبة للدعاء تارة يقول بذكـر حـال الداعـي فقـط مثـل قـول موسـى عليـه السـلام ﴿**فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير**﴾ هذا ذكر حاله.

وتارة يكون بالدعء المباشر بأن يقول رب إغفر لى وإرحمني كما في الجلسة السجدتين.

وتارة يكون بالثناء على الله المجرد كقول النبى صلى الله عليه وسلم "**خير الدعاء دعاء يـوم عرفـة وخـير مـا قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله** . . . ." إلى أخر الحديث.

وتارة يكون بالجمع بينهما بين إثنين أو بين ثلاثة وهذا الحديث تضمن الجمع بين الثلاثة.

باب قول الله تعالى ﴿قل هو القادر﴾.

ومن أسماء الله عز وجل القادر والقدير والمقتدر لكن القادر مقيدة مثل قوله تعالى ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ ، أما القدير والمقتدر فجاءت مطلقة مثل ﴿وهو العليم القدير﴾ جاءت مقيدة ولكنها بالعموم على كل شيئ قدير.

والمقتدر جاءت مطلقة مثل قوله ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ وهذه كلها تعود إلى معنى واحد وهو القدرة والقدرة هي فعل الفاعل بدون عجز فالذي يقابل القدرة هو العجز والدليل على هذا قوله تعالى ﴿وما كان الله ليعجزه من شيئ في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾ قال ﴿ ما كان الله ليعجزه﴾ وعلل ذلك بأنه كان عليم قدير والعليم ضده العاجز والجاهل معلوم أنه يعجزه الشيئ فإن الإنسان قد يكون قادرا غير عاجز لكن لجهله بالشيئ لا يستطيع أن يفعله وقد يكون الإنسان عالمًا لكنه عاجز فلا يستطيع أن يفعل فالله عز وجل لا يمنعه شيئ ولا يعجزه شيئ لأنه عليم قدير ثم القدرة متعلقة بكل شيئ لقوله تعالى ﴿ وكان الله على كل شيئ قديراً﴾ فلم يعلق القدرة بالمشيئة فهو قادر على ما يشاء وما لايشاء وأما قوله تعالى ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ فالتعليق بالمشيئة هنا لا يعود على القدرة بل هو يعود على الجمع يعني إذا شاء جمعهم فإنه ليس بعاجز عنه بل هو قدير عليه ومن هنا نعرف أن قول بعض الناس إنه على ما يشاء قدير خطأ لأنهم إذا قالوا إنه على ما يشاء قدير فخصصوا القدرة بما يشاء لزمه من ذلك أن يكون غير قادر على الذي لا يشاؤه ثم يأتينا المعتزلة من هذه الناحية حيث يقولون إن الله تعالى لا يشاء أفعال العبا وعلى هذا فيكون الله غير قادر على أفعال العباد لأنه لا يشاؤها فلذلك ينبغي أن ننبه القائلون على هذه المسألة.

وأما ما جاء في الحديث الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أن أخر الناس دخولا الجنة حيث قال الله تبارك وتعالى: "إني على ذلك قادر" فهذا متعلق بفعل خاص والمتعلق بفعل خاص يبين أن الله قادر عليه إذا سأله ولهذا قال على ما أشاء قادر ولم يقل قدير لأنه متعلق بفعل خاص فمثلا لو رأينا أمراً استغربناه إما لإستبعاده وإما لعظمته فإننا نقول إن الله على ما يشاء قادر يعني فلما شاء هذا الشيئ كان قادراً عليه أما إذا أردنا أن نأتي بالإسم والوصف على إطلاقه فإننا لا نقول على ما يشاء خوفاً من أن يتوهم من ذلك أن مالا يشاؤه لا يقدر عليه أن مالا يشاؤه لا يقدر عليه مع أنه تعالى قادر على كل شيء على ما شاء وما لم يشأ لكن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ويذكر أن جنود الشيطان قالوا له نراك تفرح إذا مات العالم أكثر مما تفرح إذا مات العبد لأن العالم أشد على الشيطان من العابد قال نعم أنا أفرح بموت عالم أكثر مما أفرح بموت ألف عابد ، وسأختبر العابد ، يقول أنه أرسل جنوده إلى العابد فقالوا له هل يقدر الله على أن يجعل السموات والأرض في جوف بيضة ، العابد على طبيعته قال لا يقدر ، فرجع الجنود إلى زعيمهم وقالوا له أنه قال لا يقدر ، قال إذاً نفى قدرة الله ، ثم أرسلهم إلى العالم فقالوا له مثل ما قالوا للعابد فقال لهم نعم ، قالوا كيف ذلك؟ قال ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ فإذا أمر السموات والأرض أن تكون في جوف بيضة صارت إما أن تصغر السموات والأرض وإما أن تكبر البيضة ، المهم إذا أراد الله ذلك قال له كن فيكون.

الحاصل أن القدرة تتعلق بكل شيء ﴿إن الله على كل شـيء قديـر﴾ لكـن ذكـر بعـض العلماء أن القدرة لا تتعلق بالمستحيل لأن المستحيل مستحيل وجوده ، فمثلا هل يمكن أن يكـون المتكـرك سـاكنا في آن واحد؟ لايمكن ، لماذا؟ لأنه إن تحرك لم يسكن ، وإن سكن لم يتحرك ، قالوا: فلو قيل هل يمكن أن يجعل الله المتحرك ساكنا في آن واحد؟ أما الله فهو قادر على أن يجعل المتحرك ساكنا يعني يـؤول إلى أن تكـون سـاكنا والساكن إلى أن يكون متحركا ، ولهذا قال السفاريني في عقيدته: واقتدر بقـدرة تعلقـت بممكـن ، لماذا؟ لأن المستحيل ليس بشيئ ، لكن مع ذلك بالنسبة لطالب العلم يجب أن يتحمل هذا التفصيل لأنه يعـرف المسـتحيل على إسمه ، لكن العامي لا ينبغي له أن يفصل له هذا التفصيل لأن عقلـه لا يـدرك هـذا الشـئ ، فقـل للعـامي ﴿إن الله على كل شئ قدير﴾ .

ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قدير﴾ قـال وخـص العقـل ذاتـه أى ذات الله فليـس عليها بقادر ما معنى ذلك؟ إن أردت فليس عليها بقادر ليس بقادر على أن يخلق مثلها ، نقـول هـذا لم تتعلـق به القدرة أصلا ، أو ليس بقادر على أن يهلك نفسه فهذا لم تتعلق به القدرة أصلا ، أم تريد أن تنفي الأفعـال الإختيارية كما هو مراده فلا يقدر على أن ينزل ولا على أن يستوى إلى السـماء ولا علـى أن يسـتوى علـى العرش ولا على أن يضحك ولا على أن يغضب فإننا لا نوافقك على هذا وأنتم تعلمون أن الأشـاعرة وكثـيرا ممن وافقهم على ذلك يرون أنه لا يمكن أن تقوم الأفعال في الله عز وجل يعني ما يمكن أن يفعـل فعلا يختاره أبداً من نزول أو استواء أو مجيئ أو ضحك أو غضب لا يمكن معرفة أصلا من أصولـه أن الأفعـال الإختيارية لا تكون بذات الله فلهذا قال بناءً على هذه العقيدة الفاسدة قـال خـص العقـل ذاتـه فليـس عليهـا بقادر وقد عرفتم التفصيل في هذا ، فقلنا إن أراد بذلك ما يستحيل في حق الله فهـذا حـق لكننـا لا نقـول إن الله غير قادر عليه ماذا نقول؟ نقول أن القدرة لا تتعلق به أصلا وإن أراد بذلـك أفعـال الله الإختياريـة أنـه لا يقدر على أن يأتى أو على أن يستوى على العرش أو أن يستوي إلى السماء أو ما أشبه ذلك فإننا لا نقره على هذا بل نقول إن الله قال ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ وقال ﴿فعال لما يريد﴾ وقال ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ .

لهذا ينبغي لطالب العلم إذا أتى بمثل هذه الكلمات الخطيرة أن يعلق على الكتاب إذا كان عنـده علـم يدفع به هذا الخطأ وأما إذا لم يكن له علم فلا يعلق لكن إذا كان عنده علم وكـانت المسـألة لابـد مـن التنبيـه عليها فيعلق وجزاه الله خيراً لأن الكتاب ربما يقرأ من بعده مثلا يقول هذه الكلمة على الإطلاق غير صحيحة ويفصل هذا التفصيل الذي ذكرنا .

وخلاصة الكلام الأن أن من أسمـاء الله تعـالى القديـر والمقتـدر والقـادر لكنهـا مقيـدة لا تكـون مـن أوصاف الفعل ، ثم إن القدرة نقول أنها لا تتعلق بالمشيئة فلا يقال إن الله على ما يشاء قدير بل يقـال إن الله على كل شيئ قدير كما قال تعالى عن نفسه والقدرة هى الفعل بلا عجز .

الدرس العاشـــــر

قال فضيلة الشيخ حفظه الله:-

سبق الكلام عن إسم الله عز وجل القدير وبيان ما يدل عليه من القدرة ، وسبق لنا أن القدير من الأسماء العامة وأن القدرة صفة ذاتية لم يزل ولا يزال متصفاً بها وأن حدوث المقدور عليه لا يقتضي حدوث القدرة وأن القدرة لم يزل الله متصفاً بها كما أن حدوث المعلوم لا يلزم منه حدوث العلم وحدوث المسموع لا يلزم منه حدوث السمع فالسمع لم يزل الله ولا يزال سميعا والعلم لم يزل الله ولا يزال عالما لكن الذي يحدث المسموع أو المعلوم أو المقدور عليه بخلاف الصفات الفعلية فإن الصفة نفسها تحدث النزول إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر هذا فعل متى حدث؟ لما يبقى ثلث الليل حدث النزول ثم بعد ذلك إذا طلع الفجر إنتهى النزول وخلق السموات والأرض في ستة أيام ثم إستوى على العرش متى حدث الإستواء؟ بعد خلق السموات والأرض ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه متى حدث الكلام؟ بعد مجيء موسى.

فالصفات الفعلية تتجدد أفرادها وآحادها عن أصلها فهو قديم لم يزل ولا يزال الله تعالى فعالا لكن آحاد هذه الأفعال هى التي تحدث ولو قلنا أنه لايمكن أن يحدث من الله فعل لزم أن يكون معطلا عن الأفعال وهذا نقص عظيم.

أما الصفات الذاتية فإنها لا تحدث لم يزل ولا يزال متصفاً بها مثل العلم والقدرة والسمع والبصر لكن الذي يحدث هو المخلوق المعلوم والمسموع والمبصر والمقدور عليه وما أشبه ذلك وهذا لا يعني أن القدرة تتجدد أو العلم أو السمع أو البصر فإن قال قائل ماذا نقول في قوله تعالى ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ حتى نعلم.

حدثني إبراهيم ابن المنذر حدثنا معن ابن عيسى حدثني عبد الرحمن ابن أبي الموالي قال سمعت محمد ابن المنكدر يحدث عبد الله ابن الحسن يقول "أخبرني جابر ابن عبد الله السلمي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول: إذا أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل. اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر – ثم يسميه بعينه – خيراً لى في عاجل أمري وآجله – قال: أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – فاقدره لى ويسرد لى ثم بارك لى فيه. اللهم إن كنت تعلم أنه شر لى في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال في عاجل أمري وآجله – فاصرفني عنه و اقدر لى الخير حيث كان ثم رضّني به".

الشاهد من هذا الحديث قوله **"أستقدرك بقدرتك"** والبخاري رحمه الله عنده فهم عميق أتى بحديث الإستخارة ليبين أن أسماء الله عز وجل متضمنة لما تدل عليه من المعاني والصفات لأن الباب باب قوله تعالى **﴿قل هو القادر﴾** القادر إسم فاعل وحديث الإستخارة فيه **"قدرتك"** ليبين أن أسماء الله متضمنة للصفات ليست أسماء جامدة لا تحمل معنى بل هى أسماء مشتقة تحمل المعنى الذى اشتقت منه وهى القدرة وقوله يعلم أصحابه الإستخارة" يعنى طلب خير الأمرين إستخرته يعني طلبت منه خير الأمرين وقوله **"في الأمور كلها"** هذا عام يراد به الخاص والمراد به الأمور التي يشكل على الإنسان وجهها أما مالا يشكل فلا حاجة

للإستخارة فيه لأن الإنسان عازم فلا يحتاج أن يستخير ولهذا لو أراد إنسان أن يسافر لزيارة قريب أو لتجارة وما أشبه ذلك وهو عازم فإنه لا حاجة للإستخارة وإلا لقلنا إن الإنسان يصلي دائماً صلاة الإستخارة لأن الإنسان حارث وهمام دائما يهم بالأمور لكن مرور المراد بذلك الأمور التي لا يتبين للإنسان وجهها فيتخير وحيئذ لا ملجأ له إلا الله عز وجل وقوله **"كما يعلم السورة من القرآن"** يدل على أن الإهتمام بهذه الإستخارة كما علمهم التشهد في الصلاة كما يعلمهم السورم من القرآن وهذا الدعاء والثناء على الله عز وجل جعله الله تعالى بديلا لما كان يسمع في الجاهلية من الإستقسام بالأزلام يعني يقلبون ما يقسم لهم بواسطة الأزلام وهى أقداح تجعل فى كيس أوما أشبه ذلك مكتوب على الواحد منها إفعل وعلى الثاني لا تفعل والثالث مافي كتابة ثم يعملون فيها عملا ثم يخرج الإنسان واحدة منها إن خرج يفعل فعل وإن خرج لا تفعل لم يفعل وإن خرج الذي ليس فيه شيئ يتوقف ثم يعيد الإستقسام مرة أخرى أو يدع الأمر لكن أبدل الله تعلى الناس بهذا الدعاء قال: **"فليركع ركعتين من غير الفريضة"** وقولم من غير الفريضة يعني النافلة وهل يكفي عن هاتين الركعتين الراتبة مثلا أو سنة الضحى؟ يحتمل أن تكون مجزأة لقوله من غير الفريضة ويحتمل أنه لابد من صلاة مستقلة وهو الأحوط.

وظاهر الحديث أن هذا الدعاء يكون بعد السلام لأنه لا يصدق عليه أنه صلى ركعتين حتى يفرغ منهما يقول **"اللهم إني أستخيرك بعلمك"** يعني أطلب خير الأمرين حسب ما تعلمه وقوله **" وأستقدرك بقدرتك"** أطلب منك القدرة بقدرتك فهو توسل بالقدرة على أن يقدر على الأمر وقوله **" وأسألك من فضلك"** لأن الإنسان قد يقدر على الشيئ ويحصل له لكن لا يناله من الله فضل به ولا بركة فيسأل الله من فضله وقوله **"فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب"** في هذه الجملة لف ونشر مرتبلأنه قدم العلم في الجملة الأولى على القدرة وفى الجملة الثانية قدم القدرة على العلم ولو كان اللف والنشر مرتباً لبدأ بالعلم قبل القدرة "اللهم إن كنت تعلم هذا الأمر" أى الأمر الذي يريد أن يستخير الله فيه ثم يسميه بعينه "خيراً لى" هذة مفعول ثان لتعلم وقوله **"في عاجل أمري وآجله قال أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لى ويسره لى ثم باك لي فيه"** هذه أو شك من الراوى هل قال في عاجل أمري وآجله أو قال في ديني ومعاشي وعاقبة أمري رجح بعض العلماء الأول للعموم ورجح بعضهم الثاني لأن العاجل السابق قد انقضى لكن ليس هذا الوجه الأخير بمرجح لأن المراد بعاجل أمري ليس الذي قد انقضى بلا شك المراد بعاجل أمري ما يأتي بعد الإستخارة مباشرة ولو قال قائل لو أن الإنسان جمع بين هذه الجمل في عاجل أمري وآجله وديني ومعاشي وعاقبة أمري فلا حرج لأن الدعاء ينبغي فيه البسط أو نقول إن شك الراوي يقتضي أن يقول الذي ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم واحد من الأمرين فيقوله قلنا نرجح الجملة الأولى فى علجل أمري وآجله للعموم لأن كلمة أمري يعني شأني وهو عام لكونه مضافاً مفرد. الثاني فيها شيئ من التفضيل والتخصيص ديني ومعاشي وعاقبة أمري فليس فيها عموم لكن التفضيل قد يكون أحسن في باب الدعاء يقول **"فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه"** ثلاث جمل أقدره يعني بعلمك ومشيئتك ويسره بحيث لا يكون فيه موانع ثم بارك لي فيه أى إجعل لي فيه بركة والبركة هي الخير الواسع الثابت وأصله من البركة

والبركة هي مجمع الماء وهي كبيرة واسعة والماء ينفذفيها ويبقى وقوله " **اللهم إن كنت تعلم أنه شر** ٥٨ **لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فإصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به**" اجعلني راضياً به فهل الدعاء ينبغي للإنسان إذا هم بالأمر وأشكل عليه وجهه؟ نعم ، الصواب فيه أن يصلي ركعتين ويستخير الله فإن بان له الأمر فذلك المطلوب وإن لم يبن أعاد الإستخارة وقال بعض العلماء إن لم يبن استشار ذوي الرأى والصلاح والخبرة ثم إما أن يقوه علي هذا أو على هذا وقال آخرون بل يقدم المشورة والصحيح أن يقدم الإستخارة لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال "**إذا هم أحدكم بالأمر فليصلي ركعتين**" فيقدم أولا الإستخارة ثم إن بدى له وجه الصواب فذالك المطلوب وإلا أعاد الإستخارة مرة ثانية واستشار ذوي الخبرة والصلاح والأمان.

باب مقلب القلوب وقول الله تعالى ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾

مقلب القلوب هذا وصف لا يصح إلا لله عز وجل هوالذي يقلب القلوب لأن الإنسان مهما كان لا يمكن أن يقلب أحد قلبه والمراد بتقليب القلوب ليس التقليب الحسي أن يجعل أعلى القلب أسفله أو الجانب الأيمن منه الجانب الأيس المراد بتقليب القلوب تقليب وجهات النظر يعني إذا هم الإنسان بالشيئ ثم يقلب الله نيته إذا هم إلى شيئ أخر يهم بالسيئة ثم يقلب الله قلبه إلى حسنة أو العكس ويذكر أن أعرابياً قيل له بما عرفت ربك قال بصرف الهمم يعني أن الله هو الذي يصرف الهمم دائماً الإنسان يهم بالشيئ ويجزم بد فإذا به تنصرف همته إلى شيئ أخر بدون سبب ظاهر من الذي صرف ذلك؟ هو الله عز وجل فلذلك مقلب القلوب هو الله كما قال تعالى ﴿**من يضلل الله فلا هادى له**﴾ ﴿**من يهد الله فهو المهتد**﴾ فلا يمكن لأحد أن يقلب قلب أحد فمقلب القلوب هو الله فهذا وصف لا يصح إلا لله فإن قال قائل أليس الإنسان يهم بالشيئ فيأتيه شخص ويشير عليه ويبين له الوجه الصحيح الذي يراه ثم يتحول؟ بلى ، لكن ما الذي جعله يتحول؟ الله عز وجل ، وربما يشار عليه كثيراً ولكن لا يتحول فالأمور كلها بيد الله ثم استدل المؤلف بقوله تعالى ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم**﴾ أفئدتهم أى قلوبهم ، وأبصارهم يحتمل أن يكون جمع بصيرة وإن كان هذا خلاف المعروف ، لأن البصيرة جمعها بصائر ويحتمل أن يكون جمع بصر كسبب وأسباب بصر وأبصار ، ولكن كيف تقليب البصر؟ تقليب البصر أن يصرف البصر من النظر إلى الطاعات إلى النظر إلى المعاصي هذا من تقليب الأبصار والعياذ بالله ، الله عز وجل هو الذي يقلب القلوب والأبصار ﴿**ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا أول مرة**﴾ وليت البخاري أتى بهذا ﴿**كما لم يؤمنوا به أول مرة**﴾ الكاف هنا للتعليل أى لكونه لم يؤمنوا به أول مرة ﴿**نظرهم في طغيانهم يعمهون**﴾ وهذا تهديد عظيم للإنسان ، الذي لا يرد الحق أول ما يرد إليه ، فإن الإنسان إذا لم يقبل الحق أول ما يرد إليه يخشى أن يبتلى بهذه البلوى ، وهو أن يقلب قلبه ولا يهدى للحق لأنه رده أول مرة ، إذاً يبين الله عز وجل أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم وأن لهذا التقليب سبب وهو أنهم لم يؤمنوا به أول مرة ، ويدل هذا أيضا قوله تعالى ﴿**بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج**﴾ يختلط عليهم الأمر ثم لا يتبين لهم وجه الصراب ولهذا يجب على الإنسان من حين أن يتبين له الحق أن يقبله ويأخذ به حتى يهدى لحق آخر ، أما إذا رده أو تردد فيه فإنه على خطر عظيم أن يبتلى بهذه البلور

وما ألذ رجوع الإنسان إلى الحق ، حتى الإنسان إذا رجع إلى الحق وإن كان خلاف ما يقوله أولا تجد في هذا لذة عظيمة ولكنه رجع من القول الأول لأنه فتح الله على قلبه حيث آمن بالحق أول ما جاء به بعض الناس يحاول ويجادل لقوله الذي قاله أولا حتى لا يهزم في نظره والحقيقة أنه مهزوم في نظري إذا أصر على الإنتصار ، يقوله لا للحق لكن لو استجاب للحق وانقاد هذا هو الذي انتصر على نفسه أولا ، ثم يُنصر لأن الحق معه حيث وافق الحق وقوله تعالى : **﴿نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا أول مرة﴾** .

حدثنا سعيد ابن سليمان عن ابن المبارك عن موسى ابن عقبة عن سالم "عن عبد الله قال: أكثر ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحلف: لا ومقلب القلوب" .

سبق في الأيمان أن الرسول صلى الله عليه وسلم حلف بهذا كثيرا ويحلف بقوله والذي نفسي بيده كثيرا ، أما المراد بعبد الله هو عبد الله ابن عمر وهذا مما يستدل به على المبهم من الرواة يمكن أن تستدل على تعينه بتلاميذه أو مشائخه وقوله: **"لا ومقلب القلوب"** هل هذا إثبات أو نفي؟ يعني إذا لم يحلف نفي للحدث أم إثبات؟ هذه للتوكيد أن لا النافية تدخل على القسم المراد به الإثبات مثل قوله تعالى **﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾** فالصحيح أن لا هذه للتنبيه والتوكيد خلافا لمن قال في قوله تعالى **﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾** قال إنها للنفي ، والمعنى لا صحة لما تزعمون من إنكار البعث ، أو لا أقسم لأن الأمر لا يحتاج إلى قسم ، لكن الصحيح هو ما قررناه أولا أنها للتوكيد والتنبيه .

باب إن لله مائة اسم إلا واحدة .

قال ابن عباس: ذو الجلال العظمة البر اللطيف .

قوله رحمه الله **"إن لله مائة اسم إلا واحدة"** ظاهر كلامه حصر أسماء الله عز وجل في هذه التسعة والتسعين ، وهذا أحد القولين في هذه المسألة العظيمة ، أن أسماء الله محصورة بتسعة وتسعين ولكن سبق لنا أن القول الراجح أنها غير محصورة ، واستدللنا بذلك بحديث عبد الله ابن مسعود في دعاء الهم الحزن وفيه **"أو استأثرت به في علم الغيب عندك"** فإنه يدل على أن من أسماء الله ما استأثر به الله بعلمه ، وما استأثر الله بعلمه فإنه لا يمكن أن يحاط به وهذا هو الصحيح ، ولذلك لو تأملت أسماء الله في الكتاب والسنة لوجدتها تزيد عن تسعة وتسعين إسما ، على هذا يكون ظاهر كلام البخاري رحمه الله يكون قولا مرجوحا ، وقول ابن عباس **"ذو الجلال "** أي ذو العظمة وهذا صحيح ، فالجلال هو كمال العظمة يشير إلى قوله تعالى **﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾** ولكن كيف الجمع بين قوله **﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾** وقوله **﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾** لأن قوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام صفة لوجه ، وأما تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام فهي صفة للرب وليس صفة لإسم ، فهي في الآية الأولى صفة للمضاف وفي الآية الثانية صفة للمضاف إليه ، وقوله **"البر اللطيف"** الصواب أن المراد بالبر واسع الخيرات وكثير العطاء لأنه يتفق في الإشتقاق مع البر الذي هو ضد البحر والبر الذي هو ضد البحر واسع ومنه بر الوالدين أي كثرة عطائهما ونفعهما وما أشبه ذلك والظاهر أن تفسير البر باللطيف ليس من تفسير ابن عباس .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن الرسول صلى ا لله عليه وسلم قال: إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة ، من أحصاها دخل الجنة" أحصيناه: حفظناه ٠

معنى الإحصاء هو معرفتها لفظاً ومعنى والتعبد وسؤال ا لله بها ، ما قصد بذلك؟ قصد بيانها للناس أو التبرك بها ، أما إذا كان قصدهم بيانها للناس فلابد أن تكون الأسماء غير الأسماء المسرودة لنا لأن المسرودة والمعروفة لنا غير صريحة مدرجة من كلام بعض الرواة ، وأما إذا كان قصدهم التبرك بها فهذا لا يجوز لأن التبرك بالشيئ لابد أن يكون هو أصلا في الشرع٠

باب السؤال بأسماء ا لله تعالى والإستعاذة بها٠

السؤال بأسماء ا لله دل عليه قوله تعالى ﴿و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ وسبق لنا أن معنى قوله تعالى فادعوه بها يتضمن شيئين:- الأول: نتعبد لله عز وجل بمقتضى هذه الأسماء فيكون الدعاء في قوله فادعوه بها بمعنى العبادة٠ الثاني: أن تجعلها وسيلة لك في الدعاء بأن تذكرها بين يدى الدعاء أو تختم الدعاء بها فتقول يا غفور اغفرلى ويا سميع إجعلني سامعاً وما أشبه ذلك٠

فلقوله تعالى ﴿أدعوه بها﴾ معنيان:-المعنى الأول: التعبد لله بمقتضاها لأن الدعاء يأتي بمعنى العبادة ﴿وقال ربكم إدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾٠

المعنى الثاني:- سؤال ا لله بها أى تجعلها وسيلة لك في الدعاء سواء جعلتها بين يدى الدعاء أو ختمت الدعاء بها أما الإستعاذة بها ففيها تقول اللهم إني أعوذ باسمك الأعظم أى تعوذ بصفات ا لله وبأسمائه٠

حدثنا عبد العزيز ابن عبد ا لله حدثني مالك عن سعيد ابن أبي سعيد المقبري "عن أبي هريرة عن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال: إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات وليقل:باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، فإن أمسكت ففسي فاغفر لها ، وإن أرسلته فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ، تابعه يحي وبشر ابن المفضل عن عبيد ا لله ابن سعيد عن أبي هريرة عن النبى صلى ا لله عليه وسلم وزاد زهير وأبو ضمرة وإسماعيل ابن زكريا عن عبيد ا لله عن سعيد عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى ا لله عليه وسلم٠ ورواه ابن عجلان عن سعيد عن أبى هريرة عن النبى صلى ا لله عليه وسلم٠ تابعه محمد ابن عبد الرحمن والدارودى وأسامة ابن حفص٠

فما يتعلق بالخلق فهو إرادة كونية وما يتعلق بالشرع فهو شرعي المراد بقوله بصنفة ثوبه المراد به طرفه من الداخل والحطم من ذلك أن الطرف في الغالب هو ملتقى الأوساخ فإذا توسخ من الفراش لم يكن في ذلك غضاضة على لابس الثوب ولهذا قال الرسول تمسحوا بداخل الثوب من أجل إذا كان هناك وسخ يكون في داخل الثوب وهذا من حسن توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام وإرشاده وتربيته يعني حتى إلى الثياب كيف تنفض فراشك بثوبك إنفضه بداخله من أسفله لأنك لو إنتفضته من أعلاه ربما يكون فيه أذى فيوسخ الثوب من فوق ويبين للناس وكذلك لو أنك نفضت من ظاهر الثوب ولو في الأسفل قد يكون فيه أذى فيشاهده الناس ويؤخذ من هذا أنه ينبغي للإنسان أن يلاحظ ثيابه حتى لا يكون فيها أذى فتنقلع أعين الناس من النظر إليه ويقال هذا رجل مهمل لا يبال بنفسه والإنسان لا ينبغي أن يظهر بمظهر يتقذذ الناس منه ولهذا

كثن الرسول صلى ا لله عليه وسلم إذا أراد أن يباشر أهله وهى حائض يأمرها أن تتزر لألا يشاهد[61] منها في محل الفرج ما.تتقذذ منه النفس من الدم فهذه المسائل كثير من الناس لا يبال بها تجده مثلا يأكل رمانة فتنقط نقطة على ثوبه فيكون الثوب أحمر فيتركه ويقول إن شاء ا لله لإن غسلت الثوب غسلته ربما يرعف أنفه فتنقط نقطة على هذا الثوب فيقول إذا أردت أن أغسله غسلته هذه تتقزز منها النفوس بعض الناس ولا سيما الصغار يمسح رأس القلم بالغطرة أو بالثوب حتى يقول الناس إنه.كاتب هل تقول هذا من هذا الباب الظاهر لا لأن الناس لا تتقزز نفوسهم إذا رأوا من الصبيان أن في ثيابهم شيئ من الحبر فالحاصل أن الرسول صلى ا لله عليه.وسلم علم أمته حتى هذه المسألة التي قد لا تخطر على بال الإنسان ينفض ثوبه ويقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه هذا إذا نام أو إضجع يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ولهذا إذا وضع جنبه يقول بسم ا لله فبضع جنبه على إسم ا لله عز وجل ثم قال إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين لأن ا لله تعالى قد يمسك نفس النائم فيموت وهذا أحد القولين في قوله تعالى ﴿ **ا لله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**﴾ ولكن الصحيح أن معنى الآية ﴿**ويتوفى التي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى التي قضى عليها النوم إلى أجل مسمى**﴾ .

الدرس الحادي عشر:-

في باب السؤال بأسماء ا لله تعالى والإستعاذة بها .

حدثنا مسلم حدثنا شعبة عن عبد الملك ابن ربعى "عن حذيفة قال كان النبى صلى ا لله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه: قال اللهم بإسمك أحيا وأموت . وإذا أصبح قال : الحد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" .

هذا الحديث ذكره البخاري في باب السؤال بأسماء ا لله والإستعاذة بها ، أما السؤال بأسماء ا لله فقد تقدم الكلام عليه ، وأن ا لله أمرنا بها فقال ﴿**و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ وأما الإستغاذة بها فكذلك يستعيذ باسم ا لله فنقول: أعوذ با لله أعوذ بالرحمن أعوذ بالعزيز وما أشبه ذلك ، وسبق أيضا أن الإستعاذة هي الإعتصام من المكروه ، واللجؤ هو الفرار من الشئ المكروه إلى الشئ المطلوب ، فالإستعاذة تكون من المكروه واللجؤ يكون بحصول المطلوب.

حدثنا سعد ابن حفص حدثنا شيبان عن منصور عن ربعى ابن حراش عن خرشة ابن الحر "عن أبي ذر قال: كان النبى صلى ا لله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل قال باسمك نموت ونحيا ، فإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" .

ثم أتى في الحديث قوله "**إذا أخذ مضجعه من الليل**" مقيدة بالمضجع من الليل ، فيكون هذا الذكر من الأذكار الخاصة بنوم الليل ، بدليل قوله "**قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**" لأن النشور يكون في أول الأمر كما ينشر الناس يوم القيامة في أول يوم القيامة.

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله فقال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا"

هذا من السؤال باسم الله إذا أراد أن يأتي أهله، وهذا كناية عن الجماع، فقال **"باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد"** سواء ذكر أو أنثى في ذلك الجماع لم يضره الشيطان أبدا، واختلف العلماء في قوله لم يضره الشيطان أبدا، فهل المعنى أنه لم يضره ضررا بدنيا؟ لأن الشيطان إذا أسقط الطفل من بطن أمه لكزه فربما يقضي عليه في هذه اللكزة ولذلك يصرخ الجنين إذا نزل من بطن أمه على هذه اللكزة، وقيل بل المراد لم يضره ضررا قلبيا، وأن هذا من الأسباب التي تمنع من ضرر الشيطان، لهذا الحمل الذي نشأ بعد هذا الذكر والسبب قد يوجد له مانع يمنعه من النفوذ ومن حصول المسبب، وهذا القول أصح لأنه عام، لم يضره لا في بدنه ولا في قلبه، لكن هذا من باب الأسباب قد يوجد موانع، كما أن أسبان الإرث مثلا توجد في شخص يكون قريبا، يكون زوجا، يكون مولى، ثم توجد موانع تمنع نفوذ هذه الأسباب، والقاعدة العامة أن الأشياء لا تتم إلا باستكمال أسبابها وشروطها والإنتفاء موانعها، فإذا طبقنا هذه القاعدة على هذا الحديث وشبيهه قلنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيان السبب، ثم قد يوجد موانع تمنع من نفوذ هذا السبب، ومن ذلك أن يعيش هذا الطفل بعد خروجه من بيئة سيئة فقد تصرفه عن الاستقامة لقول النبي صلى الله عليه وسلم **"كل مولود يولد على الفطرة ....** " وفي هذا الحث على أن يقول الإنسان هذا الذكر عند جماع أهله لأنه تكتسب به هذه الفائدة العظيمة التي لو اشتراها الإنسان بالملايين لكانت رخيصة.

حدثنا عبد الله ابن مسلمة حدثنا فضيل عن منصور عن إبراهيم عن همام "عن عدى ابن حاتم قال:سألت النبى صلى الله عليه وسلم قلت: أرسل كلابي المعلمة؟ قال: إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فأمسكنا فكل، وإذا رميت بالمعراض فخزق فكل".

حديث على ابن حاتم سأل النبي صاى الله عليه وسلم أنه يرسل كلابه المعلمة فتأتي بالصيد قد قتلته هل يحل أو لا؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه يحل لكن بشرط أن يسمي الله على ذلك، وهنا نبحث في هذا الحديث بحثاً فقهيا:- أولا:- **"قوله إذا أرسلت"** هذا يدل أنه لابد أن يكون صاحب الكلاب هو الذي يرسلها بنفسه، لما رأى الصيد إنطلق عليها فهل يحل الصيد أم لا يحل؟ ظاهر الحديث أنه لا يحل لأنه قال إذا أرسلت، لكن قال العلماء إن زجر فاشتد في عدوه في طلبه فإنه يحل بناء على أن هذا الزجر صار سببا في إصراره، فيدل ذلك على أنه إنما أمسك عليك ولا يمسك لنفسه، لأن إنطلاقه أول ما رأى الصيد بدون أن ترسله إنما إنطلق من أجل أن يصيد لنفسه فإذا زجره فاشتد في عدوه لطلبه دل ذلك على أنه أمسكه لك، ولهذا قال الله تعالى ﴿**كلوا مما أمسكنا عليكم**﴾.

ثانيا:- أنه في هذا الحديث قال **"المعلمة"** التي علمت الصيد، قال العلماء والتعليم هو أنه يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، يعني ينقاد إذا طلب منه الوقوف، وإذا أمسك لم يأكل، فالتعليم يحصل بثلاثة أشياء:-

أنه يسترسل إذا أرسل ، أنه ينزجر إذا زجر ، أنه إذا أمسك لم يأكل.

فإذا كان لا يسترسل إذا أرسل فهذا لم يتعلم ، وكذلك إذا كان إذا أرسلته وإنطلق على الصيد وزجرته ليقف لم يقف فهذا لم يتعلم لأنه غير مؤدب ، وكذلك إذا كان يسترسل إذا أرسل وينزجر إذا زجر لكنه إذا أمسك لم يأت لك إلا بنصف الصيد فهذا أيضا لا يؤكل صيده ، لأنه لما أكل منه دل هذا على أنه أمسكه لنفسه وإن كان قد يأتي ببقية الصيد إما أنه شبع أو انه يريد أن يكون شريكا لك في هذا الصيد.

ثالثا:- قوله "**وذكرت اسم الله**" متى تذكر الله؟ اسم الله تذكره إذا أرسلته أى حين إرساله ، لا إذا رأيته قابلا على الصيد ... إذا سميت عليه إذا أرسلته فإنه إذا لم يسم الله فإنه لا يحل ، سواء إن ترك التسمية ناسيا أو جاهلا أو عالما ذاكرا ، وذلك لأن الشرط لا يسقط سهوا ولا جهلا ، فإذا أرسله و لم يسم الله وأتى بالصيد فإن الصيد حرام يجب تركه ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم اشترط التسمية والشرط لا يسقط سهوا أو جهلا ، فإن قال قائل هذه الحال يكثر فيها النسيان لأن الإنسان إذا رأى الصيد لإرتبك وأرسل الكلب بسرعة لألا يفوته الصيد فينسى كثيرا ، قلنا ولو كان الأمر كذلك فإنه لايعذر بترك هذا الشرط ، فإن قال قائل ما الجواب عن قول الله تعالى: ﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**﴾ وهذه قاعدة عظيمة في الشريعة الإسلامية ، كنا نقول بموجب هذه القاعدة وأن هذا الرجل الذي ترك التسمية نسيانا لا مؤاخذة عليه ، لكن لو تركها عمدا صارمؤاخذ ، فنقول بالنسبة لهذا الذي أرسل الصيد ونسى التسمية لا مؤاخذة عليه ولا نأثمه لكن بالنسبة لمن يأكل هو الذي نمنعه من أن يأكل لأن الله تعالى قال: ﴿**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق**﴾ لكن لو أكل الإنسان من هذا الصيد الذى لم يسمى عليه ناسياً أو جاهلا ، هل يأثم أو لا يأثم؟ لا يأثم حينئذ تنطبق القاعدة فنقول هذا الصبد من شرط حله التسمية فإذا فقد الشرط فقد المشروط كما أن الكلب لو استرسل بنفسه فإنه لا يحل ، كذلك لو استرسل بإرسال صاحبه ولكن لم يسمى فإنه لا يحل ولا فرق في هذا ، ومثله أيضاً المذبوح إذا ذبحت ونسيت أن تسمى الله فإن الذبيحة حرام ولا تحل لأن التسمية سرط للحل والشرط لا يسقط بالسهو أو الجهل قال تعالى ﴿**فكلوا مما ذكر اسم الله عليه**﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم: "**ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا**" فاشترط شرطين:- إنهار الدم ، ذكر اسم الله.

فلو أن أحداً ذبح بدون إنهار الدم جهلا خنق الذبيحة وماتت وقد سمى الله عليه أتحل؟ لا . لماذا لكن الجاهل ولو كان جاهلا لأن هذا شرط ولو أنه نسى وذبح بخنق ثم ماتت وقد سمى الله عليها فإنها لا تحل لأن إنهار الدم شرط فالتسمية كذلك مثل إنهار الدم لابد منها وقد إختلف العلماء في مثل هذه المسألة إختلافاً كثيراً منهم من قال إن التسمية على الذبيحة والصيد سنة وليست بشرط وهذا قول ضعيف جداً ومنهم من قال إنها شرط في الذبيحة وفي الصيد لكنها تسقط بالنسيان في الذبيحة ولا تسقط بالنسيان في الصيد وهذا هو المشهور من مذهب الحنابلة رحمهم الله واستدلوا بعدم السقوط في الصيد بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "**إذا أرسلت كلابك وذكرت إسم الله**" فجعل التسمية شرطاً وأما الذبيحة فالتسمية واجبة وليست بشرط فتسقط بالنسيان والجهل وقال شيخ الإسلا ابن تيمية رحمه الله لا تسقط التسمية لا في الصيد ولا في الذبيحة وأنه إذا نسى التسمية في الصيد أو في الذبيحة فالصيد والمذبوح حرام وقوله أصح وأما التفريق

بين الصيد والذبيحة فكان مقتضى النظر أن تسقط التسمية في الصيد دون الذبيحة لأن الذبيحة يذبحها الإنسان وهو مطمئن هادئ النفس بخلاف الصيد وأما قولهم إن الرسول صلى الله عليه وسلم اشترط ذكر اسم الله في الصيد نقول وكذلك أيضاً في الذبيحة فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا إلا السن والظفر"** فإن السن عظم والظفر مدلجة المسألة الثانية في الحديث قال وإذا رميت بالمصراد فخذق فكل وإن أصاب بعرضه فلا تأكل ، والمعراض مثل العصا رميت بالعصا وكان رأسه مدببة فأصاب الصيد برأسه فخذق حتى أنهر الدم فإنه يؤكل وأما إذا صدمه في الصيد وصدم الصيد بعرضه ومات الصيد فإنه لا يؤكل لأنه داخل في قوله تعالى: ﴿والموقوذة﴾ الموقوذة هى التي تضرب بعصا أو شبهه حتى تموت فإن رمى الصيد بحجر وقتل الحجر الصيد لثقله لا بحده فإنه لا يحل لأنه كالمعراض تماماً ، الصيد بالبندقة ، البندقة معروفة التي تقال بالسطم والسطم الحباة الصغيرة هل يحل؟ نعم يحل لأنه لا يقتل بثقله وإنما يقتل بنفوزه فهو كرأس السهم ولقد اضطرب العلماء أول ما خرج هذا النوع من السهام هل يحل أو لا لكنهم و أجمعوا بعد ذلك على الحل وقالوا كل إنسان يعرف إن السطم هذه لو ضربت بها الصيد لم يمت بها وإنها إنما تقتله بنفوزها فيكون حلالا .

حدثنا يوسف ابن موسى حدثنا أبو خالد الأحمر قال سمعت هشام ابن عروة يحدث عن أبيه "عن عائشة قالت: قالوا يارسول الله إن هنا أقواماً حديثا عهدهم بشرك يأتون بلحمان لا ندري يذكرون إسم الله عليها أم لا ، قال : إذكروا أنتم اسم الله وكلوا" تابعه محمد ابن عبد الرحمن وعبد العزيز ابن محمد وأسامة ابن حفص .

في هذا الحديث قوله: **"لا تدري يذكرون إسم الله عليه أم لا قال إذكروا أنتم إسم الله وكلوا"** في هذا من الفوائد الفقهية أن الفعل إذا وقع من أهله فإن الأصل فيه السلامة كل فعل يقع من أهله تتأصل فيه السلامة البيع إذا وقع من جائز التصرف فالأصل فيه السلامة ولا يحتاج أن تقول ثبت وكذلك الهبه وكذلك جميع العقود والأفعال أيضاً إذا صدرت من أهلها فإن الأصل السلامة وفيه أيضاً أن الذابح إذا كان أهلا للذبح وشككنا هل سمى أم لا فإننا لا نلتفت إلى هذا الشك بناء على أن الأصل السلامة ولهذا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن ذبائح هؤلاء القوم الذين هم حديث عهد بالشرك والغالب أن حديث العهد بالشرك لا يعرف أحكام الإسلام ومع ذلك قال: **"سموا أنتم وكلوا"** إذكروا أنتم إسم الله وكلوا فدل ذلك على أن الذبيحة إذا ذبحها من هو أهل للذبح لا نسأل هل سمى أم لا لأن الأصل أن ذبيحته حلال وكذلك لا نسأل كيف ذبح هل بالسكين أو بخنق أو غير ذلك لا نسأل لأن التسمية شرط وإنهار الدم شرط وإذا كنا لا نسأل عن التسمية فإننا لا نسأل عن إنهار الدم ولا فرق ، فإذا أطعمنا يهودى أو نصرانى لحماً فهل نأكل أو نقول كيف ذبح وهل سمى؟ لا ، تأكل ولكن تسمي ، ويشعر هذا الحديث بفحواه الإنتقاد عن السؤال أو إنتقاد السؤال لأنه لما قال سموا أنتم وكلوا كأنه قال ليس عليكم أن تبحثوا في فعل غيركم فإن هذا من التعمق ومن التنطع ولكن أنتم سموا على فعلكم ولا تبحثوا عن فعل غيركم وهذا هو الموافق للشريعة الإسلامية أن الإنسان لا ينبغي له أن يتنطع ويتعمق ما دام الفعل صدر من أهله فلا تبحث وقوله: **"سموا أنتم وكلوا"** هل المراد

التسمية على فعل غيرهم أو على الأكل الذي هو فعلهم. الثاني: لأن التسمية الأولى لا فائدة منها إنتهى[65] الذبح فالتسمية هنا على الأكل الذي هو فعلنا وفي هذا من يسر الشريعة الإسلامية وسهولتها ما فيه وأن الإنسان لا يكلف أن يبحث ولو أننا كلفنا أن نبحث لضاقت علينا الهموم لكنا نقول هذا من ذبح فلان إبحثوا هل هو يصلي أو لا يصلي إبحثوا هل هو تملك هذه الذبيحة على وجه شرعي أو لا قالوا نعم اشتراها من فلان وفلان كيف جاءت قالوا اسعوهبها من فلان الواهب كيف جاءت قال عوض من إمرأتي من أين جاءت المرأة وبقينا نتسلسل إلى مالا نهاية له لكن من لطف الله عز وجل أننا لا نتعمق هذا التعنق وأن الأصل في التصرف الواقع من جائز التصرف السلامة والصحة.

قال رحمه الله: حدثنا حفص ابن عمر حدثنا هشام عن قتادة عن أنس قال ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين يسمي ويكبر".

.. حدثنا حفص ابن عمر حدثنا شعبة عن الأسود ابن قيس عن جندب أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر صلى ثم خطب فقال: من ذبح قبل أن يصلى فليذبح مكانها أخرى، ومن لم يذبح فليذبح باسم الله".

الشاهد من قوله: "**يسمي ويكبر ويذبح باسم الله**" وفي هذا دليل على أن الشرط لقوله من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى فإنه عموم يقتضي وإن كان جاهلا ولهذا لما قال أبو بردة يا رسول الله إني ذبحت قبل أن آتى إلى الصلاة من أجل أن يطعم أهله ويأكلوا مبكرين فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يذبح بدله وقال له إن شاتك شاة لحم مع أنه كان جاهلا لكن الشرط لا يسقط بالجهل كما ذكرنا قبل ذلك قال ومن لم يذبح فليذبح باسم الله استنبط بعض العلماء من قوله صلى الله عليه وسلم فليذبح باسم الله أن الجار والمجرور في البسملة ينبغي أن يكون متعلقه فعلا مناسباً للعمل الذي إبتدأته بالتسمية فمثلا لإذا أراد الإنسان أن يتوضأ قال بسم الله ما متعلق البسملة؟ يتوضأ، ولإذا أراد أن يدخل المسجد يقول بسم الله أدخل.

حدثنا أبو نعيم حدثنا ورقاء عن عبد الله ابن دينار "عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: لا تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف با لله".

قوله عليه الصلاة والسلام: "**لا تحلفوا بأبائكم**" وإنما خص الأباء لأنه الغالب كانوا يحلفون بأبائهم ثم أرشد لما نهى عن الحلف بالآباء أرشد إلى ذكر من يحلف به وهو الله وقال من كان حالفاً فليحلف با لله فدل ذلك على تحريم الحلف بالآباء، ومثله الحلف بأى مخلوق كان لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" حتى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجوز الحلف به، حتى بجبريل، حتى بالعرش، فمن حلف به فقد أشرك.

باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل

يعني هل تطلق الذات؟ وهل للرب عز وجل ذات مجردة عن الصفات؟ لا، ولهذا قال البخاري رحمه الله "**في الذات والنعوت**" والنعوت هي الأوصاف، قال "**وأسامي الله**"فهذا ذات وإسم وصفة وكلها ثابتة

لله عز وجل فإذا قلت الله الخالق ، فالخالق تدل على ذاته وهي إسم من أسماء الله ، وتدل على صفة ، ولهذا لا يمكن أن تقول إن لله عز وجل ذات مجردة عن الصفات ، كغلاة الجهمية وغيرهم ، وقالوا إنه لا يجوز أن نثبت صفاته بل ذاته فقط ، لأن إثبات الصفات القديمة على حد قولهم يقتضي إثبات قدماء متعددين ، وإثبات قدماء متعددين شرك ، مثال ذلك إذ قلت أنا أثبت لله ذاته وأثبت له العزة ، عزة قديمة لم يزل ولا يزال عزيزا ، وأثبت له القدرة ، وأثبت العلم والسمع والبصر ، كلها قديمة ، يقولون هذا شرك النصارى أشركوا بآيتين وأنت أشركت بأكثر ، إذا لا يجوز أن تثبت لله صفة قديمة ولا يجوز أن تثبت له صفة مادته أيضا ، لأننا لو أثبتنا صفة مادته لزمه قيام الحوادث به ، وما قامت به الحوادث فهو حادث ، أذا أثبتنا الصفة القديمة قلتم يعدد قدماء وهذا شرك ، وإن أثبتنا الحديث قلتم هذا حادث والحادث لا يقوم إلا بحاله ، فماذا نعمل؟ قل ليس لله صفة واستريح ، قل ما فيه إلا ذات مجردة عن الصفات.... والبخاري رحمه اللع بين أن هناك ذات وهناك ... وهي الصفات ، وهناك أسماء كلها ثابتة للهعز وجل ، الذات والإسم والصفات ، ومستحيل أن توجد ذات مجردة عن الصفات لو لم يكن من صفاتها إلا صفة الوجود لكان كافيا لأن كل عين قائمة بنفسها ، لابد أن يكون لها صفة ، فإن قلت لا أصفه بالوجود؟ قلنا بلى ، ما ضد الوجود العدم إذا أنت وصفته بالعدم فإن قال أنفى الوجود والعدم؟ قلنا هذا مستحيل لأن الوجود والعدم نقيضان ، والنقيضان لا يرتفعان أبدا ، لأبد لكل شيئ من وجود أو عدم أما أن نقول لا موجود ولا معدوم لا أصفه بالوجود ولا بالعدم فهذا شيئ مستحيل؟ والعجب أن هؤلاء نسأل الله العافية إذا أفهمتهم ذهبوا يشبهونه بالشيئ الممتنع الذي لا يقول به أحد لأنهم إذا قالوا لا نصفه بالوجود ولا بالعدم شبهوه بالممتنعات ولو أنهم سلكوا مذهب السلف وقالوا آمنا بالله وصدقنا بكل ما وصف الله به نفسه لوجدوا الراحة القلبية ، والحق أنه سهل ويسير ولهذا لا تجد هذا التعمق وهذا التنطع عند الصحابة رضى الله عنهم ، ما حصل التعمق والتنطع والإيرادات والإشكالات إلا بعد أن خاض الإنسان فيما لا يعنيه.

وقال خبيب: وذلك في ذات الإله" فذكر الذات بإسمه تعالى.

أثبت لله الذات "**وذلك في ذات الإله**"فأثبت الذات باسمه وهذه المسألة سيأتي إن شاء الله الكلام عليها مبسوطاً في التفصيل فيها لآن من الناس من أنكر أن لله ذاتاً بناء على أن الذات في اللغة العربية لا تأتي بمعنى العين إنما تأتي بمعنى الصاحبة فتقول ذات الشيئ أى صاحبة الشيئ تقول مرأة ذات الجمال الدار ذات الإتساع وما أشبه ذلك فهي بمعنى صاحبة ولا تأتي بمعنى الشيئ القائم بنفسه ولكن هذا القول مردود بمثل ما قال البخاري رحمه الله في قول خبيب "**وذلك في ذات الإله**" وعارضوا بأن المراد بذات الإله الجهة وسيأتي الكلام في هذا مبسوطا إن شاء الله.

<u>الدرس الثاني عشر:-</u>

وقال خبيب:وذلك في ذات الإله ، فذكر الذات بإسمه تعالى.

هذه الترجمة كما رأيتم اشتملت على ثلاثة كلمات:- **الذات والنعوت والأسامي.**

أما النعوت فهي الأوصاف ، فأوصاف ا لله تعالى تسمى نعوتاً كما تسمى أوصافاً فتقول مثلاً نعت ا لله نفسه بكذا وكذا أى وصفه.

وأما الأسامي أسامي ا لله فأمرها معلوم سمى ا لله نفسه بأسماء كثيرة وجعل منها تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة.

أما الذات فالذات كلمة إختلف فيها علماء اللغة هل هى فصيحة من العربية أو هى مولدة وليست بعربية؟ وأكثر المحققين على أنها مولدة وليست من العربية في شيئ وإنما هى من مصطلح أهل الكلام جعلوها بدلا عن كلمة النفس فيقول مثلا جاء زيد نفسه أو جاء زيد ذاته يجعلونها بدلا عنها ولكنها ليست من كلام العرب العرباء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا لله لأن أصلها في اللغة لا تستعمل بمعنى النفس في اللغة العربية تستعمل إستعمالات متعددة منها:-

١- أن تكون بمعنى صاحبة كما لو قلت تزوجت إمرأة ذات علم أى صاحبة علم ويقابلها في المذكر ذو كما لو قلت إتصل بي رجل ذو علم أى صاحب علم.

٢- تستعمل بمعنى التي عند طيه ، طى أصحاب الشمال ، جبل طى ، يجعلون الذات بمعنى التي كما يجعلون ذو بمعنى الذي وعليه قول الشاعر:

فإن الماء ماء أبي وجدي   وبئري ذو حفرت وذو طويت.

أى بئري الذي حفرت و الذي طويت ويقال جاءت ذات أرضعت ولدها أى التي أرضعت ولدها.

٣- تأتي بمعنى جهة ومن ذلك قوله تعالى ﴿**ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال**﴾ أى جهة اليمين وجهة الشمال ويمكن أن يحمل عليها قول خبيب رضى ا لله عنه وذلك في ذات الإله وقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو قول النبى صلى ا لله عليه وسلم في إبراهيم كذب ثلاث كذبات في ذات ا لله أى في جهته والمراد في سبيله وطاعته فتكون بمعنى الجهة.

٤- أن تكون وائدة للتوكيد توكيد التنكير مثل قدمنا مكة ذات يوم فوجدنا المسجد خفيفاً قوله ذات يوم هذه زائدة لتوكيد التنكير فلو قلنا قدمنا مكة يوماً فوجدنا المسجد خفيفاً استقام الكلام وهذا يوجد كثيراً في الحديث خرجنا مع النبى صلى ا لله عليه وسلم ذات يوم ذات ليلة وما أشبه ذلك.

من أى الأقسام الأربعة قوله تعالى ﴿**إن ا لله عليم بذات الصدور**﴾ ما هى صاحبة الصدور؟ القلوب كما قال تعالى ﴿**ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ هذه أربعة معان لذات في اللغة العربية أما ذات بمعنى نفس الشيئ وحقيقته فهذه إختلف فيها علماء اللغة العربية فمنهم من أنكر إستعمالها في هذا المعنى ومنهم من أجازها وظاهر صنيع البخاري رحمه ا لله جواز إستعمالها بمعنى النفس فإذا قال قائل ما العلاقة بين هذا الإستعمال وبين المعنى الأصلي في اللغة العربية؟ قلنا المعنى الأصلي في اللغة العربية أن تأتي بمعنى صاحبة فهم يقولون ذات علم أى صاحبة علم وا لله تعالى ذو علم فأصلها مضارع لكن حذف المضاف ثم بقيت نكرة فعرفت بأل ولهذا منع بعض العلماء أن تقول ذات بالنسبة لله ، لماذا؟ لأن التاء للتأنيث ولا يجوز إستعمال الكلمة المؤنثة بالتاء ولو للمبالغة ولهذا لا يجوز أن تقول إن ا لله علامة ويجوز أن تقول إن هذا الرجل

علامة أما الله فتقول علام الغيوب فأنت إذا أتيت بذات تريد الرب عز وجل فإن هذا يعني تأنيث ٦٨ يضاف إلى الله وهذا لا يجوز لكن هذا خلاف إستعمال جمهور العلماء المحققين.

والخلاصة أن الذات في اللغة العربية تستعمل على أربعة أوجه أما في الإصطلاح ولا مشاحة في الإصطلاح وهو المعنى الجديد لها وهو أن تكون بمعنى نفس فيقال ذات وصفات ذات الله أى نفس الله جاء زيد زاته أى نفسه وهكذا وتكون مضافة كذات الله وتكون مقطوعة عن الإضافة معرفة بـ (أل) مثل الذات وهذا ما ذهب إليه البخاري رحمه الله. فإن قال قائل فإستدلال البخاري رحمه الله بقول الخبيب **"وذلك في ذات الإله"** هل يطابق ما ترجم به؟ لأن البخاري ترجم أن الذات بمعنى النفس وخبيب هل أراد ذلك؟ لا، لأنه لايريد ذات الله التي هى نفسه إنما يريد ذلك في ذات الإله لكن كأن البخاري يقول يكفي في هذا أن استعملت الذات مضافة إلى الله فأخذ من جواز إستعمال ذات مضافة إلى الله أن يوصف بها الله عز وجل.

حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الوهري أخبرنا عمرو ابن أبي سفيان عن أسيد ابن جارية الثقفي حليف لبني زهرة وكان من أصحاب أبي هريرة "أن أبا هريرة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة منهم خبيب الأنصاري فأخبرني عبيد الله ابن عياض أن إبنة الحارث أخبرته أنهم حين إجتمعوا إستعار منها موسى يستحد بها، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب الأنصارى:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أى شيئ كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشا يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه خبرهم يوم أصيبوا".

هاتان كرامتان في هذه القصة حماية عاصم وهذا الرزق الذي يأتي به الله عز وجل إلى خبيب، وأنا أرى أن مثل هذه القصص العظيمة أرى أن لو تسجل وتنشر بين الناس لما فيها من تثبيت الإيمان والأسوة الحسنة بهؤلاء الذين هم مفخرة الأمة الإسلامية لأن هذا مما يشجع الإنسان ويزيد صبره وإيمانه أنظر إلى عاصم رضى الله عنه ومن معه قال لا يمكن أن أنزل على ذمة كافر ومن يثق بالكافر وماذا فعلوا في ذمتهم؟ باعوهم كما تباع الغنم.

باب قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾

وقوله جلا ذكره ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾

هذا أيضاً من صفات الله عز وجل النفس والبخاري رحمه الله من فقهه أتى به بعد ذكر الباب الذي فيه الذات ليبين رحمه الله أو ليشير إلى أن الذات بمعنى النفس، ونفس الشيئ هو الشيئ فقوله تعالى: **﴿ويحذركم الله نفسه﴾** أى يحذركم إياه وليست النفس شيئا أخر والله شيئ أخر، الله هو النفس وكذلك قوله تعالى: **﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾** أى تعلم ما في نفسي أنا ولا أعلم ما في نفسك فليست النفس صفة زائدة عن الذات بل هى الذات نفسها ومن ذلك قوله تعالى: **﴿ويقولون في أنفسهم﴾**

هل المراد بأنفسهم شيئ أخر غير زواتهم؟ لا ،هى ذواتهم وعلى هذا فالنفس بمعنى الذات ﴿ويحذركم ا الله نفسه﴾ يعني يحذركم إياه ويدل ذلك قوله تعالى: ﴿وإياى فارهبون﴾ ﴿وإياى فاتقون﴾ وما أشبه ذلك.

وفي قوله ﴿ويحذركم ا الله نفسه﴾ دليل على أن الإنسان يجب أن يحذر من ا الله عز وجل ، ما يحذر منه ظاهراً فقط بل ظاهراً وباطناً فيما يقول وفيما يفعل وفيما يضمر علنا أو سراً لأن ا الله عز وجل يقول ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ رزقنا ا الله وإياكم اليقين ، إذا علم الإنسان هذا وأيقن فإنه سوف يخشى ا الله عز وجل ويخاف أن يقع في محارمه ويحذر وقوله تعالى ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ القائل عيسى ابن مريم عليه السلام يقوله لله عز وجل يوم القيامة ﴿وإذ قال ا الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس إتخذوني وأمي إلهين من دون ا الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ ولما نفى هذه المقالة بين ماذا قاله لهم فقال ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا ا الله ربي وربكم وكنت عليم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيئ شهيد﴾ وأتباع عيسى النصارى اليوم الذين يدعون أنهم أتباع عيسى وهم كاذبون يقولون إن ا الله ثالث ثلاثة وعيسى قد قال لهم أن اعبدوا ا الله ربي وربكم لكن هم يعبدون الأن عيسى وأمه والرب ثلاثة أقانيم عندهم بل بعضهم يعبد الصليب وهذا من سفههم وضلالهم ، الصليب في الأصل خشبة مصلوباً عليها على ما زعموا عيسى عليه السلام والعقل يقتضي أن الواحد منهم الذي يتبع عيسى ويحب عيسى يقتضي أنه إذا رأى الصليب كسره أليس كذلك؟ بلى ، لأنه إذا كان يحب عيسى هل يحب العمود الذى صلب عليه أم يكرهه؟ يكرهه ، ونحن نبرء عيسى ابن مريم عليه السلام ونشهد أنه عبد ا الله ورسوله من أن يكون صلب وأن ا الله تعالى نزهه عن ذلك ولما هموا بقتله وصلبه رفعه ا الله إليه وكان ا الله عزيزاً حكيماً ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ سبحان ا الله العظيم أصل ضلالهم مبني على شبهة والضلال كله شبهة ، شبه لهم رجل بأنه عيسى فقتلوه وصلبوه وقالوا هذا عيسى ، وليس الذي قتله أيضاً النصارى ، الذي قتله وصلبه اليهود على زعمهم ومع ذلك فقد قال ا الله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾ لكن هم أولياء ضد عدو ثالث وهو المسلمون ، المسلمون أعداء لهم منذ بزغ الإسلام إلى اليوم وإلى يوم القيامة وسوف يقتل اليهود إن شاء ا الله على يدي المسلمين حتى يختبؤا بالشجر فيقول الشجر ياعبد ا الله هذا يهودي تحتي فاقتله. فالحاصل أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام إنما جاء بالتوحيد الذي جاء به إخوانه من المرسلين ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا ا الله ربي وربكم .... وأنت على كل شيئ شهيد﴾ ومعنى توفيتني أى قبضتني ورفعتني إليك.

حدثنا عمرو ابن حفص ابن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش عن شقيق "عن عبد ا الله عن النبى صلى ا الله عليهوسلم قال: مامن أحد أغير من ا الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ، وما أحد أحب إليه المدح من ا الله"

في هذا الحديث إثبات الغيرة لله عز وجل والغيرة لا تحد بأوضح من لفظها الغيرة هي الغَيْرة ، أن الإنسان يغار ولكن لها آثار وهو الغضب ، فما من أحد أغير من الله عز وجل من أجل ذلك حرم الفواحش فقد ثبت في الحديث الصحيح في قصة صلاة الكسوف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ما منْ أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته"** يعني أن الله يغار غيرة شديدة لا يوجد لها نظير إذا زنى عبده أو زنت أمته وفي هذا دليل على عظم الزنى عند الله عز وجل أنه يغار منه سبحانه وتعالى غيرة شديدة ، وقوله **"وما أحد أحب إليه المدح من الله"** نعم يحب عز وجل من عباده أن يثنوا عليه وأن يمدحوه لأنه أهل لذلك سبحانه وتعالى وذها من كماله عز وجل أن يحب أن يُثنى عليه بما هو أهله مع أننا لا نحصي ثناءً عليه ، ثم إن هذا الثناء مصلحته تعود للعبد المثني على الله فهو يحب هذا لأن ذلك ينفع العبد ، يحب هذا لأنه أهل لأن يمدح.

حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي صالح "عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما خلق الله الخلق كتب في كتابه – وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش – إن رحمتي تغلب غضبي"

هذا الحديث كما رأيتم في ثياقه وفي قلق وقد روى بسياق أتم وأحسن من هذا والشاهم منه قوله **"يكتب على نفسه الرحمة"** وقد جاء في القرآن **﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾** والشاهد إثبات النفس لله عز وجل.

حدثنا عمرو ابن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش سمعت أبا صالح "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة".

قوله تعالى **"أنا عند ظن عبدي بي"** يعني كما جاء في حديث أخر **"إن ظن بي خيراً فله وإن ظن بي سوءً فله"** ولكن متى يحسن أن يظن الإنسان بربه خيراً؟ يحسن إذا عمل عملا يستحق به الخير مثاله عمل عملا صالحاً فيظن بربه أن يقبله ، تاب إلى من ذنب فعله فيظن بربه أن يقبله لا ينظر إلى عمله وإلى حاله فيسيئ الظن بناء على ما عنده ، ولكن ينظر إلى رحمة الله عز وجل أما من ليس عنده ما يكون به إحسان الظن فإن إحسان الظن إفلاس ولذلك جاء في الحديث **"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني"** فحسن الظن لابد أن يكون في محل قابل بأن يعمل عملا صالحاً فيحسن الظن بالله عز وجل أنه قبله يتوب فيحسن الظن بالله أن الله قد قبل توبته ، أما أن يصر على معصية ويقول أنا محسن الظن بالله وسيغفر لي الله ، يزني ويشرب الخمر صباحاً ومساء ويقول أنا أحسن الظن بالله كيف يحسن الظن بالله؟ مسكين تب إلى الله وأحسن الظن بالله أن يقبل الله توبتك كلما ذكرت الله فاعلم أن الله معك سواء ذكرته بقلبك أو بلسانك أو بجوارحك فاعلم أن الله معك. ولهذا قال الله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾** حتى تنالوا الفلاح بالثبات وذكر الله ولهذا إذا ذكر الإنسان ربه من قلبه نسى كل شيئ ولست أقول نسي كل شيئ كما ينسى

الصوفية الذين ينفون عن شهود السوى إذا قام أحد يتعبد نسى كل شيئ فغفل على زعمه بالمعبود عن العبادة وبالمذكور عن الذكر وبواجب الوجود عن ممكن الوجود نسى كل شيئ حتى وصل بعضهم إلى حد الجنون يقول أنا خيمتي على جهنم ويقول سبحاني سبحاني ويقول ما في الجب إلا الله يعني نفسه ، فيصلون إلى حد الشطح والجنون والهذيان فأنت كلما ذكرت ربك فإن الله سبحانه وتعالى معك بالنصر والتأييد والتذكير وزوال الوحشة حتى إذا استوحشت بالليل وأردت أن تزول الوحشة عنك فاذكر الله عز وجل لأنك بذكرك الله يهون عندك كل شيئ ويتصاغر عندك كل شيئ والمعية تنقسم إلى أقسام:

الأول:—معية عامة يراد بها بيان الإحاطة ، مثل قوله تعالى ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا**﴾ هذه معية عامة ومثل قوله تعالى ﴿**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم**﴾ وهذه المعية تشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر.

الثاني:— معية التهديد: معية خاصة ولكنها للتهديد مثل قوله تعالى: ﴿**يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعلمون محيطاً**﴾ هذه خاصة معهم هؤلاء الذين يستخفون من الناس ولا يسخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول في الليالي المقصود بها التهديد.

الثالث:— معية خاصة لقوم معينين بأوصافهم للتأييد والتثبيت مثل قوله تعالى: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾ وأمثالها كثير.

الرابع:—مخصوصة لقوم معينين للتأييد مثل قوله تعالى: ﴿**فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم**﴾ هذه إن كانت خاصة للمخاطبين في ذلك الوقت فهي خاصة وإلا فهي عامة خاصة بالمجاهدين ﴿**وأنتم الأعلون والله معكم**﴾ بالنصر والتأييد والتثبيت.

الخامس:—خاصة باشخاص معينين للتأييد والنصر والدفاع مثل قوله تعالى عن موسى وهارون لما قال موسى ﴿**ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى**﴾ المعية هنا خاصة بشخص للتأييد والتقوية والتثبيت ومن ذلك قوله تعالى في حق نبينا صلى الله عليه وسلم حين قال له أبو بكر وهما في غار ثور يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدمه لأبصرنا يعني بذلك قريشاً الذين يطلبون الرسول عليه الصلاة والسلام وأبا بكر وقفوا على الغار ليس بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حائل لا عش حمام ولا شجرة عليها حمامة ولا شيئ ﴿**إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**﴾ قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا ما ظنك باثنين الله ثالثهما أخبر وبين الحكم لا تحزن إن الله معنا ما ظنك باثنين هذا التثبيت والتأييد والدفاع ما ظنك باثنين الله ثالثهما أبو بكر رضى الله عنه ماذا يظن باثنين الله ثالثهما أنه لن يضرهما أحد و لم يستطيع أحد أن يعثر عليهما وهذا هو الواقع وقفوا على الغار و لم يروا أحد أعمى الله أبصارهم وإنصرفوا وهذه المعية من الله عز وجل للرسول وأبو بكر كالمعية التي كانت لموسى وهارون ولهذا

كانت أقوى من قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى ابن أبي طالب لما خلفه في أهله في غزوة تبوك وكأن علياً صار في نفسه شيئ كيف تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدي في كونك خليفة لي على أهلي كما خلف موسى هارون على قومه ﴿أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ لكن أبو بكر والرسول صلى الله عليه وسلم ﴿إن الله معنا﴾ كمعية الله لموسى وهارون فكان هذا أبلغ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى ابن أبي طالب أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدي بينهما فرق أن يقول النبى صلى الله عليه وسلم لأبو بكر إن الله معنا كما قال الله لموسى وهارون إنني معكما أسمع وأرى فهذه معية خاصة للشخص فإذا قال قائل هل هذه المعية حقيقية؟ أو المراد بها لوازمها؟ نقول هي حقيقية واللوازم تابعة للمعنى الأصلي كسائر المعاني اللوازم كالسمع والعلم والبصر والمدافعة وما أشبه ذلك تابعة للمعنى الأصلي الذي يدل عليه اللفظ بالمطابقة فإن قال قائل كيف تجعلونها حقيقية وأنتم تنكرون على الحلولية الذين يقولون إن الله معنا حقاً بذاته ، نقول نعم ننكر عليهم لأن هؤلاء يقولون إن الله معنا في نفس المكان فيكون الله مع الرسول وأبو بكر في نفس الغار مع المحسنين في نفس الأماكن المعية العامة مع الناس كلهم في أى مكان ونحن ننكر هذا أشد الإنكار فإن قال قائلهم أن تثبتوا معية حقيقية مع إعتقادكم أن الله تعالى فوق عرشه فوق السموات السبع؟ هذا تناقض فالجواب من ثلاثة أوجه:-

الوجه الأول:- أن الله جمع فيما وصف به نفسه بين المعية والعلو فقال: ﴿فهو معكم﴾ وقال: ﴿ وهو العلي العظيم﴾ بل في نفس آيات سورة الحديد فليس إستواؤه على العرش بمانع من كونه معنا فإذا كان كذلك فإننا نعلم علم اليقين أنه لاتناقض بينهما لأنه لو كان بينهما تناقض للزم أن يكون أحد الخبرين كذباً وهذا مستحيل.

الوجه الثاني:-أنه لا تناقض بين العلو والمعية وذلك لأن المعية معناها الأصلي مطلق المصاحبة والمقارنة وهذا المطلق يختلف بإختلاف المضاف إليهم وبإختلاف القرائن ممثلا الرجل يقول زوجتي معي وهو في المسجد والمرأة في البيت إذاً في مطلق مقارنة ومصاحبة لكن ليس معناها أن تكون معه في نفس المسجد ، الجنود في الميدان في القتال يقولون القائد معنا لأنهم يسيرون على توجيهاته هذه المعية لها معنى القائد أين هو؟ في غرفة العمليات وهم في ميدان القتال ويقول القائد معنا إذاً تغير المعنى بحسب السياق العرب يقولون ما زلنا نسير والقمر معنا القمر معهم بأيديهم أو على رواحلهم؟ لا في السماء ، ويقولون باللفظ العربي الصريح المبين إن القمر معنا ولا ينكر عليهم أو يقولون ما زلنا نسير والقطب معنا أو الجدى معنا وكل هذا كلام عربي فصيح صحيح فهل هناك الأن منافاة بين علو القمر في السماء أو القطب أو الجدي وبين كونه معنا؟ لا فإذا كان هذا ممكناً في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى وأولى ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله في العقيدة الواسطية بل القمر في السماء وهو من أصغر المخلوقات وهو مع المسافر وغيره أينما كان فكيف بمن هو محيط بكل شيئ؟ كيف بمن السموات السبع والأرضين السبع في كفه كخردلة في كف أحدنا. ألا يصح أن نقول هو معنا وهو في السماء؟ يصح ،

الوجه الثالث:-أن نقول هب أن بين المعنى الحقيقي للمعية والعلو الذاتي تناقضاً في حق المخلوق فإنما[٧٣] يلزم في حق المخلوق لا يلزم في حق الخالق وما إستحال في حق المخلوق قد يكون جائزاً أو واجباً في حق الخالق وبهذا يزول الإشكال عن ما يقع في القلب من الشك والتردد بين قولنا بإثبات معية حقيقية وعلو ذاتي حقيقي. وأهم شيئ الوجه الأول أن الله تعالى لا يمكن أن يجمع فيما وصف به نفسه بين شيئين متناقضين لكن يحتاج الأمر إلى فطنة وذكاء حتى يتمكن الإنسان من الجمع بين ما ظاهره التعارض وفضل الله يؤتيه من يشاء.

المعية في هذا الحديث من الأقسام الخاصة ، وعليك يا أخي بذكر الله دائما حتى يكون الله معك دائماً وقوله: **"فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي"** هذا الشاهم من الحديث الشاهد قوله ذكرته في نفسي وقوله: **"وإن ذكرني في ملآ ذكرته في ملأ خير منهم"** ملأ يعني جماعة من هم؟ الملائكة المقربون الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ، يذكره في ملأ خير منهم فياله من فخر عظيم إذا جلست في مجلس ما أسهل أن تذكر الناس با لله عز وجل لو لم تقل إلا أن تقول لا إله إلا الله ما أعظم الله كيف استطاع بنو آدم أن يكونوا هذا النور من مسمار يضغط ويطفئ النور أو لا يطفئ ، إذاً لو ذكرت الله في هذا الملأ ذكرك الله في ملأ خير منهم وهم الملائكة المقربون عند الله ، استدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن الملائكة خير من البشر ومن الجن لأنه قال "ذكرته في ملأ خير منهم" فهل هذا الإستدلال صحيح؟ الجواب: لا ، **لأنه** لايلزم من الخيرية الخاصة الخيرية المطلقة فمثلا أنا عندي جماعة أهل استقامة ودين في ناس خير منهم أعلى منهم درجة يكونون خيراً منهم وهناك ملأ ثالث أعلى من الثاني خير منهم ، فأنا أقول للملأ الثاني هم خير من الملأ الذين عندي لكن لا يلزم أن يكونوا خير من الملأ الذين فوقهم ، فإذا كان الملائكة الذين عند الله حين الذكر خير من الملأ الذين عندي لا يلزم أن يكونوا خيراً من كل بني آدم لأن الملأ الذين عندي ليسوا خير الناس ، هذه المسألة أخذت نقاشاً طويلا بين العلماء أيهما أفضل الملائكة أو بنو آدم ، وعندي أن الخلاف والنقاش في هذا ليس بذات أهمية لأن الملائكة من جنس آخر وعبادتهم من جنس آخر والتكاليف التي أمرهم الله بها من جنس آخر فلا حاجة للمقارنة وكون الله عز وجل يأمر الملائكة أن يسجدوا لأبينا آدم لا يدل على فضلنا عليهم وكونهم مسخرين لنا يكتبون أعمالنا ويحفظون أرواحنا أيضاً لا يدل على أننا أفضل منهم وكونهم يدخلون علينا من كل باب أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم يقولون سلام عليكم بما صبرتم لا يدل على أننا أفضل منهم لأنه يأتينا خصلة واحدة من خصالهم ربما تقضي على كل هذا وهو أنهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لكن الذين قالوا البشر أفضل قالوا إن البشر ركب فيهم شهوة فإتباعهم للحق يكون صعباً ومعاناة الشيئ مع الصعوبة أفضل من معاناته مع السهولة لأن الملائكة ألهموا التسبيح وصار عليهم سهلا وصار إستمتاعهم ليس له معارض وليس له موانع لكن البش أبتلوا وصار هناك موانع من تحقيق العبادة أو الإستمرار فيها فصارت معاناتهم للعبادة تقابل إستمرار لأن العبادة مع المشقة تكون أفضل من العبادة بدون مشقة لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة **"أجرك على قدر نصبك"** وأنا أقول لو سلك سالك مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية وقال إن الملائكة

أفضل بإعتبار البداية والبشر أفضل بإعتبار النهاية أما الأعمال التي كلف بها هؤلاء ،وهؤلاء أطاعوا[٧٤] وهؤلاء حصل منهم عصيان فهذا شيئ آخر لو سلك سالك هذا المسلك لكان مسلكاً جيداً لأن الملائكة بإعتبار البداية خلقوا من نور والنور أفضل من الطين وبإعتبار النهاية البشرى والسعادة والفوز إنما هو للبشر حتى الملائكة يدخلون على البشر من كل باب يقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فهم أفضل بإعتبار النهاية لأن الله أعد لهم دار كرامته ودار رحمته أما الأعمال التي كلفوا بها فلكل منهم ما يناسبه والله عز وجل حكيم ، أنا ذكرت أنه كلما كانت العبادة أشق فهى أفضل هل معنى ذلك أن يتعمد الإنسان المشقة في العبادة؟ لا ، بل ربما لو تعمد المشقة في العبادة لأثم لأن الله يحب أن تؤتى رخصه ويريد بنا اليسر ولما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا واقفاً في الشمس وسأل قالوا إنه نذر أن يقف بالشمس فأمره أن يدع الوقوف وقال كلمة معناها أن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه فلو قال قائل أنا أريد أن أسخن الماء في الصيف لو قال قائل أنا أريد أن أسخن الماء في الصيف حتى أتوضأ به وأبرده في الشتاء حتى أتوضأ بماء بارد ماذا نقول له؟ نقول أخطأت هذا خلاف هدى النبى صلى الله عليه وسلم وخلاف ما يريد الله من اليسر فإن قال تسخين الماء في الشتاء وتبريده في الصيف من أجل الوضوء هل يمنع فضل الوضوء؟ لا ، بل هذا من حسن رعاية الإنسان لنفسه ورعاية الإنسان لنفسه بدون إخلال بالطاعات لا شك أنه مطلوب "**إن لنفسك عليك حق**".

الدرس الثالث عشر:-

حدثنا عمرو ابن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش سمعت أبا صالح "عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"

هذا الحديث تقدم الكلام على أوله إلى قوله "**ذكرته في ملأ خير منهم**" قال: "**وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**" في هذه الجمل الثلاث بيان فضل الله عز وجل وأنه يعطي أكثر مما فُعل من أجله أى يعطي العامل أكثر مما عمل وهذه هى القاعدة في ثواب الله عز وجل أنه يعطى أكثر كما جاء في القرآن الكريم ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ ﴿**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل**﴾ هذه الجمل الثلاث تدل على هذا لامعنى العظيم وأن عطاء الله وثوابه أكثر من عمل العبد وكدحه يقول جلا وعلا "**إن تقرب إلى بشبر تقربت إليه ذراعاً**" الشبر مسافة ما بين طرف الخنصر إلى طرف الإبهام عند مد اليد والذراع مسافة ما بين طرف الأصبع الوسطى إلى عظم المرفق وهذا هوالذي كان يقدر به سابقاً الشبر والذراع والباع وما أشبه ذلك وقوله: "**إن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً**" إختلف العلماء في معنى هذه الجملة وما بعدها.

فقيل إن هذا على حقيقته وأن الإنسان إذا تقرب إلى الله شبراً تقرب إليه ذراعاً وعلى هذا فيكون هذا القول في العبادات التي تحتاج إلى مشي كالسعي إلى المساجد والسعي إلى الحج وما أشبه ذلك ويخرج العبادات التى لا يكون فيها مشي ولكنها كالتي تحتاج إلى مشي أى أن الله يعطي العامل أكثر مما عمل.

وقيل أن هذا على سبيل المثال وأن الإنسان إذا تقرب إلى الله بقلبه تقرب الله إليه على كيفية لا نعلمها نحن بأنفسنا نعلم كيف نتقرب إلى الله لكن تقرب الله إلينا لا نعلمه فالمعنى أن الإنسان إذا تقرب إلى الله بقلبه فإن الله تعالى يتقرب إليه على كيفية لا تعلم وذلك أن الإنسان يشعر بتقربه إلى الله بالقلب أحياناً يكون قلبه ذاكراً لله عز وجل فيشعر أنه قريب من الله عز وجل وأحياناً يكون غافلا فالمعنى إذا تقرب الإنسان إلى ربه بالقلب ومن المعلوم أن العبادات تكون سبباً لتقرب القلب إلى الله عز وجل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم **"أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"** وهذا وأنت ساجد بأنك قريب من الله وأن الله في السماء فيكون على هذا القول يكون هذا من باب ضرب المثل وليس على الحقيقة وهذا القول أحسن من الأول لأنه يشمل بدلالة المطابقة جميع العبادات والأول يختص بالعبادات ذات السعي والمشي، وكذلك أيضاً قوله: **"من تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً"**.

أما قوله: **"وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"** فهذا أيضاً إختلف فيه العلماء هل هو على حقيقته أم لا؟

فقيل أنه على حقيقته ونحن إذا مشينا نعرف كيف نمشي أما الله عز وجل فإننا لا نعرف كيفية مشيه ولا مانع من أن الله يمشي يقابل المتجه إليه فيقابله إذا أتاه يمشي يقابله بهرولة ويقال إن الذي يأتي سيأتي على صفة ما ولابد فإذا كان الله يأتي حقيقة فإنه لابد أن يأتي على صفة ما هرولة أو غير هرولة فإذا قال عن نفسه أتيته هرولة قلنا ما الذي يمنع أن يكون إتيانه هرولة إذا كنا نؤمن بأنه يأتي حقيقة ونحن نؤمن بأنه يأتي حقيقة فإذا كان يأتي حقيقة لابد أن يكون إتيانه على صفة من الصفات فإذا أخبرنا بأنه يأتي هرولة قلنا آمنا بالله لكن كيف هذه الهرولة؟ لا يجوز أن نكيفها ولا يجوز أن نتصورها هى فوق ما يتصور وفوق ما يتكلم به ولكن هذا القول يخص هذا الحكم بالعبادات التي يأتي إليها الإنسان مشياً وتبقى العبادات الأخرى التي يفعلها الإنسان وهو قائم في مكانه تبقى غير مذكورة في هذا الحديث لكنها بمعناها.

يقول هذا من باب التمثيل أى من أسرع إلى رضاى وإلى عبادتي أسرعت إلى ثوابه سرعة أكثر من سرعة عمله وهذا القول يشمل جميع العبادات لأن الإنسان يسرع إلى العبادة إسراعاً بالبدن وأحياناً يسرع بالقلب فقط وهو ثابت في مكانه فالمهم أن لعلماء السلف في هذه المسألة قولين هل نبقيها على ظاهرها وإن كان سيخرج عنا بعض العبادات إلا أنها تثبت بالقياس أو نقول إن هذا كناية عن أن فضل الله عز وجل أكثر من عمل العامل وكأن شيخ الإسلام رحمه الله يميل إلى هذا الرأى الأخير أنه من باب ضرب المثال ونؤيد هذا بأنه ليس جميع العبادات تحتاج إلى سعي ومشي وإبقاء الحديث على عمومه المعنوي في جميع العبادات أولى من كوننا نخصه في بعض العبادات التي لا تكون عشر العبادات الأخرى أى العبادات التي تحتاج إلى مشي قليل فكوننا نحمل الحديث على عموم العبادات ونجعل هذا من باب ضرب المثل وما زال الناس يضربون المثل في هذا يقول أنا إذا رأيتك تقبل علي فسرف أعطيك بالخطوة خطوتين أو إذا أقبلت مشياً أقبل إليك مسرعاً أو

إذا مشيت إلى بالأقدام أمشي إليك بالجفون وهذا أسلوب عربي معروف وما زال إلى يومنا هذا ؛ وبهذا يزول إشكال الحديث إن حملناه على الحقيقة لم يفتنا على هذا الحمل إلا شيئ واحد وهو العبادات التي لا تحتاج إلى مشي ولا إلى مسافة وإن حملناه على ضرب المثل عم جميع العبادات وهذا المثل معروف من أساليب اللغة العربية .

باب قول الله تعالى ﴿كل شيئ هالك إلا وجهه﴾

قال البخاري رحمه الله باب قول الله تعالى ﴿**كل شيئ هالك إلا وجهه**﴾ كل شيئ هالك أى زائل إلا وجه الله والمراد بالهالك قبوله للهلاك وإن لم يهلك ولهذا من المخلوقات مالا يهلك ولا يفني كالجنة والنار والروح وما شاء الله عز وجل فالمراد بالهلاك هنا أنه إما هالك حقيقة أو قابل للهلاك إلا وجه الله وإختلف المفسرون في قوله ﴿**إلا وجهه**﴾ فقيل إلا ما أريد به وجهه وعلى هذا يكون معنى الأية كل شيئ يقوم به الإنسان ويفعله فإنه لا فائدة منه إلا ما أراد به وجه الله وهؤلاء أيدوا قولهم بقوله تعالى ﴿**ولا تدعوا مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيئ هالك إلا وجهه**﴾ هذا هو الأمر بالإخلاص فيكون إلا وجهه أى إلا ما أريد به وجهه أى إلا ما كان خالصاً وهذا لا شك أن له وجها من حيث سياق الآية وقيل المراد كل شيئ هالك أى فاني وزائل إلا وجه الله عز وجل فعلى الأول يكون الهلاك معنوياً وعلى الثاني يكون الهلاك حسياً إلا وجه الله عز وجل والمراد بوجهه هنا ذاته بمعنى أنه عبر بالوجه عن الذات وليس كما قال أهل الضلال أن الرب عز وجل يفنى إلا وجهه أعوز بالله هذا منكر من القول والله يعبر عن وجهه في مقام الثناء كما قال تعالى: ﴿**كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ هذه كل شيئ هالك إلا وجهه بإيذاء كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام والتعبير بالوجه عن الذات لا يعني أننا خرجنا عن المعنى المراد إذ أن التعبير بالوجه عن الذات يدل على أن لله وجهاً وهذا هو المطلو فالله عز وجل له وجه موصوف بالجلال والإكرام والعظمة والإحسان إلى الخلق وإكرام من يستحق الإكرام هذا الوجه حقيقي لكنه غير معلوم بالكيفية لأن الله أخبرنا عن وجهه و لم يخبرنا عن كيفية وجهه وكما أنه لا كيفية لذاته من حيث الكل ولا نقول الكل بالنسبة لله فكذلك لا كيفية لصفاته لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ولهذا قال بعض العلماء إذا قال لك الجهمي أنت أثبت لله وجهاً فكيف وجهه؟ أثبت لله يداً فكيف يده؟ تقول له أنت تثبت لله ذاتاً فكيف ذاته فإذا قلت هذا فسوف ينقطع لأنه لا يمكن أن يكيف ذاته فنقول له إذا كنت لا تكيف ذاته فإننا لا نكيف صفاته لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات وقال بعض العلماء على حديث النزول إذا قال لك المعطل إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف ينزل؟ فقل له إن الله أخبرنا أنه ينزل و لم يخبرنا كيف ينزل وكل هذه جوابات مفحمة واضحة لا تحتاج إلى تكلف فالوجه لله حقيقة ثابت موصوف بالجلال والإكرام لكن كيفيته غير معلومة لنا لا نعلم كيفية هذا الوجه لأنه أعظم من أن تحيط به عقولنا وأفهامنا .

وأهل السنة والجماعة على طريقتهم وعلى جادتهم يقولون إنه وجه حقيقي يليق بالله عز وجل ولا تُعلم كيفيته وهذا النوع من الصفات يسمى الصفات الخبرية لأن إثباتها بمجرد الخبر فالعقل لا يهتدي إليها

لكن السمع والبصر صفات معنوية يهتدي إليها العقل يعلم أنه لا يصح أن يكون رباً إلا من كان سميعاً بصيراً ٧٧ ولهذا قال إبراهيم لأبيه ﴿يا أبتِ لما تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾ لكن الوجه واليد وما أشبهها لا يمكن أن يثبتها العقل فهي موقوفة على السمع والخبر ولهذا سموها صفات خبرية وضابطها أن مسماها بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء ليست معاني الوجه اليد العين الساق القدم الأبع كل هذه نسميها صفات خبرية. أهل التحريف الذين يسمون أنفسهم أهل التأويل يقولون إن الله ليس له وجه لأن إثبات وجه حقيقي يستلزم التأويل والمجسمة كفار فلا نقول إن لله وجهاً حقيقياً إذاً ما المراد بالوجه؟ قالوا إن المراد بالوجه الجهة أو المراد بالوجه الثواب وليس المراد الوجه الحقيقي فيقال إن هذا تحريف وأى معنى للجهة في قوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ أى معنى لهذا يعني مثلا لو صح أو إستقام أن تكون الجهة صحيحة في مثل قوله تعالى ﴿و لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ لو صح إثبات الوجه بمعنى الجهة لم يستقم في مثل قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ قالوا إذاً نحول المعنى إلى أن المراد الثواب يعنى إلا ثوابه لأن ثوابه لا يهلك فالجنة مؤبدة أبد الآبدين ولكن كل هذا إنحراف عن الصراط المستقيم سببه الرجوع إلى العقل ولو أن الإنسان تأدب مع ربه ومع نبيه و لم يحكم عقله فيما جاء عن الله ورسوله لسلم من هذه المشاكل ما الذي يضيره لو قال أن لله وجه حقيقي لكنه لا يشبه الأوجه لا يماثل أوجه المخلوقين ولا نعلم كيفيته فالصواب إذاً المقطوع به المتعين عقيدة أن نثبت لله وجهاً حقيقياً موصوفاً بالجلال والإكرام ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ولكننا لا نكيفه ولا نمثله بخلقه.

حدثنا قتيبة عن سعيد حدثنا حماد ابن زيد عن عمرو "عن جابر ابن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم: أعوذ بوجهك، فقال أو من تحت أرجلكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أعوذ بوجهك، قال: ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾ ،فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أيسر"

ثم ساق المؤلف حديثاً فيه ذكر الوجه وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم أعوز بوجهك قالها عند قوله تعالى: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ من فوقكم يعني حاصباً من السماء كالسواعق وغيرها مما يهلك الناس أو من تحت أرجلكم الخسف والزلزل قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أو يلبسكم شيعاً و يزيق بعضكم بأس بعض﴾ قال النبي صلى الله علمه وسلم هذه أيسر أو أهون بالنسبة لغيرها لأن الأول لا يمكن مدافعته والثاني لا يمكن مدافعته والثالث يمكن أن يدافع بالإصلاح، كلما جاء وجه الله في القرآن فهو الوجه الحقيقي لكن إختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿و لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ قيل المراد بالوجه هنا الجهة يعني أى شيئ تولونه في صلاتكم فهي جهة صحيحة وقيل المراد الوجه الحقيقي، لكن الراجح في قوله تعالى ﴿فثم وجه الله﴾ أنه الوجه الحقيقي ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في المصلي **"إن الله قبل وجهه"** فهذا يدل على أن الإنسان إذا إتجه في الصلاة فإنما يتجه إلى وجه الله، ماذا نقول في قوله تعالى ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ هل المراد به الوجه الحقيقي؟ نعم المراد به الوجه الحقيقي وهذا كما لو قالوا إنما نطعمكم لله لكن عبروا بالوجه عن الذات مثل ﴿كل شيء

هالك إلا وجهه﴾. فالقاعدة كلما جاءت وجه مضافة إلى الله تعالى في القرآن فإنها الوجه الحقيقي إلا هذه الآية ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ ففيها قولان للسلف.

باب قول الله تعالى ﴿ولتصنع على عيني﴾

تُغذى، وقوله جلّ ذكره ﴿تجري بأعيننا﴾

هذا الباب ذكر المؤلف رحمه الله صفة العين، والعين من الصفات الخبرية وذكر رحمه الله آيتين من كتاب الله: قوله تعالى لموسى: ﴿ولتصنع على عيني﴾ اللام هذه للتعليل وتصنع بمعنى تربى وتغذى، التغذية صناعة للبدن والتربية أيضاً صناعة للعمل فإن الإنسان يربى على الأخلاق فيقال صنع عليها ويغذى فيزداد نموه وينشط فيكون مصنوعاً بالغذاء البخاري رحمه الله قال تغذى فذكر أحد نوعي الصناعة وهى التغذية والتربية صناعة لأنك تكيف ولدك مثلا على الصفة التي تريدها من التربية فيكون هذا صناعة ولقوله تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾ أى على مرأى مني فأراك بعيني وليس المعنى أنه يصنع على عين الله عز وجل بحيث يكون عليها نفسها ولا يمكن أن يكون هذا المراد وليس هو ظاهر اللفظ، ولكن المعنى على مرأى مني بالعين أى أراك بعيني ولهذا فسر علماء السلف الآية بقولهم على مرأى مني كما فسروا قوله تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾ أى بمرأى منا ومرادهم بذلك أنه يصنع على عين الله أى بمرأى من الله بعينه ففيه إثبات العين.

والعين كما ترون في الآية مفردة عيني مفردة، فهل المراد عين واحدة أو المراد ما ثبت لله من عين؟ الثاني لأن المفرد إذا أضيف يتناول كلما يحتمله المعنى من العموم أو كلما تحتمله الإضافة من العموم فهو يشمل ما لله من العين. أما الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾ قوله تجري الضمير يعود على سفينة نوح عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر﴾ أى تجري بمرأى منا نحن نكلؤها ونحفظها ونراقبها بأعيننا ولا شك أن هذه المراقبة بالعين مراقبة خاصة الله عز وجل ينظر كل شيئ ويبصر كل شيئ، لكن هذا نظر خاص لهذه السفينة وعناية ورعاية تختص بها.

ومن المعلوم أنه لا يمكن أن يكون المراد بقوله بأعيننا أنها في نفس عين الله عز وجل هذا مستحيل فلا يحتج بذلك علينا أهل التحريف يقولون أنتم تنكرون علينا المشى على خلاف الظاهر وأنتم تمشون في هذه الآية على خلاف الظاهر نقول لهم ما مشينا على خلاف الظاهر بل مشينا على وفق الظاهر أين كانت السفينة على السماء أو على الأرض؟ على الأرض وكانت على الماء الذي أنزله الله من السماء وأنبعه من الأرض فكيف يمكن أن نقول أن ظاهر قوله تجري بأعيننا أى في نفس عين الله عز وجل؟ حاشى وكلا والله تعالى في السماء وهذه في الأرض لكن هذه العبارة معروفة عند العرب إذا قال إمشي بعيني المعنى أنني أكلؤك بعيني وأحميك بها أيضاً، تقول للشخص يا فلان هات لي كذا وكذا يقول لك على عيني فقوله تجري بأعيننا أى بمرأى منا بالعين وليس هذا من باب التحريف بل هذا من باب تفسير الكلام بما يقطع أنه مراد الله عز وجل، وهنا قال بأعيننا وفي الآية التي قبل قال على عيني بالإفراد فهل بينهما تعارض؟ لا، ليس بينهما تعارض وهنا يجب أن نعلم أن ما جاء في الكتاب أو في صحيح السنة لا يمكن أن يناقض بعضه بعضاً لا الكتاب يناقض بعضه بعضاً ولا صحيح السنة يناقض بعضه بعضاً ولا القرآن مع صحيح السنة يناقض بعضه

بعضاً ، لا يمكن لأن الكل من عند الله ولا يمكن أن يكون فيه إختلاف ولكن قد يقصر الفهم عن المعنى المراد فيظنون في ذلك تناقضاً ويشتبه عليه الأمر ولكن من أعطاه الله فهماً عرف كيف يتخلص مما ظاهره التعارض وأنا أدلكم على شيئ يعينكم على هذا ألا تنظروا للآيات أو النصوص التي ظاهرها التعارض لا تنظروا إليها على سبيل أنها متعارضة أنظروا إليها على سبيل أنها متآلفه ثم حاولوا أن تصلوا إلى كيفية هذا التآلف أما أن تنظر إليها على أنها متعارضة فإنك قد تحرم الوصول إلى التأليف بينها لأنك سوف تورد بعضها على بعض على وجه متناقض وحينئذ تحرم الوصول إلى المراد لكن أنظر إليها إلى أنها متآلفة ولكن حاول أن تعرف كيف التآلف. هذا هو الذي يجب أن تعتقده في النصوص التي ظاهرها التعارض حتى تهتدي ، أما إذا نظرت إليها بنظرة التعارض فأعلم أنه سوف ينغلق عنك الباب ولا تعرف كيف توفق بينها ، لأنك إنما نظرت على أنها متعارضة متنافرة لكن إذا نظرت إليها على أنها متآلفة لكن كيف التآلف؟ سهل عليك فنحن ننظر إلى هاتين الآيتين **﴿ولتصنع على عيني﴾** **﴿تجري بأعيننا﴾** لا نقول إنها متعارضة بل نقول بينها تآلف لأن العين مفردة مضافة فتشمل كلما ثبت لله من عين مهما كثرت ، انظر إلى قول الله تعالى **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** نعمة مفرد مضاف المراد بها مالا يحصى من النعم **﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به﴾** أيضاً نعمة الله عليكم لا تحصى ، كذلك عيني نقول يشمل كلما ثبت لله من عين ، بقينا في الجمع هل نقول بظاهر الجمع أم لا؟ ذهب بعض العلماء إلى أننا نقول بظاهر الجمع ونقول لله أعين كثيرة لكنها غير محصورة لأن أعين جمع وعين مفرد مضاف فيشمل كلما ثبت ، وحينئذ نقول لله أعين كثيرة غير محصورة ولا معلومة العدد ، وحجة هؤلاء أنهم يقولون لم يأت في القرآن ولا في السنة تقييد العين بالتثنية كما جاءت اليد لقوله تعالى: **﴿لما خلقت بيدى﴾** **﴿بل يداه مبسوطتان﴾** لكن العين ما جاءت وإن كان فيها حديث فيه مقال "إذا قام أحدكم يصلي فإنه بين عيني الرحمن" لكن هذا الحديث فيه مقال فهو ضعيف فظنوا أن لله أعين كثيرة ولكن البخاري رحمه الله لدقة فهمه ساق حديثي الدجال ليبين أن المراد بالأعين عينان اثنتان فقط لا تزيد.

حدثنا موسى ابن اسماعيل حدثنا جويرية عن نافع "عن عبد الله قال: ذكر الدجال عند النبى صلى الله عليه وسلم إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور – وأشار بيده إلى عينه – وأن المسيح الدجال أعور عين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية"

حدثنا حفص ابن عمر حدثنا شعبة أخبرنا قتادة قال: "سمعت أنساً رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ما بعث الله من نبيٍّ إلا أنذر قومه الأعور الكذاب ، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر"

ليبين أن المراد بالأعين عينان الدجال فقط لا تزيد وهو ما قال أن الدجال ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعوروإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينيه عنبة طافئة أو طافية يقول إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه من المشير؟ الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بأعور العين وبهذا يسقط ويبطل قول من قال إن المراد بالعور هنا العين لأن بعض المحرفين الذين أصروا

على أن تكون عين الله كبيرة قال المراد بالعور العيب ، والمعنى أن الدجال أعور أى معيب وليس المراد عور العين ولكننا ندفعهم دفعاً يذهق به الباطل حينما أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى عينيه والرسول أعلم منا با لله قال أشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور العين وهذا أيضاً يمنع منعاً باتاً أن يكون المراد بالعور العيب أعور العين وخص اليمنى ومثلها كأن عينه عنبة طافية إذا كان كذلك عُلم أن الله ليس له إلا عينان إثنتان وجه الدلالة أنه لو زادت على إثنتين لكان الزائد كمالا أليس كذلك؟ نعم ، ولكان هذا الكمال يحصل به الفرق بين عينى الدجال لأنه ليس له إلا إثنتان وبين الأعين الزائدة على إثنتين إذا أثبت ذلك لله عز وجل ومن المستحيل أن النبى صلى الله عليه وسلم العلامة التي فيها الكمال إلى علامة إنتفاء العيب هذا مستحيل لأنه يكون في ذلك إخفاء كمال الله عز وجل بذكر ما زاد على إثنتين فلو كان الأعين أكثر من إثنتين لكان الزائد كمالا يحصل به الفرق بين الدجال والرب عز وجل فلما لم يذكر ذلك الذي هو الكمال وإنما ذكر نفى العيب وهو أن الله ليس بأعور علم أن الله سبحانه وتعالى ليس له إلا عينان إثنتان فقط وهذا هو ما ذكره الأشعرى وغيره ممن يذكرون عقيدة أهل السنة والجماعة يقولون وأن لله عينين إثنتين وهذا هو المتيقن على المؤمن أن يعتقده في ربه عز وجل أن له سبحانه وتعالى عينين إثنتين فإن قال قائل في هذا الحديث إشكال عظيم وهو كيف إن الرسول صلى الله علسه وسلم جعل العلامة الفارقة في العين مع أن الفرق بين الخالق والمخلوق عقلي لا حسي يعني ليس الفرق بمجرد أن هذا أعور والرب عز وجل ليس بأعور بل هناك فروق كثيرة فلماذا قلنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر العلامة الحسية لأن المسألم من هينة المسألة إذا جاء الدجال إندهش الرجال وضاعت العقول ، فألعلامة الحسية أسرع إلى الإدراك من العلامة العقلية لأن العلامة العقلية تحتاج إلى مقدمات وربما يذهب الإنسان عنها في تلك اللحظة لكن العلامةالحسية واضحة كألعلامة الأخرى التي ستأتي في الحديث الذي بعده وهى أنه مكتوب بين عينيه كافر هذه أيضاً علامة حسية والنبى صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق وأنصحهم ذكر العلامةالتي لا تحتاج إلى مقدمات ولا تحتاج إلى عمل فكر بمجرد ما يرى الرجل هذا الخبيث الدجال يعرف أنه ليس برب فهذا هو وجه كون الرسول ذكر العلامة الحسية دون أن يكون هناك علامات عقلية وإلا من المعلوم ﴿**أفمن يخلق كمن لا يخلق**﴾ على أن هذا الدجال يوهم الناس أنه يخلق يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ويقتل الرجل ويحيه فيحصل بهذا لبس لكن و لله الحمد هذه العلامة الحسية لا تحتاج إلى تأمل ولا إلى تفكير وفي هذا الحديث الذي بعد حديث أنس دليل على عظم فتنة الدجال لأن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أنه ما من نبى إلا أنذر قومه الأعور الكذاب كل الأنبياء من نوح إلى محمد ينذرون أقوامهم الأعور الكذاب وهذا قد يشكل فيقال الأعور الكذاب من علامات الساعة فكيف ينذر ربه أول الرسل والساعة لم تاتي بعد؟ والجواب ، أن هذا له أوجه:-الوجه **الأول**:-أن يقال أنـذرت فيه الرسل لعظم خطره فينوح عنه حتى في الصحف الأولى حتى في الرسالات الأولى كما قال تعالى ﴿**أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وألا يسأل الإنسان إلا ما سعى**﴾ وقال: ﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا والأخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى**﴾ فلعظم خطر هذا الرجل أنذرت به الرسل وإن كان لن يخرج إلا في أخر الزمان.

الوجه الثاني:– أنه يحتمل أن الرسل لم يبلغهم أنه سيخرج في آخر الزمان إنما بلغ أنه سيخرج رجل[٨١] له فتنة عظيمة ولم يوحى إليهم أنه سيخرج في آخر الزمان.

الوجه الثالث:– لكنه ضعيف أن المراد ما يشأ به فتنته من دعاة الضلال لكن هذا الوجه يمنعه قوله "**إلا أنذر قومه الأعور الكذاب**" فإن هذا يدل على تعيين هذا الدجال وأنه هو الذي أنذر به الرسل أقوامهم وعلى كل حال فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أنذرنا بهذا الأعور الدجال إنذاراً لم ينذره أحداً من الأنبياء قبله وفصله تفصيلا تاماً وقد كتب بين عينيه كافر وجاءت بعض الرويات بتفريق حروف كافر يعني مكتوب – (كاف فاء راء) وفي بعض الروايات كافر فيحتمل هذا أو هذا لكن المعنى هو العلامة لا تختلف بالواقع ولكن من يقرأ هذه الكلمة – يقرأها المؤمن سواء كان كاتباً أو غير كاتب ولا يستطيع الكافر والمنافق أن يقرؤها ولو كان من أعلم الناس بالكتابة ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾ ما يعرف يقرؤها والمؤمن يقرؤها ولو كان أمياً وهذه من آيات الله عز وجل وهي من العلامات الحسية.

الدرس الرابع عشر:–

باب قول الله تعالى ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾.

هذه ثلاثة أسماء في ضمن أسماء متعددة ذكرها الله تعالى في آخر سورة الحشر ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة .... المصور﴾ هذه ثلاثة أسماء الخالق وورد الخلاق كما في قول الله تعالى ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ والخالق هو الموجد للشيئ على وجه مقدر محكم ولهذا جاء في اللغة العربية الخلق بمعنى التقدير كما في قول الشاعر

ولأنت تدري ما خلقت وبعض الناس يخلق ثم لا يدري

تدري ما خلقت يعني تفعل ما قدرت فالخلق هو الإيجاد بتقدير والله سبحانه وتعالى يخلق الشيئ بتقدير محكم بالغ على حسب ما تقتضيه الحكمة والبارئ بمعنى المنشئ وهو قريب من معنى الخالق لكن لابد أن يكون بينهما فرق بأن الله سبحانه وتعالى لا يذكر كلمتين إلا وبينهما فرق وهذا هو الأصل في الكلام أن نحمل على التأسيس لا على التوكيد معنى على التأسيس يعني أن لفظه فيه لها معنى مستقل لا على التوكيد لأنك إذا قلت فهو للتوكيد صارت اللفظة الثانية بمعنى اللفظة الأولى ولهذا قال العلماء إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس فتعين فلابد أن بينهما فرقاً لطيفاً أما المصور فواضح الفرق بينه وبين الخالق يعني أنه يخلق ما يشاء على صورة معينة يختارها سبحانه وتعالى ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ولهذا كانت هذه الأشياء الثلاثة من خصائص الرب عز وجل فالخالق من خصائص الله عز وجل لا أحد يخلق قال الله تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ ﴿أفلا يتذكرون﴾ وسبق لنا الجواب عما يقال فلان خلق كذا أي صنعه لأن هذا الخلق الذي يحصل من الآدمي ليس هو الخلق الذي يكون لله الخلق الذي يكون لله إيجاد من عدم والخلق الذي يكون للإنسان تحويل وتغيير لشيئ مخلوق لكن يصنعه على كيفية معينة ومع ذلك فإن فعل العبد مخلوق لله عز وجل فيعود فعل العبد خلقاً لله لأن فعل العبد صادر

عن إرادته وقدرته وتصوره والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق ذلك كله فيكون الخلق إذاً كله لله سواء ما خلق الله عز وجل وإستقل به أو خلق الآدمي .... البارئ أيضاً لا أحد يبرأ الناس به ويحيها وينشئها إلا الله عز وجل مهما كان عند الناس من قدرة فإنهم لن يستطيعوا أن يبرؤا الناس به وقد تحدى الله سبحانه وتعالى الخلق أن يخلقوا أصغر مخلوقات الله وأهونها وهو الذباب فقال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس ضرب مثلا فاستمعوا له﴾ أمرنا الله عز وجل أن نستمع وأن ننسط لهذا المثل لأنه مثل عظيم ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾ كل من عبد من دون الله فهو في نظر الخلق فوق لطفة الخلق فإذا كان هذا للأعلى ، لو اجتمعوا لم يخلقوا ذباباً فمن دونهم من العباد الذين يعبدونهم من باب أولى ﴿لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾ ثم أضاف إلى ذلك ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذونه منه﴾ يعني لو أخذ الذباب منهم شيئاً ما استطاعوا أن ينقذوه ﴿إن يستنقذوه منه﴾ كيف الذباب يأخذ منهم شيئاً صورها بعض العلماء قال إن هذه الأصنام يجعل عليها أشياء من الطين فيعلق بأيديهم ولا يستطيع هؤلاء أن يستنقذوا ما تعلق بأجل الذباب من الذباب إذاً الخلق والبرء كامن بالله عز وجل المصور كذلك التصرير خاص بالله عز وجل ولهذا أنكر الله عز وجل على من يصور ويخلق كخلقه قال: ﴿ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي﴾ من أظلم؟ لا أحد ، لأنه ينازعه في الربوبية الذي يصور كما يصورالله ينازع الله تعالى في الربوبية كأنما يقول بلنسان حاله أنا أقدر على أن أفعل كما فعل وأصور كما صور ومن المعلوم أن التصوير خاص بالله عز وجل لا يستطيع الخلق أن يغيروا صورة صورها الله عز وجل إلى أحسن ولا إلى أسوء أبداً وإنما يكون هناك قطع غيار إذا احتاج بعض الصور إلى تكميل يعيب أو شبهه يمكن؟ أنف إنقطع مثلا يمكن للبشر أن يجمع من بقية الأجزاء أجزاء البدن ما يصور به هذا الأنف أو ما أشبه ذلك لكن التصوير كامل لا يمكن أبداً ، لا يمكن لأحد أن يغير صورة صورها الله إلى حسن أو إلى قبح ربما إلى قبح قد يكون يجني على هذا الرجل جناية تغير ملامح وجهه مثلا لكن على أنه تصوير لا يمكن وهنا يحسن أن نتكلم عن التصوير وحكمه .... التصوير المجسم إذا كان لحيوان إنس أو بهيمة فإنه حراموأظن ذلك متفق عليه ، يحرم ، يعني لا يجوز للإنسان أن يصور شيئاً شاخصاً على صورة إنسان أو صورة بهيمة وهذا بالإتفاق وسواء صورها بيده أو صنع آلة تكون مجوفة ومخططة بحيث إذا وضع فيها عجين أو شبهه إنطبع حتى يكون صورة فإن هذا كله حرام ولا يجوز أما إذا كان التصوير بالتلوين يعني ليس جسماً يلمس وإنما هو لون فقد إختلف العلماء فيه قديماً وحديثاً حتى وإن صور باليد فمن العلماء من أجاز ذلك وقال إن الحديث الذي رواه البخاري في تحريم التصوير قال فيه إلا رقماً في ثوب والأصل أن الإستثناء متصل فيكون قوله إلا رقماً في ثوب مستثنى من الصور المحرمة فيكون التصرير بالتلوين لا بأس به والكلام على التصوير باليد ما وصلنا إلىالتصوير بالآلة فيكون حلالا وإلى هذا ذهب بعض أهل العلم من السلف والخلف وقال بعض العلماء إن التصوير المحرم هو التصوير الذي يقصد به أو يخاف فيه التوصل إلى عبادة الصورة وأن مالا يخشى منه ذلك فليس به بأس واستدلوا لذلك بقصة الرجال الذين كانوا صالحين من قوم نوح صنع لهم صور ثم عبدوا ولكن الصحيح أن هذه علة لا شك لكن العلة التي نص عليها الحديث "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي" تدل على من صور سواء لهذا الغرض أو لغيره فإن ذلك حرام

إذاً ما كان له جسم فهو حرام وما لم يكن له جسم فمحل خلاف بين العلماء ولكن الجمهور على[83] خلاف وحملوا قوله إلا رقماً في ثوب على أنه إستثناء منقطع وأن المراد به الرقم في الثوب ما لم يكن صورة ذي روح واستدل هؤلاء الذين قالوا بذلك وهم الجمهور بحديث عليّ ابن أبي طالب رضى الله عنه حين بعث أبا الهياج الأسدي أنا أبعث على ما بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ومعلوم أن الطمس يكون بالملون في الغالب وإن كان قد يكون بالمجسم بحيث يوضع على الوجه مثلا طين أو شبهه يطمس معالم الوجه على كل حال هذا دليل واستدلوا أيضاً بحديث النمرقة حينما جاء النبى صلى الله عليه وسلم إلى بيته بيت عائشة فإذا فيه نمرقة وفيها صور فلم يدخل عليه الصلاة والسلام وعرفت الكراهية في وجهه فقالت عائشة أتوب إلى الله ورسوله ماذا أزنبت فقال إن أصحاب هذه الصور يعذبون يقال لهم أحيوا ما خلقتم وهذا القول الذي عليه الجمهور وهو الصحيح أن الصور ولو كانت رقماً حرام وأنها من كبائر الذنوب وإن كانت المضاهاة فيها بالنسبة لخلق الله ليست كاملة لأن خلق الله مجسم وهذا ملون ليس فيه شيئ نافئ على أنه الأنف أو غلى أنه حاجب العين أو ما أشبه ذلك لكن ظاهر النصوص العموم وأنه يشمل حتى ما كان بالتلوين ويبقى علينا النظر في غير ذي الروح أو في جزء من ذوات الأرواح يعني لو صور رأساً فقط أو يداً فقط أو رجلا فقط فهل يدخل في التحريم أو لايدخل؟ نقول لا يدخل في التحريم لأن الحديث كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ومثل هذه الأجزاء لا تنفخ فيها الروح أصلاً ، وليست جسماً يمكن أن تنفخ فيه الروح ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر في قصة التمثال الذي قال له جبريل مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهيئة الشجرة يعني إذا قطع رأسه سيبقى عروة حتى يكون كهيئة الشجرة و لم يقل في الحديث وكسر الرأس فدل ذلك على أن الجزء التي لاتحل الحياة في التحريم ولهذا جاء في الحديث وإن كان فيه مقال ، السورة الرأس فإذا قطعت الرأس فلا سورة والمعنى أن السورة لا تكون سورة إلا مع الرأس فإذا قطع فلا صورة وليس المعنى أن الصورة هى الرأس يعني أن الرأس نفسه يكون صورة مستقلة والدليل حديث التمثال مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهيئة الشجرة" ثم إنه يتضاعف الإثم إذا ة والدليل حديث التمثال مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهيئة الشجرة" ثم إنه يتضاعف الإثم إذا صور العظماء من ملوك ووزراء وعلماء وعباد فإن هذا يتضاعف ، وتضاعف ذلك في العلماء والعباد أشد من تضاعفه في الملوك والوزراء والرؤساء وذلك لأن عاطفة الناس لتعظيم العلماء والعباد أشد من عاطفتهم لتعظيم الملوك والرؤساء لأن تعظيم الملوك والرؤساء في الغالب إنما يكون عن خوف ورهبة وأما العباد والعلماء فهو عن تعظيم وتوقير في النفس فلذلك كان خطر صور العلماء والعباد أشد من صور الملوك والرؤساء ولهذا يجب علينا إذا رأينا صورة شخص عالم صور ليتداولها الناس بالأيدي تعظيماً لها يجب علينا حماية لجانب التوحيد أن نمزقها أما من يوجد من صور العلماء في المجلات والصحف فهذا لا يؤبه لها لكن يوجد صور بعض العلماء مصورة مبروزة يتناقلها الناس وهذه خطيرة جداً فالواجب أن نمزقه ولا يجوز إقرارها مهما كان العالم ، يعني كما قلت لكم عاطفة الناس بالنسبة للعلماء والعباد قوية فيخشى في يوم من الدهر أن يعظم هؤلاء كما عظم القوم الصالحون في قوم نوح ويتعاظم أيضاً الأمر أمر الصور فيما إذا كانت الصورة صورة إمرأة جميلة فإن

هذه فتنة لا من حيث العبادة ولكن من حيث الخلق فإن الإنسان ربما يفتن بهذه الصورة حتى يكون دائماً يطالعها صباحاً ومساءً بالتلذذ والتمتع بها وسواء كان التمتع تمتع شهوة يعني شهوة غريزية أو تمتع إنشراح صدر أو ما أشبه ذلك.

لأنه كما تعلمون ليس كل تمتع للشهوة يعني تمتع مثلا برؤية السيارة الجميلة والزينة والساعة الجميلة، لكن ليس هذا تمتع شهوة فهذه الصور بعض الناس ربما يقتنيها ليتمتع بها وهذا يضاعف الإثم فيها، فالحاصل أن الصور نفسها محرمة فإذا أضيف إلى ذلك خوف فتنة بها من عبادتها أو التلذذ برؤيتها أو التمتع بذلك فإنه يزداد إثماً وذلك لأن المعاصي تزداد بحسب ما .... بها من الحسنات.

بقينا في الصورة الفوتغرافية هذه صارت محل جدل بين العلماء المعاصرين بعد أن ظهرت هذه الآلة فمن العلماء من منعها سداً للذريعة وأخذاً بظاهر العموم وقالوا إن حركة الإنسان لهذه الآلة أو تحريكه لها هذا هو التصوير، ومن العلماء من أجازها وقال:-

أولا:- هذه ليست تصور والإنسان المصور لا يشعر بأنه حاذق وأنه جيد ولهذا لا يمدح الرجل الذي يطلق آلة التصوير حتى تصور، لكن لو يأتي إنسان يخطط صورة حتى تكون كالمصورة قيل ما أحذقه وما أمهره، فليست في الحقيقة تصوير لكنها إلتقاط صورة صورها الله عز وجل والأصل لا شك أنه تصوير الله.

ثانياً:- إلتقاط هذه الصورة كما تكون في المرآة إلا أن المرآة لا تثبت فيها الصورة وهذه تثبت بسبب ما يكون فيها من المواد الكيماوية وهذه المسألة تجاذبها أصلان:-

الأول:- أصل الحل وأن لا نمنع الناس من شيئ إلا إذا تيقنا أنه حرام أو غلب على ظننا أنه حرام.

الثاني:- أصل التحريم وهو عموم المصورين ولكنك إذا تأملت تأملاً عميقاً تبين لك أن الإنسان ليس مصوراً فيما إذا إلتقط السورة بالآلة.... ولهذا يلتقطها الأعمى، يلتقطها الإنسان في ظلمة وتظهر كما هي ولو كان التصوير من الإنسان نفسه لكان يختلف الحكم بين الماهر وغير الماهر والأعمى والبصير وما أشبه ذلك لكن من تركها تنزهاً لا ينبغي أن يوصف بأنه متشدد أو متعمق أو متنطع وما أشبه ذلك، وهذا يسوقه بين الإجتهاد من أداه إجتهاده إلى التحريم والمنع فإنه لا يلام، ومن أداه إجتهاده إلى الحل وقال الأصل الحل حتى يتبين لنا دخولها في التحريم فإنه لا يلام، وإذا كنا لا نلوم من يقول إن أكل لحم الإبل لا ينقض الوضوء، فيقوم ويصلى أمامنا ونحن نشهد بإعتقادنا أن صلاته باطلة، فإننا لا نلومه لأنه مجتهد، فلا ينبغي أن نلوم من يرى أن التصوير الفوتغرافي ليس حرام، لأن صلاة بلا وضوء أعظم من التصوير، الصلاة ركن من أركان الإسلام، وهذا الرجل الذي أكل اللحم ونحن نرى أنه ينقض الوضوء هو عندنا فعل محرم، لا شك أعظم من التصوير لكن نظرا إلى أن هذه المسائل إجتهادية فأنا أرى أنه لا ينبغي أن يشدد فيها على من خلف فيها مسائل لا تتعلق بالعقيدة، إنما هي مسائل إجتهادية، وأقوى دليل رأيته لمن قالوا بالحل قالوا ألست إذا أخذت صحيح البخاري ثم أدخلته الآلة التي تصور وخرجت الصورة من الآلة هل يقال هذا كتابك؟ أكتبته أنت أم لا؟ إذاً أنت لست مصورا له، وهذا واضح لمن تأمله، لكنا نرى بالنسبة لإقتناء الصور الأصل فيه التحريم، لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة، وهذه صورة لا شك، حتى إذا كنت أمام مرآة ورأيت وجهك فهو صورة

لا شك، ويجب أن تعلم أن العلماء رحمهم ا لله فرقوا بين التصوير وإقتناء التصوير، وأكثر الناس لا يعرفون هذا الفرق، لكن العلماء فرقوا، أين متن زاد المستقنع؟وهو مختصر في الفقه قال: يحرم التصوير وإستعماله، ففرق بين التصوير وبين إستعماله، وقالوا يجوز إستعمال التصوير أو الصور فيما يمتهن كالفرش والمخدات وما أشبهه والخلاف في هذا معروف، بعض العلماء يقول لا يجوز حتى فيما يمتهن بل يجب أن تقطع الرأس حتى تكون بلا رأس.

إذاً الخلاصة أولا:– أن التصوير بما له جسم حرام لا شك عندنا فيه، وهو محل إتفاق فيما نعلم.

ثانيا:– التصوير باليد أيضا حرام، لماذا؟ لأن المصور يريد أن يضاهي خلق ا لله في هيئة الصورة وإن كان التصوير بالرقم ليس حقيقة كخلق ا لله، لكن الوجه والعينين والشفتين والأنف وما أشبه ذلك كخلق ا لله، هذا أيضا حرام وتزداد حرمته إذا كان لمعظم من ملوك أو علماء أو عباد، وتزداد حرمته إذا كان من أجل التمتع بالصورة تمتع شهوة أو بلا شهوة، أما إذا كان بالآلة فقد عرفتم الخلاف في هذا ولكن الذي نود أن لا يكون هذا هو الشغل الشاغل لطلبة العلم، بل نقول هذه المسألة مما ساغ فيه الخلاف، والعلماء مختلفون فيها وإدخالها في التحريم، والرسول صلى ا لله عليه وسلم يقول "المصور" إدخالها في التحريم فيه نظر، بل أرى أنه لا يدخل في التحريم فإذا كانت المسألة فيها شيء من الإجتهاد فلا ينبغي التشديد فيها، نعم نشدد على من إقتنى صورة عالم أو ملك أو وزير أو عابد لتعظيمها فإن ذلك لا يجوز، وهذا هو أصل منع التصوير.

تصوير ما لا روح فيه مثل تصوير نخل ورمان وبرتقال أيجوز هذا؟

نعم جمهور العلماء على أنه جائز، وقال مجاهد وهو إمام من أئمة التابعين أنه لا يجوز تصوير الشجر وما أشبهها لأن ا لله تعالى قال في الحديث القدسي "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة أو يخلقوا شعيرة"، ومعلوم أن الشجر النامي يتفرد به ا لله عز وجل فهو سبحانه الذي خلقه لأن ا لله فالق الحب والنوى، فمن صور فقد صور كما صور ا لله، خلق كما يخلق ا لله.

لكن الصحيح أنه جائز وهو الذي عليه الجمهور وهو الذي أرشد إليه بن عباس رضى ا لله عنه، أما تصوير السيارات والدركترات والطائرات والقصور يجوز أم لا؟ يجوز لأن هذا صنع الآدمي، هو الذي يصنع بيده، فإذا جاز الأصل جاز الفرع، أما تصوير الأنهار لو أراد الإنسان أن يصور قارة من القارات ويصور أنهارها وجبالها مثلاً أيجوز أو لا يجوز؟ يجوز، لماذا؟ لأنها ليست نامية، والأنسان يجوز أن يحفر في الأرض جدولا يجري فيه الماء، ولا يقال أنك خلقت نهرا، وهذه قناة السويس كان في الأول قارة أسيا مع قارة أفريقيا ليس بينهما حائل فكان الناس يذهبون على الإبل من آسيا غرب الجزيرة إلى إفريقيا فشقوا القناة فصارت بحراً تصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر وهذا لا بأس به ولا إشكال فيه.

حدثنا اسحاق حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى – هو ابن عقبة – حدثني محمد ابن يحي ابن حبان عن ابن محيريز "عن أبي سعيد الخدرى في غزوة بني المصطلق أنهم أصابوا سبايا فأرادوا أن يستمتعوا بهن ولا يحملن، فسألوا النبى صلى ا لله عليه وسلم عن العزل فقال: ما عليكم أن لا تفعلوا فإن ا لله قد

كتب من هو خالق إلى يوم القيامة" وقال مجاهد عن قزعة سمعت أبا سعيد فقال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: ليست نفس مخلوقة إلا ا لله خالقها".

عن أبى سعيد الخدرى في غزوة بني المصتلق أنهم أصابوا سبايا، سبايا يعني نساء والمسلمون إذا غزو الكفار ثم غلبوا ووقع في أيديهم أحد من المشركين فإن النساء والذرية الصغار يكونون سبياً أى ملكاً للمسلمين أرقاء وأما المقاتلون فإنه يخير الإمام فيهم أو قائد الجيش بين:

١- القتل ٢- المن بدون شيئ يطلقه هكذا ٣- الفداء بمال أو الفداء بأسير.

وإختلف العلماء في الرق هل يدخلوا في هذا وا لله عز وجل يقول: ﴿حتى إذا أثختنموهم فإما مناً بعد وإما فداءً﴾ وثبت أن النبى صلى ا لله عليه وسلم قتل الأسرى صبراً فهذا ثلاثة أشياء القتل والمن والفدا. مثال الفدا بالمال أن يقال للأسير أعطنا مثلا كذا وكذا من المال ونطلق صراحك، والفدا بأسير أن يكون عند الكفار أسرى للمسلمين فيتبادلون الأسرى بالمنفعة مثل أن يقال للأسير أنت تعرف صناعة كذا علمنا، مثل ما علم أسرى بدر الكتابة للصحابة رضى ا لله عنهم. أو القتل ولكن هذا التخيير تخيير مصلحة أم تخيير تشهي؟. القاعدة في هذه التقديرات كلها أن ما كان للغير فهو تخيير مصلحة للتيسير فهو تخيير تشهي إذا كنت تتصرف بغير التخير تخير مصلحة ومن ذلك ولى اليتيم إذا خيير بين شيئين للتصرف في ماله يجب عليه أن يختار ما هو أصلح وكذلك الوكيل، وغير ذلك.

الأن نقول إذا غنمنا من الكفار نساء أو ذرية ماذا يكونون؟ سبايا أرقاء بمجرد السبى أما المقاتلون فإن الإمام يخير فيهم، وقوله "فأرادوا أن يستمتعوا بهن ولا يحملن" أراد الصحابة رضى ا لله عنهم أن يستمتعوا بهؤلاء النساء بالجماع بدون حمل وسألوا النبى صلى ا لله عليه وسلم عن العزل والعزل أن يجامع الإنسان إمرأته أو مملوكته فإذا قارب الإنزال نزع حتى يكون الإنزال خارج الفرج فقال لهم الرسول صلى ا لله عليه وسلم "ما عليكم ألا تفعلوا" يعني إن شئتم إفعلوا وإن شئتم فلا، وقوله "فا لله قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة" بمعنى أنكم لو فعلتم وأنزلتم فإنه لا يلزم من الإنزال أن يخلق منه ولد لأن ا لله سبحانه وتعالى كتب من هو خالق إلى يوم القيامة فأنتم إذا لم تفعلوا يعني و لم تعزلوا فإنه قد يخلق الولد من هذا الماء وقد لا يخلق. الشاهد من هذا الحديث قوله "ما هو خالق" لأن الترجمة باب قول ا لله تعالى الخالق.

العزل ليس هذا محل بحثه لكن لا بأس أن نبحثه هل يجوز للإنسان أن يعزل أم لايجوز؟

نقول إذا دعت الحاجة إلى العزل فإنه يجوز بشرط موافقة الزوجة فإن لم توافق فإن ذلك حرام، لماذا؟ لأن العزل يفوت به أمران مقصودان للمرأة:-

الأمر الأول:- تمام اللذة فإن اللذة لا تتم إلا بالإنزال.

الأمر الثاني:- الولد ولها حق فيه.

فلا يجوز للرجل أن يعزل عن زوجته إلا بإذنها وموافقتها أما إذا وافقت الزوجة فهل الأولى العزل أم لا؟ نقول الأولى عدم العزل والأولى الإكثار من الأولاد فقد قال النبى صلى ا لله عليه وسلم "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم يوم القيامة" وكثرة الأولاد عز للأمة وليس فيه تضييق للرزق فإن ا لله تعالى قال ﴿وما

من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ وكلما كثرت الأمة فتح الله لها أبواب من الرزف بشرط أن تصدق الله في التوكل عليه أما هؤلاء الأمم الكثيرة الذين يموتون من الجوع فهؤلاء ليس عندهم صدق في التوكل على الله وإلا فلو صدقوا لهيأ الله لهم الرزق وفي الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً" الطير تغدوا من أوكارها خماصاً أي جائعة ليس في بطونها شيئ تذهب أول النهار وتروح في أخر النهار بطاناً أي مملوءة البطون، فكثرة الأمة لا شك أنه عز وكثرة للأمة ولهذا نجد الأمم الكثيرة لها هيبة وإن كانت متأخرة في الصناعة من أجل كثرتها وما يحاوله أعداء المسلمين اليوم من تقليل النسل للمسلمين فهو خطة خبيثة ماكرة يريدون أن يقضوا على المسلمين بأي وسيلة إما بموت الموجود أو الحيلولة دون المعدوم أرأيتم لو كثرت الأمة فكان هذا في الزراعة في الصناعة وهذا في التعليم يعني تشتتوا كل واحد قام بعمل وأرض الله واسعة ورزق الله لا نفاد له قال تعالى: ﴿ ما عندكم ينفذ وما عند الله باق﴾ فكثرة الأولاد لاشك أنه محبوب إلى الشرع مطلوب في العقل وأما ما يقول بعض الناس الأن إذا كثر الأولاد كثرت طلباتهم نقول رزقك ورزقهم على من؟ على الله لقوله تعالى ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ انظروا إلى شعيب ماذا قال لقومه ﴿واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم﴾ فجعلها نعمة يذكر بها وقال الله تعالى لبني اسرائيل ﴿ وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ وهذا فيه الإشارة إلى الكثرة والإشارة إلى تعلم أساليب الحرب لأنه ان بنفر في الحرب إلا من كان عنده خبرة.

باب قول الله تعالى ﴿لما خلقت بيدى﴾

هذا الباب أتى به المؤلف لإثبات اليد لا لإثبات الخلق لأن إثبات الخلق في الباب الذي سبق، لكن لا مانع، هذا من حسن ترتيب المؤلف رحمه الله أن الباب الأول في الخلق عموماً وهذا الباب في الخلق خصوصاً يقول عز وجل: ﴿لما خلقت بيدى﴾ وهذه جمله من آية أكبر من هذا فإن الله تعالى أمر الملائكة لما خلق آدم أن يسجدوا له وكان من بينهم وليس منهم إبليس كان معهم ولكنه ليس منهم سجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يسجد قال الله تعالى ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ لأن الجن الأصل فيهم المعصية لا الطاعة والملائكة لا يعصون الله، فسجد الملائكة إلا إبليس أبى فقال الله تعالى ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى﴾ ماذا قال؟ قال، أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فصار المانع له من السجود هو الإستكبار والعلو وكان في علم الله تعالى كافراً فاستكبر وأبى قال ءأسجد لمن خلقت طيناً فقال الله تعالى ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى﴾ وهنا قال لما و لم يقل لمن مع أن آدم عاقل لكن إذا أريد الوصف عبر عن العاقل بما ولكن إذا أريد الشخص عبر عن العاقل بمن أرأيت قوله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تعدلوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ ما طاب و لم يقل من طاب مراعاة للوصف والوصف غير عاقل، وهنا هذا المخلوق آدم عليه الصلاة والسلام أمره عظيم فاعتبار الوصف فيه أولى من اعتبار الشخص ولهذا انظر جواب إبليس أمره عظيم فإعتبار الوصف فيه أولى من إعتبار الشخص ولهذا أنظر جواب إبليس حيث جعله في مقام الشخصية فقال ءأسجد لمن خلقت والله تعالى قال لما خلقت لأن الله عز وجل أراد تعظيم آدم وإبليس أراد تهوينه فقال لمن وقوله تعالى لما خلقت بيدى الشاهد من هذه الجملة قوله تعالى بيدى

وغير آدم لم يخلق باليدين؟ نعم خلق بالكلمة كما قال تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ غير آدم من الملائكة والشياطين وغيرهم كلهم خلقوا بالكلمة، فإذا قال قائل ما دليلك على أنهم خلقوا بالكلمة؟ دليلنا قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ فإذا أراد أن يخلق الملائكة قال كونوا فكانوا وكذلك غيرهم لكن آدم خلقه الله بيده وجعل صورته على صورته وهذا تكريم آخر أن يجعله على صورة الرب ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون مماثلا للرب لأن الله تعالى قال ﴿ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير﴾ وأول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وليسوا مماثلين للقمر فلا يلزم من الصورة المماثلة.

الدرس الخامس عشر:-

قال فضيلة الشيخ حفظه الله:-

تكلمنا على قوله تعالى في الترجمة التي ترجم بها البخاري رحمه الله ﴿لما خلقت بيدى﴾ وقلنا أن هذه كناية عن آدم عليه السلام وعرضنا على هذا شبهة على ما قاله النحويون أن من للعاقل وما لغير العاقل وأجبنا عن هذه الشبهة يعني إذا قصد مراعاة الوصف وصف العاقل بأنه يأتي (بما) وإن أريد الشخص فإنه يأتي (بمن) ومراعاة الوصف في آدم أنه خصه الله عز وجل بأنه خلقه بيده أعظم من كونه شخصاً أعظم من كونه شخصاً وقوله تعالى ﴿بيدى﴾ الباء للتعدية يعني أن الخلق حصل باليد وهذا لم يكن في خلق السموات والأرض ولا في غيرهما من المخلوقات لم يخلق الله أحداً بيده إلا آدم عليه السلام إلا ما ورد أنه سبحانه وتعالى غرس جنة عدن بيده فإذا صح هذا الأثر فإنه يضاف إلى ما خلقه الله تعالى بيده.

وأما ما كتبه بيده سبحانه فهو التوراة قال الله تعالى ﴿وكتبنا لهم في الألواح موعظة وتفصيلا لكل شي﴾ خلق الله آدم بيده وخلق غيره بالكلمة كن فيكون حتى عيسى ابن مريم عليه السلام خلقه الله عز وجل بكلمة كما قال تعالى ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ فإنه خلقه وقال له كن فكان لكن بناء على أقل شيئ له سبب ، نفخ الله في فرجها بروح من عنده خلقها الله عز وجل ونفخ في فرجها جبريل هذه الروح فنشاء الولد.

واليد التي وصف الله بها نفسه هى من الصفات الخبرية وليست من الصفات المعنوية خلافاً لأهل التحريف الذين جعلوها من الصفات المعنوية وفسروها بالقدرة أو النعمة يعني بالإنعام أى بشيئ منفصل عن الله عز وجل بأن تقول هى صفة لله عز وجل من الصفات الخبرية التي مسماها بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء وهى يد حقيقية يقبض بها ويأخذ بها كما ثبت ذلك في قوله تعالى: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ وثبت أنه سبحانه وتعالى يأخذ الصدقة إذا كانت من كسب طيب يأخذها بيمينه فيربيها كما يربي أحدنا فلوه يعني مهره الصغير حتى تكون مثل الجبل ، وهذه اليد ليست كأيدي المخلوقين لا في الحقيقة ولا في الصفة والكيفية. أما الحقيقة فإن حقيقتها تابعة للذات فكما أن ذات الله عز وجل ليست من جنس المواد المخلوقة كلها بل هى ذات لا يماثلها ذات.

وكذلك أيضاً بالكيفية ليست كأيدي المخلوقين لقول الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير﴾ وهذا ينسحب على جميع الصفات.

البحث الثالث:- وردت صفة اليد بلفظ اليد ولفظ الكف وكلاهما صحيح واليد والكف في اللغة العربية معناهما واحد لا يحتمل فإن اليد إذا أطلقت في اللغة العربية فهى الكف وإن قيدت تقيدت بما قيدت به ولهذا لما أطلق الله اليد في قوله تعالى في التيمم ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ لم يتعد التيمم موضع الكف ، واما أطلقت في قوله تعالى ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ لم يتعد القطع موضع الكف ولما أريد الزيادة على ذلك قيدت فقال تعالى في آية الوضوء ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ إذاً اليد والكف معناهما واحد لكن معنى ذلك لولا ورود الكف في الحديث الصحيح لقلنا نثبت لله يداً ولا نقول كفاً لأن صفات الله عز وجل يجب التحرز منها تحرزاً كاملا لأنها فوق ما يدركه العقل.

البحث الرابع:- اليد التي أثبتها الله لنفسه وردت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه الإفراد - التثنية - الجمع - الإفراد مثل قوله تعالى ﴿قل من بيده ملكوت السموات والأرض﴾ ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ وما أشبه ذلك والتثنية مثل قوله تعالى ﴿لما خلقت بيدي﴾ وفي قوله تعالى ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ ووردت بلفظ الجمع في قوله تعالى ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ وهذه الوجوه الثلاثة قد يظن ظان أنها متعارضة ولكن ليس في القرآن و لله الحمد ما يتعارض تعارضاً كلياً بحيث يكذب بعضه بعضاً والجمع بين هذه الوجوه الثلاثة سبق نظيره في الجمع بين ورود هذه الوجوه الثلاثة في صفة العين لله عز وجل وقلنا في الجمع أما الإفراد فإنه لايعارض التثنية ولا الجمع لأن المفرد المضاف يعم ولا ينافي التعدد وعليه فيكون قوله تعالى ﴿قل من بيده ملكوت كل شيئ﴾ ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ لا يتعارضان لأن قوله ﴿من ﴿بيده ملكوت كل شيئ﴾ يعم كل ما لله من يد وكذلك أيضاً لا يعارض المفرد ما يعارض الجمع في قوله تعالى ﴿مما عملت أيدينا أنعاما﴾ يعني النظر في الجمع بين المثنى والجمع فنقول إذا قلنا بأن أقل الجمع إثنان فلا منافات لأننا نحمل الجمع على أنه مثنى وإن قلنا بأن أقل الجمع ثلاثة فما هو المعروف فإن الجمع بين التثنية والجمع هو أن المجموع لايراد به معنى الجمع وإنما جمع للتعظيم والمناسبة بين المضاف والمضاف إليه المضاف أيدي والمضاف إليه (نا) الدالة على الجمع فلوحظ فيه المعنى واللفظ المعنى وهو التعظيم والثاني اللفظ وهو التناسب بين المضاف والمضاف إليه إذاً فما الذي نعتقد بالنسبة ليدي الله عز وجل أواحدة أم إثنتان أم ثلاث الثاني يعني نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى له يدان إثنتان وعلى ذلك أجمع السلف أن لله يدان إثنتان فإن قال قائل لماذا لا نأخذ بالجمع لأنه أزيد ، فإن من أخذ بالجمع فقد أخذ بالمثنى قلنا هذا لا يستقيم لأن قوله تعالى ﴿بل يداه مبسوطتان جاءت رداً على قول اليهود ﴿يد الله مغلولة﴾ فجاءت ببيان الصفة الكاملة لله عز وجل بالنسبة لهذه الصفة ولو كان هناك يد زائدة على إثنتين لذكرت لأنه كلما كثرت الأيدي كثر العطاء فلو كان هناك يد زائدة على إثنتين لذكرها الله تعالى لما فيها من إبحام هؤلاء اليهود والرد عليهم فيتعين أن اليد إثنتان لا أكثر وجاءت في الأحاديث أيضاً ظاهوة في هذا المعنى أن اليد إثنتان فقط وهذا هو الذي نعتقده بالنسبة لله عز وجل.

البحث الخامس:– ما الفرق بين قوله ﴿لما خلقت بيدى﴾ حيث قلنا أن الآية تدل على أن الله خلق آدم بيده وبين قوله تعالى ﴿أو لم يرو أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ قلنا الفرق بينهما من ثلاثة أوجه الوجه الأول أن الله أسند الفعل إلى نفسه في قوله ﴿لما خلقت بيدى﴾ وجعل اليد بمنزلة الآلة التي يصنع بها أما في عملت أيدينا فأسند الفعل إلى الأيدي نفسها.

ثانياً:– أن الله سبحانه وتعالى قال ﴿لما خلقت بيدى﴾ بصفة التثنية ومما عملت أيدينا بصفة الجمع فلابد أن يكون هناك فرق والفرق أن المراد بأيدينا النفس فهو كقوله تعالى ﴿بما كسبت أيديكم﴾ أى بما كسبتم فمعنى الآية مما عملنا.

الوجه الثالث أن الله تعالى قال في خلق آدم خلقت بيدى فقال خلقت وهناك قال مما عملت فجعله عملا والعمل يكون بالكلمة وكذلك الخلق يكون بالكلمة لكن لما غاير بثبوتها علم أنهما ليس سواءً وهو كذلك ولهذا أجمع العلماء أن الأنعام من الخيل وما أشبه ذلك مما يركب ويؤكل لم يخلقها الله بيده وإنما خلقها بالكلمة سبحانه وتعالى وعلى هذا فتكون الأنعام غير مخلوقة باليد بل مخلوقة بالكلمة لا باليد.

البحث السادس:– زعم أهل التعطيل أن إثبات اليد الحقيقية لله عز وجل منكر ومحال على الله ووصف لله بما لا يليق به وأنه لايجوز للمسلم أن يعتقد هذه العقيدة حتى إن بعضهم قال من أطلق ذلك فهو كافر لأنه يقتضي أو يستلزم أن يكون الله جسماً ومن أثبت أن لله جسم فهو كافر على زعمه إذاً ما معنى اليد قالوا معناها يعود إلى القدرة وإنما أعادوه إلى القدرة لأنهم يثبتون القدرة في جملة الصفات السبع فيحيرون كل صفة فعلية إلى معنى القدرة فيكون معنى اليد القدرة وبعضهم قال اليد النعمة لأنها تأتي في اللغة العربية بمعنى النعمة ومنه قول الشاعر:

وكم لظلام الليل عندك من يد تؤيد أن المعنوية تكذب

يعني يقول أن لك خيارات كثيرة في الليل تبين وتخبر أن المعنوية وهم طائفة من المجوس يقولون إن الظلمة لا تخلق خيراً أبداً ولن يكون خيراً في ظلمة وهذه الخيرات التي يسديها هذا الممدوح تشهد أن المعنوية كاذبة ، الشاهد قوله "من يد" أى من نعمة ومنه قول أبو بكر رضى الله عنه لبديل ابن برقع لولا يدك عندي لم أجزيها لكنه قال لولا يد لك عندي يعني نعمة فلو قال الأصل في اليد أنها اليد الحقيقية فإذا وجدت قرينة تمنع أن يكون المراد بها اليد الحقيقية فحينئذ يجب أن نأخذ بما دلت القرينة عليه ثم نقول يمنع هذا التحريف التثنية بيدي بل يداه فهل تقولون أن ليس لله قدرة إلا إثنتان وما معنى هذا القول أو تقول أن ليس لله نعمة إلا نعمتان؟ وهذا يكذبه الواقع لا شك وعلى هذا فنقول كل من حرفها فإنه مخطئ مجانب للصواب مخالف لما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، فإن قال قائل أئتوا لنا بدليل واحد أو نص واحد عن الصحابة أنهم قالوا المراد باليد اليد الحقيقية؟ نقول لا نأتي لكم بشيئ بل المتواتر عنهم حيث يتلون كتاب الله وما جاء من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم ينقل عنهم حرف واحد يبينون أن المراد بها أن المراد بها خلاف ظاهرها ، وعلى هذا فهم يؤمنون بها على ظاهرها وهم عرب خلص يعرفون المعنى وإذا لم يرد عنهم شيئ يخالف الظاهر فإننا نجزم بأنهم يقولون بالظاهر ، إذ كيف يتلون كتاب الله آناء

الليل والنهار ولا يتجاوزون عشر آيات إلا تعلموها وما فيها من العلوم والعمل ثم لا يرد عنهم حرف واحد يدل على أنهم يخلطون الكلام عن ظاهره ولا حاجة إلى أن ننقل لكل صفة بعينها نص عن الصحابة أو التابعين لآن الأصل أنهم يقولون بما دل عليه ظاهر القرآن أن المراد اليد الحقيقية والعين الحقيقية وكذلك بقية الصفات فإن قال قائل إن قوله تعالى ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ لم يبين فيها أن الله يداً يمنى أو يداً شمالا فماذا تقولون؟ هل تقولون أن الله ليس له إلا يدان وتسكتون أو تقولون أن له يد يمنى وشمال أم ماذا تقولون؟ نقول كما قال النبى صلى الله عليه وسلم كلتا يديه يمين بالنسبة إلى عدم إختلاف كل يد عن الأخرى ، لكن ورد التصريح بالشمال من حديث ابن عمر أخرجه مسلم في صحيحه وذكره الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد واستخرج المسائل من الدلائل وقال من جملة المسائل التصريح بالشمال لله عز وجل.

وعلى هذا فالجمع بين هذه الرواية وبين قوله كلتا يديه يمين أن نقول هما يدان يمين وشمال ولكن لا تختلفان كما تختلف أيدى المخلوقين بالنسبة لليمين والشمال بل كلتاهما يمين مباركة فيها الخير والعطاء ، فإن الله سبحانه وتعالى يداه ملئى سحاء الليل والنهار كما قال النبى صلى الله عليه وسلم قال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينفذ ما في يمينه لكثرة خيراته وبركاته وتؤده وإحساناً.

حدثنا معاز ابن فضالة حدثنا هشام عن قتادة "عن أنس أن النبى صلى اللع عليه وسلم قال: يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك من أسماء كل شيئ ، اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول لست هناك – ويذكر لهم خطيئته التي أصاب – ولكن ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتون نوحاً فيقول: لست هناك – ويذكر خطيئته التي أصاب – ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن . . . . . "

أولا قال في هذا اللفظ يجمع الله المؤمنين ، ولكن الجمع يوم القيامة للمؤمنين وغيرهم ، والمشقة تكون على المؤمنين وغيرهم ، ويقول في هذا الحديث يأتون آدم فيقولون: "يا آدم أما ترى الناس" يعني على ما هم عليه من الغم والكرب الذي لا يطاق ، فالمفعول الثاني محذوف دل عليه السياق ، والمعنى أما يرى الناس قد أصابهم من الهم والغم والكرب "خلقك الله بيده" وهذا هو الشاهد من الحديث المطابق للترجمة تماما "وأسجد لك ملائكتة" أي أمرهم أن يسجدوا لك فسجدوا ، وهنا يقع سؤال: كيف جاز للملائكة أن يسجدوا لغير الله ، وهل سجودهم هذا عبادة؟ جاز لهم أن يسجدوا لغير الله لأن الله أمرهم به ، وسجودهم لآدم عبادة ولهذا كان ترك إبليس السجود لآدم كفرا لقوله تعالى ﴿استكبر وكان من الكافرين﴾ كما أن قتل النفس من كبائر الذنوب ولا سيما الأقارب ، وكان قتل النفس للأقارب منقبة عظيمة لإبراهيم عليه السلام حيث أمره الله أن يقتل ولده ، فاستسلم هو وولده ولما أخذه للذبح وتله للجبين أى تله بشدة لألا تأخذه الرحمة وجعل جبينه مما يلي الأرض لألا يعجز عن تنفيذ ما أمره الله به أن يري وجه ولده والسكين أمامه أو أن الولد أيضا يحصل له ما يحصل حين يرى السكين فرق وجهه ، لكن جاء الفرج من الله ورفع عنه هذا التكليف العظيم الباهر وقال له قد صدقت الرؤيا وكتب لك أج من ذبح ولده الذي نلغ معه السعي إمتثالا

زوجها ليسكن إليها﴾ قلنا الجواب على هذا سهل المراد بقوله من نفس واحدة أى من جنس واحد وجعل منها زوجها كقوله تعالى ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وليس المراد بالنفس الواحدة آدم بل المراد نفوس بني آدم والمعنى أنه خلقنا من جنس واحد وحصل ما حصل من الشرك بالله عز وجل وهذا يقع من بني آدم وليس من آدم ويدل لهذا قوله تعالى ﴿فتعالى الله عما يشركون أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون﴾ و لم يقل فتعالى الله عما يشركان لوكانت خاصة بآدم وحواء لقال عما يشركان ثم أن آدم وحواء لم يشركا مالا يخلق شيئاً وإنما حصل الشرك لو صحت القصة بتسمية الولد عبد الحارث.

قال "ولكن ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض" ونوح هو الأب الثاني للبشرية لقوله تعالى ﴿وجعلنا زريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين﴾ أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض صحيح أن آدم ليس برسول وأن أول رسول نوح ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والذين من بعده﴾ ولوكان قبل نوح رسول لقال كما أوحينا إلى فلان والذين من بعده وقال الله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ وبهذا تعرف أيضاً كذب من قال من المؤرخين أن إدريس وشيساً رسولان قبل نوح فشيس لم يذكر في القرآن لكن نأخذ الذي ذكر في القرآن وهو إدريس فإن بعض المؤرخين يقول إن إدريس قبل نوح وهذا لا شك أنه كذب ولا يجوز تصديقه لأنه ليس أحد من الرسل قبل نوح أبداً والظاهر أن إدريس من أنبياء بني إسرائيل لأنه يذكر في سياق بني إسرائيل والظاهر أنه منهم فإن قال قائل لماذا لم يرسل أحد من قبل نوح؟ الجواب ما ذكره الله في قوله ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكموا بين الناس فيما إختلفوا فيه﴾ فكان الناس على الحق لكن لما كثروا وإنتشروا في الأرض إختلفوا فحينئذ إحتاجوا إلى الرسل ليحكموا بينهم بالحق ، وفيه إشارة إلى أن آدم نبى وقد جاء ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن الحداد في اسناد صحيح أن آدم نبى مكلف أوحى الله إليه بوحيه بشرع يناسب الوقت الذي هو فيه فتقيد به ، وأولاده في ذلك الوقت قليلون على طبيعته وعلى فطرته فيأخذون بما كان عليه أبوهم ويتعبدون لله به حتى كثروا فاختلفوا وهذا مما يرجح قول جمهور العلماء في الفرق بين النبى والرسول:-

أن النبى مما أوحى إليه بشرع و لم يكلف بإبلاغه و لم يلزم به بل قيل له تعبد به فتكون فائدته إن كان قبله رسول إحياء الرسالة التي نسيها كثير من الناس وإن لم يكن قبله رسول كآدم فهو شرع جديد وهذا الذي عليه جمهور العلماء في الفرق بين النبى والرسول فإذا قال قائل كيف يوحي الله إليه و لم يأمره بالتبليغ؟ قلنا هنا شيئان:-تعبد خاص وتعبد عام يلزم بإبلاغه ، فأيهما النبوة ، التعبد الخاص وفائدته أنه إذا عمل بالشرع وهو عند الناس معتبر والنبوة لبد أن تكون فيمن هو أهل لها فإن الناس سوف يقتدون به ولهذا نرى العلماء في هذه الأمه يحيون ما مات من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذا رآهم الناس اقتدوا بهموتعلموا منهم فيكون فائدة النبى الذي جاء بالشرع وتعبد لله به وإحياء ما مات من سنة الرسول قبله إن كان قبله رسول

أو إنشاء شرع جديد يتعبد لله به ، ولا أعلم مثالا لهذا الأخير إلا آدم فإنه لم يرسل قبله أحد ولكنه نبأ عليه الصلاة والسلام فكان يتعبد بمقتضى هذا الوحى حتى كبر أولاده وإنتشروا واختلفوا فبعثت الرسل.

نوح عليه الصلاة والسلام يذكر خطيئته وهى سؤاله ربه ما ليس له به علم فإنه قال لله عز وجل ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ انظر كلام الله عز وجل لأنبيائه ورسله في هذه القوة والشدة ، وقال لمحمد آخر الرسل ﴿إتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ فكيف يقول الله هذا الكلام للرسل ألوا العزم ونحن نسأل الله أن يعمنا بعفوه ، نبارز الله بالمعصية القولية والفعلية والعقائدية إلا أن يشاء الله وكأننا واثقون أننا ناجون.

قال:- **"ائتوا إبراهيم خليل الرحمن"** إذا قال قائل من أين علم نوح أن إبراهيم خليل الرحمن وأيهما الأول؟ نوح ، علم ذلك بالوحى ، قطعاً أنه علمه بالوحى وذلك لأنه لا يعلم الغيب ولكن هل إن الله أوحى إلى نوح في وقت وجوده في الدنيا أنه سيبعث إبراهيم ويتخذه خليلا أو أن نوحاً علم بعد ذلك ويكون الأنبياء تعرض عليهم أحوال الناس في الدنيا وإن أخذنا هذا بالتسليم وكنا نقول كما قال النبى صلى الله عليه وسلم أما كيف علم أنه خليل الله فهذا ليس إلينا إذا قلنا بهذا فقد اتبعنا المبدأ السابق الذي فيه الراحة والسلامة نقول كما قال النبى صلى الله عليه وسلم إن نوحاً قال إئتوا إبراهيم خليل الرحمن وفي هذا إشارة إلى إن أعظم وصف يحصل للإنسان أن يتخذه الله خليلا خليل الرحمن ولم يقل رسول ولا نبى لآن الخلة درجة عظيمة من ينالها لا تعلم أن أحداً نالها من البشر إلا رجلين هما لإبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم ﴿إن الله إتخذني خليلا كما إتخذ إبراهيم خليلا﴾ وبه تعرف أن من قالوا إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله أنهم نقصوا النبى صلى الله عليه وسلم لأن المحبة أدنى من الخلة والخلة ثابتة للرسول ، المحبة تكون حتى لعامة المؤمنين ولعامة التوابين ولعامة المتطهرين يعني ليست خاصة بالأنبياء فضلا عن ألوا العزم.

والخلة لا نعلم أنها كانت إلا لهذين الرسولين الكريمين فالذي نجده في بعض الأدعية أو في بعض خطب الوعظ أو ما أشبه ذلك إبراهيم الخليل ومحمد الحبيب نقول هذا خطأ ، هذا نقص في حق الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا قال أنا أريد محمد الحبيب لي؟ قلنا هنا أيضاً تقتضي ، كان أبوهريرة يقول حدثني خليلي أوصاني خليلي إتخذ النبى صلى الله عليه وسلم خليلا أشد من أن تتخذه حبيباً ، هل تتخذ صديقك خليلا؟ جاء في الحديث "المرء على دين خليله فلينر أحدكم من يخالل" والممنوع أن الرسول يتخذ خليلاً ، **واما نحن فلسنا ممنوعين أن نتخذ الرسول خليلا أو أن نتخذ من يستحق المحبة والخلة خليلا.**

لكن الشيئ الذي يجب أن نحذر الناس منه ما وجد عند بعض الشباب والشابات من المحبة مع الله التي تكون أول ما تكون محبة في الله ثم تنمو حتي تكون محبة مع الله فتزاحم محبة الله إن لم تغلب عليها ، فيحب المرء أول ما يحبه لله ثم تنمو هذه المحبة حتي تطغى على محبة الله ولا يكون في قلبه إلا محبة هذا الشخص وهذه مسألة خطيرة يجب أن ينتبه إليها الإنسان بنفسه ويجب أن ينبه لها غيره ، ألا تكون المحبة في الله محبة مع

الله فإنها تكون نوعاً من الشرك قال تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾.

الدرس السادس عشر:-

قال البخاري رحمه الله تعالى:-

"فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم - ويذكر لهم خطاياهم التي أصابها - ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه تكليما ، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم - ويذكر لهم خطيئته التي أصابها - ولكن ائتو عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه"

وعيسى عليه السلام لم يذكر خطيئة ليكمل الشرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يكون الأنبياء الذين سبقوه منهم من إعتذر لخطيئة ومنهم من إعتذر بإعترافه بأن محمداً أكمل بدون خطيئة لكن لكمال محمد صلى الله عليه وسلم وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء أن ينتقل طلب الشفاعة من أبي البشر إلى أربعة من ألوا العزم ولا تحصل الشفاعة إلا من محمد صلى الله عليه وسلم ، منهم من يرى أنه عمل أشياء تحول بينه وبين أهلية الشفاعة وهم ثلاثة نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام والرابع لا يذكر شيئاً لكن يرى أنه هناك من هو أحق منه أن يشفع وأكمل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

"فيأتون عيسى فيقولوا: لست هناكم ، ولكن ائتوا محمد صلى الله عليه وسلم عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال لي: إرفع محمد قل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حداً ، فأدخلهم الجنة ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال: إرفع محمد وقل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فاحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حداً ، فأدخلهم الجنة ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً ؛ فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال: إرفع محمد قل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حداً ، فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود"

هنا طوى ذكر سبب طلب الشفاعة لأن سبب طلب الشفاعة من البشر أن يريحهم الله من الموقف وهنا طوى ذكرها زلم تذكر ولكنها ذكرت في أحاديث أخرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشفع حتى يأتي الله عز وجل بالقضاء بين عباده.

قال أهل العلم وإنما كان الرواة يطوون ذكر هذه الشفاعة لأن هذه الشفاعة لا ينكرها أحد من فرق الأمة ، كل الأمة لا تنكر الشفاعة التي للقضاء بين العباد فلهذا إقتصر الرواة على ذكر الشفاعة التي فيها الخلاف بين فرق الأمة ، وهي شفاعة من دخل النار فإن الخوارج والمعتزلة يرون أن من دخل النار فإنه لا يخرج منها بشفاعة ولا غيرها وإن كان من المؤمنين ، لأن الخوارج يرون أن فاعل الكبيرة كافر ومخلد في النار وأن من سرق ربع دينار كمن سجد لصنم كلاهما كافر مخلد في النار.

والمعتزلة يرون أن فاعل الكبيرة خارج من الإيمان غير داخل في الكفر فهو في منزلة بين منزلتين[96] لا يعطي إسم الإيمان ولا يعطي إسم الكفر لكنه بحكم الآخرة مخلد في النار ، فلا فرق بينهم وبين الخوارج في حكم الآخرة كلهم يرون أن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلهذا كان رواة حديث الشفاعة يزكرون ما يتعلق بالخلاف بين أهل السنة وبين أهل البدعة ، وهو الشفاعة في من دخل النار بذنب لكنه ليس بكافر.

"فقال النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال لاإله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة"

وهذه الشفاعة لأهل الكبائر من هذه الأمة إذا شفع لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أو الأنبياء الآخرون أو الملائكة أو الصالحون أخرج الله سبحانه وتعالى من النار من في قلبه مثقال ذرة من الخير والشاهد من هذا الحديث كله هو قوله في آدم "خلقك بيده" إثبات اليد لله عز وجل وسبق الكلام عليها وبيان الوجوه التي وردت عليها في الكتاب والسنة.

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يد الله ملأى ما يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق الله السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده وقال: عرشه على الماء وبيده الأخري الميزان يخفض ويرفع"

يقول: **"يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء – أى كثيرة العطاء – الليل والنهار"** يعني كثيرة العطاء ليلا ونهاراً ، والليل والنهار أوسع من قوله في الليل والنهار لآنه إذا قيل في الليل والنهار فإن في للظرفية تحتمل أن تكون في جميع الليل والنهار أو أن تكون في جزء منه ، وأما إذا قيل الليل والنهار فالمعنى دائماً.

وقوله **"أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض"** يعني أخبروني ماذا أنفق منذ خلق السموات والأرض من يستطيع إحصاءها؟ لا أحد ، قال: **"فإنه لم يغض ما في يده"** لم يغض يعني لم ينقص ومنه قوله تعالى: ﴿وغيض الماء﴾ يعني نقص فإن قال قائل معلوم أنه لا يغبض ما في يده لأنه ينفق مما في يده على ما في ملكه فالكل لم يخرج عن ملكه فكيف يتصور النقص؟ المراد لو قدر أنه ينفق خارج ملكه لم يكن ذلك ناقصاً مما عنده كما جاء في حديث أبي ذر الغفاري الطويل الذي أخرجه مسلم ورواه النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه قال: **"يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر"**.

قال: **"وعرشه على الماء"** هذا ماء غير الماء الأول الذي كان قبل خلق السموات والأرض هذا ماء آخر بين السماء السابعة والعرش ، ماء عظيم ، قال **"وبيده الأخرى الميزان"** يعني إحدى اليدين للعطاء وهو محض والأخرى فيها العدل **"يخفض ويرفع"** يخفض من إقتضت حكمته خفضه ويرفع من إقتضت حكمته رفعه كما قال تعالى **﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتزل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيئ قدير﴾**. الشاهد من هذا الحديث قوله **"يد الله ملأى – وبيده الأخرى"** فأفاد هذا الحديث أن لله عز وجل يدين إثنتين.

حدثنا مقدم ابن محمد قال حدثني عمي القاسم ابن يحي عن عبيد الله عن نافع ابن عمر رضي الله ٩٧ عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك" رواه سعيد عن مالك.

وقال عمر ابن حمزة سمعت سالماً سمعت ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا، وقال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الأرض.

المؤلف رحمه الله ساق هذا الحديث للإشارة إلى أنه لا قبض إلا بيده كما قال تعالى: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ تدل على أن لله يداً يقبض بها، خلافاً لأهل التعطيل الذين قالوا إن المراد بالقبض السيطرة على الأرض والسلطان عليها، فالبخاري رحمه الله ساق هذا الحديث لهذه الفائدة.

حدثنا مسبب أنه سمع يحي ابن سعيد عن سفيان حدثني منصور وسليمان عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله أن يهودياً جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجرعلى أصبع والخلائق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ ﴿وما قدر الله حق قدره﴾ قال يحي ابن سعيد وزاد فيه فضيل ابن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً وتصديقاً له.

حدثنا عمر ابن حفص ابن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش سمعت إبراهيم قال سمعت علقمة يقول قال عبد الله جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين غلى أصبع والشجر والثرى على أصبع والخلائق على أصبع ثم يقول أنا الملك أنا الملك فيأيت النبى صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قرأ ﴿وما قدر الله حق قدره﴾.

كل هذا يؤيد ما سبق بأن الأرض قبضته عز وجل، وفي الحديث إثبات الأصابع لله سبحانه وتعالى وقد جاءت في غير هذا الحديث مثل قوله صلى الله عليه وسلم "ما من قلب من قاوب بني آدم إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن" فعقيدتنا أن نثبت لله الأصابع، وجاء في حديث إختصام الملأ الأعلى أن له أنامل فإذا أثبت الله لنفسه أو أثبت له رسوله أى صفة كانت فلا تستوحش منها، أثبتها لله، لكن إجعل أمامك شيئين: الأول:- إنتفاء المماثلة لقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾. الثاني:- إمتناع التكييف لقوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾. فإذا ضمنت لنفسك هذاين الأمرين، إتستأنس ولا تستوحش من أى صفة يثبتها الله لنفسه، أو يثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث الأول ذكر خمسة أصابع وفي الثاني ذكر أربعة، ولا منافاة، لأننا نأخذ بالزائد ونقول هذا يقع من إختلاف الرواة ولا يضر، المهم ثبوت أصل الشيئ وهو الأصابع، وأصبع في اللغة العربية يقولون لا يمكن أن يخطئ فيه ألحن الناس من حيث

الدرس السابع عشر:-

باب قول النبى صلى الله عليه وسلم "لا شخص أغير من الله" وقال عبيد الله ابن عمرو عن عبد الملك "لا شخص أغير من الله"

أراد المؤلف رحمه الله في هذا الباب أن يبين فيه صفة الغيرة لله عز وجل ، وهى من صفاته التى جاء بها الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والغيرة هى أن يغار الإنسان على فعل ما يكرهه ، كأنه يطلب تغيير ما حصل مما يكرهه ، هذا هو أصل إشتقاق الغيرة ، أن الغائر يكره ما حصل ويريد تغييره فهل يوصف الله بالغيرة؟

نعم يوصف الله بالغيرة كما يوصف بالفرح والضحك والعجب وما أشبهه ، وهذه الصفة من الصفات الفعلية التي تتعلق بمشيئته لأن الظاهر أن كل صفة لها سبب فهى من الصفات الفعلية ، فالضحك والفرح والعجب كلها صفات فعلية لدخولها في الضابط المعروف عند العلماء أن كل صفة تتعلق بمشيئته فهى فعلية ، ومعلوم أن الصفة ذات السبب تتعلق بمشيئته لأنه هو الذي شاء السبب.

فالتوبة مثلا ، توبة الإنسان إلى ربه لماذا حصلت؟ بمشيئة الله ثم ترتب عليها الفرح هذا وجه قولهم إن كل صفة ذات سبب فإنها من الصفات الفعلية ، فالغيرة من الصفات الفعلية وهنا هل أراد البخاري رحمه الله إثبات الشخص لله لكونه ترجم بقوله **"لا شخص أغير من الله"** لما ذكر الحديث المعلق لا شخص أغير من الله دل هذا على أنه رحمه الله يريد ذلك ، وهل يوصف الله بالشخص؟

هذا ينبني على أمرين:-

الأمر الأول:- صحة اللفظ لا شخص أغير من الله لأن بعض ألفاظ الحديث لا أحد أغير من الله وهذا هو أكثر الروايات ، وأحد يصح أن يوصف الله به في الإثبات ﴿**قل هو الله أحد**﴾ وفي النفى لا أحد أغير من الله فلابد أن نبحث هل هذه اللفظة محفوظة أو غير محفوظة.

الأمر الثاني:- إذا كانت محفوظة وأن الرواة الذين روا الحديث رووه بالمعنى فبعضهم عبر بالشخص وبعضهم عبر بأحد فإن ذلك لا يلزم منه ثبوت الشخصية لله عز وجل لأنه يحتمل أن المعنى لا شخص من بني آدم أغير من الله وهذا لا يلزم منه أن يكون المفضل عليه من جنس المفضل كما لو قلت لا رجل أقوى من الفيل ، فهل يلزم أن يكون الفيل من الرجال؟ لا يلزم ، إذاً ، إذا كان لفظ الحديث محفوظاً لا شخص أغير من الله فلا يلزم أن يكون الله سبحانه وتعالى موصوفاً بالشخصية ، ثم إذا سلمنا أن اللفظ محفوظ وأنه يدل على أنه يوصف بالشخصية فإنه لا يلزم من كونه شخصاً أن يكون مماثلا للأشخاص فإن الله ليس كمثله شيء ، حتى في اللفظة التي يستوي فيها الإنسان والرب عز وجل فإنه لايماثله في حقيقة معناها. لكن رأينا بعض العلماء قال إنهم أجمعوا على أنه لايوصف الله بأنه شخص فنحتاج إلى تحقيق هذا الإجماع ، فإن صح الإجماع لم يبق علينا إلا أن نقول نبحث أولا عن ثبوت هذا اللفظ هل هو محفوظ أو غير محفوظ لأنه ما دام الرواة الثقات رووه على وجهين: لا أحد ، لا شخص ، وأحد أكثر فقد يكون هذا اللفظ شاذاً.

الأمر الثالث:- على تقدير ثبوت هذه اللفظة لا تستلزم ثبوت الشخصية لله إذ لا يلزم أن يكون المفضل عليه من جنس المفضل ونظيره ما قلت لكم ، أن يقول قائل لا رجل أقوى من الفيل فإنه لا يستلزم أن يكون الفيل رجلا وبهذا يزول الإشكال ، لكن إذا إنتفى الإجماع وصحت اللفظة و لم يتوجه قولنا أنه لايلزم أن يكون المفضل والمفضل عليه من جنس واحد وثبت أن النبى صلى ا لله عليه وسلم وصف ا لله بأنه شخص فالأمر في هذا سهل جداً ، ما هو إلا أن تقول هو شخص ليس كالأشخاص لقوله تعالى ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ ولا شك أن لله جلا وعلا ذات قائمة بنفسها لا شك في هذا ، لكن هل هو من جنس الذوات الأخرى؟ لا ، له ذات تختص به لا يعلم كيفيتها إلا هو عز وجل.

حدثنا موسى ابن اسماعيل التبوذكي حدثنا أبو عوانة حدثنا عبد الملك عن وارد كاتب المغيرة عن المغيرة قال:- "قال سعد ابن عبادة لو رأيت رجلا مع إمرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد وا لله لأنا أغير منه ، وا لله أغير مني ، ومن أجل غيرة ا لله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه العذر من ا لله ، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ، ولا أحد أحب إليه المدحة من ا لله ومن أجل ذلك وعد ا لله الجنة"

وفي الحديث من المسائل:-

بيان غيرة سعد ابن عبادة وهو سيد الخزرج وسعد ابن معاذ سيد الأوس ، فالسعدان سيدان ، والخزرج أكبر من الأوس وأشد في الحروب لكن لكل قبيلة منهما خصائص ، سعد ابن عبادة رضى ا لله عنه عنده غيرة شديدة ، حتى قيل أنه إذا طلق إمرأة لم يتزوجها أحد بعده لشدة غيرته ، فا لله أعلم بصحة هذا لكن هذا الحديث يدل على شدة غيرته يقول: "**لو رأيت رجلا مع إمرأتي لضربته بالسيف غير مصفح**" يعني لا أضربه بصفحته بل بحده وإذا ضربه بحده يعني أنه قتله ، فبلغ ذلك النبى صلى ا لله عليه وسلم فقال "**أتعجبون أو تعجبون من غيرة سعد**" والمعنى فيهما واحد لأن همزة الإستفهام قد تحذف من الجملة ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿**أم اتخذوا آلة من الأرض هم ينشرون**﴾ والتقدير أهم ينشرون ، ولهذا ينبغي لك إذا قرأت ﴿**أم اتخذوا آلة من الأرض**﴾ أن تقف لأنك لو واصلت لفهم من وصلك أن جملة هم ينشرون صفة لآلهة فيتغير المعنى ، لكن معنى أهم ينشرون يعني أيقدر هؤلاء على نشر الموتى؟ لا ، فهنا أتعجبون إن كانت باللفظ فالأمر واضح وإن حزفت الهمزة فللدليل عليها.

وقوله "**وا لله لأنا أغير منه وا لله أغير مني**" إختلف العلماء في هذا الكلام من رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أهو إقرار أو إنكار؟ يعني هل الرسول صلى ا لله عليه وسلم أقر سعد على ما حكم به من أنه لو وجد رجلا مع إمرأته لضربه بالسيف ، أو هو إنكار منه؟

فعلى الأول يكون قوله صلى ا لله عليه وسلم وا لله إني لأغير منه وا لله أغير مني يكون ثناء على سعد ولكنه ليست غيرته أعظم من غيرة ا لله ورسوله. وعلى الثاني يكون المعنى أنى أغير منه وا لله أغير مني ومع ذلك لم يشرع هذا الفعل الذي عزم عليه سعد.

والأقرب عندي الأول ، أن ذلك إقراراً لأنه لو كان إنكاراً لبينه النبى صلى الله عليه وسلم بياناً شافياً ، فإن الأمر خطير لأن الأمر هو قتل نفس فلو كان قتل هذه النفس بغير حق لبينه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويدل على هذا القصة التي وقعت في عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه رفع إليه رجلا قتل شخصاً وجده على إمرأته فضربه بالسيف فقطعه نصفين ، فإرتفع الأمر إلى عمر فقال الرجل أنا لا أضرب إلا ما فوق فخذى إمرأتي فإن كان فوق فخذيها أحد فقد ضربته ، فقال لأوليائه ما تقولون؟ قالوا لا نقول شيئاً فأخذ عمر السيف فهزه وقال له إن عادوا فعد ، فهذا إقرار ولا شك أن هذا هو الحكم وليس هذا من باب دفع الصائل لأنه لو كان من باب دفع الصائل لكان الواجب على الزوج أن يقول له يا فلان إتق الله ، كيف تفعل الفاحشة بأهلي فإذا أبى أن يقوم جره فإن عجز عنه فله أن يقتله ولكن هذا ليس من باب دفع الصائل بل منعقوبة المعتدي ، فإن قال قائل وهل لهذا نظير في الشرع؟

الجواب نعم لو أن رجلا نظر إليك من ثقب الباب فإنه يجوز لك أن تأخذ المدرة وتفقأ عينه بدون إنذار حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ المدرة وجعل ......عني يمشي يبطء من أجل ألا يحس به ولو كان هذا من باب دفع الصائل لتكلم عليه أولا وقال إتق الله وإنصرف عن الباب ، ثم إذا أصر يعامله بما يعامله به.

فالظاهر لي أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم **"أتعجبون من غيرة سعد"** أن هذا من باب الثناء على سعد والإقرار على ذلك ، ولكن لو إدعى أحد هذه الدعوى أنه وجد هذا القتيل على أهله وأنكر أولياء القتيل فماذا نصنع هل نقول للقاتل إئتي ببينة لأن البينة على المدعي واليمين على من أنكر ، أو نقول أنه صادق لأنه أقامة البينة على مثل هذه القضية صعبة ومتعذرة ، لو ذهب يأتي بأربعة شهداء لكان هذا الرجل قضى حاجته وولى ولهذا كان سبب كلام سعد ابن عبادة رضى الله عنه سبب أن الله أنزل **﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾** قال هل أراك على أهلي وأذهب أئتي بأربعة شهداء والله لو رأيته لأضربنه بالسيف غير مصفح فإقامة البينة متعذرة لكن قبول الدعوة أيضاً مشكلة لأن كل إنسان يستطيع أن يدعوا شخصاً إلى بيته وهو يريد قتله فيقتله ويدعي هذه الدعوة ، فالحاصل أن ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو الحق في هذه المسألة ، ثم قال في الحديث **"ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"** ظهر بماذا؟ ظهر فحشه وخفي ، أو ظهر الناس واشتهر أو خفي عنهم أو الأمران جميعا.

وقوله **"ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين"** يعني الرسل لإقامة العذر كما قال الله تعالى **﴿رسلا مبشرين ومنذرين لألا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾** استدل بهذه الآية أهل السنة على طائفة منحرفة في باب القدر من الجهمية بأنهم كانوا جبرية لأنه لو ثبت الجبر لكان حجة حتى لو جاء الرسل وقالوا الإنسان أنه مجبر على المخالفة فهو حجة.

وقوله **"ومن أجل ذلك لا أحد أحب إليه المدح من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة"** لمن مدحه وأثنى عليه وقام بعبادته.

فسمى ا لله تعالى نفسه شيئاً ، وسمى النبى صلى ا لله عليه وسلم القرآن شيئاً وهو صفة من صفات ا لله وقال ﴿كل شيئ هالك إلا وجهه﴾.

يعني فالوجه شيئ لأن لفظة الإستثناء الإتصال ، هذا أيضاً لفظ الشيئ هل يطلق على ا لله؟ فيقال له شيئ يخبر به عن ا لله ولا يسمى ا لله به؟ وقول البخاري رحمه ا لله سمى ا لله نفسه شيئاً المراد أنه وصف نفسه بشيئ وإلا فليست الشيئ من أسماء ا لله عز وجل لقول ا لله تبارك وتعالى **﴿و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** فلابد أن تتضمن أسماء ا لله معاني حسني ، لكن يصح أن يخبر عنه بالشيئ والموجود وما أشبهه ، وعلى هذا فيقال إن ا لله شيئ لكنه شيئ كامل ولا نقول شيئ على سبيل الإطلاق فقط يعني ليس مطلق بل هو شيئ كامل سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته ، واستدل البخاري رحمه ا لله على جواز تسمية ا لله بالشيئ بأدلة:–
أولا:– قوله تعالى **﴿قل أى شيء أكبر شهادة قل ا لله شهيد بيني وبينكم﴾** فهنا جاءت الشيئ غير مطلقة بل الشيئ في كمال الشهادة قل ا لله ، ا لله أكبر شهادة من كل شاعر قال تعالى **﴿لكن ا لله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى با لله شهيداً﴾** فسمى ا لله نفسه شيئاً فقال قل ا لله يعني الشيئ الذي هو أكبر شهادة هو ا لله واستدل أيضاً بأن النبى صلى ا لله عليه وسلم سمى القرآن شيئاً وذلك من حيث سأل ، حيث قال **"أمعك من القرآن شيئ"** وهو صفة من صفات ا لله لأنه كلامه وكلام ا لله تعالى صفة من صفاته ولهذا قال العلماء إن القرآن كلام ا لله منزل عير مخلوق فهو صفة والدليل على أنه غير مخلوق قول ا لله تعالى ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ والقرآن هل هو من الخلق أو من الأمر؟ من الأمر وقوله تعالى **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾** وعلى هذا يكون القرآن غير مخلوق وقال تعالى: **﴿كل شيئ هالك إلا وجهه﴾** يعني إلا وجه ا لله وسبق أن التعبير هنا بالوجه يراد به الذات مع ثبوت الوجه ووجه الدلالة من الآية أن الأصل في الإستثناء الإتصال ، فما معنى الإتصال؟ أن المستثنى من جنس المستثنى منه وقد قال تعالى: **﴿كل شيئ هالك إلا وجهه﴾** فيكون الوجه من الأشياء ولهذا أستثنى منها ولعلكم تعرفون أن الإستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير المستثنى منه فماذا تقولون في قوله تعالى **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من إتبعك من الغاوين﴾** أهو منقطع أو متصل؟ ليس من جنسه لأن عباد الأولى عباد الموصوفون بأنه ليس للشيطان سلطان عليهم ، ومن إتبعه من الغاوين له عليهم سلطان لكن لما قال ليس لك عليهم سلطان علمنا أن المراد بالعباد هنا من العباد بالمعنى الشرعي ، إذاً نسمي ا لله تعالى شيئاً خبراً؟ ما الذى يمنع من التسمية؟ قوله تعالى **﴿و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** وهنا لو دعونا بالشيئ ماذا يكون؟ أقول يا شيئ اغفر لنا ، ما يستقيم وعلى هذا فيصح أن يخبر عن ا لله بأنه شيئ ولكن لا يدعى به ولا يسمى به.

حدثنا عبد ا لله ابن يوسف أخبرنا مالك عن أبي حازم "عن سهل ابن سعد قال النبى صلى ا لله عليه وسلم لرجل: أمعك من القرآن شيئ؟ قال نعم ، سورة كذا وسورة كذا لسور سماها"

الشاهد منه قوله **"أمعك من القرآن شيئ"** فسمى ما معه من القرآن شيئاً ، ولهذا أجاب سورة كذا وكذا وحديث سهل ابن سعد في قصة المرأة التي جاءت إلى الرسول صلى ا لله عليه وسلم ووهبت نفسها له

وكأنه صلى ا لله عليه وسلم لم يرغب فيها فقام رجل من الصحابة وقال يـا رسـول ا لله إن لم يكـن لـك بهـا حاجة فزوجنيها فقال أمعك شيئ يعني تصدقها قال معي ازاري ، قال الرسول صلـى ا لله عليـه وسـلم كيـف ذلك إزارك إن أعطيتها إياه بقيت بلا إزار وإن بقى الإزار عليك بقيت بلا مهر ، إلتمس فذهب الرجـل فقـال ما وجدت شيئاً قال: إلتمس ولو خاتماً من حديد فلم يجد ولا خاتماً من حديد فقال أمعـك شـيئاً مـن القـرآن قال نعم ، سورة كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن فجعـل النبـى صلـى ا لله عليـه وسـلم مهرهـا تعليمه إياها القرآن

الدرس الثامن عشر:-

باب ﴿وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم﴾

قال أبو العالية: استوى إلى السماء: إرتفع . فسواهن: خلقهن ، وقال مجـاهد استوى: عـلا على العرش ، وقال ابن عباس المجيد: الكريم ، والودود: الحبيب ، يقـال: حميـد مجيـد ، كأنـه فعيـل مـن مـاجد محمود من حمد .

قال البخاري رحمه ا لله باب وكان عرشه على الماء هذا الباب فيه عدة مسائل:

أولا:- إثبات العرش لله عز وجل لقوله تعالى ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾ والعرش هو أعظـم المخلوقـات الـتي نعلمها وأكبرها وأوسعها ولا نعلم ..... من أين هـو ولا عـن كيفيتـه لكنـه ذو قواعـد ثبـت في الحديـث الصحيح فإذا موسى آخذ بقائمة العرش لكن من أين هو؟ ا لله أعلم من نور من ماده أخـرى ا لله أعلم لكن نؤمن أن لله تعالى عرشاً عظيماً وصفه ا لله تعالى بالعظمة وهـو أكـبر المخلوقـات وقـد جـاء في بعض الأحاديث أن السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقـة ألقيـت في فـلاة مـن الأرض ، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة ، وهذا أمـر لا يحيـط بـه الإنسـان مـن عظمتـه وأصل العرش في اللغة العربية هو السرير الخاص بالملك فيكون أعظم السـرر الموجـودة في مكانـه وزمانـه لأنـه عرش الملك ، وأن ما ذكره المؤلف عن العرش توطئة لذكر الإستواء .

ثم قال أبو العالية وهو أحد التابعين المعروفين بالفقه والعلم والعبادة قال "**استوى إلى السـماء**" ارتفـع يشير إلى قوله تعالى في سورة البقرة ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات**﴾ وقوله تعالى في سورة فصلت ﴿**ثم استوى إلى السماء وهـي دخـان**﴾ فمـا معنـى اسـتوى إلى السماء؟ قال أبو العالية ارتفع إلى السماء وإذا قيل ارتفع إليها فإنه يقتضي أن يكون قبل ذلك دونها ، ولهذا لم يتفق السلف على تفسير استوى إلى السماء إرتفع إلى السماء ، بل ذكر كثير من المفسرين أن المراد بالاسـتواء هنا القصد بالإرادة التامة فاستوى إليها أى اتجه إليها وقصد إليهـا بـإرادة تامـة ، وأصـل ذلـك أن هـذه المـادة استوى في الأصل يدل على الكمال ثم هي في اللغة العربية تستعمل على وجـوه ويتغـير معناهـا بحسـب تلـك الوجوه فتستعمل مطلقة وتستعمل متعداة بالام وتستعمل متعداة بعلى وتستعمل مقرونة بالواو .

الأول:- إذا أستعملت مطلقة فهي بمعنى الكمال ومنه قوله تعالى ﴿**ولما بلغ أشـده واسـتوى**﴾ اسـتوى كمـل يقول العامة استوى الطعام أى كمل نضجه .

الثاني:– إذا عديت بالام صار معناها القصد والإنتهاء أى إنتهى قصده إلى ما بعد الحرف ومنه قوله تعالى ﴿استوى إلى السماء﴾ أى قصد قصداً تاماً بارادة تامة منتهاها السماء.

الثالث:– المعداة بعلى فمعناها العلى والإستقرار لكنه ليس بالنسبة للإستواء على العرش ليس هو العلو العام كما سنوضح إن شاء الله.

الرابع:– أن تكون مقرونة بالواو وفي هذه الحالة يكون معناها التساوي كقولهم استوى الماء والخشبة ذكر ذلك النحويون في باب المفعول معه أى تساويا يعني صار الماء على حذاء الخشبة فهذه هى استعمالات الإستواء في اللغة العربية والصحيح في قوله تعالى ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أى أنه عز وجل قصد إليها بإرادة تامة لأنه سبحانه وتعالى فوق السماء وليست السماء فوقه في يوم من الأيام أو لحظة من اللحظات فيكون المراد بالإستواء كما قرره كثير من المفسرين ومنهم ابن كثير رحمه الله في التفسير معناها القصد مع تمام الإرادة وعليه فيكون في قوله تعالى ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ للعلماء قولان:–

الأول:– أنه بمعني ارتفع والثاني بمعنى قصد قصداً تاماً وقوله ﴿فسواهن﴾ قال خلقهن وفي هذا التفسير قصور لأن التسوية أمر زائد على الخلق لقوله تعالى ﴿هو الذي خلق فسوى﴾ ولو جعلنا التسوية بمعنى الخلق لكان معنى الآية: والذي خلق فخلق وهذا لا يستقيم فالعطف يقتضي هذا ، والتسوية تمام الخلق يعني خلقهم على وجه مستو تاماً ، هذا هو معنى قوله فسواهن ، وقال مجاهد استوى علا على العرش ، ومجاهد إمام المفسرين في التابعين لأنه أخذ التفسير عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنه يعرض القرآن من أوله إلى آخره يقف عند كل آية ويسأله عن معناها ، وقوله استوى علا على العرش يعني قول الله تبارك وتعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ استوى يقول علا على العرش ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في النونية وغيرها أيضاً أن استوى على العرش وردت فيها أربع عبارات عن السلف:

علا وارتفع وصعد واستقر ، لكن علا وارتفع وصعد معنى الثلاثة متقارب أو واحد ، واستقر الاستقرار أمر ذائد على مجرد العلو وكأن الذين فسروه بالاستقرار أخذوه من قوله تعالى: ﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه﴾ أى إذا استقررتم عليه وهذا ليس ببعيد وإن كان الأحوط أن لا نفسر استوى على العرش إلا بعلا على العرش لأن هذا الفعل عدى بعلا فنقتصر على معنى العلو فيه ، ولكن لا مانع أن نقول استقر وإن كان أمراً زائداً على العلو لأن هذا هو معناه في اللغة العربية.

هذا العلو هل هو العلو العام على جميع المخلوقات أو هو علو خاص بالعرش؟

الجواب الثاني علو خاص بالعرش لأنه لو كان هو العلو العام لزم أم يجوز قول القائل استوى على الأرض واشتوى على الجبال واستوى على الشجر ، والإنسان لأنه عال عليه بالمعنى العام لكن هذا علو خاص بالعرش ولهذا قيده الله خلق السموات والأرض في ستة أيام وهو عال عليهن لكن ثم استوى على العرش فهذا علو خاص ويتضح بالمثال الفرق بين العلو العام والخاص:–

لو وضع لك سرير على سطح فجلست عليه لكنت عاليا عليه وعلى ما تحت السطح ، لكن ما هو العلو الخاص المباشر للسرير الذي علوت عليه؟ هو علوك على السرير ولهذا يقال استوى على السرير في هذا المثال ولا يقال استوى على السطح لكن يقال علا عليه ، نقول الإستواء على العرش علو خاص ولهذا نبحث مسألة الإستواء من عدة وجوه:-

أولا:- ما معنى قوله استوى على العرش؟ نقول علا على العرش هذا هو المعنى لا يحتمل غيره ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**﴾ واللسان العربى المبين يدل على أن معنى قوله استوى على الشيئ أى علا عليه ولا يجوز لنا العدول عما يقتضيه اللسان العربي إلا بدليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، ولا هناك دليل من الكتاب ولا السنة ولا اللغة ولا الإجماع على مخالفة هذا التفسير أن استوى بمعنى علا فإن قال قائل ماذا تقولون في قول من قال استوى على العرش استولى على العرش نقول هذا قول باطل لأنه لا دليل له من اللغة ويلزم عليه لوازم باطلة ، فليس له دليل إيجابي ولا تنتفي عنه الموانع ، فإن قيل قولكم لا دليل عليه في اللغة ممنوع فقد قال الشاعر:-

استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

وبشر هو بشر ابن مروان ومعنى استوى على العراق أى استولى عليه؟ فالجواب عن هذا من وجوه:

الوجه الأول:- القائل والناقل عنه مجهول فهو ظلمات بعضها فوق بعض.

الوجه الثاني:- لو سلمنا أن القائل معلوم فهل هو قبل تغير اللسان فيكون من العرب الأقحاح أو بعد تغير اللسان فلا يحتج به؟ الثاني ، لماذا؟ لأن الفتوحات قد كثرت في هذا الوقت وانتشرت وإختلط العجم بالعرب وتغيرت المسائل.

الوجه الثالث: لو فرض أن هذا الرجل لم يتغير لسانه فإن قوله قد استوى بشر على العراق لا يتعين أن يكون المراد به استولى ، إذ أنه يجوز أن يكون المراد استوى علا على العراق علواً معنوياً لا حسياً لأن كونه يستولي عليه يعلوا عليه علواً حسياً ممتنع لكن يعلو عليه علواً معنوياً.

والمعنى قد كمل استيلاؤه عليه وسيطرته عليه لأن الاستواء أصله من الكمال وحينئذ لا دليل لقول هذا القائل ، أما ما يلزم عليه من اللوازم الباطلة إذا فسرنا استوى على العرش استولى عليه فهي:-

أولا:- يقتضي أن يكون العرش قبل استواء الله عليه مملكاً لغير الله ، فمن الذي ملك غير الله؟ لا أحد.

ثانياً:- يقتضي أن يكون هناك معالجة للإستيلاء عليه لأن الاستواء لا يكون إلا بعد عراك ومقاتلة وأخذ ورد فمن الذي قاتل الله؟ لا شيئ.

ثالثاً:- نقول إذا قلت استوى بمعنى استولى لزمه أن يصح قوله إن الله استوى على الأرض واستوى على البعير لأنه مستولي على هذا.

فهذه اللوازم الباطلة تبطل تحريف من حرف الاستواء إلى الإستيلاء والحمد لله أن الأمر واضح فإن قال قائل إذا قلتم استوى على العرش أى علا عليه لزمه أن يكون جسماً محدوداً ، ولما جاءت إمرأة جهم ابن

صفوان إلى الكوفة أو إلى البصرة واجتمع الناس عليها يناقشونها قالت إنها تكفر بمحدود على محدود وآلعرش – محدود وهي تقول إذا كان مستو على محدود لزمه أن يكون محدوداً فما هو الجواب على ذلك؟ الأن قلنا يلزمه أن يكون جسماً محدوداً نقول إذا لزمه أن يكون جسماً فليكن ذلك ونحن نؤمن به ولكننا نقول إنه ليس كأجسام المخلوقين وإن لم يلزم ذلك فلا يلزمنا أن نلزم به ولا يكون قولنا باطلاً بهذا الإلتزام الباطل.

ثم نقول ماذا تعنون بالجسم أتصفون بالجسم الشيئ المركب من لحم وعظم ودم وما أشبه ذلك فهذا ممنوع، أم تريدون بالجسم الشيئ القائم بنفسه الفاعل لما يريد الذي يأتي ويتكلم وينزل، إن قالوا نريد هذا فنحن نلتزم به ونقول إن الله هو هذا وليس كمثله شيئ وهو السميع البصير، أما كلمة محدود فإنها كلمة كالجسم لم ترد في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة لا نفياً ولا إثباتاً وردت عن بعض الأئمة بالإنكار ووردت عن بعض الأئمة بالإقرار، يعني أن بعض الأئمة قالوا إن الله محدوداً وبعضهم أنكر ذلك والحقيقة أن الخلاف لفظي عند التحقق لأنه إن أريد به الحد أن شيئاً يحد الله فهذا منتفي مطلقاً لأن ما فوق المخلوقات هو الله سبحانه وتعالى، وإن أريد بالحد البينونة عن الخلق فهذا هو معنى قول السلف أنه بائن عن خلقه، ولهذا إنكار الحد مطلقاً أو إثباته مطلقاً فيه نظر بل ثم نقول قولكم إنه يلزم من كونه على العرش أن يلزم من كونه على العرش أن يكون محدوداً على محدود، أما كونه على محدود فهذا نسلم به العرش مخلوق له حد ولكن لا يلزم من استوائه على هذا المخلوق المحدود أن يكون هو أيضاً محدوداً لأنه لا يوجد شيئاً فوق يحده ولهذا بطلت اعتراضاتهم وتبين أنهم أرادوا أن يحكموا على الله بعقولهم لا أن يُحَكموا الله تعالى بعقولهم، والفرق بينهما واضح لأن العقل يقتضي أن تحكم الله لأنه هو الحكم وإليه الحكم فتبين الأن أن استواء الله على العرش بمعنى علا على العرش ولا يحتمل غير هذا المعنى.

البحث الثاني:– هل استواء الله على العرش من الصفات الفعلية أم من الصفات الذاتية؟ الجواب الأول أنه من الصفات الفعلية بناء على الضابط الذي ضبطه أهل العلم فقالوا كل ما يتعلق بمشيئة الله فهو فعلي والاستواء متعلق بمشيئته، والدليل أنه قال خلق ثم استوى إذاً فالاستواء حدث بعد الخلق، فإن قال قائل أنا لا أقر بالصفات الفعلية وأرد الصفات الفعلية إلى القدرة الأزلية؟ قلنا هذا خطأ عظيم بأنك إذا حولت استوى على العرش ثم قدر على استواء العرش لزم من ذلك أن يكون قبل هذا عاجز فوقعت في شر مما فررت منه بل نقول قيام الأفعال في الله عز وجل وكونه يفعل ما يشاء هذا من كماله أن يفعل ما يشاء وأن تقوم به الأفعال الإختيارية ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ فإن قال الحوادث لا تقوم إلا بحادث فما الجواب؟ الجواب هذا أكذب القواعد، من قال هذا؟ من قال إن الحوادث لا تقوم إلا بحادث ومن قال إن الفعل لابد أن يكون مقارناً للفاعل وإلا بطل إثباته من قال هذا؟ الإنسان نفسه يحدث الفعل يقوم بعد إن كان قاعداً ويقعد بعد أن كان قائماً ولا يلزم من حدوث هذا القيام المعين ولا القعود المعين أن يكون سابقاً لهذا الفاعل بمعنى أن الفاعل يفعل بوجودهم سابقاً على فعله، فما المانع أن يقع من الله عز وجل فعل حادث مع كونه هو أزلياً؟ ما المانع إذا كان الإنسان المحدث يفعل الفعل الحادث وهو سابق عليه؟ نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً فهل الفعل الذي فعله في آخر وجوده في قومه يلزم أن يكون موجوداً معه حين ولد؟ لا

يلزم ، فتبين أن هذه القاعدة باطلة وفاسدة وأن من كمال الله سبحانه وتعالى أن يكون فعالاً لما يريد ومن جملة ذلك الإستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والضحك والفرح والغضب وما أشبهه ، وذكرنا قبل هذا الدرس أن كل صفة لها سبب فهي صفة فعلية لأنها متعلقة بمشيئته ، فتبين الآن أن الاستواء على العرش صفة فعلية ، العلو العام هل هو صفة فعلية أو ذاتية؟ ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال عالياً فوق المخلوقات لأن الاستواء علو خاص.

ثم قال البخاري رحمه الله وقال ابن عباس "المجيد الكريم" وهذا القول عن ابن عباس معلق ولا ندري من وصله إلا من عند ابن حجر ، قوله المجيد الكريم هو عندنا مرفوع ويقتضي أن يكون المراد بذلك الرب عز وجل ، وفي الآية الكريمة ﴿ذو العرش المجيد﴾ قرأتان ذو العرش المجيدُ و ذو العرش المجيدِ ، فأما على القراءة الأولى فهي اسم من أسماء الله وتعود الصفة فيها إلى الله ولهذا جاءت مرفوعة ، وأما على قراءة الجر فهي صفة للعرش ، والقول بأنها صفة للرب وأنها كسرت للمجاورة قول بعيد جداً ، فالصواب أنها على قراءة الرب من أسماء الله والمجد صفة الله وعلى قراءة الجر تكون صفة للعرش فأما على قراءة الجر فلا بأس أن تفسر بالكريم لأن الله تعالى قال: ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ الكريم بالكسرة فيكون المجد بالنسبة للعرش هو الكرم والكرم في كل موضع بحسبه ، ليس الكرم هو كثرة العطاء لأن العرش لا يعطي لكن يراد به البهاء والحسن والجمال والكمال على حد قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل "فإن أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم" جمع كريم وليس المراد بكرائم الأموال أنها تعطى لكونها الجميلة البهية الكاملة ، فإذا كانت القراءة للمجيد بالجر صفة للعرش صح أن نفسرها بالكريم لأن العرش وصف بذلك ، أما إذا كانت المجيد بالرفع صفة للرب عز وجل فلا يصح أن نفسرها بالكريم بل نفسرها بذي العظمة والسلطان الكامل ودليل ذلك قوله تعالى ﴿مالك يوم الدين﴾ حيث كان الله يجيب القائل أو القارئ فيقول مجدني عبدي لأنه في يوم الدين يكون تمام الملك لله عزو جل مكانه الأن الكريم حتى تفسير المجيد بها إذا كانت صفة من الصفات التامة كما سمعتم الدليل على ذلك ، وأما الودود ففسره بالحبيب لقوله ﴿وهو الغفور الودود﴾ فالحبيب فعيل بمعنى ولكن تفسير الودود بالحبيب تفسير تقريبي لأن الودود أخص من الحبيب ، المودة وصف زائد على مطلق المحبة فهي المحبة الخالصة يعني التي ليست مشوبة بكره ، فتفسير الودود بالحبيب تفسير تقريبي وإلا فإن المعنى الأدق أن تقول الودود ذو المحبة الخالصة وليست مطلق المحبة.

والودود من أسماء الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى ﴿وهو الغفور الودود﴾ وهي بمعنى الواد ، فجمع الله تعالى بين هذين الإسمين الكريمين لأن بالمغفرة تكفير السيئات وبالود حصول الهبات ، فيجمع الإنسان في تلاوة هذين الإسمين بين الخوف والرجاء ، الخوف من الذنوب فيسأل الله المغفرة والرجاء لقوله الودود لأن الودود لا شك أنه سيكون كثير العطاء.

ثم قال البخاري "يقال حميد مجيد كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد"

في العبارة لف ونشر غير مرتب يقول محمود كأنه فعيل من حامد ، مجيد يقول كأنه فعيل من ماجد ، ماجد اسم فاعل ومجيد اسم فاعل لكن فيه مبالغة كما هو معلوم في علم النحو أن أمثلة البالغ منها فعيل

فيكون مجيد بمعنى ماجد لكن فيه مبالغة ، وما هو المجد؟ المجد سبق أنه السلطان التام الذي تكون به السيطرة التامة وأما حميد فيقول محمود من حمد ، إذاً مجيد بمعنى الفاعل ، أم المفعول بمعنى الفاعل؟ حميد يقول البخاري أنه بمعنى المفعول من حمد فهو محمود وهذا صحيح والله سبحانه وتعالى حميد بمعنى محمود أى محمود حمداً يستحقه ولهذا جاءت بصيغة المبالغة حميد ، وتحتمل معنى آخر أن يكون حميد بمعنى حامد لأنه سبحانه وتعالى يحمد من يستحق الحمد من أوليائه ، يحمد الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء ويثني عليهم وهذا حمد فهو حميد بمعنى حامد وحميد بمعنى محمود يكون للمعنيين جميعاً وجاء الجمع بينهما في القرآن والسنة فقال تعالى في قصة إبراهيم ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم لما علمنا من الصلاة عليه كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العلمين إنك حميد مجيد.

حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن جامع ابن شداد عن صفوان ابن محرز عن عمران ابن حصين قال: "إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم ، قالوا: بشرتنا فاعطنا ، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنوا تميم قالوا قبلنا ، جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ، قال: كان الله ولم يكن شيئ قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في الذكر كل شيئ ، ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت ، فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم"

الشاهد من هذا الحديث قوله:- "وكان عرشه على الماء" هذا شاهد الترجمة فيه مما ينبغي الكلام عنه جاءه قوم من بني تميم قال "إقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فأعطنا" ناس يريدون الدنيا بشرتنا وعرفنا ما عندك لكن أعطنا ولهذا جعل النبى صلى الله عليه وسلم هذا رداً منهم للبشرى ، لما دخل أهل اليمن قال "إقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنوا تميم" وأنهم قالوا بشرتنا فأعطنا فكأنهم جاؤا للعطايا والماء ، ولكن لا يعني هذا أنه لا يوجد خير في بني تميم ، بني تميم فيهم خير لو لم يكن منهم إلا أنهم أشد الناس على الدجال كما قال النبى صلى الله علية وسلم " أشد أمتي على الدجال بنو تميم" وكل قبيلة وكل أمة فيها خير وشر ، والخير قد يكون عاماً وقد يكون خاصاً وكذلك الشر ، ثم قال "قالوا قبلنا" رضى الله عنهم ، قالوا قبلنا البشرى ، جئناك لنتفقه في الدين ولم يقولوا جئناك للعطاء ، جاؤا للعلم "ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ، كيف نشأت السموات والأرض أخبرنا فقال النبى صلى الله علية وسلم كان الله ولم يكن شيئ قبله" وهذا أمر معلوم ، وقوله كان الله هذه مسلوبة الدلالة على الزمنية يعني ليس المعنى كان فمبان بل هو عز وجل لم يزل ولا يزال موجوداً ، والعقل لا يدرك كيف كان لأنه أزلي لا نهاية لأوله ولا غاية هو الأول الذي ليس قبله شيئ ولا تحمل فكرك فوق هذا ، إن حملت فكرك ستصل إلى نقطة بين النبى صلى الله علية وسلم علاجها حيث أخبر أن الناس يتولون من خلق كذا من خلق كذا حتى يقولوا من خلق الله وحينئذ يجب أن تقف وتقول الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وتنهي عن هذه التقديرات كلها. قال:- "وكان عرشه على الماء" قبل خلقه السموات أم بعد؟ قبل

خلق السموات ، ثم خلق السموات والأرض وخلقها مبين في القرآن مجملا ومفصلا وكتب في الذكر[٨] كل شيء ، الذكر اللوح المحفوظ كما قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ وقوله كل شيء الظاهر لى أنه ليس على عمومه لأن الله قال للقلم أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فكتب القلم ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وعلى هذا يكون المراد بالعموم أو العام ، الخاص أى ما يكون إلى يوم القيامة.

يقول عمران ابن حصين "ثم أتاني رجل يقول ياعمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم" جاءه رجل يقول أدرك ناقتك ، وهذا التنبيه من هذا الرجل هل هو واجب أم سنة؟ واجب لأنه من حفظ مال أخيك ، والظاهر والله أعلم أن عمران ظن أنها قريبة فذهب يعقلها ويرجع ليستمع إلى ما يقول الرسول صلى الله علية وسلم لكنه يقول "فإذا السراب ينقطع دونها" إذا هى بعيدة وراء السرب لكنه لم يتركها لأن النفس تتعلق بالمال في مثل هذا الحال إذ يشق عليه أن يرى بعيره وهى راحلته من المدينة إلى أهله ، وراحلته لقضاء حاجاته أن يراها بعيدة ثم يرجع ، فذهب لكن يقول لوددت أنها قد ذهبت و لم أقم ، وفي هذا دليل على حرصه رضى الله عنه على العلم وأنه يفضل العلم على المال وهذا هو الذي يعرف قدر العلم.

الدرس التاسع عشر:-

حدثنا علي ابن عبد الله حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام حدثنا أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال "إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض"

هذا الحديث سبق الكلام عليه ، وبينا معنى قوله "فإنه لم ينقص ما في يمينه" من هذا الإنفاق ، وأن التقدير أن الإنفاق كان على أمر خارج ، فإنه لو كان على أمر خارج فإنه لم ينقص الله شيئاً ، مع أن كلا في ملك الله عز وجل ، وإنما قلنا ذلك لألا يقول قائل معلوم أنه لم ينقص ما في يمينه إذا أنفق لأنه إنما ينفق في ملكه فهو كما لو أن الإنسان أخرج الدراهم من حجرة وجعلها في حجرة أخرى أو من دولاب وجعلها في دولاب آخر معلوم أنه لم يخفى عن ملكه وإن كان يقال في هذا نقص ، لكن هو على تقدير أن الإنفاق كان خارجا ومع ذلك لم ينقص ما في يمينه ، والشاهد للباب في هذا الحديث قوله "عرشه على الماء".

حدثنا أحمد حدثنا محمد ابن أبي بكر المقدمي حدثنا حماد ابن زيد عن ثابت عن أنس قال "جاء زيد ابن حارثة يشكو فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول اتق الله وأمسك عليك زوجك" قال أنس قالت عائشة لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً لكتم هذه ، قال فكانت زينب تفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات.

وعن ثابت ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس﴾ نزلت في شأن زينب وزيد ابن حارثة.

حدثنا خلاد ابن يحي حدثنا عيسى ابن طهمان قال "سمعت أنس ابن مالك رضى الله عنه يقول - نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش ، وأطعم عليها يومئذ خبزا ولحما" وكانت تفخر على نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت تقول "إن الله أنكحني في السماء"

الشاهد من هذا قوله من فوق سبع سموات وذلك أن العرش فوق السموات فيكون الله عز وجل فوق السموات لأن الله فوق العرش وليعلم أن هناك استواء وعلواً فالإستواء سبق الكلام عليه وبينا أنه من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته أما العلو فإنه من الصفات الذاتية اللزمة له فهو دائماً أزلا وأبداً فوق كل شيئ وليس فوقه شيئ كما قال النبى صلى الله عليه وسلم وأنت الظاهر فليس فوقك شيئ وهذا الحديث في قصة زينب بنت جحش وزيد ابن حارثة رضى الله عنه فيها روايات كثيرة رويت حول هذه القصة ضعيفة لا تصح عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا تليق بمقامه صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم نصح زيد ابن حارثة أن يبقيها عنده وإن كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو شار عليه هذه المشورة ، في قلبه أشياء الله أعلم بها فلعله خاف أن يطلقها ثم يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون في هذا اشكال عند الناس لأنهم يرون أن ابن التبني لا يجوز أن يتزوج إمرأة من تبناه ولكن الله عز وجل أراد أن يبين للخلق أن ابن التبني يجوز أن يتزوج من يتبناه قال: ﴿**فلما قضى زيد منها وتراً زوجنكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضو منهن وتراً وكان أمر الله مفعولا**﴾ فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن طلقها زيد ابن حارثة وبذلك زالت هذه المشكلة هذا كالأول فيه إثبات علو الله سبحانه وتعالى وأهل السنة والجماعة يثبتون علو الله بذاته وصفاته ويقولون إن العلو نوعان علو ذات وعلو صفة:-

١- علو الذات:- فهو أنه سبحانه وتعالى فوق عباده. ٢- علو الصفة:- فهو أن جميع صفاته عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ، أهل التعطيل أنكروا الأول وقالوا إن الله ليس عالياً بذاته ثم اختلفوا فقال بعضهم إنه جل وعلا بذاته في كل مكان في الأرض في السماء في البر في البحر وفي الجو والمساجد والبيوت هو حال في كل شيئ وهذا مذهب الجهمية الحلولية الذين يقولون إن الله معنا بذاته في أى مكان كنا.

والقسم الثاني: الذين أنكروا العلو قالوا إن الله تعالى لا يوصف بأنه فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا متصف ولا منفصل ولا مبالي ولا محايد فقيل لهم هذه الأوصاف للمعدوم لو قيل لنا صفوا لنا المعدوم بأبلغ من هذه الأوصاف ما وجدنا إلى ذلك سبيلا مع أنه كما ترون أوصاف سلبية وأهل التعطيل يصفون الله بالأوصاف السلبية دون الإيجابية أما أهل السنة والجماعة فقالوا إن الله فوق كل شيئ فوق عباده ، وقالوا إن الأدلة على علو الله سبحانه متنوعة وأن أصولها وجميع الأدلة تشهد بذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل والفطرة خمسة أنواع من الأدلة وكل هذه الأدلة تدل على أن الله سبحانه وتعالى فوق عباده ففي القرآن الكريم مالا يحصى من الأدلة على علو الله على وجوه متنوعة قال تعالى ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه**﴾ والآيات في هذه كثيرة ﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده**﴾ لأن النزول يكون من أعلى إلى أسفل أما السنة فكذلك جاء في السنة بأنواعها الثلاثة - بالقول والفعل والاقرار.

أما القول:– فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يسبح الله تعالى في سجوده ويقول سبحان ربي الأعلى – والأحاديث عنها في إثبات ذلك كثيرة.

وأما الفعل:– فإنه لما استشهد الأمة على إبلاغه في حجة الوداع وهو يخطب الناس ويقول ألا هل بلغت؟ قالوا نعم ، فيرفع رأسه إلى السماء ويقول اللهم إشهد هذه اشارة إلى أن الله في العلو وكذلك مد يديه إلى السماء حينما استسقى ، هذه دلالة بالإشارة على أن الله تعالى فوق.

وأما الإقرار:–فهو أقر الجارية التي سألها أين الله قالت في السماء قال أعتقها فإنها مؤمنة.

وأما إجماع السلف:– فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله أنه طالع ما أمكنه من كتب السلف فلم أجد عن واحد منهم أنه قال أن الله ليس في السماء أو أنكر الفوقية والعلو.

وأما العقل:– فإنا نقول هل العلو صفة كمال أو السفل؟ هو صفة الكمال الأول فإذا كان العلو صفة الكمال وكان السفل صفة نقص لزم أن يكون الله متصفاً بالكمال عقلاً وأما الفطرة فظاهرة فإن الإنسان حينما يذكر ربه بقلبه يجد قلبه يتطلع إلى الله ويرتفع إلى السماء بفطرته بدون أن يلقم أو يدرس حينما يقول يا رب يجد في قلبه ضرورة بطلب العلو وهذا يدل على أن الفطرة تدل على علو الله عز وجل.ويقال أن أبا المعال جويني الملقب بإمام الحرمين كان يقرر فيقول كان الله ولم يكن شيئاً قبله أو كان الله ولا شيئ وهو الأن على ما كان عليه يريد بهذا أن بنكر استواء الله على العرش لأنه إذا كان الله قبل كل شيئ وكان الآن على ما هو عليه لزم من ذلك أن لا يستوي على العرش وهو يريد أن يقرر ما وراء ذلك أيضاً أن الله لا يوصف بأنه فوق فقال له أبو العلاء الهمداني يا شيخ دعنا من ذكر العرش يعني أن الإستواء على العرش دليله في السمع لا تقتضيه الفطرة ولولا أن الله أخبرنا أنه استوى على العرش ما علمنا بهذا ولكن أخبرنا عن هذه الضرورة ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو العام.هل يوافقون أبا العلاء أو لا يوافقونه؟ يوافقونه كلهم ، ما قال الإنسان يا رب إلا وجد إلى السماء فصرخ أبو المعارف وجعل يضرب على رأسه ويقول حيرني الهمداني يعني أنه لم يستطع أن يجيب على هذه الفطرة فتبين الأن أن أدلة العلو خمسة أنواع ، الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل والفطرة.

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج "عن أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي".

كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي وهذه كتابة فرضها الله تعالى على نفسه كما قال تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ وفي الحديث الشاهد قوله "عنده فوق عرشه" وفيه من الصفات الرحمة والغضب ، واعلم أن الرحمة المضافة إلى الله تنقسم إلى قسمين رحمة مخلوقة ورحمة هى صفته ، وهى غير مخلوقة:–

فالرحمة المخلوقة:– سميت بذلك لأنها من آثار الرحمة وهى محل الرحمة ومسكن الرحماء وتلك هى الجنة حيث قال الله تعالى لها أنت رحمتي أرحم بكي من أشاء هذه الرحمة التي أضافها الله إلى نفسه رحمة مخلوقة.

الرحمة التي هى صفته:– وهى غير مخلوقة تنقسم أيضاً إلى قسمين عامة وخاصة:–

فالرحمة العامة:– هى الشاملة لجميع الخلق حتى الكافر يدخل في رحمة الله يرزقه الله عز وجل معاشاً ومسكناً ومنكحاً وقوة في بدنه وفي عقله كل هذا من الرحمة ينعم عليه بأنواع النعم من إنزال المطر وإنبات النبات وما أشبه ذلك ، هذه رحمة عامة تكون للمؤمنين والكافرين ، وهى رحمة دنيوية قاصرة في ذاتها وفي زمنها وفي موضعها.

والرحمة الخاصة:– خاصة بالمؤمنين وهذه رحمة تتصل بها رحمة الآخرة أى يرحم المؤمنين في الدنيا والآخرة ، فإن قال قائل هذه الرحمة التي جعلها الله عز وجل في قلوب المخلوقات نجد أن الإنسان يرحم الضعيف من الصغار والشيوخ والعجائز والمرضى والدواب والبهائم نقول هذه الرحمة صفة للراحم من هو الراحم؟ المخلوق ، والمخلوق وصفاته مخلوق ، الرحمة التي وضعها الله في قلوب البشر وغير البشر هذه رحمة مخلوقة ، لأنها وصف لا لله ولكن للراحم ولهذا جاء في الحديث " **الراحمون يرحمهم الله ومن لا يرحم لا يرحم**" لكن هذه رحمة مخلوقة لا تتعلق بصفة الله عز وجل وإنما هى من خلق الله في عباد الله وفي الحديث إثبات الغضب والغضب وصف يحصل لفعل ما يكرهه الغاضب حيث يشعر بالقدرة على الإنتقام ، والحزن قريب منه لكنه يحصل من الحازن بعدم قدرته على الإنتقام فالفرق الآن بين الحزن وبين الغضب ، الغضب أن الغاضب يشعر بالقدرة على الإنتقام والحزن أو الحازن لا يشعر بذلك بل يشعر بالضعف وعدم القدرة ولهذا لا يوصف الله بالحزن ولكن يوصف بالغضب وغضب الله عز وجل هو صفة من صفاته الفعلية لأنه يتعلق بمشيئته وقد سبق لنا القول بأن كل صفة ذات سبب فإنها من الصفات الفعلية وهو حقيقي لكن أهل التعطيل أنكروا هذه الصفة لأنها صفة فعلية وقد سبق أنهم ينكرون جميع الصفات الفعلية بحجة أن الصفات الفعلية حادثة والحادث لا يقوم إلا بحادث وقد بينا بطلان ذلك ، هم أيضاً أنكروها من وجه آخر قالوا إن الغضب غليان دم القلب لطلب الإنتقام والله منزه عن ذلك فنقول هذا الغضب الذي وصفتموه بهذا الوصف غضب من؟ غضب المخلوق ، أما غضب الخالق فإنه لا يماثل غضب المخلوق ، يقولون نحن نفسر الغضب بأحد أمرين:

الأول:– إما بارادة الإنتقام. الثاني:– أو بالإنتقام نفسه.

صح لهم أن يفسروه بإرادة الإنتقام لأنهم يثبتون الإرادة لله ، أو بالإنتقام نفسه لأن الإنتقام فعل منفصل إنتقام عداء منفصل عن الله ليس من صفاته حاصل من الإرادة والقدرة لأن المريد القادر هو الذي يقدر على أن ينتقم فلهذا فسروه إما بارادة الإنتقام أو بالإنتقام نفسه وسبق لنا بيان بطلان هذا التفسير وقلنا إن قوله تعالى ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ ترد هذا التفسير لأنه جعل الإنتقام غير الأسف والأسف هنا بمعنى الغضب ثم نقول لهم إن إرادة الإنتقام إنما تكون عند القدرة على الإنتقام وبذلك يحصل الغضب في الغالب فما المانع من أن يوصف الله بذلك وهو صفة كمال إذا وجد سببه.

حدثنا إبراهيم ابن المنذر حدثني محمد ابن فليح قال حدثني أبي حدثني هلال عن عطاء ابن يسار "عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها ، قالوا يا رسول الله أفلا نبيء الناس بذلك ، قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل

درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة"

الشاهد من هذا قوله "أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن" وفي رواية فوقه بلفظين فوق عرش الرحمن ومنه أى من الفردوس تفجر أنهار الجنة هذا الحديث فيه فوائد فقهية وفوائه عقائدية.

الفوائد الفقهية:ـ

١- قوله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، و لم تذكر الذكاة والحج مع أنهما من أركان الإسلام ولابد منهم ومن لم يزكي فإنه على خطر وإن كان الصحيح أنه لا يكفر لكنه على خطر وكذلك الحج ذهب كثير من العلماء إلا أنه من لم يحج مع قدرته فهو كافر لقوله تعالى ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ فلعل الراوي نسى فحذفهما وإلا فلابد من ذكرهم.

٢- وكذلك من المسائل الفقهية أن الإنسان إذا كان في بلد كفر وقدر على أن يقوم بدينه فإنه لا تجب عليه الهجرة لكن إذا لم يدر على إظهار دينه وجب عليه أن يهاجر وهذا هو الصحيح أن الهجرة باقية إلى أن تقوم الساعة لقول النبى صلى الله عليه وسلم "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة" ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها وأما من قال من أهل العلم إن الهجرة إنقطعت بفتح مكة لقول النبى صلى الله عليه وسلم "لا هجرة بعد الفتح" وقال إن هذا ثابت في الصحيحين بخلاف الأول فيقال إننا لا نحتاج إلى الترجيح إلا حيث يتعزر الجمع فإذا أمكن الجمع علمنا بالدليلين جميعاً ويكون معنى قوله لا هجرة بعد الفتح أى من مكة ولكن جهاد ونية أما من غير مكة فماذا وجد السبب الموجب للهجرة فإن الهجرة تجب.

وفيه من المسائل العقائدية:ـ

١- أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، وهل هذا الحديث يدل على أنه ليس في الجنة إلا مائة درجة؟ لا ، يدل على أن في الجنة مائة درجة للمجاهد في سبيل الله على حسب مراتبهم كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض وما أعظم ما بين الدرجتين مائة ما بين السماء والأرض تبلغ عدداً كبيراً لكن الجنة واسعة وعميقة ، ومما يستفاد من الحديث أن الإنسان إذا سأل ينبغي له أن يسأل الأكمل والأعلى ، لأن فضل الله واسع ولا يحقرن نفسه فيقول لست بأهل لذلك بل يسأل منتهى رغبته ويأخذ بالأكمل فالأكمل لقوله "سلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة" ومنه أن الجنة مثل الخيمة وذلك لأن الفردوس وسط الجنة وأعلى الجنة ولا يكون وسطاً وأعلى إلا إذا كان مثل القبة لأنه لو كان مسطحاً لم يكن وسط الجنة فليكون أعلى الجنة أو فوق الجنة ولكنه ليس هو الوسط ، الوسط الأعلى لابد أن يكون مثل القبة وكما جاء في الحديث أن "عرش الله عز وجل على سمواته مثل القبة" وبه يتبين أن هذا الكون السموات والأرضين أنها مكورة يعني أن بعضها محيط بالثاني من كل جانب.

٢- ومن فوائد الحديث أن عرش الله عز وجل هو سقف هذه الدرجة أو هذا المكان من الجنة الذي هو الفردوس ، لأن قوله وفوقه عرش الرحمن لولا أنه هو السقف لكان الذي فوقه هو سقفه ولا سيما على رواية

السقف فوقه عرش الرحمن فهو صريح لأن عرش الرحمن بمنزلة السقف للفردوس ، حيث الشاهد قوله "تسجد ١١٣ - يعني تذهب تستأذن للسجود فيؤذن لها" وكأنها إلى آخره في بعض الروايات تسجد تحت العرش ، والبخاري لم يأتي بهذا اللفظ وهذا من تصرفاته الكبيرة رحمه الله أنه يأتي بالحديث وإن لم يوجد فيه الشاهد لأجل أن يعتني الطالب بالبحث عن اللفظ الذي فيه ذكر ما يكون شاهداً للباب أحياناً يكون الحديث قد ورد في الصحيح نفسه وكأنه يقول إرجع إبحث في الصحيح حتى تجد اللفظ الذي يكون شاهداً للترجمة ، وأحياناً لا يكون في الصحيح لأنه ليس على شرطه وهذا رحمه الله من حسن تصرفه في التأليف ، لأن هذا يشد الطالب على البحث والمناقشة.

٣- وفي هذا الحديث دليل واضح على أن الشمس هى التي تجري في الأفق وتدور على الأرض لأنه قال أين تذهب فأسند الذهاب إليها والأصل أن إسناد الفعل لمن قام به على وجه الحقيقة لا على وجه المجاز وكذلك في القرآن ﴿**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وذات الشمال**﴾ فهذه أربعة أفعال كلها مضافة إلى الشمس إذا طلعت تزاور ، إذا غربت تقرض ، وكذلك قوله تعالى ﴿**حتى توارت بالحجاب**﴾ أى تقطعت به كل هذه النصوص ظاهرها أن الشمس هى التي تدور على الأرض وهذا ما تعتقده إلى الأن و لم يتبين لنا شيئ نستطيع أن ندفع به هذه الظواهر ويكون حجة لنا عند الله عز وجل فالواجب علينا أن نأخذ بهذه الظواهر وإن كان عند بعض الناس ما هو كالمحسوس بأن الشمس لا تدور على الأرض وأن تعاقب الليل والنهار إنما هو بدوران الأرض يرون ذلك عندهم في الأمور اليقينية التي لا إشكال فيها ، فنحن نقول يجب أن نتمسل بظواهر القرآن والسنة حتى يتبين لنا أن الأمر ، على خلاف مما يسوغ لنا أن نخرج النصوص عن ظواهرها إلى هذا المعني التي تيقناه ، لأن دلالة ظواهر النصوص على الحكم دلالة ظنية لا شك ، ولهذا نقول ظاهر القرآن وظاهر السنة ما هو صريح ، لكنه ظاهر قوي كالصريح فلو فرض أن الأمر تبين الناس أن الشمس ليست هى التي تدورعلى الأرض ويحصل به إختلاف الليل والنهار قلنا إنه يمكن أن تصرف هذه الظواهر إلى معنى لا يخالف الواقع ، فنقول إذا طلعت في رأى العين ، إذا غربت في رأي العين ، تزاور في رأى العين ، تقرض فى رأى العين ، تذهب في رأى العين ، إنما الواجب علينا الأن ما دامت المسألة لم تكن يقينية ، الواجب أن نأخذ بظواهر الكتاب والسنة.

حدثنا يحي ابن جعفر حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم – هو التيمي – عن أبيه عن أبي ذر قال "**دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فلما غربت الشمس قال: يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم ، قال: فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث شئت ، فتطلع من مغربها ، ثم قرأ ﴿ذلك مستقر لها﴾ في قراءة عبد الله.**

في المسألة هذه إشكال لأن الشمس تغرب في الأفق في كل لحظة ، أليس كذلك؟ لأنها تدور ، إذا غربت عنا في الحال غربت عن من بعدنا فهي دائماً طالعة غاربة فمتى يكون السجود؟ قلنا الواجب علينا أن نؤمن بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نقول كيف ، لما لا نقول الله أعلم ، وجائزاً أن يكون

دائماً في سجوده كما قال تعالى ﴿و لله يسجد من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب﴾ جائزاً أن تكون دائماً في السجود ما المانع من ذلك؟ إذا كان الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون فلا غرابة أن تكون الشمس دائماً في سجود أو يقال إنها تسجد إذا غابت عن هذه المنطقة من الأرض التي حدد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فقط ، وأما السجود إذا غابت عن بقية الأراضي فالله أعلم ، وبهذا نتخلص من هذا الإشكال الذي طعن فيه العقلاء أو العقلانيين كما يقولون في هذا الحديث لأن الذين يرجعون إلى عقولهم يسهل عليهم جداً أن يردوا النصوص إن كان مما يمكن الطعن فيه رأساً ، وردوه وقالوا هذا خبر آحاد ، فلا يمكن أن يحكم على العقل وإن كان مما لا يمكن رده مثل القرآن أو المتواتر من السنة حرفوه إلى معنى آخر يوافق ما يدعون أنه العقل وهذا خطأ عظيم لأن الأمور الغيبية أكبر من أن يدركها العقل وإذا لم نسلم حصل لنا إشكالات كثيرة ، أرأيتم الشمس يوم القيامة تدنوا من الخلائق قدر ميل ويعرف الناس وهم في مكان واحد على قدر أعمالهم منهم من يبلغ العرق إلى كفيه ومنهم من يبلغ العرق إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ إلى حكويه ومنهم من يرجمه العرق ، هل هذا يمكن في الدنيا أن يكون الناس في مكان واحد ويكون العرق يبلغ بهم هذا المباغ المتفاوت؟ لا ، لا يمكن لكن أمور الغيب ليس فيها إلا التسليم فقط نقول سمعنا وأطعنا وصدقنا وليس هذا شيئ أمامنا حتى نعرف هذا شيئ غيبي إذا أخبر به الصادق وجب قبوله والإستسلام له.

حدثنا موسى عن إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن عبيد الله ابن السباق أن زيد ابن ثابت ، وقال الليث حدثني عبد الرحمن ابن خالد عن ابن شهاب عن ابن السباق أن زيد ابن ثابت حدثه قال. أرسل إليّ أبو بكر فتتبعت القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لقد جائكم رسول من أنفسكم﴾ حتى خاتمة براءة.

حدثنا يحي ابن بكير حدثنا الليث عن يونس بهذا ، وقال مع أبي خزيم الأنصاري.

قال تعالى ﴿**فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**﴾ هذا هو الشاهد في الحديث ، وزيد ابن ثابت رضى الله عنه أحد الأشخاص الذين كلفهم أبو بكر وعمر أن يتتبعوا القرآن ويجمعوه ، وهذا هو الجمع الأول للقرآن الذي في عهد أبي بكر رضى الله عنه ، أما جمع عثمان رضى الله عنه فإنما كان جمعه على حرف واحد وبلغة قريش ، وكان في الأول يقرأه الناس بلغاتهم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم **"أنزل القرآن على سبعة أحرف"** فلما كان في عهد عثمان رضى الله عنه واتسع في الآفاق ، وانتشر المسلمون في كل مكان وصار بعضهم يقرأ بهذا وبعضهم يقرأ بهذا ، خاف عثمان ومن معه من الصحابة أن تقع فتنة بين المسلمين فاستشار الصحابة وجمعهم على حرف واحد ، وهو لغة قريش وليست القراءة السبعية من الحروف السبع بل هي كلها على حرف واحد وهو لغة قريش ، فاجتمع المسلمون و لله الحمد على ذلك وحصل بهذا خير كثير ، ولكن إذا قال قائل هذه الآيات التي في آخر سورة التوبة مع وهو واحد فكيف اعتمد الصحابة على نقل واحد وهو القرآن كلام الله عز وجل فانا إعتمد على ذلك لماذا؟ الجواب على هذا أن رضى الله عنه جاء

عن النبي صلى الله عليه وسلم أن شهادته بشهادة رجلين في قصة غريبة وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم
ابتاع فرساً من أعرابي ، وقال له إتبعني أعطك الثمن والأعراب كما تعلمون عندهم طمع ، فكلمه بعض الناس وزاد في الثمن و لم يعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم إشتراه ، والأعرابي ما قال إني قد بعته فلما إنتهى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قال له هل لك به حاجة يعني زود ، فقال إنك قد بعت هذا ، قال من يشهد لك وعنده الصحابة لم يشهد منهم أحد إلا فقال أشهد يا رسول الله انه باعه عليك بالثمن الذي قال به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاستسلم الأعرابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف تشهد وأنت لم تحضر قال يا رسول الله نصدقك بخبر السماء ولا نصدقك بخبر الأرض ونحن الأن نشهد أن الرسول قد إشتراه والأعرابي منكر ، إشتراه بالثمن الذي قال ويجب على كل مسلم أن يشهده هذه الشهادة وإن لم يعلم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين هذه واحدة.

الشيئ الثاني:- أن تلقي الصحابة له بالقبول كاف في ثبوته والصحابة تلقوه بالقبول وإعتمدوه قرآناً.

الشيئ الثالث:- أن الله عز وجل قال في كتابه ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ ومحال أن يزاد في القرآن شيئ أو ينتقص منه شيئ و لم يبينه الله بأى وسيلة فكون هذه الآيات تكون عند وتلقاها الصحابة بالقبول و لم يظهر لهم ما ينكره من عند الله عز وجل فهى على ثبوت ذلك ولهذا تعرف ما ذكره بعض أهل العلم أن من أنكر حرفاً من القرآن فهو كافر لأنه مكذب لقول الله تعالى ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ وكذلك مخالف اسبيل المؤمنين فقد قال الله تعالى ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾ فالقرآن و لله الحمد محفوظ و لم ينقص منه شيئ و لم يزد فيه شيئ ، يوجد في بعض القراءات السبعة وهذا لا يضر ، لأن المسلمين اتفقوا على تلقي هذه القراءات بالقبول حتى ما عرف منها حُرف ، لكن ما أجمع القراء عليه فإنه لا يجوز إنكار شيئ منه أبداً.

الدرس العشرون:-

حدثنا معلى ابن أسد حدثنا وهيب عن سعيد عن قتادة عن أبي العلية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب ، لا إله الله العليم الحليم ، لا إله الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم"

الشاهد من الحديث قوله "**رب العرش العظيم**" وقوله "**رب العرش الكريم**" فقد وصف العرش بوصفين:-الأول:- العظم. الثاني:- الكرم.

وليس المراد بالكرم البذل والعطاء ، لأن العرش لا يبذل ولا يعطي ، لكن المراد به الحسن والبهاء ، وهذا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل حينما بعثه لليمن قال "**إياك وكرائم أموالهم**" يعني الحسن منها ، يعني لا تأخذ في الزكاة الحسن من المال ، بل خذ من صفة المال ، ولا تأخذ من الحسن ، وعلى هذا فيكون العرش عظيما في حجمه وكريما في صفته ومنظره ، وهذا الدعاء يقوله الإنسان إذا أصابه كرب

سواء من الدنيا أو الآخرة ، يعني من أعمال الدنيا أو من أعمال الآخرة ، إذا أصيب الأنسان بكرب فليدعو بهذا الدعاء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به وفوائده أنه يزيل أو يخفف الكرب.

حدثنا محمد ابن يوسف حدثنا سفيان عن عمرو ابن يحي عن أبيه عن أبي سعيد الخدري عن النبى صلى الله عليه وسلم "قال النبى صلى الله عليه وسلم يصعقون يوم القيامة فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش".

وقال الماجشون عن عبد الله ابن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "فاكون أول من بعث ، فإذا موسى آخذ بالعرش"

الشاهد من هذا قوله **"بقائمة من قوائم العرش"** فهذا يدل على أن العرش ذو قوائم ، وعليه فيكون العرش محدوداً لكنه ليس صغيراً ، لكنه كبير وعظيم كما وضح الله سبحانه وتعالى بذلك.

باب قول الله تعالى ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ وقوله جل ذكره ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وقال أبو حمزة عن ابن عباس "بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال لأخيه اعلم لى علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء" وقال مجاهد: "العمل الصالح يرفع الكلم الطيب" يقال ذى المعارج: الملائكة تعرج إلى الله.

هذا الباب ذكره بعد ذكر الإستواء على العرش لأن الإستواء على العرش علو خاص وهذا الباب للعلو العام الشامل لكل شيئ ، فالله جل وعلا عال على كل شيئ علواً عاماً شاملا ، والعلو له أدلة أشرنا إليها فيما سبق منها ما ترجم به البخاري رحمه الله لقوله تعالى: **﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾** الملائكة جمع ملك وأصله ملئك وأصل الملئك مألك فهى حولت عدة مرات لأنه مشتق من الألوكة وهى الرسالة ، والملائكة رسل كما قال تعالى: **﴿جاعل الملائكة رسلا ألي أجنحة﴾** ففيها أولا قلب أصل الملئك مألك لأنه من الألوكة فالهمزة مقدمة ثم حزفت تخفيفاً فقيل ملك ونكرت حركتها إلى اللام والجمع ملائكة ، والملائكة عالم غيبي خلقهم الله سبحانه وتعالى من نور وجعل وظائفهم متنوعة مختلفة وهم صمد لا يحتاجون لطعام ولا لشراب ولا يتبولون ولا يتغوطون لأنهم صمد ليس لهم أجواف كما أقر ذلك أهل العلم وأما قوله **﴿تعرج الملائكة والروح﴾** فالمراد تصعد إلى الله لأن العروج معناه الصعود والصعود لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى ، ففي هذا دليل على علو اللع عز وجل وفيه دليل على كمال ملكوته وعظيم سلطانه حيث كان هؤلاء الرسل الملائكة العظام يصعدون إلى الله سبحانه وتعالى وأما قوله الروح فيحتمل أن يكون المراد بها جبريل كما قال تعالى: **﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾** وقال **﴿نزل به الروح الأمين علـى قلبك﴾** ويحتمل أن يراد بها أرواح بني آدم تعرج إلى الله عز وجل بعد الموت ، ثم إن كان مؤمناً فتحت له أبواب السماء وإن كان غير ذلك أغلقت دونها وطرحت على الأرض والعياذ بالله وقوله جل ذكره أى عظم ذكره **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾** إلى الله يصعد الكلم الطيب ، الكلم إسم جمع للكلام والمراد به كل كلام يقرب إلى الله عز وجل فهو كلم طيب أعظمه كلام الله ثم الذكر ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا نستطيع أن نرتبها لكن المراد بالكلم الطيب كل كلام يقرب إلى الله عز وجل فهو يصعد إلى الله ولا

يكون كلاماً طيباً إلا إذا كان مبنياً على الإخلاص والمتابعة لأن مالا إخلاص فيه فليس بطيب ومالا متابعة له فليس بطيب أيضاً وقوله والعمل الصالح يرفعه إختلف العلماء في فاعل يرفع ، فقيل الفاعل هو الله يعني أن الله يرفع العمل الصالح وقيل أن المراد به أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب فيكون فاعل الرفع هو العمل الصالح ، والأقرب الأول أن الله سبحانه وتعالى يرفع العمل الصالح فإنه لما ذكر القول أنه يصعد إلى الله عز وجل بين أن العمل الصالح أيضاً يُرفع عند الله سبحانه وتعالى ويجزيه يوم القيامة الحسنة بعشرة أمثالها. ثم ذكر أثر أبي ذر رضى الله عنه أنه قال لأخيه "**اعلم لى علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء**" من هذه ، لإبتداء الغاية يعني من السماء إلى الأرض ، والخبر الذي يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الوحى فإذا كان من السماء كان الموحي به في السماء ، فيكون هذا دليل على علو الله سبحانه وتعالى ، وقال مجاهد "**العمل الصالح يرفع الكلم الطيب**" وهذا أحد التفسيرين في الآية وعليه يكون فاعل الرفع العمل الصالح ثم قال ذي المعارج "**الملائكة تعرج إلى الله**" يشير إلى آية في سورة المعارج ﴿**ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه**﴾ فهذا معنى قوله ذي المعارج أى أن الملائكة تعرج إلى الله سبحانه وتعالى وهذا نظير قوله: ﴿**رفيع الدرجات ذو العرش**﴾ يعني أن الله عز وجل رفيع الدرجات نفسه ، ومن قال إن معناها رفع الدرجات فقد أخطأ لأن هذه صفة مشتبهة أضيفت إلى الفاعل يعني أن درجاته رفيعة سبحانه وتعالى.

حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه "**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتو فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**".

الشاهد من هذا الحديث قوله "**ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم** – يعني الله عز وجل – **وهو أعلم بهم**" في هذا الحديث إشكال لغوى وهو قوله "**يتعاقبون فيكم ملائكة**" والمشهور في لغة العرب أن علامة الجمع لا تلحق العقل إذا كان الفاعل ظاهرا ، فيقال في هذا يتعاقب فيكم ملائكة ، هذه اللغة الفصحى ، والواو هنا في قوله يتعاقبون حرف دال على الجمع وليس فاعلا ، بل الفاعل ملائكة ، وقد إختلف النحويون في تخريج هذه اللغة فقيل إنها شاذة وهذا إختيار ابن هشام رحمه الله ، قال وشذ يتعاقبون فيكم أوخرجي هم والشاذ يقول العلماء أنه يحفظ ولا يقاس عليه ، بمعنى نحفظه من كلام العرب ولكننا لا نتكلم بمثله لأنه شاذ ، وقيل بل هي لغة رديئة وقليلة ، وعلى هذا فيمكن أن يتحدث بمثلها لكن يقول للمتحدث بها أن هذه اللغة رديئة ، وقيل بل الفاعل هو الضمير يتعاقبون وما بعده بيان أو بدل فأبهمه أولا ثم أظهره ثانيا . لأن البيان بعد الإبهام يأتي إلى القلب وهو متطلع لمعرفة هذا المبهم ، فمثلا إذا قال يتعاقبون فيكم ، من هؤلاء الذين يتعاقبون؟ فإذا قيل الملائكة بين بعد الإبهام ، صار هذا أوقع في نفس السامع ، ولعل هذا أقرب ما يقال أن الواو فاعل وملائكة عطف بيان أو بدل ، ونظيرها قوله تعالى ﴿**فعموا وصموا ثم عموا وصموا كثير منهم**﴾ فقال عموا وصموا على سبيل الإبهام ثم قال كثير منهم لألا يظن أنهم كلهم عموا وصموا.

في هذا الحديث أن هؤلاء الملائكة يجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ، ولهذا حث الرسول صلى الله عليه وسلم على المحافظة عليها وقال "**من صلى البردين دخل الجنة**" وقال حين تحدث عن رؤية المؤمنين لربهم قال "**فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**" فهاتان الصلاتان في طرفي النهار وفيها فضائل:-

١- منها أن الملائكة الموكلين بنا يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر.

٢- التنويه لهؤلاء المصلين بفضل هاتين الصلاتين ، لأن سؤال الله للملائكة ليس سؤال استفهام للعلم ، بل هو سبحانه وتعالى أعلم ، لكن هو سؤال استفهام للرفع من شأنهم.

وقال خالد ابن مخلد حدثنا سليمان حدثني عبد الله ابن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل" ورواه ورقاء عن عبد الله ابن دينار عن سعيد ابن يسار "عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ولا يصعد إلى الله إلا الطيب"

هذا أيضا فيه ذكر العلو المستفاد من قوله "**ولا يصعد إلى الله إلا الطيب**" والصعود يكون من أسفل إلى أعلى ، وهذا الحديث روى بهذا اللفظ كما قال رحمه الله وروى "**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب**" أيهما أعم؟ من طيب ، لماذا؟ نقول الشيء قد يكون خبيثا بكسبه وقد يكون خبيثا بصفته ، فلو تصدق الإنسان بكأس من خمر فهنا نقول هذا تصدق بشيء غير طيب ، لا من كسبه ، تعني هو اشترى العنب بكسبه الطيب ثم خَمَّرَه فعلى هذا يكون قوله "**من طيب**" أعم من قوله من كسب طيب ليشمل ما كان طيبا في كسبه وما كان طيبا في عينه ، وقوله "**لا يقبل الله إلا الطيب**" ظاهره أن الله لا يقبل إلا الطيب ، ولو كان الإنسان جاهلا به وهو كذلك ، لكن الإنسان يثاب على نيته ، وفي هذا الحديث أيضا إثبات صفة اليمين لله "**فإن الله يتقبلها بيمينه**".

حدثنا عبد الأعلى ابن حماد حدثنا يزيد ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية "عن ابن عباس أن نبى ا لله صلى ا لله عليه وسلم كان يدعوا بهن عند الكرب: لا إله إلا ا لله العظيم الحليم ،لا إله إلا ا لله رب العرش العظيم ، لا إله إلا ا لله رب السموات ورب العرش الكريم"

هنا قال العظيم الكريم ، وهناك قال العليم الحكيم ، والشاهد من هذا قوله "رب العرش العظيم" لأن العرش فوق المخلوقات .

حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعم – أو أبي نعم – شك قبيصة عن أبي سعيد قال "بعث إلى النبى صلى ا لله عليه وسلم قال بذهيبة فقسمها بين أربعة" وحدثني إسحاق ابن نصر حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري قال: بعث على وهو في اليمن الى النبى صلى ا لله عليه وسلم بذهيبة من تربتها فقسمها بين الأقرع ابن حابس الحنظلى ثم أحد بني مجاشع وبين عيينة ابن بدر الفزاري وبين علقمة ابن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب وبين زيد الخيل الطائي ثم أحد بني نبهان فتغيظت قريش والأنصار فقالوا يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا ، قال: إنما أتألفهم ، فاقبل رجل غائر العينين ناتئ الجبين كث اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس فقال يا محمد اتق ا لله ، فقال النبى صلى ا لله عليه وسلم: فمن يطيع ا لله إذا عصيته فيأمني على أهل الأرض ولا تأمنوني ، فسأل رجل من القوم قتله ، أراه خالد ابن الوليد ، فمنعه النبى صلى ا لله عليه وسلم ، فلما ولى قال النبى صلى ا لله عليه وسلم إن من ضئضىء هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلا ويدعون أهل الأوثان ، لأن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد .

الشاهد من هذا قوله "فيأمني على أهل الأرض ولا تأمنوني" فبعض ألفاظه ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء وكعادة البخاري رحمه ا لله يذكر سياقاً يشير به إلى سيلق آخر والشاهد من هذا قوله "وأنا أمين من في السماء" أهل السنة والجماعة يقولون إن ا لله في السماء أى فوق السماء وأهل التعطيل يقولون في السماء ملكه وسلطانه ، فيفسرون قول ا لله تعالى: ﴿ءأمنتم من في السماء﴾ على النحو التالي ءأمنتم من في السماء ملكه مسلطانه ولا شك أن هذا خروج عن ظاهر اللفظ وأنه يؤدي إلى معنى فاسد ، وهو أنه لا ملك ولا سلطان لله في الأرض مع أن ا لله تعالى ملكه في السماء والأرض كما قال تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ أى إله لمن في الأرض وهو إله لمن في السماء ، وسبق لنا الجواب على إشكال أورده بعضكم وهو كيف نخرج قوله في السماء هل نجعل في للظرفية أو نجعلها بمعنى على وذكرنا عن ذلك جوابين .

الجواب الأول:– أن نجعل السماء هنا بمعنى العلو وحينئذ نجعل في للظرفية .

الجواب الثاني:– أن نجعل السموات التي هو السقف المحفوظ وحينئذ يتعين أن تكون في بمعنى على .

وفي هذا دليل على أن الخروج على الإمام من دأب الخوارج لأن الرسول صلى ا لله عليه وسلم أخبر بأنه يكون من ضئض هذا الرجل أى من صفته وشكله ، قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ؛ ومروق السهم من الرمية يكون سريع جداً السهم إذا قرب الرمية خرقها ثم

خرج من الجانب الآخر بسرعة فهؤلاء كذلك ، يمرقون بالإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم ذكر وصفهم العدواني أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، وهذا هو الذي حصل في صدر هذه الأمة أن هؤلاء كفروا الناس أعني الخوارج ، واستباحوا دماءهم وأموالهم و لم يذهبوا يقاتلون في أرجاء الأرض صاروا يقاتلون ولاة الأمور ومن ساعدهم ولا يقاتلون في مشارق الأرض ومغاربها أهل الكفر والأوثان ، وفي وصف الرجل الذي أقبل دليل على أن الراوي قد ضبط القضية حتى أدرك أوصاف الرجل الذي خرج على النبي صلى الله عليه وسلم في قسمته وقال له يا محمد اتق الله ، و لم يقل يا رسول الله وهذه من علامات الخوارج أنهم يحطون من رتبة من له رتبة ولا يخاطبونه بمقتضى رتبته ، بل ينزلونه وهنا يقول "اتق الله" ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لن يغضب إذا قيل له اتق الله فإن الله قد قال له: ﴿يأيها النبي أتق الله﴾ وقال: ﴿اتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ لكن لما كان وراء هذه الكلمة ما وراءها تكلم النبي بهذا الكلام وقال "**فمن يطيع الله إذا عصيته**" إذا كان الرسول يعص الله فمن الذي يطيعه وفي لفظ آخر قال ويحك من يعدل إذا لم أعدل ، وهذا هو الحق إذا كان الرسول لا يعدل فمن الذي يعدل إذا كان الرسول لا يتق الله فمن الذي يتق الله.

حدثنا عياش ابن الوليد حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ قال: مستقرها تحت العرش.

الشاهد من هذا الحديث قوله "**تحت العرش**" ولا شك أن الشمس عالية جداً فإذا كانت تحت العرش لزم من هذا أن يكون العرش عالياً عظيماً.

باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾

عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات النظر إلى وجه الله عز وجل ، وهو الذي ترجم فيه البخاري رحمه الله وترجمه بالآية كما أسلفنا في أول الكلام على كتاب التوحيد ، قلنا إن المؤلف رحمه الله صدر كثيرا من أبواب التوحيد بالآيات وليس هذا من عادته في الصحيح لكن ليدفع قول أهل البدع إنه لا يحتج بخبر الآحاد في باب العقائد فإذا صدر الحديث بآيات من القرآن انقطعت هذه القاعدة من أصلها.

وقوله تعالى: **﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾** يومئذ متى؟ **﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾** وجوه يومئذ يعني في الآخرة **﴿ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة﴾** أي كالحة **﴿تظن أن يفعل بها فاقرة﴾** أي تهلكهم وتقطع فقرة ظهورهم ، وجوه يومئذ ناظرة ، انظروا إلى كتابة الكلمتين ناضرة إلى ربها ناظرة تجد بينها فرقاً فالأولى بالضاد والثانية بالظاء فلماذا؟ لأن الأولى مأخوذة من النضارة وهي الحسن والثانية من النظر وهو الرؤية بالعين ، وجوه يومئذ ناضرة أي حسنة ، إلى ربها ناظرة يعني إلى الله ناظرة بالعين ، ويتعين أن يكون ذلك بالعين لأنه أضافه إلى الوجوه التي هي محل الأعين والآية واضحة وصريحة ولها شواهد من القرآن مثل:-**أولا:-** قوله تبارك وتعالى **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾** حيث فسر النبي صلى الله عليه وسلم الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله.

ثانيا:- مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ فإن نفى الإدراك يدل على وجود أصل الرؤية ، ولو كان أصل الرؤية غير موجود لكان النفى يسلط عليه فيقال لا تراه الأبصار فلما قال لا تدركه علم أنها تراه لكن بدون إدراك.

ثالثاً:- قوله تبارك وتعالى ﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾ فإن قوله مزيد يحمل على قوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ ومن ذلك قوله تعالى ﴿على الأرائك ينظرون﴾ ينظرون من؟ الله عز وجل لقوله في نفس السورة عن الفجار ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ فيكون النظر إلى الله عز وجل وإن كان اللفظ أعم من ذلك ليشمل النظر إلى وجه الله وإلى كل ما أعد الله لهم من النعم ، لكن الذي يظهر أن المراد ينظرون إلى الله.

رابعا:- قول الله تبارك وتعالى ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ يعني الفجار فإذا كان الفجار محجوبين عن الله دل ذلك على أن الأبرار ينظرون إلى الله ولو كان النظر ممتنعاً على الأبرار لكان لا فرق بين الأبرار وبين الفجار. فهذه آيات من القرآن كلها تدل على ثبوت رؤية الله عز وجل ، ولهذا قال بعض السلف من أنكر رؤية الله فإنه كافر ، لأن الآيات الواردة فيها لا تحتمل التأويل وإذا كانت لا تحتمل التأويل صار تأويلها بمنزلة الجحد لها ، وقد مر علينا شيئ أن النصوص إذا لم تحتمل التأويل فأولها الإنسان فهذا يعني أنه ردها ، إذ التأويل إنما يكون عذراً حيث كان النص يحتمل ذلك ، أما مع عدم الإحتمال فلا تأويل ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وأنكر ذلك الأشاعرة والمعتزلة ونحوهم وقالوا لا يمكن أن يرى الله لأنك إذا رأيت الله فقد حدته وجعلت له حداً ، وهذا ممنوع فيقال سبحان الله ، الرب عز وجل يثبت أنه يُنظر إليه ورسوله كذلك وأنتم تقولون لا ، فتقدمون القياس على النص ، قال العلماء وأول من قدم القياس على النص هو إبليس ، فيكون من قدم القياس على النص من جنود إبليس ، كيف يقول الله ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ويقال لا ، ما تنظر إلى الله لأن هذا يقتضي أن يكون الله محدوداً ولا شك أن هذا كما قلت قياس في مقابلة النص فيكون فاسد الإعتبار ، ولما قيل لهم عن ماذا تجيبون الآيات الواضحة الصريحة قالوا نقول إن قوله إلى ربها ناظرة أى إلى ثواب ربها ، فهو من مجاز الحزف وعندهم أن المجاز أنواع ، منها مجاز الحزف بأن يحزف من الكلام ما يعلم وقد قال ابن مالك رحمه الله حزف ما يعلم جائز ، فنقول إذا قالوا إلى ثواب ربها هذا معنى جديد يخالف الظاهر ، فمن قال إن الله أراد ما قلتم؟ الأصل أن اللفظ يراد به ظاهره لا يراد به سواه ومن ادعى خلاف الظاهر فعليه الدليل وكيف نعدل عن الظاهر مع أنه مؤيد بآيات أخرى ومؤيد بأحاديث صريحة لا تحتمل التأويل بوجه من الوجوه وعلى هذا فنقول إن من عقيدتنا أن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يُرى يوم القيامة ، ولكن من الذي يراه؟ ومتى يُرى؟ فنقول الذي يراه رؤية رضاً هم المؤمنون ، هم الذين يرون الله ، ويرونه في عرصات القيامة ويرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله ، وأما الكفار الخلص فلا يرون الله لقوله ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ وأما المنافقون فيرون الله عز وجل في عرصات القيامة ثم يحجبون عنه فلا يرونه ، وهذا أشد مما لو لم يكونوا رأوه من قبل ، يعني كونهم يرؤن الله

ثم يحجب عنهم أعظم مما لو لم يكونوا رأوه أصلاً ، ولهذا كان عذاب المنافقين بحجبهم عن رؤية الله أشد من عذاب الكافرين الذين لم يروه.

هذا بيان من يرى الله ومتى يرى الله ، أما لو قال قائل كيف يرى الله؟ فهذا هو الذي يجب الإمتناع عنه وأن نقول إن صفات الله ليس فيها كيف نقول هو على كيفية الله أعلم بها نحن لا ندري ، نقول إن الله يُرى أما كيف يُرى فإن هذا علمه عند الله عز وجل.

حدثنا عمرو ابن عون حدثنا خالد أو هشيم عن إسماعيل ابن قيس عن جرير قال: "كنا جلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا"

حدثنا يوسف ابن موسى حدثنا عاصم ابن يوسف اليربوعي حدثنا أبو شهاب عن اسماعيل ابن أبى خالد عن قيس ابن أبي حازم عن جرير ابن عبد الله قال: "قال النبى صلى الله عليه وسلم إنكم سترون ربكم عياناً"

حدثنا عبده ابن عبد الله حدثنا حسين الجعفي عن زائدة حدثنا بيان ابن بشر عن قيس ابن أبي حازم "حدثنا جرير قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته"

صريح إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، وهم يرون القمر رؤية صريحة واضحة والتشبيه هنا ليس تشبيه للمرئي بالمرئي ولكنه تشبيه للرؤية بالرؤية أى أنها رؤية حقيقية كما يُرى القمر ، والدليل على أنها تشبيه للرؤية بالرؤية أن (ما) في قوله كما ترون مصدرية فإذا حولنا الفعل بعدها إلى مصدر صار تقدير الكلام إنكم سترون ربكم كرؤية هذا القمر ، هذا من حيث اللفظ.

من حيث المعنى قوله تعالى قوله تعالى **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** فلا يمكن أن يكون الله تعالى مثل القمر ، وقوله **"لا تضامون في رؤيته"** فيها عدة روايات منها هذا اللفظ لا تضامون أى لا يلحقكم ضيم وضيق ، ومنها لا تضامون يعني لا يضم بعضكم بعضاً ليريه الآخر ، لأنه الشيئ الخفي إذا تراءه الناس تجد كل واحد يقول تعال ثم يمسك بأخيه يضمه إلى نفسه ويقول له هنا أو هنا ، ومنها من ألفاظه لا تضارون في رؤيته يعني لا يضر بعضكم بعضاً في الرؤية بل كل إنسان يراه بدون غيم ولا مضامه ولا ضرر ، كل يرأه في مكانه كالقمر ، القمر يراه الناس في البلد ويراه الإنسان في البر ويراه أهل البحر في البحر ويراه أهل الجو في الجو وكل واحد يراه بمفرده ، وفي هذا الحديث دليل على فضيلة صلاة الفجر والعصر ، فصلاة العصر هى الصلاة الوسطى كما دل على ذلك الحديث الصحيح حينما قال النبى صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، وصلاة الفجر مشهودة كما قال تعالى: **﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾**.

حدثنا يوسف ابن موسى حدثنا عاصم ابن يوسف اليربوعي حدثنا أبو شهاب عن اسماعيل ابن ١٢٣- أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم عن جرير ابن عبد الله قال: "قال النبى صلى الله عليه وسلم إنكم سترون ربكم عياناً"

عياننا مصدر عاين يعاين عياناً ، كجاهد يجاهد جهاداً والمصدر الثاني لعاين معاينة والمراد بذلك رؤية بالعين يقول رأيت معاينة أى بعيني.

الدرس الحادي والعشرون:-

حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا ابراهيم ابن سعد عن ابن شهاب عن عطاء ابن يزيد الليثي "عن أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله علية وسلم: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يارسول الله ، قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا يا رسول الله ، قال فإنكم ترونه ، كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها شفعاؤها أو منافقوها ، شك إبراهيم ، فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى تأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه"

هذا الحديث طويل نأخذه قطعة قطعة:-أولا:- سؤال الصحابة رضى الله عنهم " هل نرى ربنا" يوم القيامة هذا السؤال منهم شوقاً لله عز وجل فهو كقول موسى ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ فسألوا هل يكون فيها يوم القيامة هذا النعيم؟ فأخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم بأن هذا حاصل وأنهم كما لا يضارون في رؤية القمر ليلة البدر كذلك لا يضارون في رؤية الله يوم القيامة ، وقد سبق لنا أن رؤية الله عز وجل دل عليها الكتاب والسنة المتواترة وأن السلف أجمعوا على ذلك ، ولا يخالف هذا إلا من يخشى أن يحرمه الله منها يوم القيامة لأنه لم يصدق بها ، وفي هذا الحديث أنه يقال للناس كل أمة تتبع من كانت تعبد إذلالاً لهم وإظهاراً لباطلهم لأن هؤلاء المعبودين يذهبون بهم إلى النار ، فيتبين بذلك أن معبوديهم يخذلونهم في أحوج ما يكونون إليهم ولهذا يقول "يتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ومن كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت" حتى يرسلونهم إلى النار والعياذ بالله ، وقوله: "تبقى هذه الأمه" المراد من كان على ملة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يكون فيهم المنافقون فيأتيهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم ولكنهم يبقون مكانهم ، وإنما يقول أنا ربكم لأن الأمم السابقة كانت تتبع من تعبده وترى أنه ربها فيقول أنا ربكم ولكنهم يبقون ولا يتحركون ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ، والصورة التي يعرفون هي مما عرفوه من وصف الله تعالى بالجلال والإكرام ومما وصفته به الرسل ، فيأتيهم على الصورة التي نعتت لهم فيما أنزل الله على رسله ، ثم يقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيعرفونه ، ومعلم أنه سبحانه وتعالى سيدلهم على محل رحمته وهى الجنة.

"ويضرب السراط بين ظهرى جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ، ولا يتكلم يومئذٍ[2] إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان؟ قالوا نعم يا رسول ا لله ، قال فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا ا لله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بقى بعمله ، ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه"

المقطع الثاني:- أنه يضرب الصراط بين ظهرى جهنم يعني فوقها ، الصراط الذي يمر الناس عليه في عرصات القيامة إلى الجنة ، لأن الجنة فوقه فيضرب هذا الصراط على النار ويعبره من هو من أهل الجنة ، وإختلف العلماء في هذا الصراط هل هو طريق واسع أو هو كما جاء في صحيح مسلم بلاغاً أنه أدق من الشعر وأحد من السيف ، فذهب إلى الأول جماعة واستدلوا بهذا الحديث بأن عليه مثل شوك السعدان لكن لا يعلم عظمها إلا ا لله ، واستدلوا أيضاً بأن هذا الطريق وصف بأنه ضحض ومزلة أى زلق يزلق الناس فيه ويزلون ، والحديث الذي في مسلم بلاغ والبلاغ قد يثبت وقد لا يثبت ، فعلى كل حال إذا ثبت أنه أدق من الشعر وأحد من السيف فإن العبور عليه غير ممتنع عقلاً لأنه إذا كانت الملائكة تطير في الهواء فإن الناس يمكنهم أن يسيروا على هذا الصراط ، وأحوال الأخرة لا تقاس بأحوال الدنيا ، وعلى كل حال فهذا الصراط خطير جداً لأنه على جهنم والرسل وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام كل واحد منهم يقول اللهم سلم اللهم سلم ، وأول من يجوز هذا الصراط محمد صلى ا لله عليه وسلم وأمته ، لأنهم كما جاء في الحديث الصحيح عن النبى صلى ا لله عليه وسلم قال "نحن الأخرون الأولون يوم القيامة" ففي جميع مشاهد القيامة هذه الأمة هي أول الأمم ، وفي هذا الحديث أيضاً أن هؤلاء الذين يعبرون الصراط لا ينجون كلهم ، منهم من يخطف ويلقى في جهنم ومنهم من يسلم ، لكن الذي يخطف ويلقى في جهنم لا يخلد فيها لأنه لا يعبر هذا الصراط إلا من كان من أهل الجنة إلا أنه قد تخطفه النار ويعذب على قدر أعماله ثم يخرج منها ، وهذا العبور هو معنى قوله تبارك وتعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ وقيل أن الورود الدخول فيها وأن كل الناس يدخلونها لكن المؤمن ينجو منها ، وتكون عليه مثل نار إبراهيم ، وأما الكافر أو من يستحق العذاب بقدر عمله فإنه لا تكون برداً وسلاماً عليه وا لله أعلم.

"ثم يتجلى حتى إذا فرغ ا لله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك با لله شيئاً ممن أراد ا لله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا ا لله فيعرفونهم في النار بأثر السجود ، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم ا لله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد أمتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته ، كما تنبت الحبة في حميل السيل ، ثم يفرغ ا لله من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة ، فيقول أى رب اصرف وجهي عن النار ، فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها ، فيدعوا ا لله ما شاء أن يدعوه ثم يقول ا لله: هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسألني غيره ، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء ، فيصرف ا لله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء ا لله أن يسكت ، ثم يقول أى رب قدمني إلى باب الجنة ، فيقول ا لله له ألست قد

أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبداً ، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ، فيقول: أى رب ويدعوا الله حتى يقول هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره ، فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره ، ويعطي ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام إلى باب الجنة إنفهقب له الجنة فرأى ما فيها من الحبرة والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول: أى رب أدخلني الجنة فيقول الله ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ، فيقال أى رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعوا حتى يضحك الله منه ، فإذا ضحك منه قال له ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له تمنه فسأل ربه وتمنى ، حتى أن الله ليذكره يقول: كذا وكذا حتى انقطعت به الأماني ، قال الله ذلك لك ومثله معه.

قال عطاء ابن يزيد وأبو سعيد الخدري مع أبو هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث أبو هريرة أن الله تبارك وتعالى قال ذلك لك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة؟ قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه ، قال أبو سعيد الخدري أشهد أني حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة أمثاله ، قال أبو هريرة فذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة.

هذا كما عرفتم فيه أن الناس يرون الله عز وجل على صورته التي يعرفون وهي رؤية حقيقة كما سبق ، وهذه العهود والمواثيق التي يعطيها هذا الرجل هي عهود بينه وبين الله سبحانه وتعالى فلذلك ينقضها طمعاً في فضل الله كما لو كان بينك وبين أخيك عهد مما يختص به ثم أدليت عليه بأن يسامح أو يتجاوز عن هذا العهد فإنه لا بأس به ، كذلك هذا الرجل ويقول إن العهود بينه وبين الله سبحانه وتعالى وهي حق لله فإذا عاد وطلب فكأنه يدلي على الله عز وجل بأن يعفوا عنه ويسامحه ويضع عنه هذا العهد ولهذا كان في النهاية أن الله يضحك له ثم يدخله الجنة.

وفي هذا الحديث أيضاً دليل على عظم نعيم الجنة وسعة منازل أهلها أن له مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، وهذا ليس بغريب لأن أدنى أهل الجنة منزلاً من ينظر في ملكه مسيرة ألفى عام ينظر أقصاه كما ينظر أدناه فالمسألة أعظم مما نتصور ولهذا قال تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾ وفي هذا ورع الصحابة رضى الله عنهم حيث امتنع أبو هريرة أن يقول غير ما حفظ وهو قوله "لك هذا ومثله معه" لكن أبا سعيد رضى الله عنه جزم بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "وعشرة أمثاله معه".

حدثنا يحيى ابن بكير حدثنا الليث ابن سعد عن خالد ابن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال عن زيد ابن عطاء ابن يسار "عن أبي سعيد الخدرى قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية السمش والقمر إذا كان صحواً؟ قلنا لا ، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ...... " إلى آخر الحديث.

قوله "**فيقال اشربوا فيتساقطون**" وهذا صريح في أن أهل النار لا يعبرون الصراط لأنه قال بعد ذلك ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم ، وهذا الحديث بمعنى الحديث السابق وإن كان يختلف عنه بعض الشيئ وقوله "**لكم ما رأيتم ومثله معه**" يدل على أنهم يعطون مثل ما رأوا ومثله معه ، لكن سبق أن أبا سعيد رضى الله عنه وهو راوي هذا الحديث بهذا السياق قال "**وعشرة أمثاله معه**" فيحتاج إلى التحقيق في إختلاف هذا اللفظ مع الذي سبق في حديث أبي هريرة.

وقال حجاج ابن منهال حدثنا همام ابن يحي "حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيئ ، لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا قال: فيقول لست هناكم ...... " إلى آخر حديث الشفاعة

هذا الحديث ليس فيه اشكال إلا قوله "**أستأذن على ربي في داره**" فيقال إن دار الله عز وجل التي جاءت في هذا الحديث لا تشبه دور البشر ، تكنه من الحر ومن البرد ومن المطر ومن الرياح ، لكن هى دار الله أعلم بها ولعلها والله أعلم حجب النور التي إحتجب بها الله عز وجل كما جاء في الحديث الصحيح حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما إنتهى إليه بصره من خلقه.

حدثنا عبيد الله ابن سعد ابن إبراهيم حدثني عمي حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال: "حدثني أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة وقال لهم إصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض"

هذا أيضاً مما استدل به أهل السنة على رؤية الله عز وجل من قوله "**حتى تلقو الله ورسوله**" قال ولا لقاء إلا برؤية وهو يخاطب الأنصار رضى الله عنهم ، وهم من أهل الرؤية لأنهم مؤمنون وأما قوله تعالى ﴿**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾ فهذه والله أعلم الملاقاة العامة لأن كل إنسان يكدح إلى الله وسيلاقيه يوم القيامة وعلى هذا يكون هناك ملاقاة عامة بجميع بني الإنسان بدليل أن الله قسمهم إلى قسمين من أوتى كتاب بيمينه ، ومن أوتى كتابه بشماله ، وملاقاة خاصة وهى التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم التي ذكرها في هذا الحديث وهى التي استدل بها العلماء على رؤية الله عز وجل.

.. **حدثني ثابت ابن محمد حدثنا سفيان عن ابن جريج عن سليمان الأحول عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا تهجد من الليل قال: اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولك الحق ووعدك الحق ، ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك خاصمت ، وبك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت وما أنت أعلم به مني لا إله إلا أنت"**

قال أبو عبد الله قال قيس ابن سعد وأبو الزبير عن طاوس: قيام ، وقال مجاهد: القيوم القائم[7] على كل شيئ ، وقرأ عمر القيام وكلاهما مدح.

يعني بقوله "أنت قيوم السموات" في لفظ أنت قيام السموات وكلاهما مدح ، والقيوم هو الذي قام بنفسه وقام على غيره قال تعالى ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ يعني كمن لا يملك ذلك ، والذي يقوم على كل نفس بما كسبت هو الله ، وقد سبق الكلام على بقية الحديث وبينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك في تهجده وأنه يحتمل أن يكون في السجود أو بعد التشهد الأخير أو في حال القيام من الركوع وكل هذا موضع دعاء.

حدثنا يوسف ابن موسى حدثنا أبو أسامة حدثني الأعمش عن خيثمة عن عدى ابن حاتم قال: "قال الرسول صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه".

الشاهد من قوله "ولا حجاب يحجبه" وفي هذا الحديث رد على القائلين بالكلام النفسي ووجهه أن الله يحدث القول في تلك الساعة ، يكلم هذا الذي خلا به ، والقائلون بالكلام النفسي يقولون الكلام النفسي هو أزلي ، ولكن الله تعالى يخلق أصواتاً في الوقت الذي يريد أن يسمع من شاء يعبر عن الكلام النفسي ، ولهذا قال بعض الأذكياء إن مذهب الأشاعرة في الكلام هو مذهب الجهمية بل هو أردء منه ، لأن هؤلاء يقولون إن الذي يسمع والمكتوب في المصاحف إنه مخلوق يعبر به عن كلام الله أما كلام الله فهو الذي في نفسه لا يسمع ولا يحدث ، وأما الجهمية يقولون إن الذي يسمع هو كلام الله حقيقة وإنه مخلوق ، فأيهما أقرب للصواب؟ الجهمية ، ولهذا قالوا إن قول الأشاعرة في الكلام أردء من قول الجهمية وأن حقيقة الأمر أنه لا فرق بينهم وبين الجهمية ، لأنهم متفقون على أن ما سمعه محمد وما سمعه موسى وما يسمع في المستقبل كله مخلوق ، لكن الأشاعرة قالوا إنه عبارة عن الكلام النفسي وهؤلاء قالوا هذا مخلوق خلقه الله ، خلق أصواتاً تسمع وأضافها لنفسه على سبيل التشريف والتعظيم. فهذا الحديث يرد رداً واضحاً على من يزعمون أن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه الأزلي ، فيرون أن الكلام مثل العلم مثل الإرادة.

حدثنا على ابن عبد الله حدثنا عبد العزيز ابن عبد الصمد عن أبى عمران عن أبي بكر ابن عبد الله ابن قيس عن أبيه "عن النبى صلى الله قال: جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن"

الشاهد قوله "وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر" وفي هذا إثبات لرؤية الله عز وجل بعد إزالة رداء الكبر ، وكأن البخاري رحمه الله يشير إلى لفظ آخر أصرح من هذا أما هذا فليس صريحاً لإثبات الرؤية.

الدرس الثاني والعشرون:-

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عبد الملك ابن أعين وجامع ابن أبي راشد عن أبي وائل "عن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين

كاذبة لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله جل ذكره: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ألئك لا خلاق لهم في الأخرة ، ولا يكلمهم الله﴾

قال البخاري رحمه الله:- "من اقتطع مال إمرئ مسلم بيمين كاذبة لقي الله" الشاهد قوله "لقي الله" فقد استدل بها كثير من العلماء على رؤية الله عز وجل ، قال لأن اللقاء لا يكون إلا برؤية وقد سبق أن اللقاء عام وخاص:- فاللقاء الخاص:- هو أن يخلوا الله عز وجل بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه.

واللقاء العام:- يكون لجميع الخلق ، وفي هذا التحذير من انقطاع مال المسلم باليمين الكاذبة ولها صور:-

الصورة الأولى:- منها أن يدعى شخص على أخر بألف درهم وليس عند المدعي بينة فهنا توجه اليمين على المدعى عليه فيحلف أنه ليس للمدعي شيئ مع أن له شيئاً فهنا اقتطع شيئاً من ماله كاذباً فيلقى الله وهو عليه غضبان.

الصورة الثانية:- أن يدعى شخص ويأتي بشاهد واحد وفي هذا الحال لا يحكم له بالألف إلا إذا حلف فيأتي بالشاهد ويحلف معه ثم القاضي يحكم له على المدعي عليه بالألف فيكون هنا اقتطع مال إمرئ مسلم بيمين كاذبة فيلقى الله وهو عليه غضبان فإن إعتدى على المسلم بغير المال ادعى عليه مثلا بجرائم أو غيرها وحلف فهل تكون مثل المال أو دونه أو أعظم منه؟ الظاهر أنها تكون أعظم لأن العدوان على البدن أشد من العدوان على المال ولكن مع ذلك لا تجزم بهذا لأن مسائل الوعيد قد تكون لإختصامها في الصورة التي جاءت بها أمر لا تعلمه فيمتنع القيلس حينئذ وفي استدلال الرسول صلى الله علية وسلم بالآية الكريمة دليل على أن العموم حجة على كل فرد من أفراده لأن الآية عامة ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾ هذا عام ، يدخل فيه الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلا أى ما يقتطعونه من الأموال فيكون هذا عاماً ويكون هذا فرداً دخل في العموم ومر علينا أيضاً شاهد مثل ذلك وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم إنكم إذا قلتم "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" فقد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض ، ما معنى قول الله تعالى ﴿لا خلاق لهم في الأخرة﴾ أى لا نصيب.

حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا سفيان عن عمرو عن أبي صالح "عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال إمرئ مسلم ، ورجل منع فضل ماء فيقول الله يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلي ، كما منعت فضل مالم تعمل يداك"

الشاهد قوله:- ﴿لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم﴾ رجل حلف على سلعة ، هذا طريق من طرق أكل المال بغير حق ، أن يقول إنه أعطى بهذه السلعة أكثر مما أعطى وهو كاذب ، لأنه في هذا الحال يخدع الآخرين فيظنون أنه صادق فيعطون مثل ما أعطى أو يزيدون ، وهذه تقع من بعض الناس يحابي بها صديقه ، يقول سيمت هذه السلعة مائة وهو لا يسمها ، من أجل أن الأخرين يقولون نحن نأخذها بمائة

وعشرين مثلاً وكذلك العكس أن يحلف أنه أعطى فيها أكثر مما أعطى مثل أن تسام منه بعشرة فيقول إنها سيمت بعشرين ويخدع الناس بذلك ، فكل هذا من أكل المال بغير حق.

والثاني:– حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال إمرئ مسلم وسبق ذكره.

والثالثة:– من منع فضل ماء فيقول الله عز وجل يوم القيامة اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك وهذا من غير المال الذي ملكه أما المال الذي ملكه فهو ملكه له أن يمنع وله بيعه لكن الماء الذي لم يملكه مثل رجل عنده غدير في أرضه ، والغدير مجمع ماء السيول فصار لا يمكن الناس من أخذه إلا بعوض هذا منع فضل الماء وكرجل آخر عنده بئر فيها ماء لا يحتاج إليه بل هو زائد عن حاجته فيمنع الناس من أن يأخذوا منها بدون ضرر عليه هذا أيضاً حرام عليه لأن الذي أنبع الماء من السماء هو الله وفي قوله ما لم تعمل يداك دليل على أن ما عملت يداه بأن ملك ووضعه في أبنية واستخرج من البئر وصبه في بركته فإن له الحق في أن يمنع منه من أراد الأخذ إلا بعوض.

حدثنا محمد ابن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن محمد عن أبي بكرة "عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة إثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، أى شهر هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال أليس ذا الحجة ، قلنا بلى ، قال أى بلد هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال أليس البلدة ، قلنا بلى ، قال: فأى يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال أليس يوم النحر؟ قلنا بلى ، قال: فإن دماءكم وأموالكم – قال محمد : وأحسبه قال وأعراضكم – عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه" فكان محمد إذا ذكره قال صدق النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال: ألا هل بلغت ، ألا هل بلغت.

قال بعض العلماء المعنى أن قريشاً كانوا يقولون بالنسيئ ، والنسيئ زيادة في الكفر يقل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، من الأشهر الحرم أحياناً تؤجل قريش شهر المحرم تجعله في صفر وشهر صفر تجعله في محرم بمعنى أنها تحل شهر المحرم ، وتحرم شهر صفر وأن السنة التي حدث بها النبى صلى الله عليه وسلم وافق أن التحريم لشهر المحرم لا لشهر صفر فاستدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وقال بعض العلماء المعنى أن الزمان استدار كهيئته أى في تساوي الليل والنهار وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حدث بهذا الحديث في وقت تساوى فيه الليل والنهار في فصل الربيع وعلى كل حال هذا أو هذا المقصود أن الرسول بين أن السنة إثنى عشر شهراً هلالية وهذه السنة مواقيت لجميع الناس للمسلمين والكفار لهذه الأمة ولغير هذه الأمة ولهذا كان اليهود يصومون عاشوراء في شهر المحرم ويوقتونها بهذه الشهور فهذه الشهور كما قال الله تعالى ﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾ هى

مواقيت للناس عموماً والحج ، وقال تعالى في العمرة ﴿وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ هذا هو التوقيت الذي جعله الله تعالى للعباد لكنه توالت الأمور والأحداث وغلب النصارى على بعض البلاد الإسلامية وحولوا التوقيت إلى التوقيت غير العربي وغير الهجري وغير ما جعله الله عز وجل للناس بأشهر لا نعلم ما أصل هذه الأشهر. "**يقول منها أربعة حرم**" متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والحكم من ذلك والله أعلم من أجل أن يسير الناس إلى بيت الله في أمن لآن هذه الأشهر الحرم يحرم فيها القتال وفيما سبق لا يصل الناس في مكة في أيام الحج إلا من شهر أو أكثر الذين في أقصى الجزيرة ولذلك جعل الله عز وجل للحج حرماً في الزمان كما جعل له حرماً في المكان هذه الأشهر الثلاثة ذو القعدة شهر قبل ذي الحجة محرم شهر بعد ذي الحجة حتى يأمن الناس في ذهابهم وإيابهم إلى بيت الله والرابع يقول ورجب مضر ، القبيلة المعروفة من أكبر قبائل العرب وأضيف إليها لأنه معلوم عندها ويعرف بهذه النسبة رجب مضر قال الذي بين جمادى وشعبان ، هذا أيضاً من الأشهر الحرم وهو شهر فرد قال بعض العلماء وذلك لأن العرب كانوا يأتون إلى العمرة في هذا الشهر في رجب ولا يمكن أن يعتمروا في أشهر الحج أبداً ، يرون أن الإعتمار بأشهر الحج من أكبر الكبائر ويقولون إذا عفى الأثر وبرأ الدبر ودخل صفر حلت العمرة لمن اعتمر ، ما معنى عفى الأثر؟ يعني إمح أثر الحجاج وبرأ الدبر يعني القروح التي تكون على ظهور الإبل من الحمل ، ودخل صفر يعني بعد الحج بشهر ، حلت العمرة لمن اعتمر ، أما قبل ذلك فلا تحل ولهذا اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم جميع عُمَرِه في أشهر الحج حتى بعض العلماء تردد هل العمرة في أشهر الحج أفضل أو في رمضان أفضل؟ ثم قال صلى الله عليه وسلم "**أى شهر هذا ، قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه يسميه بغير اسمه**" لماذا قالوا الله ورسوله أعلم وهم يعلمون أنه الشهر؟ لأنهم إستعظموا أن يسألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن اسم الشهر مع أنه معلوم لا إشكال فيه فظنوا أنه سيسميه بغير إسمه ، إذاً قولهم الله ورسوله أعلم يعود إلى تسمية الشهر لا إلى نفس الشهر ، فالشهر معلوم عندهم ولا إشكال فيه ، لكن ظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم إستفهم عن اسمه لا عن عينه ولهذا يقول "**فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير إسمه**" وهذان أسلوبان قوله: أى شهر والسكوت ، اسلوبان من الأساليب التي توجب إنتباه الإنسان أليس كذلك؟ يعني لو أن الإنسان ألقى الحديث مرسلاً يفهم أو لا يفهم؟ لكن ينتبه الناس له مثل ما ينتبهون له إذا سأل هذه واحدة.

الثاني السكوت:- السكوت يوجب الإنتباه السكوت في أثناء الكلام يوجب الإنتباه ولهذا نجد أن المحاضر أو الخطيب أو المدرس إذا سكت إشرأبت الأعناق والتفتت العيون إليه ما الذي حدث؟ فاستعمل النبى صلى الله عليه وسلم هذين الأسلوبين.

وقوله "**قلنا أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير إسمه فقال أليس البلدة**" والبلدة اسم من أسماء مكة ولها أسماء كثيرة عند الذين يتكلمون عن مكة وحرمها قلنا بلى "**قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير إسمه ، قال أليس يوم النحر؟ قلنا بلى**" يوم النحر يعني يوم عيد الأضحي ، وسمى يوم النحر لأنه تنحر فيه الهدايا

والضحايا "قال فإن دماءكم وأموالكم قال محمد وأحسبه قال وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم -١٣١-
هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا" إذاً أراد النبي صلى اله عليه وسلم من الإستفهام عن الشهر والمكان واليوم أراد تأكيد تحريم هذه الثلاثة وهم الدماء والأموال والأعراض وفي الحديث لف ونشر غير مرتب ، لأنه بدأ باليوم وهو الأخير ثم بالمكان ثم بالزمان.

ثم قال عليه الصلاة والسلام "وستلقون ربكم" وهذا هو الشاهد من الحديث "فيسألكم عن أعمالكم" وقد ورد أن صفة هذا اللقاء أن الله سبحانه وتعالى يخلوا بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه يقول فعلت كذا فعلت كذا حتى إذا أقر قال قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم قال "ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا ، وفي رواية ظلاماً" ولا منافاة بينهما لأن كل كافر فهو ظالم والعكس وعلى هذا فيكون المراد بالضلال هنا ضلال الكفر يضرب بعضكم رقاب بعض وهنا قد يسأل النحوي لماذا قال يضرب بالرفع مع أنها بعد النهى فلا ترجعوا ، ومعلوم أن فاء السببية إذا حزفت بعد النهي أو الأمر فإن الفعل يجزم تقول الجواب على هذا أن يضرب ليست جواباً لترجعوا ولكنها بيان للضلال أو الكفر فهى جملة استئنافية تبين ماذا يحصل به الكفر أو ماذا يحصل به الضلال يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب لإكرارها مرتين وقوله ليبين ، اللام للأمر والفعل بعدها مجزوم ولكنه حزف بالكسر لماذا؟ للفاء الساكنة فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى من بعض من سمعه هذا يفسر قوله رب مبلغ أوعى من سامع يعني أن بعض من يبلغه أوعى من بعض من سمعه وليس كل من يبلغه أوعى من كل من سمعه وهذا من الإحتراس في القول وينبغي للإنسان في مثل هذا التعبير أن يحترس بدلا أن يقول مثلاً الناس فعلوا يقول بعض الناس فعلوا الناس يفعلون يقول بعض الناس يفعلون حتى يكون كلامه محرراً قال ما كان محمد إذا ذكر قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا هل بلغت؟ فالجواب أنه قد بلغ ، بلغ البلاغ المبين صلى الله غليه وسلم بقوله وفعله وإقراره وترك أمته على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ومن خفى عليه شيئ من السنة فهو لأحد أسباب ثلاثة:-

إما نقص علمه ، وإما قصور فهمه ، وإما سوء قصده

أما الأول وهو نقص العلم فواضح ، أما الثاني وهو قصور الفهم فواضح أيضاً ، لأن بعض الناس يحفظ كثيراً ولكن لا يفهم لا يفوته من العلم بقدر ما فاته من الفهم.

وأما الثالث وهو سوء القصد:- فإن الإنسان يحرمه العلم ولو كان عنده حفظ كثير وفهم ، يحرمه بسبب سوء القصد والعياذ بالله ومن سوء القصد أن لا يريد الإنسان إلا الدنيا ومن سوء القصد أن لايريد الإنسان إلا أن يتعصب لشيخه ومدفوعه والواجب على الإنسان أن يريد الوصول إلى الحق وإذا علم الله من الشخص أنه يريد الوصول إلى الحق سهله له ويسره له سواء في المراجعة أو في المناقشة لأن الله يقول ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ فإذا علم الله منك أنك تريد الحق يسره لك ، الظاهر من هذا أن البخاري رحمه الله يشير إلى لفظ آخر في الحديث.

باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾

حدثنا موسى ابن اسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عاصم عن أبي عثمان أن أسامة قال: كان ابن لبعض بنات النبى صلى الله عليه وسلم يقضي فأرسلت عليه أن يأتينا ، فأرسل: إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل إلى أجل مسمي ، فلتصبر ولتحتسب فأرسلت إليه أن ، فأقسمت عليه فقام رسول الله صلى الله علسه وسلم وقمت معه ومعاذ ابن جبل أوبى بن كعب وعبادة بن الصامت ، فلما دخلنا ناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تقلقل في صدره حسبته قال كأنها شنة ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم.فقال سعد ابن عبادة أتبكي ، فقال: إنما يرحم الله من عباده الرحماء.

حدثنا عبيد الله ابن سعد بن ابراهيم حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن صالح بن كيسان عن الأعرج "عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: اختصمت الجنة والنار إلىٰ ربهما ، فقالت الجنة: يا رب مالها لا يدخله إلا ضعفاء الناس وسقطهم ، وقالت النار يعني أوثرت بالمتكبرين ، فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي ، وقال للنار: أنت عذابي ، أصيب بك من أشاء ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، قال فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثاً ، حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ، ويرد بعضها إلى بعض وتقول قط قط قط"

هذا الباب أخذه البخاري رحمه الله لإثبات رحمة الله عز وجل وقد سبق التفصيل في الرحمة وذكرنا أنها تنقسم إلى قسمين:-

رحمة مخلوقة ورحمة غير مخلوقة وأن غير المخلوقة تنقسم أيضاً إلى قسمين:- رحمة عامة ورحمة خاصة

وسبق الكلام على هذا وبيان أن أهل التعطيل أنكروا أن يكون لله رحمة ، بمعنى ما أراده الله ورسوله ، وقالوا المراد بالرحمة ما يترتب عليها من ثواب وإنعام وما أشبه ذلك وقوله تعالى ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ فيها الحس على الإحسان وأنه كلما كان الإنسان أكثر إحساناً كان أقرب إلى رحمة الله عز وجل لأنه يكون رحيماً بذلك والله تعالى يرحم من عباده الرحماء ثم ذكر حديث الصبى الذي لإحدى بنات الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام عليه ، ثم ذكر حديث أبي هريرة وفيه "إختصمت الجنة والنار إلى ربهما ، فالجنة قالت يا رب لا يدخلني إلا الضعفاء والنار قالت إنها أوثرت بالمتكبرين" وفي قول الراوي وقالت النار يعني أوثرت دليل على أنه لم يثبت اللفظ ولكن ما ذكره صحيح وفي الحديث أن الله قال للجنة أنت رحمتي ، من أى نوع؟ يعني الأقسام المخلوقة ، وقال للنار أنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها قال: "فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً وأنه ينشئ للنار من يشاء" وهذا لا شك أنه منقلب على الراوي إنقلاباً واضحاً والصواب فأما النار فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً وأما الجنة فإنه ينشئ لها من يشاءوهذا قد مر علينا على الوجه الصحيح فالحديث منقلب وعليه فيكون وأما الجنة فينشئ لها من يشاء وأما النار فإنه لا يظلم من خلقه أحداً فيلقون فيها إلى آخره ، وقوله "حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ" هذا مما إستدل به أهل التعطيل على أن المراد بالقدم من يقدمهم الله إلى النار لقوله فتمتلئ وسبق لنا أن اللفظ الصواب فينزوي بعضها إلى بعض وتنضم من وضع الرب عليها قدمه وهذا هو الصواب ويحمل قوله

فتمتلئ ، إن كان محفوظاً على أنه إذا إنضم بعضها إلى بعض لم يعد فيها مكان لأحد لأنه إذا إنزوي بعضها[٣٣] إلى بعض إمتلئت ، فيحمل على هذا المعنى والشاهد من هذا قوله "أنت رحمتي".

حدثنا حفص ابن عمر حدثنا هشام عن قتادة "عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليصيبن أقوامن سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ، يقال لهم الجهنميون" وقال همام حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا سبق ما يدل عليه في حديث أبا سعيد وغيره.

باب قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾

حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: "جاء حبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله يضع السماء على أصبع ، والأرض على أصبع ، والجبال على أصبع ، والشجر والأنهار على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يقول بيده أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: وما قدر الله حق قدره"

هذا أيضا سبق الكلام على مثله وقوله تعالى ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ فيها بيان الإمساك أى القبض وقد سبق أن الله قال ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامةوالسموات مطويات بيمينه﴾ وقد قال تعالى في آيات أخري ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾ فالله تعالى يمسك السموات والأرض أن تزول ولئن زالتا إن أمسكهما أحد من بعده ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه لأن السماء فوق الأرض فلولا إمساك الله تعالى لها لوقعت على أهل الأرض.

الدرس الثالث والعشرون:-

باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره ، فالرب بصفاته وفعله وأمره ، وهو الخالق ، هو المكون غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه ، فهو مفعول ومخلوق ومكون.

قال البخاري رحمه الله باب ما جاء في تخليق السموات والأرض ، تخليق مصدر خلق فيجوز خلق وتخليق ، وفي القرآن قوله تعالى ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾ مشتقة من التخليق تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق ، وغيرها أعاد الضمير على السموات والأرض بإعتبار الجنس ، وإلا فقال وغيرهما ، لكن السموات جمع ، قال "وهو – أى التخليق – فعل الرب تبارك وتعالى وأمره" التخليق يكون بأمرين بالأمر والفعل لقوله تعالى ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ فلا يتم الخلق إلا بالأمر ، والأمر هذا مسبوق بالإرادة ، وإنما بوب البخاري رحمه الله بهذا لأن من أهل البدع من يقول إن الرب ليس له فعل وأن المراد بفعله مفعوله ، لماذا؟ لأنه لو قام الفعل بالخالق لكان محلا للحوادث ولا يكون محلا للحوادث إلا الحادث ، وسبق أن هذه القاعدة فاسدة وباطلة وأن الرب عز وجل لم يزل ولا يزال خلاقاً ، والمخلوق هو الذي يتجدد والفعل المقارن للخلق كذلك أيضاً يتجدد ولكن لم يزل ولا يزال خلاقاً ، فعلى هذا نقول البخاري رحمه الله سلك في هذا مسلك السلف الصالح وهو أن الفعل غير المفعول ، الفعل صفة قائمة بالرب والمفعول مخلوق

بائن عن الرب ، وغرضه بذلك الرد على من زعم أن فعل الله هو مفعوله وليس لله فعل يقوم به ، ولذلك قال رحمه الله **"وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره"** فعل الرب واضح أن الخلق هو فعل الرب ، أمره يعني الكائن بأمره لقوله تعالى **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾** يقول للسموات كن فتكون **﴿قال ءإتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾** وهكذا كل المخلوقات حتى الذرة إذا أراد أن يخلقها عز وجل يقول لها كوني فتكون ، وسبحان الله الذي وسع هذه الخلائق العظيمة ، كم يخلق في اللحظة من المخلوقات أمم لا يحصيها إلا الله وهو عز وجل كلها يقول لها كن فتكون ، وإذا كان عز وجل وسع الأصوات كلها ، كل مصلى يقول الحمد لله رب العالمين فالرب عز وجل يقول له حمدني عبدي ، كل مصلي في أى مكان ولو إتحد الزمان فإن الله يقول حمدني عبدي ، وهذا يدلك على سعة الله ، ولهذا قال **﴿والله واسع عليم﴾** محيط بكل شيئ علماً سبحانه وتعالى ، وعلى هذا فنقول قول المؤلف رحمه الله **"وأمره"** يعني الكائن بأمره ، الخلق فعل الرب وأمره يعني بأمره ، بأمره الكوني أم الشرعي؟ الكوني ، قال **"فالرب بصفاته وفعله وأمره"** يعني الرب رب بصفاته فالصفات لا تنفصل عن الموصوف وبصفاته أزلي أبدي جل وعلا ، الأول الذي ليس قبله شيئ والآخر الذي ليس بعده شيئ ، وهذا أيضاً رد على من قال إن الصفة غير الموصوف ، يقولوا **"الرب بصفاته"** فأنت إذا دعوت الله هل دعوت ذاتاً مجردة عن الصفات؟ فأنت لو قلت يا رب فأنت تسأل الله وأنت تستحضر جميع صفاته التي تحيط بها يعني يا ربي بالصفات الكاملة والأسماء الحسنى فهو عز وجل بصفاته وكذلك بأسمائه لكن لم يذكر الأسماء لأن في الخلق ، والخلق صفة فالرب بصفاته ، الجار والمجرور بصفاته خبر الرب يعني الرب رب بصفاته وفعله وأمره ، وأشار البخاري رحمه الله بقوله **"الرب بصفاته وفعله"** إلى القول الراجح في تسلسل الحوادث ، إذا كان الرب بفعله لزم من هذا أن يكون الفعل قديماً أزلياً وهو كذلك ، لكن المفعول هو الحادث والفعل المقارن للمفعول حادث ، ولهذا نقول فعل الله الذي هو فعله من حيث الجنس أزلي لم يزل عز وجل فعالاً ، والفعل المقارن للمفعول حادث كالكلام سواءً ، أصل الكلام أزلي وما يتكلم به عز وجل حين يتكلم فهو حادث ولا مانع أن نقول بهذا ، أليس الله يقول **﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾** متى كان الكلام؟ حين المجيئ لم يكن من قبل ، فالأمر في هذا واضح والحمد لله ، والبخاري رحمه الله أشار بهذا إلى أن أفعال الله لازمة له وهذا هو الحق ، ومن تأمله وجد أنه لا يمكن العدول عنه خلافاً لمن شنع على شيخ الإسلام رحمه الله بقوله بهذا القول ، والإنسان يستغرب كيف يشنع به؟ لأننا إذا قلنا إنه ليس هناك تسلسل وأن الله في الأول كان لا يفعل نقول لماذا لا يفعل؟ هل هو عاجز؟ إن قالوا نعم كفر وإن قالوا بلى قلنا إذا كان كذلك فما الذي يمنعه أن يفعل ، فجواز تسلسل في الأزل كجوازه في المستقبل ولا فرق هو الأول بصفاته وأفعاله الذي ليس قبله شيئ والآخر بصفاته وأفعاله الذي ليس بعده شيئ وقوله بأمره الأمر الذي يكون به الفعل كن هذا أمر فهو لم يزل عز وجل بصفاته وفعله وأمره **"وهو الخالق هو المكون"** أراد المؤلف رحمه الله بقوله هو المكون أن يفسر معنى الخالق ، لا أن يثبت أن المكون من أسماء الله ، ولهذا ليس من أسماء الله المكون ، لكن هو فسر الخالق والخالق من أسماء الله الخالق البارئ ،

المكون يعني تفسير للخالق وإن شئت فقل تفسير للمصور كما قال تعالى ﴿الخالق المصور﴾ أى المكون للشيئ على الصورة التي أرادها.

قال "**غير مخلوق**" وإن حدثت منه الأفعال فإنه ليس بمخلوق ، لأن الله هو الخالق وما سواه مخلوق ثم قال "**وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول**" ففرق رحمه الله بين الفعل والفاعل والمفعول ، فهذه ثلاثة أشياء كل واحدة منها لها حقيقة فاعل وفعل ومفعول ، أيها الأول؟ الفاعل ثم الفعل ثم المفعول ، هذا إذا قلنا الفاعل الذي يريد أن يفعل ، أما إذا قلنا الفاعل الذي قام به الفعل فالفعل سابق على الفاعل لأنه لا يصدق عليه أنه فاعل حقيقة إلا بعد وقوع الفعل ، الأصل أنه لا فعل إلا بفاعل ، فإذا قلنا لا فعل إلا بفاعل لزم أن يسبق الفاعل الفعل ولا مفعول إلا بفعل ، لكن إذا أريد بالفاعل حقيقة الفعل فهنا يجب أن يسبق الفعل الوصف بالفاعل ما يكون فاعل حتى يفعل ، أنا مثلاً ناطق حقيقة أو فعلاً؟ لا أكون ناطق حقيقة حتى أنطق ، لكن قبل أن أنطق أكون ناطق حكماً ولا يمكن نطق إلا بوجودي ، فالناطق سابق على النطق والمنطوق به متأخر عن النطق لكن إذا أردت حقيقة وصفه بالفعل فإنه لا يمكن أن يكون فاعلا حتى يفعل.

وقوله "**وما كان بفعله وأمره وتخليقه فهو مفعول**" عائد على بفعله ، مخلوق عائد على تخليقه وأمره والحاصل من هذه الترجمة أن المؤلف رحمه الله أراد أن يبين أن ما سوى الله مخلوق وأن الله وحده هو الخالق وأنه عز وجل رب بفعله ووصفه بأفعاله وصفاته فلم يزل فعالا و لم يزل موصوفاً بصفاته الكاملة وأن الخلق حادث.

حدثنا سعيد ابن أبي مريم قال أخبرنا محمد ابن جعفر قال أخبرني شريك ابن عبد الله ابن أبي نمر عن كرين عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما "قال بت في بيت ميمونة ليلة والنبى صلى الله عليه وسلم عندها لأنظر كيف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر أو بعضه قعد فنظر إلى السماء فقرأ ﴿إن في خلق السموات والأرض إلى قوله لأولي الألباب﴾ ثم قام فتوضأ واستن ثم صلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال بالصلاة فصلى ركعتين ثم خرج فصلى للناس الصبح"

ما هى صلة ميمونة بابن عباس؟ خالته أخت أمه وابن عباس رضى الله عنه ذكي عاقل حريص على العلم حتى إنه كان يأتي إلى الرجل من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في القيلولة ويضع رداءه يتوسده ينام على العتبة حتى يخرج صاحب البيت ويقول له حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول له يا ابن عم رسول الله لماذا لم تقيمني؟ قال أنا صاحب الحاجة وفهمه وعقله وفقهه رضي الله عنه معروف ، أحب أن ينظر كيف يصنع الرسول صلى الله عليه وسلم في أهله وكيف يصلى في الليل فدخل النبى صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العشاء وتحدث مع أهله ساعة يعني ستين دقيقة أو ساعة يعني وقت من الزمن؟ الثاني يمكن ستين دقيقة أو أكثر أو أقل ، لكن معروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم يكره الحديث بعد صلاة العشاء فيكون هذا الحديث الذي تحدث به حديثاً يحصل به الإيناس للأهل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول خيركم خيركم لأهله ومعلوم أن الرجل لو جاء لأهله ودخل عليهم ثم انصرف إلى الفراش

ونام والمرأة نامت لا يكون من الألفة شيئ وهذا سبب للقطيعة ، ولكن إذا تحدث مع أهله ساعة يؤنسهم ويدخل السرور عليهم فهذا من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر أو نصفه قام صلى الله عليه وسلم **﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه﴾** حسب نشاطه صلى الله عليه وسلم أما إذا مضى ثلث الليل أو نصفه أو ثلثاه يقول فقعد فنظر إلى السماء نظر تفكر وإيقاظ بما فيها من الآيات العظيمة فقرأ **﴿إن في خلق السموات والأرض – إلى قوله – لأولي الألباب﴾** إن في خلق السموات والأرض أى تخليقهما وما أودع الله فيهما من الأغراض وبدأ الصنعة ، وإختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والحر والبرد والحرب والسلم والصحة والمرض والعز والزل ذلك كله فيه آيات لأولي الألباب **﴿وإختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾** آيات جمع آية وهى العلامة الدالة على ما لله تعالى من الحكمة والرحمة وغير ذلك مما تقتضيه هذه الإختلافات وقوله لآيات هل المعنى في كل واحدة منها آيات أو آيات موزعة على الجمع السابق؟ الأول ، كل شيئ من هذه فيه آيات عظيمة فمثلا النجوم فيها آيات في عظمها وكبرها ونورها وحركاتها وسكناتها ولونها بعض النجوم تجرى وتتحرك وتلمع وبعضها ساكن وبعضها أبيض وبهضها يميل للحمرة وبعضها صغير وبعضها كبير كلها فيها آيات ، وهكذا القمر والشمس فيهما آيات لكن لأولى الألباب لأصحاب العقول ، أما الغافلون فلا يتنبهون بهذه الآيات ، ثم قام فتوضأ واستن ثم صلى إحدى عشرة ركعة توضأ واستن يعني استاك وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك هكذا قال حزيفة رضى الله عنه يعني يدلكه دلكاً لأن الفم يتغير بالنوم ، واستدل بهذا الحديث على أن القرآن يجوز قرأته لغير المتوضئ لأن النبى صلى الله عليه وسلم قراء قبل أن يتوضأ وهو كذلك ، لكن للإستدلال على هذا بهذا الحديث فيه نظر وذلك لأن نوم النبى صلى الله عليه وسلم لا ينقض الوضوء حيث تنام عيناه ولا ينام قلبه وهو صلى الله عليه وسلم فيما يظهر قد نام على وضوء فيكون قد قام على وضوء ، ثم أذن بلال بالصلاة فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح ، في هذا أيضاً دليل على أن الإمام ينبغي له أن يصلي الرواتب في بيته لا في المسجد وأنه إذا دخل المسجد أقيمت الصلاة هذا في الصلوات الخمس أما في الجمعة فهو أوكد وبه تعرف أن ما يفعله بعض الأئمة من التقدم يوم الجمعة والصلاة والجلوس حتى يأتي وقت خروج الإمام ثم يقوم فيصعد المنبر هذا خلاف السنة ، هو يريد أن يحصل على أجر التقدم في الجمعة فنقول له أجر إتباع السنة أكثر من أجر التقدم فلا تتقدم ولا تأتي إلا وقت صعودك إلى المنبر وكذلك بقية الصلوات لا ينبغي للإمام يعني السنة للإمام أن يتأخر في بيته فإذا جاء أقيمت الصلاة ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تقوموا حتى تروني مما يدل على أنه يأتي ثم تقام الصلاة فوراً.

وقوله فصلى للناس اللام قيل إنها بمعنى الباء أي صلى بالناس الصبح وقيل صلى لهم لأنه إمامهم فاللام للتعليل وليس المعنى أنه صلى تقرباً للناس ، ولكن صلى ليكون إماماً لهم ، الشاهد من هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم حين قرأ هذه الآية بل الشاهد قراءته هذه الآية **﴿إن في خلق السموات والأرض﴾** من خلقهما؟ الله.

باب ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى ا لله تعالى عنه ١٣٧ - "أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال لما قضى ا لله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي"

قوله تعالى ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾ قوله سبقت كلمتنا دليل على أن كلمات ا لله عز وجل فيها سابق ومسبوق وهو كذلك لأن ا لله يتكلم متى شاء.

وفي قوله "لما قضى ا لله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي" هذا أيضاً مما سبق من كلماته عز وجل ، ما كتبه في أن رحمته سبقت غضبه ومعنى الحديث أنه إذا حصل فعل يكون سبباً للرحمة وسبباً للغضب ، فإن الرحمة تسبق الغضب ويرحم ا لله سبحانه وتعالى بها من شاء.

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا الأعمش قال سمعت زيد ابن وهب أنه قال "سمعت عبد ا لله ابن مسعود رضى ا لله تعالى عنه قال حدثنا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن خلق أحدكم ، يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما وأربعين ليلة ثم يكون علقة مثله ، ثم يكون مضغة مثله ، ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها"

هذا الحديث كالأول ، فيه بيان حدوث الكلام ، يقول ابن مسعود "حدثنا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق" فيما أخبر به يعني ما كَذب ولا كُذب ، بخلاف الكهان ، فالكهان كاذبون مكذوبون لأن الشياطين التي تلقي إليهم السمع تكذب مع الصدق مائة كذبة وهم يكذبون أيضاً ، أما النبى صلى ا لله عليه وسلم فهو الصادق المصدوق ، صادق فيما أخبر به ، مصدوق فيما أخبر به ، فالوحى الذي أوحاه ا لله إليه صدق وإخباره إيانا صدق ، وإنما قدم ابن مسعود هذه المقدمة لأنه سيتحدث عن أمر غيبي لا يعلمه إلا ا لله عز وجل ولا سيما في ذلك الوقت ليس هناك طب متقدم يعرف الناس كيف يتطور الجنين ، قال "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوم وأربعين ليلة" يجمع الجمع ضد التفريق وذلك أن الحيوانات المنوية فالنطفة الواحدة كثيرة جداً تجمع هذه لمده أربعين يوماً نطفة وأربعين ليلة ثم بعد ذلك يكون علقة مثله يتحول هذا المنى إلى علقة والعلقة دودة دقيقة حمراء يكون هذا الحيوان المنوي علقة مثله أى أربعين يوماً ثم يكون مضغة مثله أى أربعين يوماً والمضغة القطعة من اللحم بقدر ما يمضغه الإنسان في الأكل ولكن لا تظنوا أن هذا التحول يحدث طفرة واحدة بمعنى يبقى أربعين يوماً منياً ثم في تمام الأربعين ينقلب أحمر ثم ينقلب مضغة وهو يتكون شيئاً فشيئاً لكن يغلب عليه في الأربعين الأولى أن يكون نطفة الأربعين الثانية يكون علقة وفي الأربعين الثالثة يكون مضغة ويتكون بلإذن ا لله العظم واللحم كل شيئ ثم يبعث إليه الملك الملك إسم جنس يراد به الملائكة الموكلون بما في البطون فيؤذن بأربع كلمات بكتب رزقه

وأجله وعمله وشقي أم سعيد يكتب الملك هذه الأشياء الأربعة الرزق ولكن يكتب الرزق بأسباب الرزق من أين يأتيه؟ بيع شراء إرث هبات يكتب الرزق ، الأجل طويل أو قصير العمل يكتب العمل صالح أو فاسد ، الشقي أو السعيد المئال للشقاء أو السعادة ، كل هذا يكتب ولكن نسأل هل نحن عندنا علم بالمكتوب؟ لا ليس عندنا علم بما يكتب الملك الموكل بذلك عنده علم حتى يموت هذا الرجل وكيف عمله ورزقه ، لكن نحن ليس عندنا علم ، ولهذا لا يمكن لأحد أن يحتج بهذا الحديث وما شابهه على معصية الله ، لأننا نقول لو إحتج ما الذي أعلمك أنك من الأشقياء ، ما الذي أعلمك أن عملك سيئ ، أنت الذي إخترت وأنت لا تعلم أن عملك شيئ إلا بعد أن تفعل ، ثم ينفخ فيه الروح ، الروح من الأشياء التي لا تفنى ، إذا خلقها الله عز وجل فإنها لا تفني لأنها عند الموت تخرج من الجسد فقط وتنعم أو تعذب ويوم القيامة ترد إلى الجسد ، فهي من المخلوقات الدائمة التي خلقها الله عز وجل للبقاء ، ولذلك ليست من العناصر المعروفة يعني ليست من حديد ولا من خشب ولا من طين ، من عنصر الله أعلم به كما قال تعالى ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾ ولهذا تجدونها تتخلل البدن وتخرج منه في النوم من غير أن يشعر الإنسان وترجع عند اليقظة من غير أن يشعر بشيئ دخل فيه أو خرج منه مع أنها لا شك تخرج زلذلك يفقد الإحساس وتعود ولذلك يعود الإحساس ، فلهذا أمرها عجيب ومن ثم قطع الله عز وجل علينا الوصول إلى حقيقتها فقال ﴿**قل الروح من أمر ربي وما أتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾ .

يقول في الحديث "**ثم ينفخ فيه الروح**" والنفخ معروف والنافخ الملك ، كيف ينفخ الملك وهو داخل في الرحم؟ نقول هذا ليس لنا أن نسأل عنه لأن هذا أمر غيبي وإذا كان الشيطان وهو عدو للإنسان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فالملك الذي يسير بأمر الله من باب أولى ، والشيطان كذلك يسير بأمر الله لكنه إبتلاء وإمتحان ، وقوله "**فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعما أهل الجنة فيدخلها**" هاتان الجملتان من أشد ما يكون إخافة للإنسان الذي يعمل بعمل أهل الجنة ، لأنه لا يدري ماذا يختم له ، قد يعمل بعمل أهل الجنة حتى يكاد يصلها لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع وقد كتب شقياً من أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار ، والثاني يعمل بعمل أهل النار حتى يكون ما بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ولكن قد ثبت في صحيح البخاري في قصة الرجل الذي كان في غزاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان مقداماً شجاعاً لا يدع للعدو شاذة ولا فاذة إلا قضى عليها فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا من أهل النار ، فعظم ذلك على الصحابة وكبر عليهم فقال أحدهم والله لألزمنه حتى أنظر ماذا يكون أمره ، ألزمه وأنظر مأله ، يقول فأصابه سهم من العدو فجزع فوضع ذبابة سيفه على صدره واتكئ على السيف حتى خرج من ظهره فقتل نفسه ، فجاء الرجل في الصباح إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أنك رسول الله ، قال وبما؟ قال الرجل الذي قلت فيه كذا وكذا هذا ما فعل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار فهذا الحديث يقيد حديث ابن مسعود

فيكون قوله "حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع" أى حتى يقرب أجله وهو يعمل بعمل أهل النار أو بعمل أهل الجنة فيكون قد سبق عليه الكتاب فإذا قال قائل ما هو السبب؟ أليس الله سبحانه وتعالى قد سبقت رحمته غضبه؟ أليس الله تعالى قال ﴿وكان الله شاكراً عليماً﴾؟ فهل مِن شُكر الله أن يعمل له هذا الرجل إلى أن يبقى بينه وبين الموت هذا القدر ثم يخذله الله ، أين الشكر؟ نقول والله إن الله لشكور عليم لكن هذا الرجل قلبه سر هو الذي أهلكه إما مراعاة الناس أو أحقاد أو كراهة لبعض ما أنزل الله وما أشبه ذلك ، هذا السر الذي لا يبدو للناس هو الذي خانه أحوج ما يكون إليه فأودى به إلى الهلاك ، ولهذا يجب علينا يا اخواننا أن نطهر قلوبنا دائماً وأن نحافظ على سلامتها وطهارتها أكثر مما نحافظ على ركن من أركان الصلاة أو شرط من شروط الصلاة ، يعني الإنسان منا لا يكاد يفرط في ركن من أركان الصلاة ولا نتقلها ولا نطهرها وهذا يخشى علينا منه. وبهذا الحديث الذي سقناه في قصة الرجل يرتاح الإنسان ويحافظ على قلبه وعلى سلامته حتى يوافق ظاهره باطنه ويسلم من سوء الخاتمة ، أما العكس الذي يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فهذا كثير ، ما أكثر الذين أسلموا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ماتوا قريباً من إسلامهم ، ومنهم الأصيرم رجل من بني عبد الأشهل كان كافراً معادياً للدعوة الإسلامية فلما سمع بالخروج يوم أحد ألقى الله في قلبه الإسلام ، وخرج مع الناس للغزو في سبيل الله فقتل ، فلما تتبع الناس قتلاهم بعد إنتهاء المعركة وجدوا الأصيرم ، قالوا ما الذي جاء بك ونحن قد عهدناك تكره هذا الأمر أحدب على قومك أم رغبة في الإسلام قال بل رغبة في الإسلام ، هذا هو حسن الخاتمة ، وبلغوا عني رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام وأخبروه ، ثم مات من حينه ، فهذا الرجل كان يعمل بعمل أهل النار حتى لم يبق بينه وبينها إلا ذراع أو أقل ، فخرج وقتل شهيداً في سبيل الله ، فنسأل الله لنا ولكم حسن الخاتمة وأن يطهر قلوبنا وأن يجعل بواطننا خير من ظواهرنا إنه على كل شيء قدير.

الدرس الرابع والعشرون:-

حدثنا خلاد ابن يحي قال حدثنا عمر ابن ذر قال سمعت أبي يحدث عن سعيد ابن جبير "عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا جبريل ما يمنعك أن تزونا أكثر مما تزونا ، فنزلت ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾ الآية قال كان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم"

هذا الحديث فيه اشتياق النبي صلى الله عليه وسلم إلى زيارة جبريل ، لأن الملائكة عباد الله عز وجل فيجب علينا أن نحبهم لله قال تعالى ﴿**لأنهم عباده ، عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾ فعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم قال **"ألا تزورنا وفي لفظ ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا"** فنزلت هذه الآية ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك**﴾ قال هذا كان جوابه لمحمد صلى الله عليه وسلم ، جواب من الله عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ، والشاهد من هذا الحديث أن

قوله "وما نتنزل" كلام ، فهو كلام الله عز وجل حصل بعد أن قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل[١٤] ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا.

حدثنا يحي قال حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضى الله تعالى عنه "قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو متوكأ على عسيب ، فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ، وقال بعضهم لا تسألوه فسألوه عن الروح فقام متوكأ على العسيب وأنا خلفه فظننت أنه يوحى إليه فقال ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه".

هؤلاء اليهود يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم تعنتاً وتنطعاً ، لا أنهم يريدون أن يرجعوا إلى حكمه لقوله تعالى **﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بمؤمنين﴾** فهم لا يحكمون الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يسألونه إلا تعنتاً ، ولهذا إختلفوا هل يسألونه عن الروح أم لا؟ فقال بعضهم سلوه وقال بعضهم لا تسألونه ، والمراد بالروح هنا نفس الإنسان ، وهى الروح التي في البدن وهى من أمر الله عز وجل لا يمكن للإنسان أن يدرك كنهها وحقيقتها لكن يعرف ذلك بآثارها ، وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الروح تقبض وتكفن وأن الميت يراها يتبعها بصره إذا توفي ، وهذا يدل على أنها ذات جرم وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في الروح ، أنها جسم لطيف لا يشبه هذه الأجسام وليس من مادة منها هذه الأجسام والله أعلم بكيفيتها وحقيقتها.

وقال بعض المتكلمين إن الروح صفة من صفات البدن كالمرض والصحة والقوة والنشاط والضعف وما أشبه ذلك وقال بعضهم هى الدم ، وقال بعضهم هى البدن واضطربوا فيها وسبب اضطرابهم أنه لم يبلغهم ما جاء في الكتاب والسنة عن هذه الروح وقالت الفلاسفة الروح شيئ ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالبدن ولا منفصل عنه ولا مباين للبدن ولا محايد ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ، وصفوها بالعدم كما وصفوا الله تعالى بالعدم ، ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله المتكلمون بالنسبة للروح ممثلة والفلاسفة معطلة وصدق رحمه الله ، هؤلاء ألحقوها بالأجسام وهؤلاء وصفوها بالعدم المحض ، أما نحن فنقول هى من أمر الله وأمرها عجيب ولا يمكن إدراك حقيقتها ولا كنهها ، ونعلم أنها ليست من المادة التي خلق منها الجسد وليس لنا أكثر من ذلك. وقوله تعال: **﴿وما أتيتم من العلم﴾** الخطاب للناس كلهم ما أوتوا من العلم إلا قليلاً وكأن في هذا توبيخاً لهم ، يعني كأنه يقول ما فاتكم من العلم إلا الروح تسألون عنها ، فاتكم شيئ كثير ما أتيتم من العلم إلا قليلاً ، وصدق الله ، ما أكثر ما يخفى علينا مما هو بين أيدينا ، الكتاب والسنة الأن بين أيدينا ويخفى علينا شيئ كثير من أحكامهما نحن نعيش في وسط مجتمع ويخفى علينا كثير من المجتمع بل الإنسان يعيش في أهله في عش محصور ومع ذلك يخفى عليه شيئ كثير من أهله ، إذاً ما أوتينا من العلم إلا قليلاً كما قال ربنا عز وجل ، وقوله **"قال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه"** وكأنهم تنادموا فيما بينهم لأنهم يفسرون الروح بغير ذلك ، هذا هو الذي يظهر.

الذي يسأل تعنتاً هل تجب إجابته؟ لا ، لأن الله تعالى خير النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لقوله تعالى: ﴿**فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم**﴾ فإذا علمنا أن الرجل لا يسأل إلا تعنتاً يعني يريد الإشقاق على المسئول فإنه لا يجاب ، فإن الإنسان بالخيار وإلا فالأصل أن من سألك عن علم وجبت عليك إجابته لأن كتمان العلم من كبائر الذنوب.

حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله ، وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة".

قوله "**تكفل**" بمعنى ضمن ، ضمن الله لمن جاهد في سبيله بهذا الشرط لا يخرجه إلا الجهاد في سبيل الله وتصديق كلماته ، كلماته الشرعية بأن من قاتل في سبيل الله ثم قتل فله الجنة وقوله "**إلا الجهاد في سبيله**" ما هو الجهاد في سبيل الله؟ هو القتال لتكون كلمة الله ، فمن قاتل حمية أو قاتل شجاعة أو قاتل رياءً فليس ذلك في سبيل الله ، من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو في سبيل الله ، فهذا ضمن الله له أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلى مسكنه إذا لم يقتل الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة ، من أجر إذا كان قصده أن تكون كلمة الله هى العليا ، أو غنيمة إن كان فيه رياء ، ولكن هذا التقدير يشكل لأنه يعارض أول الحديث ، أول الحديث يقول "**لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله**" فكيف يقال من أجر أو غنيمة؟ لهذا قال بعض العلماء أن أو هنا بمعنى الواو أى من أجر وغنيمة ، من أجر في الأخرة وغنيمة في الدنيا.

يعني أو هنا مانعة الخلو لا مانعة الجمع ، وهذا الكلام يشبه قول النحويين إن أو تأتي للتخيير أو للإباحة ، والفرق بينهما أن التخيير يمتنع فيه الجمع بين المخير فيه وفيه والإباحة يجوز فيه الجمع ، فإذا قلت تزوج هند أو أختها ، فهذا تخيير وإذا قلت كل خبزاً أو أرزاً مثلا هذا إباحة ، ويمكن أن تجمع بينهما ، إذاً من أجر أو غنيمة يعني إما أجر وحده أو غنيمة وحدها أو هما جميعاً ، لكن الغنيمة وحدها يشكل عليها ما ذكرنا.

حدثنا محمد ابن كثير قال حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن أبي موسى رضى الله تعالى عنه "قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياءً فأى ذلك في سبيل الله؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو في سبيل الله".

الشاهد من هذا قوله "**لتكون كلمة الله هى العليا**" فأثبت لله كلمة ، وكلماته عز وجل كونية وشرعية.

فالكونية هى المتعلقة بالخلق والتكوين ، والشرعية هى المتعلقة بالتكليف أى ما جاءت به الرسل ، هذه كلمات شرعية كالقرآن ، وكلمات كونية ما يتعلق بالخلق والتكوين وهى مثل قوله تعالى ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾ فقوله ﴿**يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**﴾ هذه كلمات كونية ، وقوله ﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم**﴾ هذه شرعية.

باب قول الله تعالى:- ﴿إنما قولنا لشيئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾

قوله ﴿إنما قولنا لشيئ إذا أردناه﴾ لا يخفى ما في هذا التعبير من التعظيم والعظمة والسلطان ؟ لأن ا لله سبحانه وتعالى لا يرده شيئ ، إذا أراد شيئاً فلا مانع له ولهذا عظم نفسه قال إنما قولنا لشيئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، يعني كن على مرادنا فيكون على مراد ا لله عز وجل ، والشاهد في هذا إثبات القول لله عز وجل ، وا لله سبحانه وتعالى يقول ويتكلم كما جاء في القرآن الكريم.

حدثنا شهاب إبن عباد قال حدثنا إبراهيو ابن حميد عن اسماعيل عن قيس عن المغيرة ابن شعبة رضى ا لله تعالى عنه "قال سمعت النبى صلى ا لله عليه وسلم يقول لا يزال من أمتي قوماً ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر ا لله"

حدثنا الحميدي قال حدثنا الوليد ابن مسلم قال حدثنا ابن جابر قال حدثني عمير ابن هانئ أنه سمع معاوية رضى ا لله تعالى عنه "قال سمعت النبى صلى ا لله عليه وسلم يقول لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر ا لله لا يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر ا لله وهم على ذلك ، فقال مالك ابن يخامر سمعت معاذ يقول وهم بالشام فقال معاوية هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول وهم بالشام"

هاذان الحديثان فيهما الشاهد من الباب قوله **"حتى يأتي أمر ا لله"** المراد بأمر ا لله هنا الأمر الكوني يعني أمر ا لله تعالى بموتهم وهلاكهم وفي حديث آخر حتى تقوم الساعة والجمع بينهما أن يقال إما أن يراد بالساعة الساعة العامة التي تقوم على جميع الخلائق ويكون معنى قوله **"حتى تقوم الساعة"** أى حتى يقرب قيامها ، وذلك لأن قيام الساعة لا يكون إلا على شرار الخلق ، لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول ا لله ا لله ، وإما أن يراد بالساعة أى ساعتهم وهو موتهم لأن من مات فقد قامت قيامته ، ولهذا يقال القيامة قيامتان ، قيامة صغرى وهى قيامة كل إنسان بحسبه ، وقيامة كبرى وهى القيامة العامة وفي قوله صلى ا لله عليه وسلم **"لا يضرهم من خذلهم"** من كذبهم ولا من خالفهم بشرى لهذه الطائفة أن ا لله سبحانه وتعالى سينصرها وأنه سيكون لها من يقاوم ويكون لها من يكذب ويكون لها من يخالف ولكن يثبتون على ما هم عليه ويقومون بأمر ا لله واللفظ الأول يقول **"ظاهرين على الناس"** أى عالين عليهم ، وهل العلو علو السلطة وأنهم يكونون هم الخلفاء عليهم ، أو المراد علو القول بمعنى أن الناس يحاولون إضلالهم ولكنهم يبقون ظاهرين قائمين وهذا أولى لأنه قد لا يكون لهم السلطان يملكون به الناس ، لكنهم ظاهرون لا يضرهم من خالفهم ولا من كذبهم وهم قائمون بأمر ا لله عز وجل ، أما قوله وهم بالشام فهذه تحتاج إلى تحرير لأن رواية معاوية ليس فيها ذكر الشام ولكن مالك يقول عن معاذ رضى ا لله عنه أنه سمعه يقول وهم بالشام ، فينظر هل هذه الكلمة مقوفة على معاذ أو مرفوعة إلى الرسول صلى ا لله عليه وسلم.

حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن عبد ا لله ابن أبي حسين قال حدثنا نافع ابن جبير "عن ابن عباس رضى ا لله قال: وقف النبى صلى ا لله عليه وسلم على مسيلمة في أصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر ا لله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك ا لله"

كلام قوى لأنه كلام محق أمام مبطل ، مسيلمة الكذاب ويقال كذاب اليمامة كان ذا شرف في قومه وذا سلطان حتى إنهم يطلقون عليه رحمن اليمامة ولما أخذ هذا الإسم من أسماء ا لله أذاقه ا لله الذل ، فأذله

وكذبه عز وجل ، ادعى الرسالة فى آخر حياة النبى صلى ا لله عليه وسلم ، وتبعه فئام من الناس من أقوامه ، ووفد إلى النبى صلى ا لله عليه وسلم في نحو سبعين رجلا من أصحابه وأتى إليه النبى صلى ا لله عليه وسلم ووقف عليه وخاطبه مسيلمة وقال أقر لي بالرسالة ولك الحجاز وما حوله ولي اليمامة وما يتبعها ، وكان مع النبى صلى ا لله عليه وسلم قطعة من جريد فقال له لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، كيف أعطيك اليمامة و لم تعدو أمر ا لله فيك هذا هو الشاهد أمر ا لله فيك أى أمره بهلاكك وهو الأمر الكوني "ولئن أدبرت ليعقرنك ا لله" ولكن الرجل أدبر فعقره ا لله و لله الحمد ، قتل في عهد أبي بكر رضى ا لله عنه في يمامته في حصنه قتله الصحابة رضى ا لله عنهم وتبين بذلك كذبه ، وقد أعطاه ا لله تعالى آيات لكنها تدل على كذبه لا على صدقه حدثناكم بها سابقاً وذكره المؤرخون ، أنه أتى إليه بصبى في شعره تمزق تالف بعضه فطلب منه أن يمسح على الرأس ليخرج بقية الشعر فمسح عليه فأراهم ا لله آية تدل على كذبه وهى تساقط الشعر الباقي ، كانوا يريدون أن يخرج الشعر التالف ولكن الأمر كان بالعكس والقصة الثانية قريبة من هذا أيضاً جاءه أصحاب بئر وقالوا إن البئر نقصت وطلبوا منه أن يفعل كما فعل الرسول صلى ا لله عليه وسلم في بئر الحديبية حيث نزل على بئر غائرة الماء فأخذ ماءً فتمضمض ومجه فيها فطاشت البئر بالماء وروى الناس ، فجيئ بهذا الكذاب وطلب منه أن يفعل كما فعل الرسول صلى ا لله عليه وسلم فأخذ ماءً في فمه فتمضمض به ثم مجه في البئر فغار الماء الموجود وهذه شهادة فعلية من ا لله على كذبه لأن فعل ا لله عز وجل الذي يكون شهادة إما أن يكون تأييداً وهو شهادة من ا لله على الصدق ، أو تفنيداً وهو شهادة من ا لله على الكذب .

الشاهد من هذا الحديث قوله "**ولن تعدو أمر ا لله فيك**" وهذا هو الذي وقع فإن هذا الرجل الكذاب لم يعدو أمر ا لله فيه وأهلكه ا لله على يد أصحاب النبى صلى ا لله عليه وسلم ، وفي هذا دليل على أن أفعال ا لله سبحانه وتعالى لا تنحصر بشيئ معين وأن كل ما صح أن يضاف إلى ا لله وإن لم يرد به نصاً فهو جائز ، وهنا قال "**ليعقرنك ا لله**" فأثبت لله العقر ولا شك أن المراد إذا عقره أى عقر إهلاك كما قال تعالى ﴿**فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذمبهم فسواها ولا يخاف عقباها**﴾ .

حدثنا موسى ابن اسماعيل عن عبد الواحد عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة "عن ابن مسعود قال بينا أنا أمشي مع النبى صلى ا لله عليه وسلم في بعض حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمررنا على نفر من اليهود ،فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه أن يجيئ فيه بشيئ تكرهونه فقال بعضهم لنسألنه فقام إليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم: ما الروح؟ فسكت عنه النبى صلى ا لله عليه وسلم ، فعلمت أنه يوحى إليه فقال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتوا من العلم إلا قليلاً﴾ قال الأعمش هكذا في قراءتنا .

الشاهد من هذا قوله ﴿**قل الروح من أمر ربي**﴾ أى من أمره الكوني ، فهو سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ، كما قال تعالى ﴿**وربك يخلق ما يشاء**﴾ يخلق ما يشاء من أى مادة شاء وعلى أى صفة شاء ، لأن الأمر كله لله قل إن الأمر كله لله ، فهو يخلق ما يشاء ، وفي هذا دليل على أن الرسول صلى ا لله عليه وسلم لا يتكلم بما لا يعلم ، وأن الأمور الغيبية يسكت عنها ، حتى ينزل عليه وحي ، أما الأمور الحكمية فإنها

يتكلم فيها ثم إذا لم ينزل وحي بنقضها صار بمنزلة الموحى ، فيكون وحي إقرار من الله عز وجل وإن نزل ما يخصص ما قاله أو يقيده أو ما أشبه ذلك عمل به ، وقوله "هكذا في قراءتنا" لكن القراءة هذه ليست سبعية ، قراءة ابن مسعود رضى الله عنه ، وبعد أن وحد عثمان رضى الله عنه المصحف صارت القراءة وما أوتيتم من العلم إلا قليلا.

باب قول الله تعالى ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من نعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ سخر: ذلل.

هذه الترجمة في عدة مسائل ولكنها كلها تعود إلى كلمات الله عز وجل ، هل كلمات الله محصورة؟ هل أفعال الله وخلقه محصور؟ لا ، وهو كل ما خلق شيئا قال له كن فيكون ، فكل شيئ مخلوق فإنه مسبوق بكلمة كن ، إذا لا حصر في كلماته ، ولهذا قال الله تعالى مبينا ذلك **﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾** لو كان البحر حبرا ، المدد الحبر الذي يكتب به ، لو كان مدادا لكلمات الله لنفد قبل أن تنفد كلمات الله ، لأنها لا تحصى كما لا تحصى أفعاله لا تحصى أقواله عز وجل **﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾** لو جئنا بمثله مددا له لنفد قبل أن تنفد كلمات الله وقوله تعالى **﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾** (ما) في قوله ولو أن ما إسم أن (ما) إسم أن في محل نصب وأقلام خبر أن وتقدير الآية في المعنى لو كان ما في الأرض من الأشجار أقلاما ، يعني لو جعلت كل الأشجار أقلاما والبحر يمده من بعده سبعة أبحر تكون الجميع ثمانية أبحر على هذا البحر العظيم وكل ما في الأرض أقلام وكتب بها يقول عز وجل ما نفدت كلمات ربي ، إذا تأمل الإنسان هذه الآية عرف عظمة الله عز وجل ، وأنه كما وصف نفسه واصف في كل صفاته وفي كل أفعاله لا يمكن أن تحصى أبدا.

ثم ساق المؤلف آية ثالثة **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾** وسبق الكلام على هذا كله أن الله خلقها في ستة أيام الأربعة الأولى للأرض واليومان المتممان للستة أيام للسماء، ثم استوى على العرش أى بعد أن كمل الملك استقر وعلا عز وجل على عرشه لكمال عظمته وسلطانه ،وقوله **﴿يغشى الليل النهار﴾** يغشى أى يغطي الليل بالنهار والنهار بالليل ، يطلبه حثيثا أى سريعا فلا فاصل بينهما ، ولذلك نرى أن الليل يبين في الأفق قبل أن تغيب الشمس ، تجد سواد الليل في الأفق الشرقي وأنت تشاهد الشمس لم تغرب كأنه يسابقه ويلاحقه لا يتأخر وتعاقب الليل والنهار من آيات الله عز وجل التي لا يستطيع البشر أن يقوموا بها ، يقول تعالى **﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾** فالليل والنهار يتعاقبان يطلب كل

واحد منهما الآخر حثيثا والشمس والقمر هذه معطوفة على قوله السموات ، يعني وخلق الشمس والقمر ١٤٥–
وذكر الشمس بأنها آية النهار والقمر لأنه آية الليل ﴿**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة**﴾ والنجوم يعني وخلق النجوم مسخرات بأمره ، مسخرات حال من النجوم ، وقوله مسخرات أى مذللات بأمره ، أمره الكوني أم الشرعي؟ الكوني ، أمرها عز وجل أن تكون على ما أراد فكانت على ما أراد وقوله ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ ألا أداة استفتاح يؤتى بها للتنبيه والتحقيق ، وقوله له الخلق جملة مكونة من مبتدأ وخبر قدم فيها الخبر للاختصاص ، يعني ألا له وحده الخلق والأمر ، فهو الخالق وحدة وهو الآمر وحده فهو ذو السلطان وحده قال ابن عمر من كان له شيئ فليدعه مدام الخلق والأمر لله ، كل شيئ لله عزوجل ﴿**ألا له الخلق والأمر تبارك ا لله رب العلمين**﴾ تبارك قال العلماء أى أن البركة تكون باسمه عز وجل وذكره ، ولهذا تجدون الإنسان إذا سمى على الذبيحة حلت ، وإذا لم يسم عليها لم تحل ، هذه من البركة إذا سميت ا لله على الطعام نزلت فيه البركة وعجز الشيطان أن يتناول منه ، وإذا لم تسم نزل فيه الفشل وشاركك الشيطان فيه ، إذا سميت عند اتيان الأهل نزلت البركة و لم يصب الشيطان ما يقدر بينكما بضرر ، وإذا لم تفعل فإنه على خطر ، فهو عز وجل تُنال البركة بذكر اسمه ، وقوله ﴿**تبارك ا لله**﴾ هى الخير الثابت الواسع وأصلها من البِركَة وهى حوض الماء الكثير الذي يجتمع فيه الماء وقوله ﴿**رب العالمين**﴾ العالم كل من سوى ا لله عز وجل ، فهو عالم وجمع بإعتبار الأجناس ويفرد بإعتبار الجنس فيقال العالم كله ويقال العالمون والعالمين بإعتبار الأجناس ومعنى كونه ربهم أنه الخالق لهم المالك لهم المدبر لأمورهم ، لأن هذا هو معنى الربوبية.

الشاهد في هذه الآية قوله تعالى ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ لأن الأمر لا يكون إلا بالكلمات ، ومذهب أهل السنة والجماعة في كلام ا لله عز وجل أنه صفة من صفاته صفة ذاتية بإعتبار وصفة فعلية بإعتبار:–

أما كونها ذاتية بإعتبار فهو بإعتبار أنه ام يزل ولا يزال متكلماً تكون الصفة بهذا الإعتبار ذاتية ملازمة للذات ، لم يأت عليه وقت يكون غير متكلم بل هو متكلم دائماً دوام الفعل ودوام الخلق.

ويكون صفة فعل بإعتبار آحاده التي تكون عند فعل مراده أو عند نزول شرعه تكون عند فعل مراده إذا أراد أن يخلق شيئاً قال له كن أو عند نزول شرعه إذا أراد عز وجل أن ينزل ما شاء من الشرع تكلم به ، إذا تكلم ا لله بلا وحى إحتجبت السماء وصعقت الملائكة ، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو بحرف وبصوت ودليل ذلك أن كل الكلمات التي يطلق ا لله عليها كلمات هى بالحرف ﴿**قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**﴾ هذه الجمل حروف ﴿**وإذ قال ا لله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس**﴾ هذه أيضاً حروف ويكون كذلك بصوت لأنه يسمع سمعه جبريل وسمعه محمد صلى ا لله عليه وسلم وسمعه موسى قال ا لله تعالى ﴿**وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا**﴾ والنداء يكون بصوت عالي والناجاة تكون بصوت أخف والمناداة والمناجاة وصف للصوت ، وثبت في الصحيحين "**أن ا لله تعالى يقول يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن ا لله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار فيقول يا رب ما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ألف إلا واحد**" كلهم في النار من بنى آدم نسأل

الله أن ينجينا وإياكم منهم ، فهذا صريح في أنه عز وجل ينادي بصوت وهو مذهب أهل السنة والجماعة - ١٤٦
وقالت الأشاعرة إن كلام الله تعالى هو المعنى النفسي أى الذي في نفسه وهو غير مسموع وليس بحرف وليس بصوت ومن زعم أنه بحرف وصوت فإنه مجسم مشبه ضال.

فهذا صريح في أنه عز وجل ينادي بصوت وهو مذهب أهل السنة والجماعة وقالت الأشاعرة إن كلام الله تعالى هو المعنى النفسي أى المعنى الذي في نفسه وهو غير مسموع وليس بحرف وليس بصوت ومن زعم أنه بحرف وصوت فإنه مشبه ضال إذاً كيف سمع موسى كلام الله؟ وأنتم تقولون إنه صفة نفسية أزلية وكيف سمع محمد صلى الله عليه وسلم كلام ربه وهو يفرض عليه الصلوات الخمس فوق السموات السبع كيف ذلك؟ قالوا خلق صوتاً سمعه موسى إما من الشجرة أو من الوادي أو من أى شيئ المهم أنه خلق صوتاً سمعه موسى وخلق صوتاً سمعه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فيكون الصوت المسموع الذي يلقى إلى جبريل أو إلى موسى أو إلى محمد أو إلى غيرهم ممن كلمهم الله يكون مخلوقاً ، هل هذا الصوت المخلوق هو كلام الله؟ قالوا لا عبارة عن كلام الله ، أما كلام الله فهو معناه قائم بالنفس وبهذا التقدير يبين تماماً أن مذهبهم فيما يسمع كمذهب الجهمية تماماً لأن الجهمية يقولون ما سمعه موسى أو محمد صلى الله عليه وسلم أو جبريل فإنه مخلوق ، هؤلاء يقولون أيضاً ما سمعه محمد أو موسى أو جبريل فإنه مخلوق ، فاتفق الجميع على أنه مخلوق ، لكن كان المعتزلة أقواماً منهم حيث قالوا إنه كلام الله وهؤلاء قالوا إنه عبارة عن كلام الله ، فالجميع على هذا متفقون على أن ما في المصحف مخلوق لكن الجهمية قالوا مخلوق تماماً وهو نفس الكلام ، وهم قالوا مخلوق عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله ، فتبين أن قول الجهمية أفسد من قول الأشاعرة وأن هذا القول لا صحة له لغتة ولا عرفاً ولا شرعاً والعجب أن الأشاعرة تركوا جميع لغات العلم وجميع عقول العلم وجميع المحسوس لدى العالم واستدلوا بقول رجل نصراني هو الأخطل حيث قال:-

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فقالوا إنه قال الكلام في الفؤاد أى في القلب وهذا هو معنى قولنا الكلام هو كلام النفس واللسان دليل يعبر فيقال:-**أولاً:-** كيف نترك العالم كله ونأخذ بقول واحد. **ثانياً:-** من القائل؟ نصراني كذاب.
ثالثاً:- على فرض التسليم لهذا نقول إن المراد بقوله إن الكلام لفي الفؤاد , الكلام الرصين الذي يرى الإنسان أن نفسه محاسبة عليه هو الكلام الذي في الفؤاد.

أما الكلام اللغو فهذا في اللسان ويشهد لهذا قوله تعالى: **﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾** والآية الأخرى **﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾** فالكلام الحقيقي الموزون الرصين الذي يستحق أن يسمى كلاماً هو الصادر من القلب المعبر عنه باللسان ، أما ما كان من اللسان فقط فهو لغو من القول ولهذا لا يؤاخذ الله عليه ، هذا إذا سلمنا جدلً أن لهذا الكلام وجهاً من الصحة ، فالأن نأخذ هذه الطرق الثلاثة في كلام الله:-

مذهب السلف ومذهب الأشاعرة ومذهب الجهمية ، هناك مذاهب أخرى تصل إلى ثمانية مذاهب بعضها قد يمكن أن يجعله فرعاً من فروع هذه الأصول الثلاثة وبعضها من الفلاسفة الذين لا يؤمنون

بالرسالات ، ولكننا نقول إن الذي يشهد له الحس واللغة هو أن الكلام ما كان بحرف وصوت ، فإن قال قائل إن الله قد أطلق على القول ما كان في النفس فقال تعالى ﴿**ويقولون في أنفسهم**﴾ فأثبت قولا في النفس نقول إن هذا حجة عليكم وليس حجة لكم لأن هذا ليس قولا مطلقاً بل هو قول مقيد وهذا كقول الرسول صلى الله عليه وسلم "**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها**" الإنسان يحدث نفسه لا شك ويقول في نفسه ويقدر في نفسه ، لكن لا يقال إنه قول على وجه الإطلاق أبداً بل لابد أن يكون مقيداً وأحياناً نرى بعض الناس تشاهده أمامك ، ما معناه يتكلم على نفسه تشعر أنه يتحدث بنفسه حديثاً واضحاً ، لكن هل تسمع له قولاً؟ لا تسمع له قولاً ، هل يقال إن هذا الرجل قال؟ إن أردت أن تقول أنه قال فقل قال في نفسه فهو قول مقيد وليس قولا مطلقاً.

الدرس الخامس والعشرون:-

حدثنا عبد الله ابن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة"

هذا الحديث تقدم الكلام عليه وبينا فيه اشكال في قوله "**من أجر أو غنيمة**" وقلنا أن أو هنا مانعة خلو بمعنى أنه يمكن أن يجتمع الأجر والغنيمة أو ينفرد بالأجر وحده وأما انفراد الغنيمة وحدها في رجل جاهد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فهذا لا يمكن.

باب في المشيئة والإرادة وقول الله تعالى ﴿تؤتي الملك من تشاء - وما تشاءون إلا أن يشاء الله - ولا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله - إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾

قال سعيد ابن المسيب عن أبيه نزلت في أبي طالب ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾

هذا الباب باب مهم المشيئة والإرادة مشيئة الله وإرادة الله والبحث فيهما من وجوه:-

الأول:- هل هما مترادفتان أو متباينتان؟ يعني هل المشيئة هى الإرادة أو غير الإرادة؟ نقول المشيئة معناً من معاني الإرادة ليست مرادفة للإرادة أى أن الإرادة تأتي بمعنى المشيئة والمشيئة ما شاءه الله كان ولابد وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فما شاءه الله عز وجل كان سواء كان مما يحبه الله أو مما لايحبه الله وسواء كان مما يلائم طبائع البشر كسعة الرزق أو مما لا يلائم طبائعهم كضيق الرزق فالمشيئة عامة في كل شيئ قال الله تعالى ﴿**ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا**﴾ ومعلوم أن الإقتتال بالنسبة للبشر لا يلائم طبائعهم وقال الله تعالى ﴿**ولو شاء ربك ما فعلوه**﴾ ﴿**ولو شاء الله ما فعلوه**﴾ من منكراتهم وهذا مما يكرهه الله.

إذاً المشيئة لا ترادف الإرادة بل هى بعض من معانيها كما سيأتي في الإرادة فهى عامة في كل شيئ وما شاء الله كان لابد من وقوعه ولا يمكن أن يمنعه أحد سواء كان الذي أشاءه مما يحبه كالإيمان والعمل

الصالح أو مما لا يحبه كالكفر وعمل السيئات وسواء كان الذي شاءه مما يلائم طبيعة البشر كسعة الرزق أو مما لا يلائم طبيعة البشر كضيق الرزق.

البحث الثاني:– هل مشيئة الله شاملة لفعله وفعل العباد؟ أو هي خاصة بفعله؟ والجواب أن أهل السنة والجماعة يقولون إنها عامة فيما يتعلق بفعله وفيما يتعلق بفعل العباد، فيما يتعلق بفعله كإنزال المطر وإخراج النبات وإماتة الأحياء وإحياء الأموات وما أشبهها وكذلك بفعل العباد كصلاح العبد وفساد العبد قال الله تعالى ﴿**لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**﴾ ففعل الإنسان بمشيئة الله إذاً فمشيئة الله شاملة لما يقوم به جل وعلا ولما يقوم به العباد والدليل على هذا قوله تعالى ﴿**لمن شاء منكم أن يستقيم**﴾ وقوله ﴿**ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد**﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة، وفائدة الإيمان أعني إيمان العبد بأن فعله واقع بمشيئة الله فائدته عظيمة وهو أنه يوجب اللجوء إلى الله في إصلاح العمل وإجتناب الفساد لأنك إذا علمت أن ما شاء الله كان وأنه إذا شاء الله أن تهتدي إهتديت فإنك سوف تضطر إلى طلب الهداية ممن بيده الهداية من الله.

ثانياً:– من فوائد ذلك أنك إذا حصلت لك نعمة أو فعلت عملاً صالحاً فإنك لا تنسبها إلى نفسك ولا تدل بها على ربك لأن الذي جلب لك النعمة ويسر لك العمل الصالح هو الله إذاً تتبرأ من حولك وقوتك إلى مشيئة الله عز وجل وتعلم أنه هو الذي قدر لك هذا وهو الذي شاء لك هذا وهاتان فائدتان عظيمتان:–

الفائدة الأولى:– اللجوء إلى الله عز وجل والتعلق به سبحانه وتعالى.

الفائدة الثانية:– ألا تعجب بنفسك ولا تدل بعملك على الله عز وجل.

أما الإرادة فهي تنقسم إلى قسمين:– إرادة كونية تتعلق بالخلق والتكوين، وإرادة شرعية تتعلق بالحكم بين الناس والشرع، أما الأولى فهي بمعنى المشيئة تماماً ولهذا قال تعالى ﴿**ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد**﴾ أي ما يريد بالإرادة الكونية، فالإرادة الكونية مرادفة للمشيئة تماماً، أراد الله كذا شاء الله كذا معناهما واحد، إذاً الإرادة الكونية تتعلق بما أراده الله سواء كان هذا المراد محبوباً إلى الله أو مكروهاً إليه وسواء كان هذا المراد مما يلائم طبيعة البشر أو مما لا يلائم طبيعتهم، فإذا قال قائل هل أراد الله المعاصي في الإرادة الكونية؟ نقول نعم، كما أنه إذا قال هل شاءها الله؟ نقول نعم، إذاً الإرادة الكونية بمعنى المشيئة تماماً. أما الإرادة الشرعية التي تتعلق بما شرعه فإنها بمعنى المحبة فتتعلق بما يحبه الله عز وجل سواء وقع أم لم يقع وعلى هذا فالإيمان والعمل الصالح من مراد الله شرعاً والكفر وعمل السيئات ليس مراداً لله شرعاً لأن الله لا يحبه.

فصار هناك فرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، فإذا قال قائل هل المعاصي مرادة لله؟ قلنا أما قدراً فنعم وأما شرعاً فلا، فإذا قال قائل إذا كانت المعاصي غير مرادة لله شرعاً فكيف يريدها قدراً؟ وهل أحد أجبره على أن يريد مالا يحب ومالا يرضى؟ قلنا ما يكرهه الله عز وجل إذا أراده فهو مراد لغيره وليس مراداً لذاته، فالأعمال السيئة والكفر مراد لله شرعاً لغيره لا لذاته، ويكره الكفر ويكره المعاصي لكنه يريدها

لما يترتب عليها من المصالح فهي مكروهة إليه من وجه ومحبوبة إليه من وجه آخر ، لأنه لولا الكفر والمعاصي ما عرف الإيمان ولا عرف العمل الصالح ، لو كان الناس كلهم مؤمنين وكلهم يعمل العمل الصالح ما حصل تمييز ولا عرف قدر الإيمان والعمل الصالح ولهذا يقولون بضدها تتبين الأشياء ، لولا الكفر هل يقوم الجهاد؟ لا ، لولا المعاصي هل يكون هناك أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر؟ لا ، لولا ذلك هل يكون دعوة إلى الخير؟ لا ، لأن الناس كلهم على خير ، فيفوت مصالح كثيرة إذا لم تقع هذه المعاصي التي يكرهها الله شرعاً ويريدها قدراً وكوناً.

ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي "**ما ترددت عن شيئ أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره إساءته ولبد له منه**" فهنا الرب عز وجل يتردد لا لجهله بما ينفع أو يضر هو يعلم بذلك لكن لرحمته لعبده المؤمن ومحبته لما يحبه عبده المؤمن يكره المؤمن الموت والله يكره إساءته لكن لابد له منه ، الحكمة تقتضي أن يموت حتى ينتقل إلى الجزاء والثواب والنعيم الذي هو أضعاف أضعاف أضعاف ما في الدنيا فالمؤمن يكره الموت لكن ينتقل إلى خير من حياته لقوله تعالى ﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى**﴾ فهى كراهة موقتة ينتقل بعدها الإنسان إلى نعيم أنعم مما في الدنيا وما فيها ، فالحاصل أن نقول إن المعاصي مكروهة لله من وجه لكنها محبوبة إليه من وجه لما يترتب عليها من المصالح ، الجدب وهو أن الأرض لا تنبت ، والقحط وهو أن السماء لا تمطر ، والخوف وما أشبه ذلك هل الله يحب ذلك لعباده؟ لا ، لكنه يريده عز وجل كوناً لما يترتب عليه من المصالح فهو محبوب إليه من وجه ومكروه إليه من وجه آخر ولكن المصالح العظيمة تجعله محبوباً إلى الله عز وجل ، يقول تعالى ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾ ﴿**ولنبلونكم بشيئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين**﴾ هذا ليس عقوبة هذا إبتلاء ، ظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدينا هذا عقوبة لنرجع إلى الله لكن الذي في سورة البقرة إبتلاء قد يبتلي الله المؤمن وهو لم يعمل عملاً شيئاً يخطئ ويرجع إلى الله بالتوبة لكن يبتليه الله من أجل أن ينال درجة الصابرين ولهذا قال ﴿**وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ الحاصل أنما يقع من المعاصي مراد لله كوناً غير مراد له شرعاً لكن الله قدره لما يترتب عليه من المصالح ، ونظير ذلك في الشيئ المحسوس لو كان لك ولد مريض فقال الأطباء إنه لابد من كيه بالنار فإنك توافق على هذا وتمسك بولدك ليكويه الطبيب ، أنت الآن كاره هذا الشيئ تكره أن يكوى ولدك بالنار لكن تحبه لما يترتب عليه من المصالح ، يشق بطن ابنك أمامك لاستخراج الزائدة منه أو أى عضو مريض يشق بطنه أمامك وترى أمعاءه أمامك ، هل أنت تحب ذلك؟ لا ، لكن نظراً لما يترتب عليه من المصالح أحبه ، فصار هذا محبوباً مكروهاً ، كذلك السيئات والكفر هو محبوب مكروه ، فما يترتب عليه من المصالح العظيمة يريده الله عز وجل لهذا لا لأنه يحبه.

فإذا قال قائل ما الفرق بين الإرادتين الكونية والشرعية؟ فالجواب أن الفرق بينهما من وجهين:-

الوجه الأول:– الإرادة الكونية لبد فيها من وقوع المراد ، فإذا أراد الله شيئاً كوناً وقع ولابد ، والإرادة الشرعية لا يلزم منها وقوع المراد يعني قد يقع وقد لا يقع ، مثال ذلك الإيمان مراد لله شرعاً فهل يلزم من كونه مراداً لله شرعاً أن يؤمن الناس؟ لا ، ولهذا فالناس كافر ومؤمن ، أما الإرادة الكونية فلابد من وقوع المراد لأنها بمنزلة المشيئة وما شاء الله كان.

الوجه الثاني:– أن الإرادة الشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله ، والإرادة الكونية تكون فيما يحبه وفيما يكرهه ، فالمعاصي الواقعة من الإنسان مرادة لله كوناً لأنها وقعت ، غير مرادة لله شرعاً لأنه لا يحبها.

قول الله تبارك وتعالى ﴿**ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**﴾ من أي الإرادتين؟ الشرعية لأن من الناس من لم يتطهر وقوله تعالى ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ إرادة شرعية وقوله تعالى ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج**﴾ إرادة شرعية ، لأن الحرج كوناً يقع كأن الإنسان يقع في حرج وضيق وشدة لكن هذا كوناً أما شرعاً فإن الله لا يريد منا أن يجعل علينا حرجاً ، وقوله تعالى ﴿**إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم**﴾ إرادة كونية ، الله تعالى لا يريد إغواء الخلق لو أراد أن يغوى الخلق ما أرسل إليهم الرسل ولا أنزل عليهم الكتب ،جعلهم يعمهون في ضلالهم لكن يحب من عباده الهداية ، أما الإغواء فلا فقوله ﴿**إن كان الله يريد أن يغويكم**﴾ هذه الإرادة كونية ، الأن نطبقها على الواقع ، ما تقولون في إيمان أبو رضى الله عنه؟ كوناً لأنه وقع وشرعاً لأن الله يحبه ، ما تقول في كفر أبا طالب؟ مراد كوناً لا شرعاً.

وقوله تعالى ﴿**تؤتي الملك من تشاء**﴾ الشاهد في هذه الآية قوله من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتزل من تشاء ، الله تعالى يؤتي الملك من يشاء ولكن هل إتيانه الملك من يشاء بمجرد المشيئة بل هل فعله من يشاء بمجرد المشيئة؟ ذهب بعض العلماء إلى أن فعل اللع عز وجل ما يشاء بمجرد المشيئة أي يشاء الوجود أو العدم بدون مرجح ولكن بمجرد المشيئة لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فله أن يشاء بدون مرجح ولكن هذا القول قول ضعيف بل باطل لأنه يستلزم إنتفاء حكمة الله في فعله هذا من جهة الدليل العقلي ، الدليل السمعي قوله تعالى ﴿**وما تشاؤن إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً**﴾ فختم هذا بقوله إن الله عليماً حكيماً يدل على أن مشيئته تابعة لحكمته وعلى هذا فقيد بذلك كل آية فيها إطباق المشيئة.قيدها بالحكمة فقوله ﴿**تؤتي الملك من تشاء**﴾ ليس بمجرد مشيئة أنه يؤتي هذا الملك ، لا ولكن يؤتيه لأن حكمته إقتضت أن يأخذ الملك كذلك قوله ﴿**تنزع الملك ممن تشاء**﴾ نزع الملك ممن يشاء إما بموته أو بأن يغلب أو بأن يفسد تدبيره أو ما أشبه ذلك المهم أنه ينزع الملك ممن يشاء لحكمة أو لغير حكمة؟ لحكمة إذاً المشيئة لابد أن تكون مقرونة بالحكمة ، والله عز وجل ليس يفعل الشيئ بدون مرجح إطلاقاً وإذا كان تصرف الواحد منا بالشيئ وترجيحه بأحد الأمرين بدون مرجح يعد سفهاً فما بالك بفعل اللع عز وجل ، الذي فعله في غاية الحكمة وأما قوله تعالى ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ فالمعنى أن له الملك التام وأن فعله على أتم وجه هذا يتوجه إليه سؤال لأنه على أتم وجه أما أفعالنا فإنها ناقصة لا نسأل عنها فالله لا يسأل

عما يفعل لتمام سلطانه وكمال فعله وأنه تام لا يحتاج أن نسأل عنه ثم إنه يجوز أن تسأل عن فعل الله إسترشاداً وطلباً للحكمة لا إعتراضاً.

ثم قال البخاري رحمه الله:- بل ساق الآية الثانية ﴿**ولا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله**﴾ الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام لأن قريشاً سألوه فقال أخبركم غداً إعتماداً على نزول الوحي وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يسأل فيأتيه الوحي في الحال كما مر علينا في سؤال اليهود له عن الروح فاتكئ على العسير ونزل عليه الوحي فقال لهم أخبركم غداً و لم يقل إن شاء الله فبقى الوحي خمسة عشرة يوماً لم ينزل عليه شيئ فضاق النبى صلى الله عليه وسلم ولكن تأخر الوحي فيه مصالح عظيمة منها أن يعرف الإنسان قدر نفسه وأن الأمر بيد الله ومنها أن النبى صلى الله عليه وسلم صادق فيما ينزل عليه من الوحي لأنه لو كان كاذباً لأفتعل ما يفتعل وأتى به في الوقت الذي حدده لكن لما بقى حتى نزل عليه الوحي دل ذلك على صدقه.

ثالثاً:- أن يشتد اشتياق النبى صلى الله عليه وسلم إلى الوحي وترقبه له إلى غير ذلك من المصالح ، فقال ﴿**لا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غداً**﴾ إني فاعل ، إنتبه لكلمة فاعل ، فاعل أى موقن للفعل إلا مقروناً بمشيئة الله لأجل أن تفوض الأمر إليه لأنك لا تدري ما يعدد لك وكم من إنسان قال إني فاعل ذلك غداً ولكن يوجد موانع تمنعه من فعله فإذا قال إن شاء الله وفوض الأمر إلى الله تيسر له الأمر وما قصة سليمان بخافية عليكم حين قال والله لأطوفن الليلة على تسعين امرأة تلد كل واحدة منهن غلاماً يجاهد في سبيل الله فقيل له قل إن شاء الله فلم يقل إعتماداً على ما في نفسه من العزيمة فطاف على تسعين امرأة فلم تلد إلا واحدة منهن شق إنسان ليس إنساناً كاملاً ليريه الله عز وجل أن الأمر أمره وأنك لا تتألى على الله كل الأمر إليه قال النبى صلى الله عليه وسلم لو قال إن شاء الله لكان دركاً لحاجته ولقاتلوا في سبيل الله لو قال إن شاء الله لولدت كل واحدة غلاماً يجاهد في سبيل الله فهنا يقول له الرسول عليه الصلاة والسلام لا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ولكن هنا سؤال هل يجوز أن تخبر عما في نفسك من العزيمة دون أن تريد أنك ستفعل يعني تخبر عما في نفسك من العزيمة غير مقونة بالمشيئة دون أن تريد إيقاع الفعل ، الجواب نعم ، وذلك لأن إخبارك عما في نفسك من العزيمة إخبار عن شيئ حاضر لا شيئ مستقبل مثال ذلك أن تقول لصاحبك سأسافر غداً إلى الرياض مثلاً إن أردت أنك ستسافر بالفعل فهذا لابد أن تقرنه بالمشيئة وإن أردت الإخبار عما في قلبك من العزيمة فهذا إخبار عن شيئ حاضر لا شيئ مستقبل فلا حرج عليك إذا لم تقرنه بالمشيئة وهذا فرق دقيق قد يخفى على كثير من الناس الفرق عن الإخبار عما في القلب من العزيمة وبين الإخبار عن الفعل أى وقوعه فعلاً ، الثاني يحتاج إلى قرنه بالمشيئة والأول لا يحتاج لأنه إخبار عن شيئ واقع وهو العزيمة التي في قلبك وفائدة القرن بالمشيئة عظيمة.

الأول:- تفويض الأمر إلى الله. الثاني:- تسهيل الأمر. الثالث:- أنك لو أقسمت لم تحنث ﴿**ولا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله**﴾ لو قال إني فاعل ذلك الليلة الساعة الثانية عشر فماذا تقولون؟ لماذا قال غداً؟ لأن هذا هو الذي وقع من الرسول علسه الصلاة والسلام ، قال أخبركم غداً والتقييد في

السؤال تبعاً للجواب لا يعتبر وهذه القاعدة مفيدة لكم في أصول الفقه تقييد الجـواب لما في السؤال لا يعتبر قيداً قال العلماء ومن ذلك إختلاف الروايات في سفر المرأة لا تسافر امرأة يوماً وليلة إلا مع ذي محـرم مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم فالتقيدات إختلفت مسيرة يوم وليلة مسيرة ثلاثة أيام ، والمطلق لم يقيد بشيئ فهل نعتبر المقيدات أو نعتبر المطلق؟ الصحيح أننا نعتبر المطلق لأنه لما إختلفت المقيدات فإنها تكون جواباً للسؤال كأن سائل قال أرأيت لو سافرت المرأة يوماً وليلة بلا محرم يقـال لا تسـافر إمـرأة يوماً وليلة إلا مع ذى محرم ولهذا دائماً يقول العلماء في النص المقيد وقع هذا جواباً لسؤال فهـذه الآيـة تنطبـق على هذا القائل ﴿لا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء ا لله﴾ وكذلك لو قلت إنـي فـاعل ذلـك بعد الساعة إثنين أو ثلاث قل إلا أن يشاء ا لله وتقييدها بالغد بناءً على جواب الرسول عليه الصـلاة والسـلام لهم قال غداً أخبركم وقال تعالى ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ قال ما الشاهد من الآية قوله إلا أن يشـاء ا لله أى إثبات المشيئة لله عز وجل مع أنه فعله ﴿إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء ا لله﴾ فهو فعله ومع ذلك نقول لابد أن يكون مقروناً بمشيئة ا لله عز وجل قال وقوله ﴿إنك لـن تهـدي مـن أحبـبت ولكـن ا لله يهـدي مـن يشاء﴾ إنك الخطلب للرسول عليه الصلاة والسلام لا تهدي من أحببت هداية توفيـق يعـني لا توفقـه للهدايـو حتى يهتدي وقواه ﴿من أحببت﴾ هل المعنى من أحببت هدايته أو من أحببته؟ أيهما أشمل؟ إنك لن تهدي من أحببت هداية لأنك تحب الهداية للإنسـان وإن كـان لا تحبه هـو بنفسـه فتكـون أشمـل ﴿إنـك لا تهـدي مـن أحببت﴾ يعني من أحببته أو من أحببت هدايته ﴿ولكن ا لله يهدي مـن يشـاء﴾ ولـن يقـل ولكـن ا لله يهديـه فالعامة قال يهدي من يشاء ليشمل من أحب ومن لم يحب فالهداية بيد ا لله عز وجل وهذه الآية نزلـت تسـلية للرسول صلى ا لله عليه وسلم في عمه أبي طالب عمه أبو طـالـب إعتنـى بـه وربـاه ودافـع عنـه دفاعـاً عظيمـاً وقصائده في ذلك مشهورة ولا سيما اللامية التي تبلغ خمسين بيتاً أو أكثر والتي قال عنها ابن كثير إنها جديـرة بأن تكون من المعلقات أتعرفون المعلقات؟ المعلقات سبع قصـائد أعجبـت العـرب فعلقوهـا في وسـط الكعبـة تعظيماً لشأنه فسميت المعلقات السبع فإبن كثير يقول إنها جديرة بأن تكون من المعلقات بل هى أعظم منهـا وكان يقول فيها لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا وهذا يفيد الحنـو والعطـف والفخـر بالإنتسـاب إليـه لقـد علموا أن ابننا يعني محمد صلى ا لله عليه وسلم لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل السحرة أو غيرهـم مـن الكذبة لا يعنى بذلك بل هو صدوق ويقول:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حدار مسبة لرأيتني سمح بذاك مبينـــا

يعني يكاد يؤمن لكن لم يحصل منه القبول والإنعـام يعـني حصـل منـه التصديـق ولكـن لم يحصـل منـه القبـول والإنعام فخذل والعياذ با لله ومات على الشرك وكان آخر ما قال إنه على ملة عبد المطلب وأبى أن يقـول لا إله إلا ا لله مع أنّ الرسول عنده عليه الصلاة والسلام يقول ياعم قل لا إله إلا ا لله كلمة أحـاج لـك بهـا عنـد ا لله ولكنه أبى أن يقول ذلك قد سبقت له من ا لله السابقة والعياذ با لله ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربـك ولو جاءتهم كل آية حتى يروالعذاب الأليم﴾ ولكن شكر له جميله فأذن للرسول صلـى ا لله علية وسـلم أن

يشفع فيه مع أن الكفار لا يشفع فيهم فشفع فيه فكان من ضحضاح من نار وعليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه أبد الآبدين فحزن الرسول عليه الصلاة والسلام فأنزل هذه الآية تسبية له ﴿**إنك لن تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ فماذا تكون حالة الرسول عليه الصلاة والسلام حينما نزلت عليه هذه الآية فيقول رضيت بالله وسلمت له لأن الأمر يرجع إلى الله ولكن الله يهدي من يشاء فإن قال قائل كيف تجمعون بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ وبين الله في الآية الثانية هذه أن الرسول يهدي إلى صراط مستقيم وأكد ذلك بإن واللام قالنا الجمع أن الهداية نوعان:-

هداية دلالة ، **وهداية توفيق** ، فالثابتة للرسول عليه الصلاة والسلام هي هداية الدلالة يدل الناس والخاصة بالله هداية التوفيق فإن قال قائل أليس الله تعالى قد قال ﴿**إن علينا للهدى**﴾ فأوجب على نفسه الهدى وهنا يقول ولكن الله يهدي من يشاء فما الجمع بينهما قالنا أن الجمع بينهما قوله ﴿**إن علينا للهدى**﴾ أى للبيان فهى هداية البيان والإرشاد فالله عليه البيان سبحانه وتعالى أوجبه على نفسه هذا قال بعدها مباشرة ﴿**وإن انا للآخرة والأولى**﴾ نحن نبين ولكن الحكم لنا من شئنا وفقناه للهداية ومن شئنا لن نوفقه نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للهداية وإلى صراط مستقيم إذاً تبين أنه ليس بين الآيات والحمد لله إختلاف ولا تعارض وهكذا كل ما جاء في القرآن أو السنة الصحيحة فإنه لا يمكن أن يقع فيه تعارض وإن أوهم التعارض فلقصورنا نحن في الفهم أو لنقصنا في العلم أو يكون الإنسان سيئ الإرادة لا يريد إلا جمع المتعارضات ولهذا أنا أنصحكم أن لا يكون همكم جمع المتعارضات لأن بعض الطلبة تشعر منه كلما سألك ما الجمع بين كذا وكذا كأنه موكل بأن يتتبع الأشياء التي ظاهرها التعارض من أجل أن يريدها على نفسه ويحصل له بذلك الشك فإعراض الإنسان عن ذلك هو الأولى لكن إذا وقع فليستعن بالله وليتدبر إذ مر بآية وأشكلت عليه فليستعن بالله وليتدبر مرة بعد أخرى حتى يهدى إليه أما أن يكون ليس له هم إلا أن يجمع الآيات التي ظاهرها التعارض أو الأحاديث التي ظاهرها التعارض ثم يريدها على نفسه أولا فيقع في شك وحيرة ثم يريدها على من يهديها من الناس ههذا ليس من شأن طالب العلم لكن إذا قدر أن يكون هناك ذلك وسيكون لأنه ليس الإنسان محيطاً بكل شيئ فحينئذ يستعن بالله وقرر في نفسك قبل كل شيئ أنه لا تعارض بين كلام الله تعالى بعضه مع بعض ولا بين كلام الله وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم قرر هذا بنفسك وأنت إذا بنيت على هذا الأساس سهل عليك الجمع أما إذا كان شبه التعارض أمامك وهو الذي بنيت عليه فإنك قد تحرم الوصول إلى الجمع قال في الآية الأخيرة ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ هذه الإرادة هذه ذكرها الله عز وجل في آيات كثيرة قال ﴿**فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليس ولا يريد بكم العسر**﴾ ومن هنا نعرف أن الإرادة هنا شرعية ولابد وليست إرادة كونية لأن الإرادة الكونية قد تكون في أمور قد تعثر عليك لكن هى إرادة شرعية وما أجما هذه الآية وأحسنها ، أن يكون مراد الله بنا عز وجل في شرعه هو اليسر ولهذا قال النبى عليه الصلاة والسلام "**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**" وقال "**إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**" هذه القاعدة إجعلها عندك وقد بنى عليها بعض العلماء مسألة وهى إذا إختلف العلماء على قولين و لم يتبين للإنسان

الراجح منها فهل يأخذ بالأشد أو بالأيسر أو يخير؟ يؤخذ بالأيسر ، الدليل قوله تعالى ﴿**يريد ا لله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ وبعض العلماء يقول خذ بالأشد لأنه أحرط وأبرء للذمة وبعض العلماء يقول تخير لأنه لم يترجح عندك شيئ وا لله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها لكننا نأخذ بالأيسر وهذا هو الأرجح عندنا ، وقوله تعالى ﴿**يريد ا لله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ وهذا فرد من أفراد لا تحصى داخلة تحت قوله تعالى "**إن رحمتي سبقت غضبي**" فمنها أن ا لله يريد بنا اليسر ثم قال عز وجل ﴿**ولا يريد بكم العسر**﴾ الجملة الثانية تعتبر تأكيداً للأولى ، لأن قوله ﴿**يريد ا لله بكم اليسر**﴾ منطوقها يريد اليسر مفهومها لا يريد العسر لكن صرح بالمفهوم فكان عدم إرادته العسر بنا كان مذكوراً في هذه الآية مرتين مرة بطريق المفهوم ومرة بطريق المنطوق.

الدرس السادس والعشرين:-

حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز "عن أنس قال: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إذا دعوتم ا لله فاعزموا في الدعاء ، ولا يقولن أحدكم إن شئت فأعطني ، فإن ا لله لا مستكره له"

الشاهد من قوله **إن شئت** فأثبت لله المشيئة وي هذا الحديث أدب عظيم في الدعاء وهو أن الإنسان إذا دعى ا لله سواء بإستغفار أو بغير إستغفار وهذا اللفظ أعم من الحديث لا يقول أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت هذا أعم يشمل أى دعاء لا تقل اللهم اغفر لى إن شئت اللهم ارحمني اللهم علمنى إن شئت اللهم ارزقني إن شئت كل الدعاء لا تقل إن شئت بل إعزم قل اللهم اغفرلى اللهم ارحمنى اللهم ارزقنى اللهم علمنى بدون أن تقول إن شئت ، لماذا؟ قال فإن ا لله لا مستكره له يعني لا أحد يكرهه حتى تقول إن شئت أعطنى ولإن شئت لا ، وفي هذا من سوء الأدب في الدعاء أولاً أنه يشعر بأن الداع يرى بأن ا لله له مكره فكأنه يقول إذا أكرهت فإن شئت افعل وإن شئت لا تفعل.

أنه يشعر باستغناء الداعى عن ا لله لأنك لو قال لك قائل تريد كذا وكذا فقلت إن شئت معناه أنـي مستغنى إن شئت أعطنى وإن شئت فلا يهمني أن تحرمني.

ثالثاً:- أنه قد يشعر بأن هذا عظيم على ا لله كبير عليه فيقول إن شئت ولهذا جاء في اللفظ الآخر "**وليعظم الرغبة**" يعني يسأل ا لله عز وجل أعظم ما يكون فإن ا لله لا يتعاظمه شيئ أعطاه لذلك نهى الإنسان أن يقول اللهم إعطني إن شئت سواء كان للمغفرة أو غير المغفرة ، فإن قال إن شاء ا لله كما يوجد عند كثير من العامة يقول ا لله يغفر له إن شاء ا لله ا لله يعافيه إن شاء ا لله فهذه إن قصد بها التبرك فلا بأس ، وإن قصد بها الشرط فإنه ينهى عنها ولكنها أقل من قوله إن شئت لأن إن شئت صريحة في خطاب ا لله عز وجل إن شاء ا لله جاءت بلفظ الغائب والمجابهة بالسوء أعظم من التكنية عنها بالغائب ، ولهذا قال العلماء إن قوله تعالى ﴿**عبس وتولى أن جاءه الأعمى**﴾ أهون مما لو قال عبست وتوليت أن جاءك الأعمى لأن الثانية صريحة في مواجهة المخاطب فإذا كان قول القائل في الدعاء إن شاء ا لله أو إن شئت قبيحاً وسوء أدب مع ا لله كان قبحه إذا جاء بصيغة المخاطب أشد لأنه صريح بالمخاطبة بخلاف التكنية عن ذلك بالغائب فإنها أهون ، فصار إن شاء ا لله تختلف عن إن شئت من وجهين:-**الوجه الأول:-** أنه قد يراد بها التبرك.

الوجه الثاني:– أنها أقل بشاعة مما يجيئ بلفظ المخاطب لأنها تكون بلفظ الغائب وهو أهون.

ومن الأشياء التي سمعناها حديثاً قول بعضهم اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه ، فإن هذا لا يجوز لأنه قد جاء في الحديث **"لا يرد القدر إلا الدعاء"** ثم إن قولك لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه كأنك ترى أن هذا أمر كبير على الله أن يرد القضاء بدعائه.

الوجه الثالث:– أن قولك لا أسألك رد القضاء كأنك تقول لا يهمني أن تقضي على بالفقر أو مرض أو غير ذلك لكن ألطف فيه هذا أيضاً خطأ لكن أعظم الرغبة فالله سبحانه وتعالى أوسع مما في قلبك ، لكن نجد إنسان يطلق ألفاظ لها رونق مزخرفة فيتلقاها الناس من غير روية وتمشي على الناس ، وإلا لو تأمل الإنسان هذا الدعاء لوجده خطأً واضحاً.

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري ح ، وحدثنا إسماعيل حدثني أخي عبد الحميد عن سليمان عن محمد ابن أبي عتيق عن ابي شهاب عن علي ابن حسين أن حسين ابن عليٍّ عليهما السلام أخبره أن علي ابن أبي طالب أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ألا تصلون قال عليٌّ فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع إليَّ شيئاً ، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: وكان الإنسان أكثر شيئ جدلا"

الشاهد قوله **"إذا شاء أن يبعثنا بعثنا"** وفيه دليل واضح على أن أفعال العباد تقع بمشيئة الله مع أن فعل النائم وهو إستيقاظه ليس بإختياره فتقد يقال إن الاستدلال بهذا لا يتم ، لكن مر علينا في الدرس الماضي آيات متعددة تدل على أن أفعال العباد تقع بمشيئة الله **﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾** وهذا الحديث قد تقدم الكلام عليه.

حدثنا محمد ابن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال ابن عليّ عن عطاء ابن يسار "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يفئ ورقه من حيث أتتها الريح تكفئها فإذا سكنت إعتدلت ، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ، ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إن شاء"

هذا مثل من أمثال الرسول صلى الله عليه وسلم ، والأمثال في القرآن والسنة تقرب المعقول إلى العقول لأنها تضرب المحسوس مثلاً ، وتصور الإنسان بالمحسوس أقرب من تصوره بالمعقول قال الله تعالى **﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾** وفي ضرب الأمثال فائدة أصولية فقهية وهي أن كل مثل ضربه الله عز وجل أو رسوله فهو دليل على ثبوت القياس لأن المقصود به تمثيل هذا بهذا فيكون مثبتاً للقياس ، أما المثل الذي ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم هنا فالمراد مثل المؤمن بالنسبة لقضاء الله وقدره كمثل خامة الزرع ورق الزرع تأتيه الرياح العاصفة وتميله يميناً ويساراً لكنه باق لا ينكسر وإذا سكنت الريح عاد إلى وضعه فهو لين لا يتكسر المؤمن كذلك في قضاء الله وقدره إذا أصابته الضراء صبر وإن أصابته السراء

شكر فهو مع الله عز وجل في قضائه وقدره دائماً منبسط في الدراء وفي السراء ، لكن الكافر كمثل الأرزة شجرة الأرز صلبة مستقيمة صماء يعني لا تلين ، فإذا جاءتها الريح العاصف تكسرها ويخصمها الله عز وجل ، والشاهد من هذا قوله إذا شاء فإذا قيل كيف المثل بالنسبة للكافر قانا الكافر إذا جاءه القضاء على غير ما يريد ارتد كما قال تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمئن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾ فتجده إذا أصيب بما يكره من قضاء الله يتسخط ويكره قضاء الله بل ويكره الله والعياذ بالله ، أما المؤمن فلا راضٍ بقضاء الله عز وجل صابر محتسب فهو وإن أصابته عواصف القضاء الشديدة لا يتأثر .

حدثنا الحكم ابن نافع أخبرنا شعيب عن الزهيري أخبرنا سالم ابن عبد الله "أن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول: إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أعطى أهل التوراة فعملوا بها حتى إنتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ثم أعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين ، قال أهل التوراة ربنا هؤلاء أقل عملاً وأكثر أجراً قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيئ؟ قالوا: لا ، فقال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء"

الشاهد قوله "من أشاء" فأثبت المشيئة وهى مشيئة في فعله لا في فعل العبد ، وهذا متفق عليه ، حتى عند المعتزلة الدين هم القدرية يثبتون مشيئة الله في فعله ، وفي هذا الحديث دليل على فضيلة هذه الأمة ، وفيه دليل على أن من منع فضله فإنه لا يؤاخذ ولا يلام إذا كان قد أعطى ذا الحق حقه ، فهؤلاء الأجراء الأول من أول النهار إلى إنتصاف النهار عاملهم على قيراط ، والثاني من إنتصاف النهار إلى صلاة العصر عاملهم أيضا على قيراط برضاهم ، والثالث من صلاة العصر إلى الغروب عاملهم على قيراطين قيراطين فهل يبقى حجة للأولين؟ لا ، لأنهم لم يمنعهم حقهم ، فإذا زاد أحد فإنه لا يقال إنه ظلم ما دام الأولون قد أعطوا حقهم الذي رضوا به ، فإن قال قائل: وهل يجري ذلك فيما لو أعطى أولاده شيئا على درهم درهم ورضوا به ثم زاد أحدهم شيئا؟ لا ، لأن أصل العطية للأولاد يجب أن تكون بالسوية بين الذكور وعلى النصف في الإناث أن يعدل بينهم للذكر مثل حق الأنثيين .

حدثنا عبد الله المسندي حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي إدريس عن عبادة ابن الصامت قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط فقال: أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو له كفارة وطهور ، ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له .

.. هذه البيعة تسمى بيعة النساء والبيعة هى العهد والميثاق وسمى بيعة لأن كل واحد منهما يمد باعه إلى الآخر لإثبات هذا العهد فيقول مثلا مد يدك لأبايعك على كذا وكذا وهى بيعة النساء المذكورة فى قوله

تعالى ﴿يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن با لله شيئاً﴾ الآية ، والشاهد من هذا الحديث قوله فذلك إلى ا لله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وفي هذا الحديث من الفوائد أن من أصاب شيئاً من هذه القزورات كالزنا مثلا أو قتل أولاد فأخذ به فيالدنيا فهو كفارة له وعلى هذا فالحدود كفارات لأصحابها فالزانى لإذا زنى إذا رجم أو حُد فإن ذلك يكون كفارة له لا يعاقب عليه في الآخرة ولا يشكل على هذا أى على أن الحدود كفارات إلا قصة العرنيين الذين يسعون في الأرض فساداً قال تعالى ﴿إنما جزاء الذين يحاربون ا لله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفو من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ فأثبت لهم عقوبتين عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة فإما أن يقال إن هؤلاء لعظم جرمهم وفسادهم لم يكن الحد مكفراً عنهم وصاروا يحدون في الدنيا تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ولهم في الآخرة عذاب عظيم فعلى هذا يكون مستثنى من بقية الحدود وإما أن يقال إن هذا منسوخ وأن الحدود بعد صارت كفارة لأصحابها ولكنكم تعلمون أن النسخ يحتاج إلى تعذر إمكان الجمع فإذا أمكن الجمع فإنه لا نسخ وإن كان الجمع هنا سهل ما هو أن نقول هذا مستثنى الذين يحاربون ا لله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً يستثنى من بقية الحدود .

حدثنا معلى ابن أسد حدثنا وهيب عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة أن نبى ا لله سليمان عليه الصلاة والسلام كان له ستون إمرأة فقال: لأطوفن الليلة على نسائي فلتحملن كل امرأة ولتلدن فارساً يقاتل في سبيل ا لله ، فطاف على نسائه فما ولدت منهن إلا امرأة ولدت شق غلام قال النبي صلى ا لله عليه وسلم: لو كان سليمان استثنى لحملت كل امرأة منهن فولدت فارساً يقاتل في سبيل ا لله"

هذا الحديث الشاهد منه قوله: لو كان سليمان استثنى والمراد بالمستثنى قوله **"إن شاء ا لله"** وسياق الحديث باللفظ الآخر وسياق الحديث باللفظ الآخر وهو أن النساء كن تسعين إمرأة لا ستين إمرأة وأنه قيل له قل إن شاء ا لله فلم يقل إن شاء ا لله والبخاري كما عرفتم يسوق الحديث بلفظ لا يطابق الترجمة بناء على لفظ آخر يطابقها إما أنه ذكره في محل آخر وإما أنه جاء في رواية ليست على شرط وقلنا لكم إن هذا فيه فائدة وهو حمل الإنسان على البحث في الحديث هل هو على شرطه أو لا؟ والبحث عن مكان الحديث في الصحيح .

حدثنا محمد حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة "عن ابن عباس رضى ا لله عنهما أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم دخل على أعرابى يعوده ، فقال: لا بأس عليك طهور إن شاء ا لله ، قال: قال الأعرابى طهور بل هو حمى تفورعلى شيخ كبير تزيره القبور ، قال النبى صلى ا لله عليه وسلم: فنعم إذاً"

رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يرجو له الخير ويقول **"لابأس عليك طهور إن شاء ا لله"** لكن كان الحمى كانت عليه شديدة فقال الأعرابى **"طهور"** وهنا الجملة استفهامية يعنى أيكون هذا طهور بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور فقال النبى صلى ا لله عليه وسلم فنعم إذاً ، والظاهر أنها أزرته للقبور لأن

الرسول قال فنعم إذاً فحرم هذا الرجل بركة دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام بسبب أن في قلبه شيئ من الغضب علي ما حصل له.

حدثنا ابن سلام أخبرنا هشيم عن حصين عن عبد الله ابن أبي قتادة عن أبيه حين ناموا عن الصلاة "قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء، فقضوا حوائجهم وتوضئوا إلى أن طلعت الشمس وابيضت فقام فصلى"

الشاهد من هذا قوله: "قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء"

حدثنا يحي ابن قزعة حدثنا إبراهيم عن ابن شهاب عن أبي سلمة والأعرج، وحدثنا إسماعيل حدثني أخي عن سليمان عن محمد ابن أبي عتيق عن ابن شهاب عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن وسعيد ابن المسيب أن أبا هريرة قال "استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم: والذي اصطفي محمداً على العالمين في ثسم يقسم به، فقال اليهودي والذي اصطفي موسى على العلمين، فرفع المسلم يده عند ذلك، فلطم اليهودي فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله"

الشاهد قوله: "أو كان ممن استثنى الله" لأن الله سبحانه وتعالى استثنى هذا بالمشيئة فقال فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وفي هذا دليل على تواضع النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال "لا تخيروني على موسى" كما قال أيضاً لا تخيروني على يونس ابن متى وذلك من تواضعه عليه الصلاة والسلام ومعنى لا تخيروني يعني لا تقولوا هو خير من كذا وهذا من التواضع وإلا فلا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو خير الأنبياء ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات".

قال البخاري رحمه الله:-

حدثنا اسحاق ابن أبي عيسى أخبرنا يزيد ابن هارون أخبرنا شعبة عن قتادة "عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله"

الشاهد قوله: "إن شاء الله" وفي هذا بشرى لأهل المدينة أن الدجال لا يدخل عليهم المدينة وأن الطاعون أيضا لا يقع فيها ولكن قول الرسول عليه الصلاة والسلام "إن شاء الله" يحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله تبركاً وتحقيقا ويحتمل أنه قاله ترددا وتعليقا وأنه يمكن أن يأتيها الطاعون، أما الدجال فقد جاء في أحاديث كثيرة بدون استثناء أنه لا يدخلها ولكن لا يعني ذلك أن كل من فيها يسلم من فتنتها، لأن المدينة حين إذا ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها من كان منافقا أو كافرا أو ما أشبه ذلك.

الدرس السابع والعشرين :-

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري حدثني أبو سلمة ابن عبد الرحمن "أن أبا هريـرة قـال:- قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لكل نبي دعوة فأريد إن شاء ا لله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة"

الشاهد من هذا الحديث قوله "**فأريد إن شاء ا لله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**" وهـذا من فضلة صلى ا لله عليه وسلم على أمته ، أنه أختبئ دعوته المستجابة لهذه الغاية ، أن تكون شفاعة لأمته يوم القيامة.

حدثنا يسرة ابن صفوان أن جميل اللخمي حدثنا إبراهيم ابـن سـعد عـن الزهـري عـن سـعيد ابـن المسيب "عن أبي هريرة قال: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بينما أنا نائم رأيتي عن قليـب فـنزعت ما شاء ا لله أن أنزع ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف وا لله يغفر لـه ، ثـم أخذها عمر فإستحالت غربا فلم أرى عبقرياً من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس حوله بعطن"

هذه أولت بالخلافة ، والضعف الذي حصل لأبي بكر رضى ا لله عنه زال اللوم عنه بقول النبي صلـى ا لله عليه وسلم "**وا لله يغفر له**" وهو أيضا ضعف نسبي بالنسبة لما حصل من عمر ابن الخطاب رضى ا لله عنـه ، لأن الفتوحات في عهد عمر رضى ا لله عنه أكثر بكثير من الفتوحات في عهد أبي بكر ، فإن أبا بكر رضـى ا لله عنه اشتغل بحروب الردة وبأشياء داخلية و لم تنتشر الفتوحات في عهده كما إنتشرت في عهد عمر رضـى ا لله عنه ومع ذلك فإن الرسول صلى ا لله عليه وسلم بادر وقال "**وا لله يغفـر لـه**" وحينئـذ يندفـع اللـوم ويتـم النقص الذي ذكره النبى صلى ا لله عليه وسلم ، الشاهد من هذا الحديث قوله فنزعت ما شاء ا لله أن تـنزع ، إثبات المشيئة.

حدثنا محمد ابن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة "عن أبي موسـى قـال: كـان النبـ صلى ا لله عليه وسلم إذا أتاه السائل ، وربما قال جاءه السائل أو صاحب الحاجـة قـال اشـفعوا فلتؤجـروا ويقضي ا لله على لسان رسوله ما شاء"

الشاهد قوله:- "**على لسان رسوله ما شاء**" وفي الحديـث دليـل علـى استحباب الشـفاعة لصـاحب الحاجة ، وهذا مشروط بما لم يكن في ذلك مفسدة فإن كان في ذلك مفسدة فإن الشـفاعة لا تسـتجب ، لأن الشفاعة مصلحة محدودة ترجع إلى صاحبه الذي شفع لـه فـإذا كـان ذلـك يتضمـن مفسـدة عامـة أو مفسـدة خاصة على نفس المشفوع له فإنها لا تشرع فلو جاء شخص يسأل نفقة وأنا أعلم أنه إذا أعطى النفقة سـوف يبذرها ويشتري بها ما يحرم من دخان أو غيره فحينئذ لا تشرع الشفاعة ، لأن هذه الشفاعة سوف تؤدي إلى شيئ محرم وكذلك إذا كان يخشى من مفسدة عامة بحيث إذا شفعت له صار هذا وسيلة إلى أن يستعمل الناس الرشاوي والوسائط التي ليس لها حق فهذا أيضاً لا نشـفع لـه أمـا إذا لم يكـن في ذلـك مفسـدة فـلا شـك أن الشفاعة للناس وقضاء حوائجهم لا شك أنه يؤمر به شرعاً.

حدثنا يحي حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام "سمع أبا هريرة عن النبى صلى ا لله عليه وسلم قال: لايقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ، ارزقني إن شئت ، وليعزم مسئلته إنه يفعل ما يشاء لا مكره له

هذا الحديث سبق والشاهد منه قوله: "إن شئت" ولكنه سبق بلفظ أعم حيث قال إذا دعى أحدكم فيكون أعم من طلب المغفرة أوطلب الرحمة.

حدثنا عبد ا لله ابم محمد حدثنا أبو حفص عمرو حدثنا الأوزاعي حدثني ابن شهاب عن عبيد ا لله ابن عبد ا لله ابن عتبة بن مسعود "عن ابن عباس رضى ا لله عنهما أنه تمارى هو الحر ابن قيس ابن حصن القزاري في صاحب موسى أهو خضر ، فمر بهما أبي بن كعب الأنصاري فدعاه ابن عباس فقال إني تماديت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه هل سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يذكر سأنه؟ قال نعم ، إني سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول: بينما موسى في ملاء من بني اسرائيل إذا جاءه رجل فقال هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال موسى لا ، فأوحى إلى موسى بلى عبدنا خضر ، فسأل موسى السبيل إلى لقيه فجعل له ا لله الحوت آية ، وقيل له: إذا فقدت الحوت فإرجع فإنك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر ، فقال فتى موسى لموسى: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره قال موسى: ذلك ما كنا نبغي ، فارتد على آثارهما قصصاً ، فوجد خضراً وكان من شأنهما ما قص ا لله"

الشاهد من هذا قوله: "ستجدني إن شاء ا لله صابراً" والمؤلف رحمه ا لله إختصرها في هذا المكان.

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الوهرى ، وقال أحمد ابن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن "عن أبى هريرة عن الرسول صلى ا لله عليه وسلم قال: ننزل غداً إن شاء ا لله بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يريد المحصب"

هذا القول قاله الرسول صلى ا لله عليه وسلم في حجة الوداع ، والمحصب سمى بذلك لأنه كثير الحصباء وهو محل في ظاهر مكة ، لما نزل النبى صلى ا لله عليه وسلم حين رمى الجمرات في اليوم الثالث عشر نزل هناك وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد ثم في آخر الليل إرتحل حتى وصل المسجد الحرام ثم طاف الوداع ثم صلى الفجر ثم انصرف راجعاً إلى المدينة ، والشاهد من هذا الحديث قوله ننزل غداً إن شاء ا لله.

حدثنا عبد ا لله ابن محمد حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس عبد ا لله ابن عمر قال: حاصر النبى صلى ا لله عليه وسلم أهل الطائف فلم يفتحها فقال: إنا قافلون إن شاء ا لله ، فقال المسلمون نقفل ملم نفتح ، قال: فاغدوا على القتال فغدوا ، فأصابتهم جراحات ، قال النبى صلى ا لله عليه وسلم إنا قافلون غداً إن شاء ا لله فكان ذلك أعجبهم فتبسم رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم"

فكان رأيه الأول خيراً من رأيهم لكن هذه عادة الرسول صلى ا لله عليه وسلم يعطيهم بعض الشيئ الذي يريدون حتى يعرفوا أن رأيه هو الصواب ، ومثل ذلك لما نهاهم عن الوصال فقالوا إنك تواصل فواصل

بهم يوماً ويوماً حتى دخل شهر شوال فقال لو تأخر الهلال لزدتكم ، فمكنهم من الوصال مع نهيه إياهم عنه حتى يتبين لهم بعد ذلك أن الحكمة فيما نهاهم عنه وهو الوصال ، فالحكمة في ترك الوصال ، هذا أيضاً مثله لما قال إنا قافلون قالوا نقفل و لم نفتح فتركهم فلما أصيبوا بالجراح قال إنا قافلون فأعجبهم الأمر فتبسم النبى صلى ا لله عليه وسلم وقفل.

باب قول ا لله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير﴾ ولم يقل ماذا خلق ربكم وقال جل ذكره: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ ، وقال مسروق عن ابن مسعود: إذا تكلم ا لله بالوحى سمع أهل السموات شيئاً ، فاذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ، ونادوا ماذا قال ربكم قالوا الحق.

ويذكر عن جابر "عن عبد ا لله ابن أنيس قال سمعت النبى صلى ا لله عليه وسلم يقول: يحشر ا لله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما سمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان"

هذا الباب عقده المؤلف رحمه ا لله ليبين أن قول ا لله عز وجل يكون بصوت وهذا الذي عليه السلف الصالح أن كلام ا لله تعالى بحرف وصوت ، والأدلة على هذا سبقت وقلنا إن قول ا لله تعالى **﴿وإذ قال ا لله يا عيسى ابن مريم – وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾** وأمثالهما تدل دلالة واضحة على أنه يقول قولا يسمع بل إن ا لله فصل الصوت بأنه كان يكون رفيعاً ويكون دون ذلك كما قال تعالى **﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾** فالسلف يقولون إن ا لله يتكلم ويقول بكلام مسموع وبكلام يكون بحروف وهذه الحروف متعاقبة وليست متقارنة فالباء في بسم ا لله الرحمن الرحيم سابقة والسين بعدها والميم بعدهما وهلم جرى ، ولا يضر أن تحدث الحروف حرفاً بعد حرف لأنه كما سبق أن ا لله لم يزل ولا يزال فعالاً والذي يحدث هو آحاد الكلام وهو من الكمال أن يكون متى شاء تكلم بما شاء ، وأما الصوت فظاهر أيضاً **﴿ناديناه من جانب الطور الأيمن﴾** هذا بصوت عالي **﴿وقربناه نجياً﴾** بصوت منخفض ، ثم الحديث **"يقول ا لله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن ا لله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار"** قال فينادي بصوت فأكد النداء بأنه بصوت مع أن النداء لا يكون إلا بصوت لكن هذا من باب التوكيد كقوله تعالى **﴿وكلم ا لله موسى تكليماً﴾**.

باب قولا لله تعالى **﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾** هذه الآية بقية آية سبقت **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون ا لله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن شفع له﴾** فهذه الآية والتي بعدها قطعت جميع ما يتعلق به المسركون وبينت أن أوثانهم وأصنامهم لا تستحق العبادة بأى وجه من الوجوه أولا يقول لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض يعني لا يملكونها إستقلالا مثلا لا يملكون الأرض لا يملكون السماء لا يملكون نجمة من النجوم لا يملكون شجرة من الأشجار لا يملكون ذرة من الذرات من الأرض على وجه الاستقلال ، وقوله تعالى **﴿وما لهم فيهما من شرك﴾** يعني ولا يملكونها على وجه المشاركة ، **والفرق بين الاستقلال والمشاركة:–**

الإستقلال مثلا إذا قدرنا أن هذه عشر من الغنم لى خمس معينات ولك خمس معينات هـذا ملـك إستقلالي ، وإذا كانت العشر بيننا ورثناها عن أبينا مثلا فهذه مشاركة.

فهذه الأصنام لا تملك مثقال ذرة على وجه الاستقلال مـن السـموات والأرض ولا تشـارك أيضـاً في ذرة واحدة من السموات والأرض ﴿**وما لهم فيهما من شرك**﴾ انتفى الآن الملك لا اسـتقلالا ولا مشـاركة ، هل هذه الأصنام أعانت الله على خلق السموات والأرض؟ لا ، ﴿**وما له منهم من ظهير**﴾ لو كان لـه منهـم من ظهير لقيل أن هذه الأصنام لها شيئ مـن التعلـق في السـموات والأرض لكـن حتـى المسـاعدة والإعانـة لم تساعد الله ولا تعينه في خلق السموات والأرض ، إذا ليس لها يد على شيئ من السموات والأرض.

هل تشفع هذه الأصنام عند الله؟ لا ، ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾ ومعلـوم أن الله لا يأذن لهذه الأصنام لأنه لا يرضاها ولا يرضى من تشفع لهم وهم الكفار وبذلـك إنقطعـت جميـع العلائـق الـتي يتعلق بها المشركون ، ثم قال مبيناً عظمة الله وأن هذه الأصنام ليست بشيئ بالنسبة لعظمته ﴿**حتى إذا فـزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم**﴾ كلام الله عز وجل إذا تكلم صعقت الملائكة عشى عليهم مـن عظمـة مـا تسمع فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم وفي بعض ألفاظ الحديث أنهم يسألون جـبريل لأنـه أول مـن يفيق فيقولون ماذا قال ربكم فيقول قال الحق وهو العلى الكبير ، فمن هذه عظمته كيف يليق عقلا أن يُشرك به من لا يملك شيئاً في السموات ولا في الأرض وليس له فيها شركة وما له منهم من ظهير وشـفاعته لا تنفـع عند الله ، وقوله تعالى ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم**﴾ فزع أى زال عنها الفزع ﴿**قالوا ماذا قـال ربكـم**﴾ مـا إسم إستفهام وذا بمعنى الذي أى ما الذي قال ربكم ، قالوا الحق ، إذاً يكون الجواب قوله ماذا إستفهاماً كـل الكلمتين وتكون منصوبة على أنها مقول القول ولهذا كان الجواب قالوا الحق و لم يكن الجواب قـالوا الحقُ ، لأنه لو كان ذا إسماً موصولاً على إنها خبر لكان الجواب يطابق السؤال فيقـول الـذي قـال الحـق وهـو العلى الكبير ، العلى بذاته وصفاته وعلو الصفات متفق عليه بين أهل القبلة حتى أهل البدع يثبتون لله علو الصفات على حسب مفهومهم في علو الصفات لأنهم قد يقولون في هذا علو صفة وهـو نقـص كقولهـم مثـلاً إن الله تعالى لا تقوم به الحوادث ولا يستطيع أن ينزل ولا يستطيع أن يستوي على العرش وما أشبه ذلك ، يـرون أن هذا من باب الكمال ألا تقوم به الحوادث ، لكن على كل حال أهل القبلـة أى مـن ينتسـب للإسـلام كلهـم متفقون على أن الله عال علواً صفة حسب مفهومهم في علو الصفة ، أما علو الذات فإنه عنـد السـلف فقـط أما أهل التحريف والتعطيل أو أهل الحلول فلا ، لأن أهل الحلول من الجهمية وغيرهم يقولون إن الله في كـل مكان ، وأهل التعطيل يقولون لا يوصف بأنه فوق العلم ولا تحته ولا يمـين ولا شمـال ولا متصـل ولا منفصـل وسبق الكلام على هذا وبيان أن العلى الذاتي قد دل عليه الكتاب والسـنة والإجمـاع والعقـل والفطـرة وقولـه تعالى ﴿**وهو العلى الكبير**﴾ أما الكبير فهو سبحانه وتعالى ذو الكبرياء والعظة و لم يقل ماذا خلـق ربكـم هـذا رد على الجهمية الذين يقولون إن كلام الله مخلوق وربما نقول على الأشاعوة الذين يقولون إنما يسمع مخلـوق لأن الأشاعرة يقولون ما يسمع من كلام الله ليس هو كـلام الله ، كـلام الله هـو المعنـى القـائم بنفسـه ومـا يسمع فهو مخلوق خلقه الله للتعبير عما في نفسه ، وقوله تعالى ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ يعني لا

أحد يشفع إلا بإذنه والإذن هو الأمر لمن طلب الشفاعة أن يشفع وهذا لا يكون إلا بالكلام ، وقال مسروق – ٦٣ – عن ابن مسعود رضى الله عنه "**إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا ماذا قال ربكم قالوا الحق**" هذا القول عن ابن مسعود معلق في البخاري لكنه مجزوم به وقد قال أهل الإصطلاح أن البخاري إذا روى شيئاً معلقاً مجزوماً به فهو عنده صحيح ولكن لا يلزم من صحته عنده أن يكون صحيحاً عند غيره لكن هو يرى أنه صحيح ، وابن مسعود رضى الله عنه حين تكلم بهذا الكلام يكون له حكم الرفع لأن هذا لا يقارب الرأى والإجتهاد حتى يكون له حكم الرفع ويذكر عن جابر عن عبد الله ابن أنيس يذكر نقله بصيغة التمريض فهو عنده ضعيف ، عن جابر عن عبد الله ابن أُنيس قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول "**يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان**" وهذا الحديث هو الحديث المشهور الذي إرتحل له جابر ابن عبد الله مسيرة شهر حُدث بهذا الحديث عن عبد الله ابن أُنيس فذهب إليه مسيرة شهر لهذا الحديث وجده ، لماذا؟ قال أهل الإصطلاح لطلب علو السند وقال أصحاب الفقه للإستثبات والتثبت وبين القولين فرق الأولون يقولون المقصود بذلك هو طلب علو السند لأن الحديث إذا روى عن ثلاثة ثم عن أربعة فعن ثلاثة يكون أعلى ، فالأن جابر حُدث بالحديث فكان بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن أُنيس والواسطة التى بينهما ، لكن إذا رواه عن عبد الله مباشرة فيكون بينه وبين الرسول واحد ، هذا علو سند ، وقال الفقهاء بل هذا من أجل التثبت والإستثبات في الخبر ولو قال قائل بأنه للأمرين جميعاً لم يكن هذا بعيداً ، وإن كان مسألة علو السند ونزول السند لم تكن معروفة في ذلك العهد تلك المعرفة التي يشار إليها ويرتحل إليها.

الشاهد من هذا الحديث قوله "**ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب**" إذاً هو صوت عظيم يبلغ الناس كلهم القريبين والبعيدين.

حدثنا على ابن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة "عن أبي هريرة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان" قال على وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير

قال على: حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة بهذا

قال سفيان قال عمرو: سمعت عكرمة حدثنا أبوهريرة بهذا قلت لسفيان قال سمعت عكرمة قال سمعت أبا هريرة قال: نعم قلت لسفيان إن إنساناً روى عن عمرو ابن دينار عن عكرمة عن أبي هريرة يرفعه أنه قرأ: فزع ، قال سفيان: هكذا قرأ عمرو فلا أدري سمعه هكذا أم لا؟ قال سفيان: وهى قراءتنا.

الدرس الثامن والعشرون:–

حدثنا يحي ابن بكير حدثنا الليث عن عقيل ابن شهاب أخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن "عن أبي هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء ما أذن للنبى صلى الله عليه وسلم يتغنى بالقرآن ، وقال صاحب له يريد أن يجهر به".

الشاهد من هذا قوله "**ما أذن ا لله بشيئ ما أذن للنبى**" ومعنى هذا الإذن الإستماع للشيئ يعني ما استمع ا لله بشيئ كاستماعه للنبى حسن الصوت في رواية أخرى "**يتغنى بالقرآن**" يعني يجهر به وهذا دليل على أن ا لله سبحانه وتعالى يستمع إلى من يقرأ القرآن وكلما كان الإنسان أحسن صوتاً وأداء كان ا لله إليه أسمع ، وظاهر سياق البخاري رحمه ا لله أنه يرى أن المراد بالإذن الإذن الكوني يعني أنه عز وجل يأمر هذا النبى فيتغنى بالقرآن لأنه ساقه في الأحاديث التي يتحدث فيها عن الكلام.

ويحتمل أن البخاري رحمه ا لله ساقه في هذا الباب لقوله "**يتغنى بالقرآن**" والقرآن سبق أنه كلام ا لله عز وجل وهذا أقرب لأن المعنى الذي أشرنا إليه أولا بعيد أن يكون من الإذن الذي هو الأمر.

حدثنا عمر ابن حفص ابن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح "عن أبي سعيد الخدري رضى ا لله عنه قال: قال النبى صلى ا لله عليه وسلم يقول ا لله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت: إن ا لله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار".

الشاهد قوله:-"**فينادي بصوت**" وقد روى "**فينادَى بصوت إن ا لله يأمرك**" فأبطل من يقول إن ا لله تعالى لا يتكلم بحرف وصوت أبطل الإستدلال بهذا الحديث على أن ا لله يتكلم بحرف وصوت وقال إن قوله فينادى أى ينادي ملك من الملائكة بدليل قوله "**إن ا لله يأمرك**" حيث ساقه مساق الغائب ولكن هذا ضعيف وإن كان له إحتمال ، يضعفه أن ا لله يقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك فكان مقتضى ذلك أن الذي يناديه هو ا لله لأنه هو الذي قال له أولا يا آدم ، فكيف يقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك وكل ملكاً يكلمه هذا بعيد من السياق وإنما الذي ناداه هو ا لله عز وجل بدليل الرواية الأخرى فينادِي بصوت إن ا لله يأمرك وأما إقامة الظاهر مقام المضمر إني أمرك يعني قال إن ا لله بدل إني أمرك فيقال إن إقامة الظاهر مقام المضمر هنا إشارة إلى قوة سلطان ا لله عز وجل ، ودليل ذلك أنه قرن بالأمر إن ا لله يأمرك وهذا كما يقول الملك في الدنيا إن الملك يأمرك أن تفعل كذا وكذا ، أو إن أمير المؤمنين يأمرك أن تفعل كذا وكذا ، وهو يعني نفسه فهذا من باب التعظيم ، والإلتفات للتعظيم في اللغة العربية أسلوب متبع ومعروف ، وقوله ينادي بصوت" تأكيد لقوله ينادي لأن المناداة لا تكون إلا بصوت وهو كقوله تعالى ﴿**وكلم ا لله موسى تكليما**﴾ فإن تكليماً هذه جاءت توكيد ولهذا تسمى عند النحويين مصدراً مؤكداً ، وفي هذا إثبات أن ا لله تعالى يتكلم بصوت وهو كذلك ، ولهذا يخاطب موسى ويكلمه ويخاطب النبى صلى ا لله عليه وسلم ويكلمه ليلة المعراج فهم يسمعون صوته ويردون عليه.

حدثنا عبيد ابن اسماعيل حدثنا أبو اسامة عن هشام عن أبيه "عن عائشة رضى ا لله عنها قالت ما غرت على إمرأة ما غرت على خديجة ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة".

الشاهد قوله "**ولقد أمره ربه**" لأن الأمر لا يكون إلا بالكلام وفيه إثبات أن ا لله سبحانه وتعالى يتكلم وقد سبق الكلام على ذكر كلام ا لله عز وجل وأن أهل السنة والجماعة يقولون إن ا لله يتكلم بحرف وصوت يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء هذا هو مذهب السلف وأهل السنة والجماعة.

باب كلام الرب مع جبريل ونداء ا لله الملائكة وقال معمر وإنك لتلقى القرآن – أى يلقى عليك – وتلقاه أنت أى وتأخذه عنهم – ومثله ، فتلقى آدم من ربه كلمات

جبريل عليه الصلاة والسلا هو أشرف الملائكة وهو موكل بالوحى ينقله إلى من شاء ا لله سبحانه وتعالى

وكلام ا لله معه هو كما قال ا لله عز وجل ﴿**وإنه لتنزيل رب العلمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين**﴾ ﴿**وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم**﴾ أى يلقى عليك القرآن من لدن أى من عند حكيم عليم ، وقدم الحكمة هنا لبيان أن ما جاء به هذا القرآن فإنه مبني على الحكمة وكل ما في القرآن فإنه مطابق للحكمة تماماً سواء كان من الأحكام العملية أو الأخبار العلمية ، كله مبني على الحكمة.

حدثني إسحاق حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن – هو ابن عبد ا لله ابن دينار – عن أبيه عن أبي صالح "عن أبي هريرة رضى ا لله عنه قال: قال النبى صلى ا لله عليه وسلم إن ا لله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل أن ا لله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل في السماء إن ا لله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض"

هذا حديث عظيم ، فيه بيان الغاية العظيمة من محبة ا لله للعبد ، إذا أحب ا لله عبداً نادى جبريل والمناداة لا تكون إلا بصوت إن ا لله قد أحب فلاناً وهنا أتى بصيغة الغائب من باب التعظيم كما أسلفنا سابقاً "**إن ا لله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل**" إمتثالاً لأمر ا لله سبحانه وتعالى ومحبة لأحباب "**ا لله ثم ينادي جبريل في السماء إن ا لله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء**" ويدخل ذلك بإسمه الخاص يحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض فيقبله أهل الأرض ولا قبول إلا بعد محبة لأن من لاتحبه لا تقبل منه ، لكن يوضع له القبول في الأرض فيكون الرجل مقبولاً ، وفي هذا دليل على إثبات محبة ا لله للعبد وأهل السنة والجماعة يقولون إن ا لله يُحب ويُحَب لقوله تعالى ﴿**فسوف يأتي ا لله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾ ولكن أهل التحريف قالوا لا محبة من ا لله للعبد ولا من العبد لله ومنهم من يقول العبد يحب ا لله وا لله لايحب العبد وحرفوا الآيات الكثيرة في المحبة إلى أن المراد بها الثواب ، فقالوا إن ا لله يحب المحسنين أى يثيبهم ففسروها بشيئ بائن منفصل أو يريد ثوابهم ففسروها بالإرادة التي هم يثبتونها ، ولكننا نقول المحبة شيئ فوق الإرادة وفوق الإثابة وهى ثابتة لله حقاً ، فإن قال قائل وهل هناك طريقة يصل بها الإنسان لأن يحبه ا لله؟ قلنا نعم ، هناك طريق بينه اللع عز وجل في قوله ﴿**قل إن كنتم تحبون ا لله فإتبعوني يحببكم ا لله**﴾ فالطريق إلى كون ا لله يحب العبد أن يتبع الرسول صلى ا لله عليه وسلم وكلما كان الإنسان أتبع لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم كان أحب إلى ا لله وذلك أن الحكم إذا علق بعلة قوى بقوتها وضعف بضعفها والحكم هنا حب ا لله للعبد علق بإتباع الرسول صلى ا لله عليه وسلم ، فإذا أردت أن ا لله يحبك فإتبع الرسول صلى ا لله عليه وسلم ظاهراً وباطناً.

حدثنا كتيبة ابن سعيد عن مالك ابن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة

الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون".

هذا الحديث سبق الكلام عليه من باب العلو ، وأتى به هنا في باب الكلام إشارة إلى أن الله تعالى يكلم الملائكة ، وسبق الكلام على الإشكال النحوي في أوله وهو **"يتعاقبون فيكم ملائكة"** وبينا جواب أهل النحو عليه ، وأن بعضهم قال إن هذه لغة معروفة عند العرب ويسمونها لغة أكلوني البراغيث ، وبعضهم قال إن الواو فاعل وملائكة بدل من يتعاقبون ، وأن الفائدة من ذلك التفصيل بعد الإجمال لأن يتعاقبون الضمير مبهم لا يعلم مرجعه فإذا جاءت ملائكة صارت مبينة بعد الإجمال ، فصارت أوقع في النفس.

حدثنا محمد ابن بشار حدثنا غندور حدثنا شعبة عن واصل عن المغرور قال: "سمعت أبا ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك با لله شيئاً دخل الجنة ، قلت وإن سرق وإن زنى؟ قال وإن سرق وإن زنى".

قوله **"من مات ولم يشرك با لله شيئاً دخل الجنة"** استدل به من قال إن تارك الصلاة لا يكفر وقال إن تارك الصلاة ليس بمشرك فيدخل الجنة ، ولكننا نجيب عن هذا بأحد جوابين:-

الجواب الأول:- أن لا نسلم أن تارك الصلاة ليس بمشرك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال **"بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة".**

الجواب الثاني:- أننا سلمنا أن ترك الصلاة ليس بشرك ولكن هذا عام وأدلة كفر تارك الصلاة خاصة والقاعدة أن العام يحمل على الخاص فيكون الخاص خارجاً من العموم.

باب قول الله تعالى: ﴿أنزل بعلمه والملائكة يشهدون﴾

قال مجاهد: يتنزل الأمر بينهن وبين السماء السابعة والأرض السابعة"

قول الله تعالى **﴿أنزله بعلمه﴾** الضمير يعود على القرآن لأن الله يقول **﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه﴾** وسبق معنى قوله أنزله بعلمه ، أما قوله **﴿والملائكة يشهدون﴾** يعني يشهدون أن الله أنزل هذا القرآن بعلمه.

وقال مجاهد: يتنزل الأمر بينهن بين السماء السابعة والأرض السابعة يشير إلى قوله تعالى **﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾** الأمر أمر الله ، بينهن يعني بين السماء السابعة والأرض السابعة يتنزل أمر الله ، والسموات سبع طباق والأرضون كذلك سبع طباق هذا هو الصحيح في الأرضين أنها سبع طباق لقوله **﴿ومن الأرض مثلهن﴾** ولقول النبي صلى الله عليه وسلم "من اقتطع من الأرض شبراً طوقه يوم القيامة من سبع أرضين.

حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص "حدثنا أبو اسحاق الهمداني عن البراء ابن عازب قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا

منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة ، وإن أصبحت أصبت أجراً"

هذا الحديث تقدم الكلام عليه والشاهد منه قوله "كتابك الذي أنزلت" وسبق لنا أن البراء قال برسولك الذي أرسلت فقال قل بنبيك الذي أرسلت ، وسبق لنا لماذا قال قل بنبيك الذي أرسلت وبينا أنه لوجهين:-

الوجه الأول:- لو قال برسولك الذي أرسلت لكانت دلالتها على النبوة بطريق اللزوم.

الوجه الثاني:- لكن إذا قال بنبيك الذي أرسلت كانت الدلالة على وجه المطابقة ، والدلالة في المطابقة أقوى من الدلالة في اللزوم.

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا سفيان عن اسماعيل ابن أبي خالد "عن عبد الله ابن أبى أوفي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، إهزم الأحزاب وزلزلهم"

زاد الحميدي حدثنا أبي خالد سمعت عبد الله سمعت النبى صلى الله عليه وسلم.

زاد الحميدي زيادة السمع ، وبهذا نعرف أن الزيادة تكون في المتن وتكون في السند والزيادة في السند تكون من مزية المتصف بالأسانيد وتكون من زيادة صيغة الأداء البخاري الأن قال إن هذه الزيادة زيادة في صيغة الأداء ليست زيادة راوي محذوف من رواية أخرى وليست رواية متن أو شيء في المتن فتبين بهذا أن المحدثين رحمهم الله يتوسعون في بعض المصطلحات.

حدثنا مسدد عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير "عن ابن عباس رضى الله عنهما: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ، قال: أنزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بمكة ، فكان إذا رفع صوته سمع المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، وقال الله تعالى: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها لا تجهر بصلاتك حتى يسمع المشركون ، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم ، وابتغ بين ذلك سبيلا ، أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن.

هذا تفسير ابن عباس رضى الله عنهما ، وابن عباس أعلم الصحابة بالتفسير ما عدا الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة لكنه هو من أعلم الصحابة في التفسير ، انظر إلى تفسيره قال: لا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها والمراد لا تجهر جهراً يسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله وهو الله ومن جاء به ، وفي هذا إشارة أو دليل إذا قلنا بأن قول الصحابي حجة على أن الإنسان إذا خاف إذا تكلم بموعظة أو قرأ قرآناً أن يُسَبَّ القرآن أو تسب الموعظة فإن الأولى ألا يفعل ، وأن يجعل المسألة في وقت آخر وهذا من الحكمة ألا تضع القرآن أو الموعظة بين يدى من يمتهنها ، ولهذا قال لا تجهر ولا تخافت وابتغي بين ذلك سبيلاً ، لا تخافت بها لأنك لو خافت لم يسمع أصحابك قراءتك إذاً فاجعل قراءتك وسطاً تجهر بها بحيث يسمع أصحابك وتخافت بها بحيث لا يسمع المشركون. الشاهد من هذا قوله: **"أنزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بمكة".**

باب قول الله تعالى ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ إنه لقول فصل: حق، وما هو بالهزل:- باللعب.

يقول تعالى: **﴿يقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾** والمراد بالتبديل هنا تبديل معناه وحكمه لا أنهم يريدون تبديل لفظه لأنهم لا يستطيعون ذلك، وهذا دليل على أن الذين يحرفون الكلم عن مواضعه مبدلون لكلام الله وكذلك الذين يصرفون النصوص عن ظاهرها مبدلون لكلام الله عز وجل لأن الكلام في الحقيقة يراد به معناه فإذا غير المعنى فإن الألفاظ قوالب يكون تغير للفظ.

الشاهد قوله: "**كلام الله**" فدل ذلك على إثبات الكلام لله عز وجل، وقال تعالى **﴿إنه لقول فصل﴾** لقول والقول لا يكون إلا كلاماً وقوله فصل: حق والصحيح أنه أعم من كلمة حق، فصل: يفصل بين الحق والباطل وبين المسلمين والمشركين وفي كل شيئ يحتاج إلى فصل، وقوله **﴿وما هو بالهزل﴾** أي باللعب بل هو جد وحزم وقوة وعزة كل من تمسك بالقرآن فإنه سوف تكون حاله هذه الحال.

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الزهري عن سعيد ابن المسيب "عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدى الأمر أقلب الليل والنهار"

الشاهد قوله "**بيدى الأمر**" فالأمر كله لله ولا يمكن أن يبدل كلام الله كما قال الله تعالى **﴿لا مبدل لكلماته﴾** فإذا كان بيده الأمر فإنه ل يجوز لنا أن نبدل كلماته لا باللفظ ولا بالمعنى، وسبق الكلام على هذا الحديث وبينا أن معنى قوله تعالى "**وأنا الدهر**" أى أنا مدبر الدهر وليس المعنى أن الله هو الدهر لأن الذين يسبون الدهر لا يريدون أن يسبوا الله وإنما يريدون أن يسبوا الدهر الذي هو الوقت والزمن، فتجده يسب السنة يسب الشهر يسب اليوم وما أشبه هذا، وبين الله عز وجل أن سب هذه المخلوقات هو في الحقيقة سب لله لأن الذي يدبر هذه المخلوقات هو الله أما هذه المخلوقات فلا تدبر نفسها.

الدرس التاسع والعشرين:-

حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل: الصوم لى وأنا أجذي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، الصوم جنة، وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

ذكر البخاري رحمه الله الحديث القدسي في الصوم يقول الله عز وجل "**الصوم لي وأنا أجزي به**" قال العلماء معني قوله الصوم لي أنه سر بيني وبين العبد لأن الصوم مركب من نية وترك ولا يعلم بالنية والترك إلا الله عز وجل ولهذا اختص الله به وأضافه إلى نفسه وقيل معناه أن الإنسان إذا كان عليه مظالم وأخذ من حسناته يوم القيامة فإنه يؤخذ من جميع الحسنات إلا الصوم فإنه لا يؤخذ منه شي لأنه لله، والمعني الأول أصح أى أن الصوم لله ليس فيه رياء لأنه خلص له بليل قوله وأنا أجزي به، ثم بين حكمة إختصاص الله

تعالى به في قوله **"يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي"** يدع شهوته يعني النكاح الجماع ، وأكله وشربه من

أجل الله عز وجل هذا الإخلاص وهذه الثلاثة هي التي نص الله عليها في القرآن في قوله تعالى **﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾** وهي التي أجمع عليها المسلمون على أنها تفسد الصوم ، وقوله يدع شهوته ، هل نفسر ذلك بالجماع فقط ونقول لا تفطير بالمذي والمني والمباشرة؟ أو نقول إنها تشمل الجماع والإنزال؟ أما المباشرة فإنها لا تفطر الصائم بلا شك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم ، وكذلك المذي ولو من شهوة لا يفطر الصائم لأنه ليس عليه دليل وليس فيه شهوة ، الشهوة بغيره لا به وأما المني فإن جمهور العلماء على أنه يفطر الصائم لأنه شهوة ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " **وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال نعم أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر قالوا نعم ، قال فإذا وضعها في الحلال كان له أجر**" والذي يوضع هو النطفة وهذا يدل على أن المني مفطر وهو الأصح وأما الجماع فبالإجماع فإنه مفطر وقوله تبارك وتعالى **"الصوم جنة"** الجنة ما يتقى به سهام الأعداء ، مأخوذ من الجنان وهو الخفاء لأن الإنسان يختفي به عن سهام الأعداء ، وهو مثل الصاج الكبير الذي يخبز عليه يحمله المقاتل فإذا رأى أحداً صوب إليه سهماً دفع السهم بهذا الترس الذي يسمى جنة ، والمراد بكونه جنة أنه جنة يستتر به الإنسان في الدنيا من قول الزور والعمل به والجهل وفي الآخرة يتقي به من النار ، ثم قال **"وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه"** فرحه حين يفطر لأمرين:-

الأمر الأول:- تناول ما أحل الله له من طعام وشراب ونكاح فإن النفس إذا حبست عن ذلك ثم أذن لها حين فرحت.

والأمر الثاني:- فرحه بأداء هذه الفريضة إن كان صوم فرد أو تطوع إن كان صوم نفل الفرح الثاني فرحة حين يلقى ربه يوم القيامة يجد أجر الصوم موفراً عند الله سبحانه وتعالى ثم قال ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك الخلوف هي الرائحة التي تنبعث من المعدة عند خلوها وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس لكنها عند الله أطيب من ريح المسك لأنها ناشئة عن طاعته وهذا يشبه قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في دم الشهيد أنه يأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك وكل هذه الجمل في هذا الحديث كلها تفيد الترغيب في الصوم والحث عليه وبيان فوائده في الدنيا وفي الآخرة والشاهد من هذا الحديث قوله يقول الله عز وجل ثم ذكر الحديث والحديث هذا الكلام نقول القول فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بحروف تتلى وتقرأ.

حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما أيوب يغتسل عرياناً حر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه ، يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ، ولكن لا غني بي عن بركتك.

سبق الكلام على هذا الحديث والشاهد منه قوله **"فناداه ربه"** ويثقل عندي فنادي ربه بدون ضمير ولكن المعنى واحد.

حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له".

هذا الحديث في النزول وهو حديث عظيم وعظيم الفائدة وفيه قوة الرجاء وقد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب مستقل شرحاً وافياً لكنه كما تعرفون طويل النفس رحمه الله تكلم بكلام طويل جداً يقول يتنزل ربنا وفي لفظ ينزل ربنا تبارك وتعالى سبق معنى قوله تبارك أنه كثير البركة وتحل البركة باسمه وأما قوله تعالى أى تعالى عن كل عيب ونقص ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ينزل ربنا ، النزول مضاف إلى الرب والفعل المضاف إلى الله يكون فعلاً واقعاً من الله كل فعل أضافه الله فعل واقع منه هذا واجب لأن هذا هو ظاهر اللفظ والناس في كلامهم إذا قالوا قال وفعل وذهب وجاء وركب ونزل إلى أى شي تعود هذه الأوصاف إلى الفاعل الذي أضيفت له فإذا كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو أعلم الخلق بالله وأنصح الخلق لعباد الله وأفصح الخلق فيما يقول وأصدقهم فيما يخبر يقول ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ما فيه مجال للتحريف وأن يقال إن المراد ينزل أمره أو تنزل رحمته أو ينزل ملك من ملائكته بل نقول ينزل الله نفسه ولكن كيف ينزل هنا نقف نقول الله أعلم النزول معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه وإذا نزل إلى السماء الدنيا هل يلزم أن يخلوا منه العرش نقول للسائل هذه بدعة هذا السؤال بدعة لو كان هذا من الدين أى لو كان علمنا بكونه يخلو منه العرش أو لا يخلوا من الدين لكان ذلك مبيناً قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله يقول اليوم أكملت لكم دينكم فقد أكمل الله الدين لنا عقيدة وقولاً وعملاً فإذا قال هل يخلوا منه العرش نقف هذا بدعة وليس لك الحق أن تتكلم لأن علمنا بكون العرش يخلوا منه أو لا لو كان من الدين ما مات النبى صلى الله عليه مسلم إلا وقد أعلمنا به ثم نقول ءأنت أحرص على معرفة صفات الله من الصحابة؟ إن قال نعم ، قلنا كذبت وإن قال لا قلنا لماذا لم نسأل الرسول عليه الصلاة والسلام لماذا لم يسألوا الرسول؟ والجواب عن هذا سهل أن نقول لأن عندهم من تعظيم الله والأدب مع الله وعدم التقديم بين يدى الله ورسوله ما ليس عند هذا السائل هذا هو السبب أن يرد مثل هذا السؤال من الخلف من هذه الأمة ولم يرد من سلف هذه الأمة لأن في قلوب سلف الأمة من تعظيم الله والتأدب بين يدى الله ورسوله ما ليس عند خلف هذه الأمة ولذلك لا يسألون عن هذا الشي ولو سأل سائل قال هل النزول إلى السماء الدنيا ينافي علوه؟ فالجواب لا ، لأن علوه وصف لازم له والوصف اللزم لا يمكن أن يتحول أو يتغير فإذا قال إذا أثبتم العلو فكيف ينزل نقول ، إن نزوله إلى السماء الدنيا أمر لا يحاط به ليس معني نزوله أن تكون السماء الثانية وما فوقها فوقه هذا شي مستحيل وليس معنى نزوله أن السماء الدنيا تقله وما فوقها يظله فإن هذا من الظنون الكاذبة ولا يظن هذا الظن إلا من لم يقضي لله حق قدره فالله أعظم وأجل من أن تحيط به السموات أو يحيط به شي من مخلوقاته ونحن ليس علينا إلا أن نسلم حتى وإن حات عقولنا في كيفية هذا الشي العقل قد يحار ويقول كيف يكون هذا فنقول الحيرة حدثت لعدم قدرتنا على الإحاطة بصفات الله عز وجل ولكن العقل لا يحيل ذلك بالنسبة لله لأن الله تعالى

ليس كمثله شي في جميع صفاته وقوله "**حين يبقى ثلث الليل الآخر**" من أين تحتسب الليل؟ الليل لا شك من غروب الشمس بالنص والإجماع فإن قوله تعالى ﴿**ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾ يحصل بغروب الشمس بالإتفاق بل بالنص لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا ويشير إلى المشرق والمغرب وغربت الشمس فقد أفطر الصائم وهذا هو معنى قوله تعالى إلى الليل إذاً إبتداء الليل من غروب الشمس ولا إشكال فيه لكن إنتهاء الليل أبطلوع الفجر أو بطلوع الشمس فالجواب أما فلكياً فإن الليل ينتهي بطلوع الشمس لأن الشمس ما دامت مواجهة للأرض فهو نهار فإذا إختفت فهو ليل وأما شرعاً فالنهار من طلوع الفجر فهل نحمل هذا الحديث على المعنى الشرعي أو على المعنى اللغوي هذا ينبني على قاعدة معروفة وهي أن خطاب الشرع ينبني على المصطلح الشرعي أى على الحقيقة الشرعية فإن وافقت الحقيقة اللغوية فهذا واضح وإن خالفت الحقيقة اللغوية وجب الأخذ بالحقيقة الشرعية فإذا جاء في لسان الشارع أقم الصلاة هل نقول المعنى أقم الدعاء؟ لا مع أن الصائب في اللغة الدعاء لأن اصطلاح كل متكلم يحمل عليه كلامه فعلى هذا نقول الأقرب في هذا الحديث أن الليل المعتبر هو من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ويدل لذلك أنه في بعض الألفاظ حتى يطلع الفجر وعليه يكون المعنى واضحاً فكيف نعرف ثلث الليل إقسم ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر على ثلاثاً فما حصل فهو ثلث الليل فإذا بقي هذا المقدار فهذا وقت نزول الإله وهل يختلف هذا الثلث بإختلاف الفصول وبإختلاف الأماكن؟ الجواب نعم ، فالليل في أيام الصيف يكون قصيراً وفي أيام الشتاء يكون طويلاً الليل فى الجانب الشمال من الأرض أو الجنوبي الذي حول القطب يكون طويلاً جداً في أيام الشتاء ربما يصل إلى أسبوع أو أسبوعين وكلما قربنا من خط الإستواء قرب التساوي بين الليل والنهار وعلى كل حال نحن نقسم ما بين غروب الشمس وطلوع الفجر على ثلاثة فما حصل بالقسمة فهو الثلث ومن فوائد هذا الحديث إثبات نزول الرب عز وجل في هذا الوقت من الليل وهو نزوله حق ولكن لا نعلم كيفيته كسائر الصفات ولا يحل لنا أيضاً من أن نمثله بنزول الواحد منا من السطح إلى الأرض مثلاً لأن الله تعالى يقول ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ ﴿**ويقول ليس كمثله شي وهو السميع البصير**﴾ فيقول "**من يدعوني فأستجيب له**" وفاء السببية تنصب الفعل المضارع إذا وقعت بعد سبعة أمور مجموعة في بيت مشهور بين طلبة العلم وهو قوله مر ، وادعوا ، وانهى ، وسل ، واعرض لحظهم تمني وارجوا كذاك النفي قد كمل.

هذه سبعة أسياء متى سبقت فاء السببية نصب الفعل بأن مضمرة بعد فاء السببية إذا فأستجيب له سبقها الإستفهام ، المراد بقوله وسل من يسألوني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له هذه ثلاثة أمور من يدعوني يقول يا رب فأستجيب له من يسألني يقول يا رب أعطني فيعطيه من يستغفرني يقول اللهم إغفر لي فالله تعالى يغفر له الشاهد من هذا الحديث قوله فيقول من يدعوني فأثبت القول لله عز وجل وفي الأحاديث من صفات الله عز وجل النزول والكرم والسمع والعلم والقدرة كل هذه الصفات معروفة من الأحاديث لكن بعضها بالتضمن وبعضها بالإلتزام لننظر الآن من أجل أن تتمرنوا على إثبات القول بالمطابقة أو بالإلتزام؟

بالمطابقة فيقول إثبات النزول بالمطابقة لإثبات المغفرة إثبات الإستجابة إثبات العطاء كله بالمطابقة ، إثبات العلم باللزوم إثبات السمع والكرم والقدرة باللزوم وربما تجدون صفات أكثر في التأمل.

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد أن الأعرج حدثه "أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة"

وبهذا الإسناد قال الله أنفق أنفق عليك.

الشاهد قوله **"قال الله"** وأصله قال الله يا ابن آدم أنفق أنفق عليك أنفق هذا الأمر يراد به الإنفاق الشرعي الذي أمر الله به أنفق عليك هذا مثل قوله تعالى ﴿**وما أنفقتم من شي فهو يخلفه**﴾ فإذا أنفق الإنسان ما أمر الله بإنفاقه أخلف الله عليه سواه والشاهد من هذا قوله قال الله "أنفق أنفق عليك".

حدثنا زهير ابن حرب حدثنا ابن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة "عن أبي هريرة قال: هذه خديجة أتتك بإناء فيه طعام أو إناء فيه شراب فأقرئها من ربها السلام وبشرها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب"

الشاهد قوله **"فأقرئها من ربها السلام"** أن الله حمل جبريل عليه الصلاة والسلام أن يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم هذه الأمانة **"أقرئها من ربها السلام"** أى قل لها إن الله يسلم عليك وهذه مرتبة عظيمة لخديجة رضى الله عنها أن الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سمواته أقرءها السلام وهذا هو الشاهد لهذا الحديث.

حدثنا معاذ ابن أسد أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن همام ابن منبه "عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: قال الله أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر".

هذا أيضاً سبق الكلام عليه والشاهد منه قوله **"أعدت لعبادي الصالحين"** حيث أثبت القول لله فإن قال قائل لماذا إعتنى البخاري رحمه الله في هذه المسألة وساق فيها هذه الأحاديث المتنوعة قلنا لأن المحنة في الكلام على أشدها في زمنه رحمه الله فإذا قال قائل ما مناسبة هذه الأحاديث للترجمة أن يبدلوا كلام الله قلنا إن الذين يقولون إن كلام الله مخلوق أو إن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس هؤلاء قد بدلوا كلام الله أى جعلوه غير الواقع فإن الواقع أن كلام الله بحرف وصوت كما في هذه الأحاديث وهم جعلوه معنى قائم بالنفس أو جعلوه شيئاً مخلوقاً فهذا وجه إدخال هذه الأحاديث في الترجمة وإلا قد يبدوا للإنسان في أول وهلة أن المراد بتبديل كلام الله يعني تحريف الكلم بأن يأول مثلاً الإستواء بالإستيلاء واليد بالقدرة وما أشبه ذلك لكن المراد أن هؤلاء الذين أنكروا أن الله يتكلم وقالوا إن الكلام مخلوق أو أنه المعنى القائم بالنفس وما يسمع فهو عبارة عنه هؤلاء نعتبرهم مبدلين لكلام الله حيث حملوه على ما لم يكن صواباً ، وقوله **"أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"** هذا كقوله ﴿**فلا تعلم نفس ما لأخفي لهم منقرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون**﴾ فإن قال قائل إذا كانت العين لم تره والأذن لم تسمعه والقلب لم يخطر عليه هذا فكيف نعرف النعيم؟ قلنا نعرفه: بالقدر المشترك بين ما في الدنيا وما في الآخرة وإن كان ما في

الآخرة يختلف إختلافاً عظيماً عما في الدنيا ولهذا قال ابن عباس ليس في الجنه مما في الدنيا إلا الأسماء فقط أما المسميات فإنها تختلف إختلافاً كبيراً.

حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني سليمان الأحول أن طاوساً أخبره أنه "سمع ابن عباس يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تهجد من الليل قال: اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت"

الشاهد من هذا الحديث قوله: "وقولك الحق" فقول الله هو الحق فيما يحكم به وهو الحق فيما يخبر به فما حكم به فهو عدل أو فضل وما أخبر به فهو صدق كما قال تعالى ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾.

حدثنا حجاج ابن منهال حدثنا عبد الله ابن عمر النميرى حدثنا يونس ابن يزيد الأيلى قال سمعت الزهري قال "سمعت عروة ابن الزبير وسعيد ابن المسيب وعلقمة ابن وقاص وعبيد الله ابن عبد الله عن حديث عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا وكل حدثني طائفة من الحديث الذي حدثني عن عائشة ، قالت: ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل براءتي وحياً يتلى والتأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى ، ولكني كنت أرجوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرؤني الله بها فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك﴾ العشر الآيات".

الشاهد قولها رضى الله عنها "أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى" فأثبتت كلام الله عز وجل وفي هذا دليل على تواضع عائشة رضى الله عنها وهكذا ينبغي للإنسان أن يحقر نفسه لا أن ينزلها بمنزلة عالية فيغتر ويعجب ويتعاظم ولهذا يقال رحم الله إمرئ عرف قدر نفسه مع أن عائشة رضى الله عنها قدرها عظيم ولا سيما أنها فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقدح فيها بهذا الأمر قدحاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا كان إشاعة هذا الإفك من المنافقين ليس من أجل عائشة بنت أبي بكر هي إمرأة من النساء يجوز عليها ما يجوز على النساء لكن من أجل أنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم ليتوصلوا بالقدح فيها إلى القدح في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا عظم الله هذا الأمر ﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾.

فالشأن كل الشأن في في هذه القصة هو تطهير فراش الرسول صلى الله عليه وسلم مما يروم هؤلاء المنافقون وبراءة هذه المرأة الطيبة الطاهرة.

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا المغيرة ابن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة[٧٤] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة ، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها ، فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة".

هذا الشاهد منه قوله يقول الله **"إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة"** إلى آخره وفي هذا الحديث بيان فضل الله عز وجل على عباده حيث إن الشيئة لا تكتب حتى يعملها فإن هم بها فتركها لله كتبت حسنة لأنه تركها لله السيئة إذا هم بها و لم يعملها كتبت حسنة لأنه هم بها فتكتب حسنة على هذا الهم فإن عملها كتبت عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة واعلم أن من هم بالسيئة فلم يعملها فلا يخلوا من ثلاث حالات:-

الحالة الأولى:- أن يهم بها ثم يدعها لله يخوف من الله ويتركها كما فعل الرجل الذي هم أن يقع بإبنة عمه وهو أحد الثلاثة الذين إنطبق عليهم الغار فلما جلس منها ما يجلس الرجل من إمرأته قالت يا هذا اتق الله ولا تفظ الخاتم إلا بحقه فقام عنها وهى أحب الناس إليه هذا ترك هذا الفعل لله هذا يكتب له حسنة وهذه الحسنة تتضاعف بقدر ما يحمله عليها فإذا كان تركها شديداً عليه كان أجرها أكثر.

الحال الثانية:- أن يهم بالسيئة ثم يدعها لا لله ولا لخوف من أحد ولكنه زالت همته فهذا ليس عليه ولا له.

الحال الثالثة:- أن يهم بالسيئة ولكنه يدعها عاجزاً عنها يعرف أنه لا يمكنه ذلك كرجل هم أن يسرق ولكن عرف أن رجال الأمن لا يمكنوه من ذلك فهذا يكتب له سيئة أما إذا عمل العمل لأجل الوصول إلى السيئة ولكن عجز فهذا يكتب له عقاب السيئة كاملاً ودليل هذا الأخير قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم **"إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار"** قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه فيكتب عليه الوزر كاملاً أما الذي تركه عجزاً ولكن لم يعمل فإن هذا يكتب له الوزر لكنه ليس كوزر من فعل بل دون ذلك.

حدثنا اسماعيل ابن عبد الله حدثني سليمان ابن بلال عن معاوية ابن أبي مزرد عن سعيد ابن يسار "عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال: مَه ، قالت هذا مقام العئذ بك من القطيعة ، فقال: ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب ، قال: فذلك لك ، ثم قال أبو هريرة: فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم؟"

الشاهد من هذا **"قامت الرحم فقال مه"** القائل من؟ الله عز وجل ثم قال ألا ترضين إلى آخره والقائل هو الله فدل ذلك على أن كلام الله مسموع وأنه بحرف وهذا هو الذي أراده البخاري رحمه الله توكيداً.

الدرس والثلاثون:-

حدثنا مسدد حدثنا سفيان "عن صالح عن عبيد الله عن زيد ابن خالد قال: مُطِرَ النبي صلى ٧٥ الله عليه وسلم فقال: قال الله: أصبح من عبادي كافر بي ومؤمن بي"

هذا حديث مختصر من حديث مطول أن الرسول صلى الله عليه وسلم أصبح في الحديبية على إثر سماء كانت من الليل فقال "هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فهذا مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب" والشاهد من هذا الحديث قوله "قال الله" فأثبت لله تعالى قولاً.

حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه"

الشاهد فيه إضافة القول إلى الله عز وجل، لو قال قائل كل آية في القرآن يمكن أن نستدل بها على إضافة القول لله؟ نعم، ومن قال إن كلام الله مخلوق فقد بدل كلام الله.

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله أنا عند ظن عبدي بي".

حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رجل - لم يعمل خيراً قط - إذا مات فحرقوه وازروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: من خشيتك وأنت أعلم، فغفر له".

هذا الحديث فيه إشكال وهو أن ظاهره أن هذا القائل ظن أن الله لا يقدر عليه والشك في قدرة الله كفر، فكيف غفر الله له؟ يقال إن هذا كان جاهلاً فظن أنه إذا فعل ذلك فإن الله تعالى لا يبعثه فلم يلحقه معرة من ذلك، لكن ما في قلبه من خشية الله وخوفه منه هو الذي جعل الله تعالى يغفر له بسبب ما عنده من الخوف والخشية.

حدثنا أحمد ابن اسحاق حدثنا عمرو ابن عاصم حدثنا همام حدثنا اسحاق بن عبد الله سمعت عبد الرحمن ابن أبي عمرة قال: "سمعت أبا هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: ان عبداً أصاب ذنباً - وربما قال أذنب ذنباً - فقال: رب أذنبت ذنباً - وربما قال أصبت - فاغفر، فقال ربه أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي: ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً - أو أذنب ذنباً - فقال رب أذنبت - أو أصبت - آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً - وربما قال أصاب ذنباً - فقال: رب أصبت - أو أذنبت - آخر فاغفر لي، فقال أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء".

يعني فليعمل ما شاء من الذنب والتوبة منه فكلما أذنب الإنسان وتاب فإن الله يتوب عليه وإذا عاد إلى الذنب فإن التوبة الأولى لا تنخرم ولا تنهدم ، لكن يجب أن يجدد للذنب الثاني توبة فإذا جدد تاب الله عليه فقوله **"فليعمل ما شاء"** أي فليعمل ما شاء من المعاصي والذنوب ، والشاهد من هذا فقال علم عبدي .

حدثنا عبد الله ابن أبي الأسود حدثنا معتمر سمعت أبي حدثنا قتادة عن عقبة ابن عبد الغافر "عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلاً فيمن سلف – أو فيمن كان قبلكم – قال كلمة يعني أعطاه الله مالاً وولداً ، فلما حضرت الوفاة قال لبنيه: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب . قال: فإنه لم يبتئر – أو لم يبتز – عند الله خيراً وان يقدر الله عليه يعذبه ، فانظروا إذا مت فاحرقوني حتى إذا صرت فحماً فاسحقوني – أو فاسحكوني – فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها . فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي ، ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف ، فقال الله عز وجل كن . فإذا هو رجل قائم . قال الله: أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال فخافتك – أو فرق منك – قال: فما تلافاه أن رحمه عندها ، وقال مرة: فما تلافاه غيرها فحدثت به أبا عثمان فقال سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه: أذروني في البحر أو كما حدث"

هذا كالأول لكنه يختلف عنه بعض الشيئ ، والمقصود واحد وهو إثبات القول لله عز وجل .

حدثنا موسى حدثنا معتمر ، وقال:لو يبتئر ، وقال لي خليفة حدثنا معتمر وقال:لم يبتئر ، فسره قتادة لم يدخر .

باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم

حدثنا يوسف بن راشد حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا أبو بكر بن عياش عن حميد قال: "سمعت أنسا رضى الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون ، ثم أقول أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيئ ، فقال أنس كأني أنظر إلى أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم"

الشاهد من هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم مع الله .

حدثنا سليمان ابن حرب حدثنا حماد ابن زيد حدثنا معبد ابن هلال العنزي قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس ابن مالك وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة فإذا هو في قصره فوافقناه يصلى الضحى فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت لا تسأله عن شيئ أول من حديث الشفاعة فقال يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة فقال: حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال: إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فيقول لست لها . . . . " إلى آخر حديث الشفاعة .

سياق حديث أنس جيد وفيه أيضاً فائدة وهو أنه لم يذكر أعذار الأنبياء التي إعتذوا بها ، لم يذكر عذر آدم ، ولا عذر نوح ، ولا عذر إبراهيم ، ولا عذر موسى ، لأن المقام يقتضي ذلك ، فإن أهل البصرة في

آخر عمره حصل منهم بدع منكرة منها بدعة الخوارج وبدعة المعتزلة ولهذا طوى ذكر الشفاعة العظمى مع أن المراجعة للأنبياء إنما هى من أجل الشفاعة العظمى أن يقضي الله بين العباد فيريحهم من الموقف ، ثم أتي إلى ذكر الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها ، لأن المعتزلة والخوارج ينكرونها فأراد رضى الله عنه هو وغيره من الذين حدثوا بأحاديث الشفاعة في من دخل النار أن يخرج منها أرادوا أن يقرروا أن عصاة المومنين وإن دخلوا النار يخرجون منها.

حدثنا محمد ابن خالد حدثنا عبيد الله ابن موسى عن اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا ، فيقول له ربه ادخل الجنة ، فيقول رب الجنة ملأى ، فيقول له ذلك ثلاث مرات ، فكل ذلك يعيد عليه ، الجنة ملأى ، فيقول إن لك مثل الدنيا عشر مرار".

الشاهد من هذا قوله **"فيقول"** وهذا الكلام يوم القيامة كما قال البخاري.

حدثنا على بن حجر أخبرنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة"

قال الأعمش وحدثني عمرو ابن مرة عن خيثمة مثله وزاد فيه: ولو بكلمة طيبة

الشاهد قوله **"إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان".**

حدثنا عثمان ابن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله رضى الله عنه قال: جاء حبرة من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على اصبع والأرضين على اصبع والماء والثرى على اصبع والخلائق على اصبع ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك ، فلقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه تعجبياً وتصديقاً لقوله ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم "وما قدر الله حق قدره - إلى قوله - يشركون".

حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن صفوان ابن محرز " أن رجلاً سأل ابن عمر: كيف سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ قال: يدنوا أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم ، ويقول عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم ، فيقرره ثم يقول إني سترتها عليه في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم"

وقال آدم حدثنا شيبان قال حدثنا قتادة قال حدثنا صفوان عن ابن عمر رضى الله عنهما "قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم.

الشاهد من هذا قوله **"يضع كنفه عليه"** أى ستره **"فيقول أعملت كذا وكذا فيقول نعم"** وكما رأيتم البخاري رحمه الله أكثر من ذكر الأحاديث الدالة على كلام الله عز وجل وقوله لأنه في زمنه قد اشتدت محنة القول بخلق القرآن ، فكان لابد من أن يكثر الأحاديث في ذلك ليتقرر القول الحق في هذا.

باب ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾

١٧٨ - حدثنا يحي ابن بكير حدثنا الليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب حدثنا حميد ابن عبد الرحمن "عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: احتج آدم موسى ، فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة ، قال آدم: أنت موسى الذي إصطفاك الله برسالاته وكلامه ثم تلومني على أمر قد قدر علي قبل أن أخلق ، فحج آدم موسى".

باب قول الله تعالى ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ هذه الآية صريحة في أن الله سبحانه وتعالى يتكلم كلاماً حقيقة ، وجه الدلالة أن الفعل أُكد بالمصدر ، قال العلماء ومن فوائد التوكيد نفى إحتمال المجاز ، فإذا قلت مثلاً ضربت الرجل ضرباً فإن ضرباً تؤكد أن المراد بقولك ضربت الضرب الحقيقي ، كلم الله موسى تكليما كذلك تدل على أن الله سبحانه وتعالى كلم موسى تكليماً أى كلاماً حقيقة ، فالتوكيد ينفي إحتمال المجاز وأهل السنة والجماعة الذين بنوا عقيدتهم على عقيدة السلف نقول نؤمن بأن الله يتكلم كلاماً حقيقة يسمعه من وجه الخطاب إليه ، لكن أهل التعطيل والإنكار يقولون إن الله تعالى لا يتكلم كلاماً حقيقة ويقولون معنى هذه الأية ﴿كلم الله موسى تكليماً﴾ أى جرحه بمخالب الحكمة ، قالوا لأن الكلم بمعنى الجرح ومنه قوله تعالى "ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا إذا كان يوم القيامة جاء وكلمه يثعب دماً" أى جرحه ، فيقال هذا التفصيل الذي ذكرتم بعيد عن المعني بل ممتنع لأن الله يقول كلم الله موسى ، ثم قال بعضهم القراءة الصحيحة وكلم اللهَ موسى تكليمـاً ، فحرف اللفظ ، لماذا قال كلم اللهَ موسى تكليماً؟ ليكون الكلام من موسى لله ، فقيل له ماذا تقول في قوله تعالى ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ هذه لا يمكن فيها التحريف اللفظي ، فبهت.

ثم ساق المؤلف رحمه الله حديث إحتجاج موسى على آدم ، قال "أخرجت ذريتك من الجنة" لماذا؟ لأنه أكل من الشجرة بعد أن نهاه الله عن الأكل منها ، فلامه موسى لتسببه في إخراج الذرية من الجنة ، ولكن آدم قال "أنت موسى الذي اصطفاك برسالاته وكلامه" هذا هو الشاهد "ثم تلومني على أمر قد قدر على قبل أن أخلق فحج آدم موسى" أى فغلبه في الحجة ، وهذا الحديث اختلف فيه الناس فالمعتزلة قالوا هذا حديث لا يصح لأنه خبر آحاد وخبر الآحاد لا يقبل في العقائد وأفعال العباد ليست مكتوبة عند الله بل العبد مستقل بعمله ، وأما الجبرية فتلقوا هذا الحديث بالقبول وقالوا إن آدم إحتج بالقدر وحكم النبى صلى الله عليه وسلم بصحة احتجاجه على موسى ، وأهل السنة والجماعة قبلوا الحديث لكنهم قالوا ليس فيه دليل لمذهب الجبرية لأن آدم لم يحتج بالقدر على فعل المعصية وموسى أيضاً لم يحتج على آدم بفعل المعصية إنما احتج على إخراجه من الجنة ، فإحتج آدم بالقدر على المصيبة التي حصلت بغير إختياره وإرادته لأن آدم لو علم أنه سوف يخرج من الجنة ما أكل بدليل أن إبليس وسوس له وقال هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فيكون إحتجاج آدم بالقدر على المصائب لا على المعائب ونظير ذلك أن يسافر شخص فيصاب بحادث فيلومه لائم فيقول أنا ما سافرت من أجل أن يصيبني الحادث لكن هذا قضاء الله وقدره ، فآدم لم يأكل من الشجرة من أجل أن يخرج من الجنة لكن صارت النتيجة التي لم يعلم بها من قبل هو أنه خرج من الجنة فصار الإحتجاج هنا على المصيبة لا على الفعل ، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم "احرص على ما ينفعك

واستعن با لله ولا تعجز وإن أصابك شيئ – أى بعد الحرص – فلا تقل لو أني فعلت كذا لكن قل قدر الله[١٧٩]، – حينئذ احتج بالقدر، وهذا الوجه كما ترون ظاهر في القوة لا سيما وأن موسى عليه السلام أعلم وأبر من أن يصم أباه بعيب تاب منه وهداه الله واجتباه بعده، وخرج ابن القيم رحمه الله هذا الحديث تخريجاً آخر وقال إن آدم إنما إحتج بالقدر على معصيته بعد أن تاب إلى الله وندم، وليس كإحتجاج المشركين على شركهم الذي أبطله الله لأن إحتجاج المشركين على شركهم يريدون بذلك دفع اللوم عنهم واستمرارهم على شركهم، فأما إذا احتج الإنسان بالقدر على معصيته بعد أن تاب ورجع إلى الله فإن هذا لا بأس به مثاله رجل فعل معصية وتاب وصلح حاله فلامه بعض الناس فقال أفلت مني بقضاء الله وقدره وأنا أستغفر الله وأتوب إليه فهذا الإحتجاج على ما ذهب إليه ابن القيم إحتجاج صحيح واستدل له بحديث علي الذي مر علينا حين جاء النبى صلى الله عليه وسلم إلى بيت على فوجده نائماً هو وفاطمة فقال ما منعكما أن تقوما قال إن أنفسنا بيد الله ولكن ما ذهب إليه شيخ الإسلام رحمه الله بالنسبة لتخريج الحديث أولى أما بالنسبة لإحتجاج الإنسان بالقدر بعد فعل المعصية والتوبة منها فهذا لا بأس به.

حدثنا مسلم ابن ابراهيم حدثنا هشام حدثنا قتادة "عن أنس رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون له أنت آدم أب البشر خلقك الله بيده وأسجد لك الملائكة وعلمك أسماء كل شيئ، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا فيقول لهم لست هناكم، فيذكر لهم خطيئته الذي أصاب".

ذكر المؤلف هذا طرفاً من الحديث الطويل الذي فيه ذكر مرورهم على موسى وذكرهم أن الله كلمه.

حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا سليمان عن شريك ابن عبد الله أنه قال: سمعت ابن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقي جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشواً إيماناً وحكمة، فحشا به صدره ولغاديده – يعني عروق حلقه – ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها ..... " إلى آخر حديث المعراج.

انتبهوا إلى الحديث من مسجد الكعبة وهو نائم بالمسجد الحرام، ولكن اشتهر عند الناس أن الرسول صلى الله عليه وسلم أُسرى به من بيت أم هانئ، والصواب أنه أُسرى به من المسجد الحرام نفسه فإنه كان نائماً في الحجر فأسرى به من هناك، وجمع بينهما بعض العلماء فقال إنه كان نائماً في بيت أم هانئ فأوقظ ثم قام فنام في المسجد فكان ابتداء الإسراء من بيت أم هانئ ولكن حقيقته كانت من المسجد الحرام، وفيه

أيضاً أن مسجد الكعبة هو نفس المسجد الذي هو موضع الصلاة وعلى هذا فيكون التفضيل الوارد في[٤٨] أن صلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم خير من ألف صلاة مما سواه إلا المسجد الحرام هذا لفظ الصحيحين ، ولفظ مسلم من حديث ميمونة قال إلا مسجد الكعبة يدل على أن المراد بالمسجد الحرام هو موضع الصلاة المكان الذي فيه الكعبة وليس المراد جميع الحرم حتى نقول إن التضعيف يكون في جميع مكة بل نقول أن التضعيف يكون في المسجد الذي فيه الكعبة فقط ، كما أن الذي تشد إليه الرحال هو مسجد الكعبة فقط فلا تشد الرحال مثلا إلى مسجد في العزيزية أو مسجد في الأبطح أو ما أشبه ذلك.

والشاهد من هذا الحديث الكلام مع الله عز وجل في ليلة المعراج ، والمعراج والإسراء ثابتان في القرآن الكريم قال الله تعالى في الإسراء ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**﴾ وقال في المعراج ﴿**والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى – إلى أن قال – لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾ وهما على القول الراجح في ليلة واحدة ، والعروج كان بروحه وجسده وليس بروحه فقط وهو حقيقة وصاحبه فيه جبريل يصعد به إلى السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة حتى يصل إلى السماء السابعة.

وفي هذا الحديث أن موسى في السابعة وأن إبراهيم في السادسة وهو خطأ ، فإن إبراهيم في السابعة وموسى في السادسة وهارون في الخامسة وإدريس في الرابعة ، وهنا ذكر أن إدريس في الثانية وهو غلط أيضاً وهذا السياق الذي ذكره البخاري رحمه الله هنا فيه شيء يحتاج إلى تحرير وعلى كل حال فإن الإسراء والمعراج لا يُعلم متى كانت ، وما اشتهر عند الناس أنه ليلة السابع والعشرين من رجب لا أصل له ، وأقرب ما يقال أنه كان في ربيع الأول قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات ، صلى النبى صلى الله عليه وسلم هذه الثلاث سنوات الرباعية ركعتين ولما هاجر إلى المدينة زيد في صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى ، والمعراج من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم لم يعرج بأحد من الأنبياء قبله.

الدرس الحادي والثلاثون:–

"باب كلام الرب مع أهل الجنة"

حدثنا يحي ابن سليمان حدثني ابن وهب قال حدثني مالك عن زيد ابن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال "النبى صلى الله عليه وسلم إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون يا رب وأى شيء أفضل من ذلك؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً".

هذا فيه إثبات كلام الرب مع أهل الجنة وإثبات الرضا لله وإنتفاء السخط عن أهل الجنة ، أما القول فقد سبق الكلام فيه ، أما الرضا فهل هو من الصفات الذاتية أو الفعلية؟ من الصفات الفعلية ، لماذا؟ يتعلق بمشيئته ، وقد قلنا كل صفة ذات سبب فهى فعلية ، الرضا هل هو الإثابة والإعطاء أو هو شيء آخر؟ هو

شيئ آخر ، ولا يحرفه إلى الإثابة أو الإعطاء إلا من لا يثبتون الصفات الفعلية لله عز وجل ، ويحولون الصفات الفعلية إلى القدرة أو الإرادة أو المفعول.

حدثنا محمد ابن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء ابن يسار "عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أولست فيما شئت؟ قال: بلى ولكني أحب أن أزرع ، فأسرع وتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شي ، فقال الأعرابي لرسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله".

هذا من الفلاحين يريد أن يزرع حتى في الجنة ولكنه كما سمعتم يتبادر الطرف نباته يعني مثل الطرف ينبت بسرعة ويستوي بسرعة ويستحصد ويكوم بسرعة فيحصل ما في نفسه لأن الله قال: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ وإن كان ليس كزرع الدنيا يبقى ستة أشهر أو نحوها ، كنت أتوقع أن الأعرابي يسأل ويقول وهل في الجنة من إبل وأظنه ورد فيه هذا أن فيها نوقاً من الذهب لكن لا أذكره جيداً.

باب ذكر الله بالأمر ، وذكر العباد بالدعاء والتضرع والرسالة والبلاغ لقوله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت ، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون . فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ غمة: هم وضيق

قال مجاهد: اقضوا إلى ما في أنفسكم ، افرق: اقض

وقال مجاهد: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، انسان يأتيه فيسمع ما يقول ، وما أنزل عليه فهو آمن حتى يأتيه فيسمع كلام الله ، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء ، والنبأ العظيم: القرآن ، صوابا: حقا في الدنيا وعمل به

يقول البخاري رحمه الله "باب ذكر الله بالأمر وذكر العباد بالدعاء والتضرع والرسالة والإبلاغ" يعني أن الله سبحانه وتعالى يكون كلامه المضاف إليه كلامه بنفسه وأما العباد فلهم الدعاء والتضرع والرسالة والإبلاغ يقول تعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ كلام الله المبلّغ من قبل التالي وليس كلام الله الذي هو فوق العرش عز وجل ، ثم ذكر الآيات قال لقوله تعالى ﴿فاذكروني أذكركم واشكرو لي ولا تكفرون﴾ حذف المؤلف آخر الآية مع أنه كان ينبغي أن يذكر لأن الشكر لله هو العبادة ، إذكروني أذكركم هذا شرط وجواب إذكروني أمر جوابه أذكركم وهذا التركيب عند علماء النحو فيه قولان:-

القول الأول:- أن أذكركم جواب الأمر. القول الثاني:- أن أذكركم جواب لشرط مقدر تقديره فأذكروني ، إن تذكروني أذكركم.

ولكن القول الأول أصح لأنه إذا دار الكلام بين التقدير وعدمه فالأولى عدم التقدير والكلام يستقيم
بلا تقدير ، إذكروني أذكركم ، إذكروني بأى شيئ؟ بنفوسكم والسنتكم وجوارحكم ، من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملئ ذكرته في ملئ خير منهم ، إذاً فكونك ساعة من الليل تتأمل أو تتفكر في الرب عز وجل في أسمائه وصفاته وآياته الكونية والشرعية يعتبر هذا ذكراً ، وكونك تنطق بلسانك سبحان الله والحمد لله والله أكبر هذا ذكر ، وكونك تثني على الله عز وجل بنعمه عند جماعة من الناس هذا أيضاً ذكر وكونك تقوم بطاعته بالجوارح بالركوع والسجود والقيام والقعود وغير ذلك هذا أيضاً ذكر ، فالله تعالى يقول ﴿فاذكروني أذكركم﴾ والجزاء من جنس العمل ، واتل عليهم يا محمد نبأ نوح إذ قال لقومه ، النبأ هو الخبر الهام نوح أول الرسل إذ قال لقومه ، إذ متعلقة بقوله تعالى اتل أو بنبأ؟ هل تلاوته حين قال نوح لقومه؟ لا ، إذاً لا تصح بـ اتل ولكن نبأه ، إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله يعني عظم عليكم وشق عليكم فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ، وهذه قوة عظيمة وتحدي عظيم ، يقول إن كان الأمر قد كبر عليكم وعظم مقامي بينكم وتذكيري إياكم بآيات الله فأنا متوكل على الله معتمد عليه واثق به جل وعلا وأنتم لا تهمونني ، اجمعوا أمركم أى إعزموه وجدوا فيه واجمعوا شركاءكم ، ولهذا نقول الواو حرف عطف وشركاء مفعول لفعل محزوف تقديره واجمعوا شركاءكم ولا يصح أن يكون معطوفاً على أمر لأن المعنى يفسد ، ثم لم يكن أمركم عليكم غمة يعني ءإتوا إلىّ ببصيرة تحداهم بعدة أمور أولا أن يعزموا بلا تردد يؤخذ من قوله أجمعوا أمركم ، الثاني أن يجتمعوا بلا تفرق من قوله وشركاءكم ، الثالث:- أن يتأنوا بلا عماء من قوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة يعني ءإتوا بتأني وتبصر ، ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون يعني إنتهوا بالقضاء حتى تصلوا إلىّ وتقضوا علىّ ، سبحان الله وحيد يقول هذا الكلام لأنه آوى إلى ركن شديد إلى الله ، أول ما قدم توكلت على الله فعلى الله توكلت ، ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون أيضاً بسرعة وليكن قضاؤكم على بسرعة لا تمهلونـي ، يقول بعض العلماء إن هذا يعتبر آية أوتيها نوح لأن كونه يتحدى هذا التحدي لقومه وهو وحيد وعجزوا أن يدبروا ما تحداهم به يعتبر آية لأنه لم يذكر له آية معينة ، صالح له آية معينة وكذلك عيسى وموسى لكن نوح ما في آية معينة تدل على ذلك ، لكن مثل هذا الكلام وصبره على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يعتبر آية من آيات الله فإن توليتم فما سألتكم من أجر يعني إن توليتم فأنا لن أضيع لأني لست أقول آمنوا بي وأعطوني دراهم ، إن توليتم فإن ذلك لا يضر بالنسبة لي لأن لإيمانكم بي لا يعني أنكم تعطونني أجراً ، إن أجرى إلا على الله أجره على الله وثواب الآخرة الذي هو خير من ثواب الدنيا ، وأمرت أن أكون من المسلمين أمر وهو نبى أن يكون من المسلمين ، والإسلام وصف يشترك فيه الأنبياء وأتباعهم بإحسان كلهم مسلمين لكن هناك فرق بين إسلام الأنبياء وإسلام الأتباع ، أيهما أقوى؟ إسلام الأنبياء لا شك لكن يشتركون في كون كل منهما مسلماً.

يقول غمة: ضيق يعني بذلك قوله ثم لايكن أمركم عليكم غمة ، والمعنى الذي ذكره له وجه ولكن الذي ذكرناه أحسن يعني لا يكم أمركم فيه تعمية كما يقال غم الهلال إذا إستتر فلم يرى والمعني ءإتوا على بصيرة وتأني لكن ما قاله المؤلف لا بأس به.

قال مجاهد إقضوا إلى ما في أنفسكم وهو القضاء عليه أى إهلكوني أقتلونـي لكـن مـا استطاعوا إلى ذلك سبيلاً يقال أفرق: إقض ، هو لو قال أفرق كما قال تعالى أفرق بيننا وبين القـوم الفاسـقين يعـني إفصـل بيننا ، وقال مجاهد وهو إمام التابعين في التفسير وقد أخذ تفسيره عن عبد ا لله ابن مسعود رضـى ا لله عنهمـا قال في قوله تعالى ﴿وإن أحد من المشركين إستجارك فأجره حتى يسمع كلام ا لله﴾ إن أحد مشكلة كيـف دخلت إن الشرطية على أحد وهى إسم؟ خرجها علماء النحو على الوجوه التالية:-

الوجه الأول:- أنه لا مانع من أن يلي الإسـم حـرف الشـرط ، وعلى هـذا القـول يكـون قولـه أحـد مبتـدأ واستجارك خبره ، فأجره جـواب الشـرط وهـذا مذهـب الكوفـين ، ونظـير ذلـك قولـه تعـالى ﴿إذا السـماء انشقت﴾ يقولون السماء مبتدأ وإنشقت خبره.

الوجه الثاني:- أن أحد فاعل مقدم ، وأنه لا بأس بتقديم الفاعل ، وعلى هذا تكون الجملة فعليـة ، والتقديـر وإن استجارك أحد من المشركين ، لكن قدمت أحد فقيل وإن أحدٌ من المشركين لكن قدمت أحد فقيـل وإن أحد ، وهذا أيضاً مذهب الكوفين ، جواز تقديم الفاعل ، وعلى ذلك قولك زيـد قـام ، يقولـون زيـد فـاعل مقدم ، وقام فعل ماضي وليس فيه ضمير.

القول الثالث:- قول البصريين وهم في الغالب متشددون يقولون أحد فاعل لفعـل محـزوف يفسـره مـا بعـده والتقدير وإن استجارك أحد مـن المشـركين ، والمبتـدؤن في طلـب العلـم يقولـون التدير وإن اسـتجارك أحـدُ استجارك هذا غلط لأنه لا يجمع بين المُفَسِر والمُفَسَر فأنت إذا أردت التقدير تقول التدير وإن استجارك أحد.

على كل حال لدينا قاعدة دل عليها القرآن والسنة وهى أن نتبع الأيسر من أقـوال النحويـين لأننـا لا نأثم بذلك ، الدليل من القرآن ﴿يريد ا لله بكم اليسر﴾ الدليل من السنة "ما خير النبى صلى ا لله عليه وسلم بين شيئين إلا إختار أيسرهما بشرط ما لم يكن إثماً" ، استجارك أى طلب الجوار ، والجوار يعـني طلـب المنـع والحماية ، فأجره حتى يسمع كلام ا لله ، يعني لو قال رجل من الكفار الحربيين أجـيروني حتـى أسمـع القـرآن لعل ينتفع به فالواجب علينا أن نجيره حتى يسـمع كـلام ا لله فـإذا سمـع وكـان لـه قلـب وإن لم يكـن مسـلماً فسيتذكر لقوله تعالى ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ حتى يسمع كلام ا لله فإذا سمع كلام ا لله وقال أريد أن أرجع هل نقول له لا ترجع لابد أن تؤمن وإلا قتلناك لآنك تلعب علينا؟ الجواب لا ، ثم أبلغه مأمنة أنظر إلى معاملة الإسلام إلى غير أهله نرده إلى مأمنه أى إلى المكان الذي يـأمن فيـه وهو أرض الكافر ولا نقول له أنت لعبت علينا سمعت كلام ا لله و لم تؤمـن بـل نقـول نـردك إلى مـأمنك فـإن اهتديت فسنجدك وإن لم تهتدي فالحرب بيننا وبينك ، يقول: يأتيه إنسان فيستمع مـا يقـول ومـا أنـزل عليـه فهو آمن حتى يأتيه فيسمع كلام ا لله وحتى يبلغ مأمنه حيث جائه أى من المكان الذي جاء منه.

ثم قال: النبأ العظيم: القرآن ، يشير إلى قوله تعالى ﴿ عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هـم فيـه مختلفون ﴾ أو إلى قول ا لله تعالى ﴿ قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ﴾ وسواء هذا أو هذا فالمعنى واحـد ، النبأ العظيم الظاهر أنه يريد النبأ لقوله بعده صواباً حقاً ، إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ، وهذه في النبـأ

، حقاً قال في الدنيا وعمل به يعني يسمع القرآن في الدنيا ويعمل به أو قال صواباً يعني حقاً في الدنيا وعمل به- أى بالحق في الدنيا لأنه إذا عمل حقاً في الدنيا فإنه يكون من أهل الشفاعة فيؤذن له.

على كل حال المؤلف ما ذكر حديثاً في هذا الباب ولعله لم يجد حديثاً على شرطه يتعلق بهذا الباب ، والحاصل في هذا الباب أن الأمر من الله والدعاء والعبادة من المخلوقين والرسالة والإبلاغ على الرسل لقوله تعالى ﴿ إنما عليك البلاغ ﴾ ﴿ فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ والعلماء ورثة الأنبياء يجب عليهم أن يبلغوا ما وجب على الرسل ، أن يبلغوا ، وأما الهداية فإلى الله ، تبلغ الشرع فإن إهتدى الناس فهذا لك ولهم ، وإن لم يهتدوا فلك وعليهم.

باب قول الله تعالى:- ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾

وقوله جل ذكره ﴿ وتجعلون له أنداداً ذلك رب العلمين ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ ﴿ والذين يدعون مع الله إلهاً آخر ﴾

وقال عكرمة: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، ولئن سألتهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض ليقولن الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره ، وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقوله تعالى ﴿ وخلق كل شي فقدره تقديراً ﴾

وقال مجاهد: ما تنزل الملائكة إلا بالحق: يعني بالرسالة والعذاب ، ليسأل الصادقين عن صدقهم المبلغين المؤدين من الرسل ، وإنا له لحافظون عندنا ، والذي جاء بالصدق القرآن ، وصدق به المؤمن يقول يوم القيامة هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه.

قال المؤلف رحمه الله باب قول الله تعالى ﴿ **فلا تجعلوا لله أنداداً** ﴾ هذا الباب يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات ويتعلق بتوحيد العبادة وبتوحيد الربوبية لا تجعلوا لله أنداداً أى نظراء نداً لله فيكون فيه رد على أهل التمثيل وهذا يتعلق بتوحيد الصفات ورد على عباد الأصنام وهذا يتعلق بتولحيد العبادة ورد على من زعموا أن للعالم خالقين فيتعلق بتوحيد الربوبية فإن قال قائل هل في الآية رد على أهل التعطيل؟ فالجواب ، نعم مع أن أهل التعطيل لا يمثلوا لكن نقول نعم فيها رد على أهل التعطيل لأن أهل التعطيل بنوا تعطيلهم على فهم خاطئ وهو التمثيل فمثلوا أولاً وعطلوا ثانياً لأنه مثلاً فهموا من إثبات اليد أنها يد كأيدي المخلوقين هذا تمثيل ثم قالوا وبناء على ذلك يجب أن تفسر اليد بالقدرة فعطلوا ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية كل واحد من فريقى التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل ، المعطل ممثل معطل والممثل ممثل معطل ، كيف تمثيل المعطل؟ قلنا أنه مثل أولاً وعطل ثانياً ، ونقول في الممثل إنك معطل لأنك عطلت النصوص الدالة على أن الله ليس كمثله شيئ ، كل نص يدل على نفي التمثيل فالممثل قد عطله ، الثاني أنك قد عطلت الله من كماله الواجب لأن تمثيل الخالق بالمخلوق نقص ، الثالث: أنه عطل نفس النص الذي أثبت به الصفة لأن النص الذي أثبت به الصفة لا يدل على أنه صفة ممثلة للمخلوقين يدل على صفة مضافة إلى رب لا يماثل المربوب ، وقال جل ذكره ﴿**وتجعلون له أنداداً ذلك رب العلمين**﴾ هذا معطوف على قوله تعالى ﴿**قل ءإنكم لتكفرون**

بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً﴾ وهو عز وجل لا ند له ذلك رب العالمين ، وأين الند الذي يكون رباً للعالمين؟ لا يوجد ، إذاً فأنتم كاذبون في جعل الأنداد لله ، وقوله تعالى ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ لا يدعون دعاء مسألة أو دعاء عبادة؟ الاثنين لا يدعون مع الله إلهاً آخر دعاء مسألة ولا دعاء عبادة لكن دعاء المسألة فيما يمكن أن يجيب جائز ، لو دعوت إنسان وقلت له تعالى احمل معي هذا المتاع هذا جائز ، أما دعاء العبادة فلا يجوز بوجه من الوجوه إلا لله ، وقال تعالى ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لإن أشركت ليحبطن عملك ولا تكونن من الخاسرين﴾ ولقد أوحى الجملة هذه مؤكدة بثلاثة مؤكدات ، القسم المقدر واللام وقد ، وقوله ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ قوله لئن أشركت هل الموحى لمن قبله أنه قيل له لئن أشرك محمد ليحبطن عمله؟ لا ، أوحى إلى كل واحد فقيل له لئن أشركت ليحبطن عملك إذاً فالجملة موزعة على كل واحد ما هى للرسول فقط بل لكل واحد أوحى إليه هذه الجملة لئن أشركت ليحبطن عملك واتكونن من الخاسرين وهذه الآية فيها إشكال كيف يقال للرسول عليه الصلاة والسلام لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فقال بعض العلماء أى لئن أشركت أمتك ليحبطن عملك ما هو لا يشرك لكن المعنى لئن أشرك أحد من أمتك ليحبطن عمله وهذا نظير قول من قال فاستغفر لذنبك أى بذنب أمتك وهذا كما ترون جواب ليس بصحيح لأن الخطاب نص لئن أشركت ليحبطن عملك ولكن الجواب الصحيح أنه لا يلزم من تعليقه بالشرط أن يقع المشروط لا يلزم ، ونظيره قوله تعالى قل إن كان للرحمن ولد فإنا أول العابدين وهل يمكن أن يكون للرحمن ولد؟ لا يمكن ، فالتعليق بالشرط لا يلزم منه وقوع المشروط فهنا إن شرط والمشروط أشركت جواب الشرط ليحبطن عملك نعم إن أشرك حبط عمله لكن هل معناه يشرك؟ لا ، نقول للإنسان إن قتلت زيداً قتلناك هل يلزم أن يقتل زيداً؟ لا يلزم بل قد يكون ممتنعاً كما كان الشرك في حق الرسول ممتنعاً وهذا الجواب ما فيه اشكال ولا فيه أى تعقيب ، لئن أشركت ليحبطن عملك ولا تكونن من الخاسرين بل الله فاعبد الشاهد قوله بل الله فاعبد حيث خص العباد بمن بالله ووجه الإختصاص تقديم المفعول ولهذا قال المعربون في الفاء في قوله فاعبد إنها زائدة لتحسين اللفظ وأن أصل التركيب بل الله اعبد لكن من أجل تحسين اللفظ زيدت الفاء كما زيدت في قولهم فقط بمعنى قط فزادوا فقط الفاء لتحسين اللفظ أعطى فلاناً مائة درهم فقط كقولك أعطى فلاناً مائة درهم قط يعني فحسب لا تزد لكن زيدت الفاء لتحسين اللفظ وعلى هذا فإن الآية فيها دليل على أن الله وحده جل وعلا هو المختص بالعبادة وأنه لا يعبد أحد سواه لا ملك مقرب ولا نبى محسن وكن من الشاكرين ، أى الشاكرين الله على نعمه ومن أكبر النعم أن يوفقك الله عز وجل لعبادته وحده وقال عكرمة وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ولئن سألتهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض ليقولن الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره يعني أن عكرمة رحمه الله فسر هذه الآية تفسيراً واضحاً جداً وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ما هو الإيمان الذي آمنوه؟ هو الإيمان بالربوبية وما هو الشرك الذي أشركوا به هو الإشراك في الألوهية واستدل عكرمة لكونهم مومنون بالربوبية لقوله ولئن سألتهم من خلقهم؟ ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله .

والمؤلف ما ساق الآية على أنها آية بل هى من قول عكرمة يعني أن هؤلاء يقرون بالربوبية وأن ٥٦الخالق - السموات والأرض وخالقهم هو الله لكن هم يعبدون غيره وهذا شركهم فالآية إذاً واضحة جداً وما يؤمن أكثرهم بالله أى بربوبيته إلا وهم مشركون أى في ألوهيته كذلك أيضاً غيرهم يوجد من يؤمن بالله وهو مشرك من كان همه المال فهو مؤمن بالله مشرك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال "**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة إن أعطى رضى وإن لم يعطى سخط**" فسماه الرسول عبداً فالذي يؤثر المال على الأعمال الصالحة وإن عملها يعتبر مشركاً عابداً لها كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا نقول في حقه ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ إنسان تقلد وتراً علق تميمة محرمة نقول له وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون.

ثم قال البخاري وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقوله تعالى ﴿ **فخلق كل شيئ فقدره تقديراً** ﴾ وذكر هنا خلق الأفعال لأن من أهل القبلة من أشرك في خلق الأفعال من؟ القدرية ، أشركوا في خلق الأفعال قالوا إن الإنسان خالق عمله وخالق كسبه فأخرجوا قسماً من الحوادث عن خلق الله عز وجل كل أفعال الناس والمواشى وغيرها كلها خارجة عن خلق الله ولهذا سماهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم مجوس هذه الأمة لمشابهتهم المجوس المشركين لأن المجوس المشركين يقولون إن الحوادث لها خالقان ظلمة ونور فالشر خالقه الظلمة والخير خالقه النور هؤلاء القدرية يقولون الحوادث التي تكون في الكون منها ما يخلقه الله وهو فعله ومنها ما يخلقه غير الله وهو فعل العباد ولهذا ذكر المؤلف هذه المسألة خلق أفعال العباد في باب لا تجعلوا لله أنداداً رداً على المعتزلة الذين قالوا إن الإنسان خالق عمله وكسبه فيكونون بذلك مشركين جاعلين لله أنداداً خلق أفعال العباد لو قال قائل ما هو الدليل على أن الله خالق أفعال العباد قالنا استمع إلى البخاري استدل بقوله تعالى وخلق كل شيئ فقدره تقديراً خلق كل شيئ وهل أفعال العباد من الشيئ أو لا؟ وهل تدخل في العموم أو لا تدخل؟ نعم ، تدخل في العموم وقوله فقدره تقديراً هل المراد بالتقدير التقدير الأول وهو القضاء أو المراد به التسوية خلق كل شيئ أى سواه وجعله على قدر معلوم كقوله الذي خلق فسوى أو المراد التقدير الأول الذي قدره الله في الأزل إذا قلنا بالثاني أشكل علينا الترتيب لأننا على هذا التقدير تكون التسوية قبل الخلق وقوعاً وهى الأن بعد الخلق ذكراً فما هو الجواب؟ إذا قلنا فقدره تقديراً يعني قدره في الأزل قبل الخلق لأن الله كتب مقادير كل شيئ قبل أن يخلق السموات بخمسين ألف سنة فإذا قلنا قدره تقديراً أى في الأزل فأيهما السابق الخلق أو التقدير؟ التقدير ، هنا قال خلق كل شيئ فقدره والفاء للترتيب فكيف يكون هذا قالوا إن هذا من باب الترتيب الذكري يعني أخر التقدير ذكراً وإن كان سابقاً واقعاً بحسب الوقوع التدير قبل الخلق بحسب الذكر التقدير بعد الخلق وهذا يسمى الترتيب الذكري لا الواقعي والترتيب الذكري موجود في اللغة العربية وموجود في القرآن يقول الشاعر:-

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد من بعد ذلك جده

ومعلوم أن سيادة الجد سابقة على سيادة الجد وسيادة الأب سابقة على سيادة الإبن لكن يكون هذا من باب الترتيب الذكري وقال تعالى ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**

فسجدوا ﴾ ومعلوم أن تصويرنا وخلقنا بعد سجود الملائكة لآدم فهذه الآية أيضاً فيها ترتيب ذكري إلا المراد بقوله خلقناكم أى خلقنا أباكم ثم صورنا أباكم فإن قيل هذا معناها فالترتيب على ما هو عليه القول الثاني أن التقدير هنا بمعنى التسوية خلق كل شيئ فقدوه أى جعله على قدر معلوم وسواه لقوله تعالى ﴿**والذي خلق فسوى**﴾ وعلى هذا الوجه يكون الترتيب واقعياً ولا إشكال فيه الشاهد أن ا لله تعالى خلق أفعال العباد لأنه خلق كل شيئ وهنا قد يشكل على الإنسان كيف يكون ا لله خلق أفعال العباد مع أن الفعل فعل العبد فالمصلي هو العبد والصائم هو العبد والقائم هو العبد والآكل هو العبد والشارب والمتخلي هو العبد والمتوضي هو العبد كيف يكون هذا خلقاً لله عز وجل يقال وجه ذلك أن فعل البد ناشئ عن أمرين إرادة جازمة وقدرة إذ لولا الإرادة لم يفعل بعدم الإرادة ولولا القدرة لم يفعل للعجز فمن الذي خلق إرادته وقدرته؟ ا لله ، وخالق السبب التام خالق للمسبب فهذا وجه كونه كون أفعالنا مخلوقة لله أن أفعالنا ناشئة عن إرادة جازمة وقدرة والذي خلق الإرادة والقدرة هو ا لله فما نشأ عنهما فهو خلق ا لله لأن خالق السبب التام خالق للمسبب يبقى عندنا إذا كان هذا خلق ا لله فكيف يعذبنا ا لله على فعله ، نقول إن هذا خلق ا لله وليس فعله الفعل فعلنا فالآكل نحن والشاب والمصلي والصائم نحن وهلم جرة فهو فعلنا ويضاف إلينا وهو خلق ا لله عز وجل فالمباشر إذاً من؟ الإنسان هو المباشر ولهذا يجازى على عمله لأنه مباشر له والخالق باعتبار السبب التام هو ا لله عز وجل وهذا أمر لا إشكال فيه لكن لما ذاق بطان القدرية وذاق بطان الجبرية عن الجمع بين المنقول والمعقول ذهبت الجبرية إلى المنقول وذهبت القدرية إلى المعقول ، الجبرية أخذوا بنصوص العموم في القضاء والقدر وقالوا ليس للإنسان أى قدرة وأى قوة وأى إرادة والإنسان مسكين مسير مكره مرغم فالذي ينزل من السطح بالدرج رويداً رويداً كالذي يلقى من السطح بغير إختياره ، هل هذا صحيح؟ عقلاً؟ لا ، لكن هم يقولون هذا شرعاً لأن الكل بقضاء ا لله وقدره والإنسان مجبور؟

قالوا لهم على تقديركم هذا يكون ا لله سبحانه وتعالى ظالماً لعباده حيث أجبرهم على فعل المعصية ثم عاقبهم عليها ، وهل هذا إلا عين الظلم ، تجبره على أنه يفعل ثم تعذبه ، لو قلت لولدك مثلاً كل هذه الخبزة والإدام ، وأنت قد هيأتها للضيوف فقلت قل هذه الخبزة والإدام ، قال يا أبتِ هذا للضيوف يأتي الضيوف ولم يجدوا شيئاً قال كل وإلا ضربتك أو قطعت رأسك أجبره حتى أكل فلما أكل ضربه ، لماذا تأكل طعام الضيوف؟ هذا ظلم ولا عدل؟ ظلم واضح كأن يجبر في الأول ثم يعاقب على ما أجبر عليه ، فقيل لهم إذا قلتم أن ا لله مجبر الإنسان على عمله ثم يعمل المعصية قهراً ثم يعاقب عليها هذا ظلم قالوا ما شاء ا لله الملك لمن؟ لله ملك السموات والأرض ، والمالك المطلق يتصرف في ملكه كما يشاء ولا يتصور الظلم في حقه لأنه تصرف في ملكه والمتصرف في ملكه ليس بظالم ، ولهذا قالوا إن الظلم في حق ا لله مستحيل لعينه ، قال ابن القيم في النونية:- والظلم عندهم المحال لذاته ، الظلم أن تتصرف في حق غيرك أما في حقك ما هو ظلم فماذا نقول مع هؤلاء؟ نقول إن هذا ظلم وا لله سبحانه وتعالى قد نفاه عن نفسه فقال ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ وقال ﴿**ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد**﴾ وقال في الحدبث القدسي "**حرمت الظلم على نفسي**" وهذا يدل على أن الظلم ممكن في ذاته وأنتم تقولون مستحيل لذاته ، لأنه لولا إمكانه لذاته ما صح أن يتمدح

ا لله بإنتفائه عنه ، فلولا أنه قادر على الظلم لكن تركه لكمال عدله لم يكن في إنتفاء الظلم عنه مدح ، فالظلم ممكن عقلا في حق ا لله لكن شرعا لا يمكن ، وبمقتضى عدله لا يمكن ، هذا هو الرد على الجبرية .

جاء القدرية وقالوا نحن أصحاب المعقول والقدرية هم المعتزلة ، والمعتزلة عند كثير من الناس هم أصحاب العقول وهم النظار أصحاب النظر ، قالوا نحن أسعد بالدليل من الجبرية ، كل إنسان يعرف أنه يفعل كما شاء كما قال تعالى ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ كل إنسان يعرف أنه يخرج إلى المسجد ويرجع إلى البيت يخرج إلى الدكان يبيع ويشتري لا يحس أن أحدا يكرهه إطلاقا ، ولو قال أريد أن أذهب إلى المكان الفلاني فقيل له في المكان الفلاني سبع يأكل ، ماذا يقول؟ يقول عدلت ، هل أحد أجبره على الإرادة الأولى وعلى الإرادة الثانية؟ لا أحد ، وقالوا أننا إذا قلنا بذلك تبين كمال عدل ا لله عز وجل حيث عاقب من عصى ، لأن الذي يعصي يعصي بإختياره ومشيئته وبه يتبين كمال العدل ، فنحن أصحاب العدل ولذلك هم عندهم أنهم هم أصحاب العدل ، وهذا في المعقول أقرب من مذهب الجبرية لا شك ، وهو في الحقيقة هو الذي يشكل على الأنسان الكل يعرف أنه يفعل بإختياره ولا إشكال فيه لكن المشكل هذا إذا قالوا أن الإنسان يفعل فعلاً مستقلاً ما لله دخل فيه ليس لله فيه دخل يعني ما شائه ولا قدره ولا خلقه كل منهما أى من الطائفتين عجز بطانه عن الجمع بين الشرع والعقل أما أهل السنة فقالوا كل منكم معه حق الجبرية معهم حق وهو أن كل شيئ بقضاء ا لله وقدره وأن كل شيئ مخلوق لله نوافق على هذا المعتزلة معهم حق في أن الإنسان يعمل بإختياره فعلاً وتركاً ولا أحد يجبره في ظاهر الحال هو مريد مختار فاعل ولهذا إذا جاء الفعل بغير إرادته فإنه يعفى عنه لو أكد على الفعل فلا حكم لهذا الفعل ولكننا نقول هذا الفعل الإختياري الذي يقع منا نعلم علم اليقين أن ا لله قدره سابقاً وأن ا لله خلقه لاحقاً وعرفتم وجه خلق ا لله له ما وجهه؟ أن فعل العبد ناشئ عن إرادة جازمة وقدرة والإرادة والقدرة مخلوقة لله عز وجل وما نشأ عن السبب فله حكم المسبب أى أن ما نشأ عن القدرة والإرادة التي هى مخلوقة لله فإن خالق السبب التام خالق للمسبب ، وبهذا نجمع بين الشرع والعقل لقوله تعالى ﴿فهدى ا لله الذين آمنوا لما إختلفوا فيه من الحق بإذنه وا لله يهدي من يشاء إلى سراط مستقيم﴾ وأكثر ضلال العالم إذا تأملته وجدت السبب فيه أنهم ينظرون إلى النصوص من زاوية واحدة ولو نظروا إليها من كل الزوايا لهدوا.

الدرس الثاني والثلاثون:-

وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقول ا لله تعالى:- ﴿ وخلق كل شي فقدره تقديراً ﴾

وقال مجاهد: ما تنزل الملائكة إلا بالحق: يعني بالرسالة والعذاب ، ليسأل الصادقين عن صدقهم المبلغين المؤدين من الرسل ، وإنا له لحافظون عندنا ، والذي جاء بالصدق القرآن ، وصدق به المؤمن يقول يوم القيامة هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه .

يقول المؤلف رحمه ا لله: **وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقول ا لله تعالى ﴿ وخلق كل شيئ فقدره تقديراً ﴾** وتكلمنا على خلق فقدر وقلنا أن المراد بالتقدير هنا التسوية ، وقال مجاهد:- **ما تنزل الملائكة إلا بالحق** ولفظ الآية الكريمة **﴿ ما ننزل الملائكة إلا بالحق ﴾** والمراد بالحق **يقول بالرسالة والعذاب**

، الرسالة التي بها التكليف والعذاب الذي به بيان الجزاء ، ولهذا كان القرآن مشتملاً على الأحكام الشرعية وعلى العذاب لمن عصى وخالف ، **ليسأل الصادقين عن صدقهم** ليسأل الفاعل الله عز وجل ، الصادقين عن صدقهم يعني هل ما صدقوا به مطابق لفعلهم أم لا؟ ومن الصادقين الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال الله تعالى ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين** ﴾ ولهذا قال المبلغين المؤدين من الرسل وهو سبحانه وتعالى يسأل الرسل ويسأل المرسل إليهم ، المرسل إليهم يقول ﴿ **ويوم يناديهم فيقولوا ماذا أجبتم المرسلين** ﴾ يا لها من كلمة عظيمة فكر في الإجابة عليها ماذا تقول يوم القيامة؟ هل تقول أجبت بالسمع والطاعة والتصديق والقبول أم ماذا؟ أما الرسل فيسألهم هل بلغوا أم ام يبلغوا؟ فيشهدون بأنهم بلغوا ، قال عيسى حينما سأله الله عز وجل ﴿ **ءأنت قلت للناس إتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به** ﴾ ، **وقوله وإنا له حافظون** ، ما الذي تكفل الله بحفظه؟ القرآن ، لقوله تعالى ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ أما أعمال بني آدم فقد قال الله تعالى ﴿ **وإنا عليكم لحافظين كراماً كاتبين** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** ﴾ قال: **والذي جاء بالصدق** أى القرآن ، وصدق به المؤمن يشير إلى قوله تعالى ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** ﴾ فيقول الصدق هو القرآن ، وعلى هذا يكون الذي جاء بالصدق الرسول عليه الصلاة والسلام لأنه هو الذي جاء بالقرآن ، وصدق به المؤمن أى المرسل إليه وعلى هذا فيكون العطف هنا عطف مغاير على مغايره لأن الذي جاء بالصدق هو الرسول والذي صدق به المؤمنون ، والصواب أن مرجع الضميرين واحد وأن الذي جاء بالصدق وصدق به هو الرسول عليه الصلاة والسلام وورثته من العلماء ، جاؤا بالصدق وصدقوا به ، فهم آتون بالصدق من قبل أنفسهم وكذلك مصدقون لمن قامت البينة على صدقهم.

يقول يوم القيامة هذا الذي أعطيتني عملت به ، فيكون يوم القيامة يأتي بالصدق مصدقاً به والشاهد من هذا كله يعود على ما ذكر من الإشارة إلى أن أفعال بني آدم مخلوقة لله ومنسوبة إليهم ، ولهذا قال والذي جاء بالصدق.

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عمرو ابن شرحبيل "عن عبد الله قال: سألت النبى صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، قلت: إن ذلك لعظيم ، قلت: ثم أى؟ قال: ثم أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك قلت ثم أى؟ قال: أن تزاني بحليلة جارك"

هذه الترتيبات الثلاث موافقة لآية الفرقان ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلقى أثاما** ﴾ إلى أخر الآيات ، **فأعظم الذنب عند الله** أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، الشاهد من هذا الحديث قوله "وهو خلقك" هذا أعظم الذنب عند الله ، كيف تعبد من لم يخلقك؟ كيف تنيب إلى من لم يخلقك؟ وهكذا نقول في كل مشرك ، بعد ذلك أن تقتل ولدك ، الذكر أو الأنثى؟ يشمل الذكر والأنثى لأن ولد في اللغة العربية بمعنى مولود وهو صالح للذكر والأنثى

، وقوله "تخاف أن يطعم معك" فإن قتلته كراهة له وبغضاً له؟ هل يدخل أو لا؟ يدخل في هذا بل قد يكون أولى لأنك إذا كنت تقتله إتقاء الإنفاق عليه فقتله اغير هذا السبب من باب أولى ، وقوله "ثم أي قال: أن تزاني بحليلة جارك" تزاني بها أى تدعوها إلى الزني حتى توافق ، وإنما كانت المزاناة بحليلة الجار أشد لأن الجار في الحقيقة قد أمنك واطمئن إليك فإذا ختته في أهله كان هذا أعظم مما لو زنيت بإمرأة أجنبية ، هذا أعظم الزنى أن تزاني بحليلة جارك.

الدرس الثالث والثلاثون :-

باب قول الله تعالى:- ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾

باب قول الله تعالى ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ أى ما كنتم تستخفون بالمعاصي الشرك فما دونه خشية أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، أو لألا يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، لأنكم لا تؤمنون بهذا ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ، هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله لإثبات علم الله سبحانه وتعالى بما خفى كعلمه بما ظهر فهؤلاء يستخفون في بيوتهم ويبيتون ما لا يرضى من القول لا ظناً منهم أنهم سيبعثون ويشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم لأنهم لا يؤمنون بذلك ، لكنهم يظنون أنهم إذا استتروا عن أعين الناس استتروا عن علم الله عز وجل.

الذي يظهر لي أن ما قاله الحافظ وما قاله ابن بطال اظهار إثبات العلم ، أن المؤلف رحمه الله أراد بذلك إثبات علم الله عز وجل بما خفي وما ظهر ، وأما كون الآية تنزل بعد الحادثة ففيها دليل على أن كلام الله تعالى يتجدد فهذا له مناسبة لكنها غير واضحة وقد سبق لنا أن كلام الله في أصله من الصفات الذاتية لكنه في آحاده من الصفات الفعلية يعني أن الله لم يزل ولا يزال يتكلم ، لكن كونه هذا الكلام المعين هذا هو الذي يكون حادثاً يحدثه الله سبحانه وتعالى متى شاء ، وفي الصحيح من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أنه لما رجع من الحبشة وجد النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فسلم عليه وكانوا يسلمون عليه فيرد عليهم السلام حتى نزل قول الله تعالى ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ فأمروا بالسكوت ونهوا عن الكلام ، فسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه السلام يقول فصار في نفسي وأخذني ما قرب وما بعد ، وكان من عادته صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم السلام ، فلما سلم قال: إن الله يحدث من أمره ما شاء وأن مما أحدثه ألا تتكلموا في الصلاة ، ومعلوم أن هذا الحكم ثبت بنزول قوله تعالى ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ ويدل على هذا قوله تعالى ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه ﴾ وليس المعنى أنه مخلوق بل محدث الكلام به ، فالله تعالى يتكلم متى شاء وبما شاء.

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت ثقفيين وقرشي ، أو قرشيان وثقفي - كثيرة شحم بطونهم ، قليلة فقه قلوبهم ،

فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إذا جهرنا ، ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله تعالى:- ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾.

في هذا الحديث قياس وجه ذلك لأنه إذا كان لا يمنعه بعده من سماع ما يجهر به فلن يمنعه بعده من سماع ما نخفي ، لأن البعد بين الله عز وجل وبين الخلق لا يمكن قياسه ولا يعلمه الله عز وجل ، ومعروف أن الصوت الخفي لا يسمع والذي يجهر يسمع ولكن في حدود معينة ، وسماعه لما يجهر به في غير الحدود المعروفة ، فإذا كان يسمع من هذا البعد ما نجهر فإنه يسمع أيضاً ما نسر ونخفي ، وفيه أيضاً إشارة إلى أن كثير شحم البطن قليل الفقه وإن كان قد يقال إن كبر البطن يدل على كثرة الأكل وأن كثرة الأكل تميت القلب وتكثر الغفلة ، ولهذا ذكروا أن من فوائد الصيام أن الإنسان يتفرغ للذكر أكثر مما لو كان شابعاً ، لأن الشبع يكثر الغفلة ، فإذا كان سيؤخذ من هذا الوجه فإنه يتبين حسن قول النبي صلى الله عليه وسلم " **حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** " ولو أننا أخذنا بهذا الطريق وبهذا التوجيه النبوي الطبي ما صار تنتابنا هذه التغيرات في المعدة والأمعاء وغيرها لأن هذا هو حقيقة الطب ، وقد سمعت أنهم في البلاد التي يدعون أنهم متحضرون يعملون هكذا ، يأكلون خمس مرات أو ست مرات في اليوم والليلة ، لكن الذي يأكل لا يأكل إلا يسيراً يقتصر على شيء يسير ثم يجوع سريعاً فيأكل وهذا في الحقيقة أخذوه من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم أما نحن فإننا مع الأسف إعتمدنا على حديث أبا هريرة رضي الله عنه في قصة اللبن حين يقي بقية قال اشرب فشرب حتى قال لا أجد له مساراً يعني لا أجد له مكاناً في البطن ، أبو هريرة جاءت هذه مرة واحدة في عمره أما نحن ماشاء الله كل يوم تأتي قصة أبو هريرة.

المهم هل نأخذ من هذا الحديث أن كبير البطن يكون قليل الفقه؟ لا ، ولهذا يقال أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يوصف بأنه البطين أي كبير البطن مع أنه من أفقه الصاحبة رضي الله عنه ، حتى أنه إشتهر المثل المعروف:- قضية ولا أبا حسن لها ، هذا جاء به النحويون.

باب قول الله تعالى ﴿ كل يوم هو في شأن وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ وقوله تعالى ﴿ لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وقال ابن مسعد عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء وأن مما أحدث أن لا تتكلموا في الصلاة.

البخاري رحمه الله ساق هذا الباب وهو مهم بالنسبة لأفعال الله عز وجل لإثبات أن لله تعالى صفات هي أفعال يفعلها متى شاء ويصح أن نطلق عليها حادثة ، لكنها ليست كحدوث المخلوقين التي قد يعتريها العجز وقد يعتريها الخفاء وما أشبه ذلك من نواقص حوادث المخلوقين.

يقول الله عز وجل ﴿ **يسأله من في السموات والأرض** ﴾ يسأله من؟ يسأل الله عز وجل ، كل من في السموات والأرض يسألون الله مفتقرون إليه ﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾ سبحانه وتعالى كل يوم هو في

شأن يغني فقيراً ويفقر غنياً ويوجد معدوماً يعدم موجوداً ويمرض صحيحاً ويشفي مريضاً وهكـذا ، كـل يـوم هو في شأن وهذا الشأن ليس شأناً واحداً بل شئون عظيمة لا يحصيهـا إلا الله عـز وجـل ، لأن كـل شـيئ لا يقوم إلا بأمره وهو قائم على كل نفس بما كسبت ، لـو أردت أن تحصـي أجنـاس المخلوقـات مـا إسـتطعت فكيف بأنواعها؟ فكيف بأفرادها؟ الذرة في جحرها يدبرها الله عز وجل لقوله تعالى ﴿ **مـا مـن دابـة إلا هـو آخذ بناصيتها** ﴾ كل يوم هو في شأن عظيم من شئونه عز وجل ، يفعل ما يشاء ، وكونه سبحانه كـل يـوم هو في شأن يدل على أن الحوادث تكون بأمره عز وجل وأنه يحدث من خلقه ما شاء ويحدث مـن شـرعه مـا شاء وقت نزول الوحى أما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه لا يمكن أن يحدث شيئاً في الشرع ولا يتغير

وقال تعالى: ﴿ **وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا سمعوه وهم يلعبـون** ﴾ فـإثبت عـز وجـل أن الذكـر الذي يأتي من الله يكون محدث وقال تعالى: ﴿ **لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً** ﴾ هذا في المطلقة إذا طلقت طلاقاً رجعياً يجب أن تبقى بالبيت لماذا؟ لأنه ربما تصلح الأحوال وينقلب بغض الزوج لها محبة وسخطه عليها رضا فيراجعها وهي في البيت لا يعلمها أحد فلهذا قال لا تدري لعل الله يحـدث بعـد ذلـك أمـراً يعني المراجعة وإذا حدث ذلك لم يبقى على ما حصل أحد وإن كان يجب أن يكـون الطـلاق بشـهود وأن يكـون الرجع بشهود أو يستحب على خلاف في ذلك لكن هذا لا يمنع من أن تبقى الزوجة في البيت الشـاهد قولـه: يحدث بعد ذلك أمراً وهو رجـوع الـزوج إلى زوجتـه قـال وأن حدثـه لا يشـبه حـدث المخلوقـين لقـول الله تعالى:- ﴿ **ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير** ﴾ نعم لا يشبه حدث المخلوقـين لا مـن جهـة العلـم ولا القدرة ولا الإحداث أيضاً حدثه للشيئ بكلمة كن فيكون حدث المخلوقين فيه عمل ومعاناة وقد يحصل وقـد لا يحصل أما الرب عز وجل فـإن إحداثـه لا يشـبه إحـداث المخلوقـين واسـتدلوا بذلـك أنـه لا يشـبه حـدث المخلوقين بقوله تعالى ﴿ **ليس كمثله شيئ وهو السـميع البصـير** ﴾ وقال ابن مسعود عن النبى صلى الله عليـه وسلم " **إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث ألا يتكلم في الصلاة** " وهذا إحداث شرعي والأول لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً إحداث قدري لأن مراجعة الزوج زوجتـه ليـس وحيـاً ينـزل أو حكمـاً يتجـدد ولكنه حكم قدري يلقيه الله عز وجل في قلب الزوج ويراجع الزوجة إذا فالله تعالى يحدث من أمـره الكونـي ومن أمره الشرعي ما شاء لكن الأمر الشرعي انقطع الإحداث بالأمر الشرعي انقطع بماذا؟ بوفـاة رسـول الله صلى الله عليه وسلم فلا يمكن أن يتجدد ولا يمكن أن يتغير هل خالف أحـد في هـذا؟ نعم ، خـالف في هـذا عامة المتكلمين من معتزلة وأشعرية وغيرهم وقالوا لا يمكن أن تقوم الحوادث بالله أبداً لأن قيـام الحـوادث بـه يستلزم أن يكون حادثاً بناءً على أن الحادث لا يقوم إلا بحادث فيقـال لهـم مـن قـال لكـم هـذا؟ مـن قـال إن الحادث لا يقوم إلا بحادث؟ ومن أين أتيتم بهذه القاعدة هل من الكتاب أو من السنة أو من العقل كـل ذلـك لم يكن فنحن نشاهد الآن بأنفسنا أنه تحصل حوادث لنا في هذا اليوم غير ما حصـل بـاليوم الـذي قبلـه وهـل يلزم إذا قامت بنا الحوادث أن تكون موجودة بوجودنا؟ لا يلزم ، فـالحوادث تتجـدد مـن الحـادث ومـن غـير الحادث بل إن قيام الحوادث به دليل على كماله وأنه يفعل ما يشاء متى شاء ولو قلنا أنه لا يستطيع أن يفعـل

لكان في هذا نقص وصف لله تعالى بالنقص والله تعالى فعال لما يريد ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ وإقتتال من حادث لا شك وهو من فعل الله أى من تقديره أن يفعل وهذا نص صريح في قيام الأفعال الحادثة به واستواؤه على العرش ونزوله إلى السماء الدنيا وتكريمه من يكلمه كل هذا يدل على قيام الحوادث به لكن لا يلزم أن يكون هو حادث وسبحان الله العظيم يعني لو رجعنا إلى الفطرة وسألنا عجوزاً لم تعرف الكلام ولا أهل الكلام وقلنا هل الله يفعل متى شاء ماذا تقول؟ نقول نعم سبحانه يفعل ما يشاء أيهما أحسن رب لا يفعل أو رب يفعل؟ نقول رب يفعل الذي ما يفعل الجماد لا يصح أن يكون رباً ولكن نسأل الله العافية لما دخلوا في علم الكلام وحكموا العقول ظلوا عن شيئ تعرفه العجائز إذاً إحداث الله عز وجل للفعل ليس كإحداثنا له لأنه يحدث ما شاء بكلمة كن فيكون ونحن لا نحدثه إلا بمعاناة وعمل ثانياً يحدثه من غير جهل سابق أو عجز مقارب وأما نحن فإننا نحدثه من جهل ليكون خائفاً علينا ثم يتبين لنا وجهه ثم إننا لا نسلم من عجز مقارب نعجز عن إكماله أما الله عز وجل فلا.

حدثنا على ابن عبد الله حدثنا حاتم ابن وردان حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:- كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهداً بالله تقرءونه محضاً لم يشب.

سبق الكلام على هذا الحديث والشاهد منه قوله " **أقرب الكتب عهداً بالله** " وهذا في الوحى ولما نزل المطر حصل النبي صلى الله عليه وسلم عن ثوبه ليصيبه وقال إنه حديث عهد بربه من أين أحياه؟ من جهة الخلق لأنه خلق الآن فنزل حديث عهد بربه من جهة خلقه وتكوينه إذا عندنا قريب العهد من جهة التكوين والخلق قريب العهد من قبل الإنزال والوحى كما ذكر ابن عباس يعود إلى الإنزال والوحى والآية تشهد له ﴿ **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث** ﴾ وأما التكوين والخلق هو حديث المطر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحصل عن ثوبه ليصيبه ويقول إنه حديث عهد بربه.

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله ابن عبد الله أن عبد الله ابن عباس قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيئ وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله محضاً لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم قالوا: هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عم مسئلتهم فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم.

مع أنهم أحق أن يسألونا عن ما أنزل عليهم وكان ابن عباس رضى اللع عنه في زمن رأى من الناس من يذهب إلى بني إسرائيل ويسألهم فاشتد قوله في ذلك وعلى هذا يجب علينا نحن المسلمين إذا دعونا إلى أخلاق حسنة من وفاء بوعد وصدق في القول وعزيمة في القصد وما أشبه ذلك أن لا نقول هذا فعل الإنجليز أو الأمريكان أو فعل كذا لأن هذه الأخلاق الفاضلة مصدرها من الإسلام وهى في الإسلام وعجباً من بعض الناس ضعفاء العقول ضعفاء الدين إذا أراد أن يؤكد الوفاء بالوعد إنه وعد إنجليزي سبحان الله قل إنه وعد مؤمن هذا هو الصحيح ، يعني الإنجليز أوفى بالوعد من المسلمين؟ أبداً فعلى كل حال هذا الذي رسمه ابن

عباس رضى ا لله عنهما ينبغي أن يكون نبراساً نمشي عليه أن لانظهر الإفتقار لأهل الكتاب وإن كان الرسول رخص لنا في أن نقبل من حديثهم ما شهد له الشرع وما لم يشهد به الشرع ولا بخلافه لا نصدق ولا نكذب وما شهد شرعنا بخلافه فإننا نكذبه.

باب قول ا لله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ وفعل النبى صلى ا لله عليه وسلم حين ينزل عليه الوحى وقال أبو هريرة عن النبى صلى ا لله عليه وسلم قال ا لله تعالى " أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت به شفتاه "

باب قول ا لله تعالى: ﴿ **لا تحرك به لسانك** ﴾ ترجم المؤلف البخاري من هذه الترجمة ليشير إلى أن القرأة بالقرآن من فعل الإنسان لأن قوله لا تحرك من الذي يحرك؟ القارئ وعلى هذا فتلفظ الإنسان بالقرآن يعتبر مخلوقاً لأنه من فعله وفعل الآدمي مخلوق وهذه المسألة صار حولها جدل عظيم في فتلة الجهمية في القول بخلق القرآن حتى إن الإمام أحمد رحمه ا لله قال من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهم ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع وفي رواية عنه من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد القرآن يعني لا يريد القرأة فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع لماذا أطلق في إحدى روايتين من قال لفظي بالقرآن فهو جهمي لأن الجهمية يموهون على الناس ويقولون كل لفظ مخلوق وهم يريدون لفظي أى القرآن فيموهون على العمة والصحيح في هذه المسألة تفصيل فيقال قرأة القارئ تشتمل على أمرين علىمقروء وعلى قرأة أما المقروء فهو كلام ا لله عز وجل غير مخلوق وأما القرأة فهى فعل الإنسان هو الذي يحرك شفتيه يحرك لسانه وهو الذي ينطق وهو الذي يخرج الصوت من فمه وكل هذا مخلوق لأنه من صفات الإنسان وصفات الإنسان كلها مخلوقة فهذا مراد البخاري رحمه ا لله بهذه الترجمة الإشارة إلى أن قارئ القرآن من فعله لأنه قال لا تحرك به لسانك وفعله مخلوق. قال ا لله تعالى: " **أنا مع عبدي حيث ما ذكرني وتحركت بي شفتاه** " مع الإنسان إذا ذكر ا لله يذكر أسماء ا لله وأسماء ا لله غير مخلوقة ولكن نفس الحركة تكون مخلوقة وبهذا التفصيل الذي ذكرنا وهو الفرق بين الملفوظ به وبين اللفظ فاللفظ حركة الإنسان وهى مخلوقة والملفوظ به إذا كان القرآن فإنه ليس كلام ا لله وليس بمخلوق.

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا أبوا عوانة عن موسى ابن أبي عائشة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ قال: كان النبى صلى ا لله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان يحرك شفتيه فقال لي ابن عباس أحركهما لك كما كان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يحركهما؟ فقال سعيد أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل ا لله عز وجل: ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ قال جمعه في صدرك ثم تقرؤه فإذا قرآناه فاتبع قرآنه قال: فاستمع له وأنسط ، ثم إن علينا أن تقرأه ، قال فكان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبى صلى ا لله عليه وسلم كما أقرأه.

هذه الآية آية عظيمة بل آيات عظيمة كان النبى صلى ا لله عليه وسلم يعالج من الوحى شدة لأن ا لله قال ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾ أحياناً إذا نزل عليه الوحى وهو على ناقته بركت ونزل عليه الوحى

مرة ورأسه على فخذ حذيفة رضى الله عنه فكادت تفظها وكان يأتيه الوحى في اليوم الشاتي البارد فيتصبب عرقاً من شدة ما يجد وكان لحرصه علية الصلاة والسلام على القرآن يتعجل إذا قرأه جبريل تلقاه فوراً منه فيتعجل وربما يكون بتعجله هذا يفوته بعض الشيئ فنهاه الله عن ذلك وقال ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾ والعجلة قد يكون فيها شيئ من فوات المقصود ثم تكفل الرب عز وجل فقال إنا علينا جمعه وقرآنه نحن الذين نجمعه في صدرك ونحفظه فيه ولا يفوتك شيئ منه فإذا قرآناه أى قرأه جبريل وأسند الله قرأة جبريل إليه لأنه رسول رب العالمين وفعل الرسول فعل للمرسل فإذا قرأناه أى قرأه جبريل فاتبع قرآنه ولا تعجل تأخذه كلمة كلمة لا انتظر حتى يفرغ ثم اتبع قرآنه الكفالة الثانية التي بعد الجمع والقرآن ثم إن علينا بيانه تكفل الله عز وجل ببيانه بعباده بيانه لفظاً وبيانه معناً وما يفوت الناس من لفظه أو من معناه فهذا إما لقصور أو تقصير وإلا فإن الله قد تكفل ببيان القرآن لفظاً ومعناً لكن لا يلزم من هذا أن يكون مبيناً لكل واحد ولهذا نقول ليس في القرآن شيئ يخفى على جميع الناس أبداً لا يمكن ، لأن الله قال ثم إن علينا بيانه ولو كان في القرآن حرف واحد يخفى على حميع الناس لم يكن للقرآن بياناً والله تعالى قال فيه ﴿ **هذا بيان للناس** ﴾ لكن الخفاء والظهور أمر نسبي بمعنى أنه قد يخفي على شخص ما ما يظهر لخص آخر بل إن الإنسان نفسه أحياناً يكون صافي الذهن فيظهر له من معاني القرآن والسنة مالا يظهر له إذا كان مشوشاً وهذا شيئ مجرد إذاً فالخفاء والظهور أمر نسبي بإعتبار الأشخاص وإعتبار الأحوال وإلا فإن الله قد تكفل ببيانه والحمد لله والأمر كذلك حفظ القرآن منذ نزل به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعرف معناه وتبين للناس إلى يومن هذا و لله الحمد .

باب قول الله تعالى ﴿ **وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ **يتخافتون: يتسارون .**

قوله تعالى ﴿ **وأسروا قولكم اجهروا به إنه عليم بذات الصدور** ﴾ و لم يقل إنه عليم به أى بالقول الذي أسررتم وجهرتم به لأن من علم بذات الصدور أى بالقلوب كان علمه بما أظهرته الألسن من باب أولى وهذا هو القياس الأول أسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور وسيعلم ما في الصدور وما تجهرون ثم قال ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ وهذا الإستفهام للتقرير وقوله من في إعرابها وجهان الوجه الأول أن تكون فاعلاً والوجه الثاني أن تكون مفعولاً به فإن كانت فاعلاً فالمعنى ألا يعلم الخالق وهو اللطيف الخبير والجواب بلى لابد أن يعلم الخالق ما خلقه ولا يمكن أن يكون الخالق جاهلاً بما خلق وإذا كانت مفعولاً به ألا يعلم من خلق صار المعنى ألا يعلم مخلوقه والجواب بلى يعلم مخلوقه فإذا قال قائل لماذا عدل عن قوله ألا يعلم العلام أو ألا يعلم الله قلنا من أجل إقامة الحجة العقلية الملزمة لأن كونه يخلق يلزم عليه عقلاً أن يكون عالماً فإذا كان خاقاً لكل شيئ كان عالماً لكل شيئ أضف إلى ذلك أنه عز وجل لطيف خبير اللطيف الذي يعلم بسرائر الأمور والخبير كذلك العالم ببواطن الأمور واللطف أخص من الخبرة والخبرة أخص من العلم فهناك علم وخبرة ولطف كل هذه ذكرت في الآية ألا يعلم من خلق العلم اللطف وهو اللطيف الخبرة الخبير واللطيف تجدون أنه أرق من الخبير وأنه أدق حيث يعلم أشياء لطيفة لطيفة جداً لا

تدرك لكنه يدركها عز وجل يتخافتون يقول يتسارون وهذا مذكور في قوله تعالى ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴾ من هؤلاء؟ أصحاب الجنة الذين أقسموا أن يصرموها صباحاً ولم يقولوا إن شاء الله وإنما اختاروا صرمها صباحاً لألا يأتي المساكين فيأكلوا منها فهم ذهبوا أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون لم يقولوا إن شاء الله فطاف عليها طائف من الله فدمرها أصبحت كالصريم فلما أصبحوا تنادو وذهبوا إليها فلما رأوها قالوا هذه ليست جنتنا إنا لضالون أى تائهون لم نهتدي إلى طريقها ثم تأكدوا فقالوا بل نحن محرومون فعرفوا أنهم حرموا وأن الله أتلف هذه الجنة لأن نيتهم كانت سيئة لا يريدون أن يطعموا منها المساكين ، وفي النهاية أقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون ، وهذا من حكمة الله عز وجل أن الله قد يبتلي الإنسان بفقد ما يحب لإستقامة دينه يقول تعالى ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا ﴾ وهذا الإبتلاء قد يكون خيراً للإنسان وقد يكون شراً ، من الناس من إذا أبتلى بدنياه قوى إيمانه ورجع إلى ربه وأناب إلى الله يقول الله تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمئن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾

الدرس الرابع والثلاثون:-

باب قول الله تعالى : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ يتخافتون: يتسارون

هذا الباب لماذا عقده المؤلف في أثناء الكلام على كلام الله؟ ليبين أن لفظ الإنسان بكلام الله من فعله ، فأنت إذا تكلمت بالقرآن إسراراً أو جهراً فهو من فعلك وفعلك مخلوق ، وتعلمون أن البخاري رحمه الله أمتحن في مسألة اللفظ والملفوظ وهل اللفظ مخلوق أو غير مخلوق ، والملفوظ به مخلوق أو غير مخلوق ، فأكثر من صحيحه في سياق الأدلة الدالة على أن أقولنا من أفعالنا ، وأفعالنا مخلوقة ، وقوله: ﴿ أسروا قولكم أو اجهروا به ﴾ الإسرار والجهر صفة القول ، ومن الذي يسر أو يجهر؟ الإنسان المتكلم إذاً فالإسرار والجهر من فعل الإنسان فيكون مخلوقاً ، وما يسر به أو يجهر به هو إما مخلوق وإما غير مخلوق ، فكلامي الآن معكم مخلوق حتى الملفوظ به ، لكن عندما أقرأ القرآن يكون قولي ولفظي مخلوقاً لكن القرآن غير مخلوق.

حدثني عمرو ابن زرارة عن هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد ابن جبير " عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ قال: نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم ، وابتغ بين ذلك سبيلاً "

يعني اطلب سبيلاً بين الإخفات والجهر ، الشاهد من هذا الحديث أن الله تعالى قال ﴿ لا تجهر بصلاتك ﴾ أى بقراءتك القرآن في صلاتك ، ولا تخافت بها ومعلوم أن الجهر والمخافتة من فعل الإنسان ، وأن القرآن الذي يسر به أو يخافت هو كلام الله

٧٤٩٧- حدثنا عبيد ابن اسماعيل حدثنا أبو اسامة عن هشام عن أبيه " عن عائشة رضى الله عنها قالت نزلت هذه الآية: ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ في الدعاء "

أى فيكون معنى بصلاتك أى بدعائك ، ولا منافاة بين كلام عائشة وكلام ابن عباس ، وذلك لأن قول الصحابي نزلت في كذا ، ليس صريحاً في أن هذا هو سبب النزول بل قد يكون مراده نزلت في كذا أى في هذا المعنى ، أما لو قال قائل سبب نزولها أن النبى صلى الله عليه وسلم فعل كذا أو صار كذا فنزلت ، فالأول صريح في سبب النزول والثاني ظاهر فيه ، وأما الذي في سياق ما ذكره البخاري فلا ، فالصور إذاً ثلاثة **الأول:**- أن يقول الصحابي سبب نزولها كذا وكذا فهنا يكون سبب النزول صريحاً.

الثاني:- أن يقول كان كذا فنزلت وهذا ظاهر وليس بصريح.

والثالث:- أن يقول نزلت في كذا فهذا محتمل أن يكون المراد أن هذا سبب النزول أو أن هذا من معناه ، وهنا نقول أن قول عائشة وقول ابن عباس ليس بينهما تنافي لأن المعنى أنها نزلت في كذا أى في هذا المعني ، وفي كذا أى في هذا المعني.

حدثنا اسحاق حدثنا أبو عاصم أخبرنا ابن جريج أخبرنا ابن شهاب عن أبي سلمة " عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزاد غيره يجهر به "

هذا كالأول لأن تغني الإنسان بالقرآن أى جهره به لتحسين الصوت من فعله فيكون مخلوقاً ، أما القرآن نفسه فإنه ليس بمخلوق ، وقد عرفتم أن البخاري رحمه الله بفصل تفصيلاً بيناً في هذا ، وأن الإمام أحمد رحمه الله قال من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي وفي رواية عنه من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد القرآن ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع ، لأنه في زمن الإمام أحمد المحنة غير المحنة التي في زمن البخاري ، المحنة في زمن الإمام أحمد: هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ والمحنة في زمن البخاري: هل لفظ القرآن مخلوق أو لا؟ وبينهما فرق ، فالإمام أحمد رحمه الله رأى الكف عن هذا ، قال لاتقل لفظي بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق ، والبخاري أراد التفصيل والبيان.

باب قول النبى صلى الله عليه وسلم رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل يقول لو أتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل ، فبين الله أن قيامه بالكتاب هو فعله وقال ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾ وقال جل ذكره: ﴿ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾

كل هذا يريد أن يثبت بأن قراءة القارئ مخلوقة وفعله ، يقول " **رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به أناء الليل والنهار** " يعني يقرأه فيقوم به فأضاف القيام إلى القارئ وقال أيضاً ورجل يقول لو أتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل فجعل قراءة القرآن فعلاً قال فبين النبى صلى الله عليه وسلم أن قراءته الكتاب هو فعله وبين أنه فعل لقوله فعلت كما يفعل لكن قد يكون فيها إشكال فبين الله لأن المبين هنا الرسول صلى الله عليه وسلم لكن يقال إن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أقره الله فهو كبيان له الآية الثانية **﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وإختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾** إختلاف اللسان واللون ، أما إختلاف اللون

فهو من فعل ا لله ولا طاقة لنا به وأما إختلاف اللسان فهو من فعلنا ولهذا إذا عاش الإنسان في بيئة عربية صار لسانه عربياً وفي بيئة أعجمية صار لسانه أعجمياً وإذا شاء رفع صوتـه وإذا شـاء لم يرفعه وإختـلاف الألسـن كثير منها اللغة ومنها الصوت ومنهـا البيـان والفصاحـة ومنهـا سـهولة النطـق كـل هـذا يدخـل في قولـه ﴿ وإختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾ وقال وإفعلوا الخير وقـراءة القـرآن مـن الخـير وتكـون مفعولـة لكـن القـرآن المقروء ليس مخلوقاً.

حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح " عن أبي هريرة قال: قال رسـول ا لله صلـى ا لله عليه وسلم لاتحاسد إلا في اثنتين رجل آتاه ا لله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فهو يقول: لو أتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل ، ورجل آتاه ا لله مالاً فهو ينفقه في حقه فيقول لو أتيـت مثـل مـا أوتي عملت فيه مثل ما يعمل "

الشاهد قوله:– " **فهو يقول لو أتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل** " والأول ماذا يعمل؟ يتلوه أناء الليل والنهار فجعل النبى صلى ا لله عليه وسلم تلاوته للقرآن فعلاً وفعل العبد مخلـوق وقولـه " **لا تحاسـد إلا في إثنتين** " والحسد نوعان:–

حسد غبطة ، وحسد عدوان

أما حسد الغبطة:– وهو أن يتمني الإنسان مثل ما أعطى الآخر فهذا محمود إذا كان في الخير ، وقد أرشد ا لله إلى ذلك في قوله ﴿ **ولا تتمنو ما فضل ا لله بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا اله من فضله** ﴾ يعني قولوا اللهم أعطنا مثل ما أعطيت فلان ولا تحسدوه.

أما حسد العدوان:– فقد فسره العلماء بأنه تمني زوال نعمة الغير تمـني زوال نعمـة ا لله علـى غـيره قـالوا هـذا الحسد سواء تمنيت أن تزول منه إلى غيره أو أن تزول منه إلى غير أحد أو أن تزول منه إلى نفسك وقـال شـيخ الإسلام الحسد كراهة ما أعطى ا لله غيرك من النعم ، أن تكره أن ا لله يعطي هذا نعماً سواء تمنيـت الـزوال أم لم تتمنه وهذا أقرب فإذا إغتممت بما يعطي ا لله غيرك من النعم فهذا هـو الحسـد وإذا فرحـت بمـا أعطـى ا لله غيرك من النعم وسألت ا لله أن يعطيك مثله فهذا هو حسد الغبطة إذا فالحسـد نوعـان حسـد غبطـة وحسـد عدوان فحسد الغبطة محمود إذا كان في الخير وهو أن يتمني الإنسان من ا لله مثل ما أعطى فلاناً ، وأما حسـد العدوان فهو عدوان لا يجوز ، وهو من أخلاق اليهود ، كما قال ا لله تعالى ﴿ **ود كثير من أهل الكتـاب لـو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم** ﴾

حدثنا علي ابن عبد ا لله حدثنا سفيان قال الزهري عن سالم عن أبيه " عـن النبـى صلـى ا لله عليـه وسلم قال: لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه ا لله القرآن فهو يتلوه أناء الليل وآنـاء النهـار ، ورجـل آتـاه ا لله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار " سمعت من سفيان مراراً لم أسمعه يذكر الخبر وهو مـن صحيـح حديثه.

باب قول ا لله تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغـت رسـالاته ﴾ وقال الزهري من ا لله عز وجل رسالة وعلى الرسول صلى ا لله عليه وسـلم البـلاغ وعلينـا التسـليم ،

وقال تعالى ﴿ ليعلم أنْ قد أبلغوا رسالات ربهم ﴾ وقال تعالى ﴿ أبلغكم رسالات ربي ﴾ وقال كعب ابن مالك حين تخلف النبي صلى ا لله عليه وسلم وسيرى ا لله عملكم ورسوله ، وقالت عائشة إذا أعجبك حسن عمل إمرئ فقل اعملوا فسيرى ا لله عملكم ورسوله والمؤمنون ولا يستخفنك أحد ، وقال معمر: ذلك الكتاب: هذا القرآن ، هدى للمتقين: بيان ودلالة ، كقوله تعالى ﴿ ذلكم حكم ا لله ﴾ هذا حكم ا لله ، لا ريب فيه: لا شك ، تلك آيات ا لله: يعني هذه أعلام القرآن ، ومثله: حتي إذا كنتم في الفلك وجرين بهم يعني بكم ، وقال أنس: بعث النبي صلى ا لله عليه وسلم خاله حراماً إلى قومه وقال أتؤمنوني أبلغ رسالة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فجعل يحدثهم "

هذا الباب أيضاً كما قلنا أولاً يريد أن يقرر بأن فعل العبد مخلوق لقول ا لله تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ الرسول محمد صلى ا لله عليه وسلم و لم يقل يا أيها النبي لأن المناسب للبلاغ الرسالة في وصف الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وذلك بأن تقرأه على الناس وإن لم تفعل فما بلغت رسالته فجعل إبلاغ الناس فعلاً وفعل العبد مخلوق وقال الزهري من ا لله الرسالة وعلى رسول ا لله البلاغ وعلينا التسليم كلمات جيدة وهذا من حسن الأدب مع ا لله حيث قال من ا لله الرسالة و لم يقل على ا لله الرسالة مع أن ا لله عز وجل قال ﴿ إنا علينا للهدى ﴾ فأوجب على نفسه الهداية ولا هداية إلا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن هذا من الزهري رحمه ا لله على سبيل الأدب ، من ا لله الرسالة وعلى رسول ا لله البلاغ ، والبلاغ من فعله فيكون مخلوقاً وعلينا التسليم التسليم بما تقتضيه هذه الرسالة فيدخل في ذلك التصديق لأن التسليم للأوامر والنواهي والتصديق للأخبار وكلها واجبة علينا ، علينا أن نقبل وعلينا أن نسلم ولا نعترف ولا نقول لما بل نقول سمعنا وأطعنا وقال تعالى ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا ﴾ وقال ليس يعود على الزهري بل يعود على ا لله سبحانه وتعالى وفيه إشكال من بعض الوجوه أنه عطف فعلاً على إسماً باب قول ا لله إن قال وقال تعالى وقال و لم يقل أيضاً قال ا لله لكن في مصغة وقال ا لله تعالى وحيئذ يزول الإشكال يقول وقال تعالى ﴿ ليعلموا أن قد أبلغوا رسالات ربهم ﴾ الشاهد قوله ﴿ أبلغوا رسالات ربهم ﴾ والإبلاغ فعل العبد فعل المبلغ وقال ﴿ أبلغكم رسالات ربي ﴾ والتبليغ فعله وقال كعب ابن مالك حين تخلف عن النبي صلى ا لله عليه وسلم ﴿ وسيرى ا لله عملكم ورسوله ﴾ وقالت عائشة إذا أعجبك حسن عمل إمرئ فقل ﴿ اعملوا فسيرى ا لله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ ولا يستخفنك أحد ومن العمل قراءة القرآن وقال مهمر ذلك الكتاب هذا القرآن هدى للمتقين بيان ودلالة ، والتفسير هنا فيه شئ من النظر لأنه فسر اسم الإشارة للبعيد باسم الإشارة للقريب وهذا يؤدي إلى إختلاف المعنى لأن قوله تعالى ذلك الكتاب مع أنه بين أيدينا قريب منا لابد أن فيه بلاغة ، فما هى البلاغة؟ الإشارة إلى علو مكانه فهو لعلو مكانه كأنه بعيد ثم إن من عادة العرب أن الإشارة بالبعيد تفيد تعظيم المشار إليه فتقول مثل فلان ذلك الرجل الذي فيه كذا وكذا الصواب أن نقول ذلك الكتاب أى ذلك القرآن هدى للمتقين ، بيان ودلالة كقوله ﴿ ذالكم حكم ا لله ﴾ هذا حكم ا لله يشير إلى أن هذه الإشارة لا تقتضي بعد المشار إليه عنا حساً لكنها تقتضي علوه معناً ، وقوله لا ريب ، لا شك ، فسر الريب بالشك وهذا تفسير مقارب لكن الريب أشد من الشك

قال شيخ الإسلام رحمه الله في مقدمة التفسير الريب أشد من الشك لأنه شك بقلق والشك شك بلا قلق -
لكن العلماء يفسرون الشئ بما يقرب إلى الأذهان وإن كان هناك خلاف يسير قال تلك آيات ، يعني هذه أعلام القرآن وتلك إشارة للبعيد وهذه للقريب ومثله قوله تعالى: ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ﴾ يعني بكم ففيها إلتفات حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وكان ظاهر السياق أن يقال وجرين بكم لكن فيه إلتفاتاً من الخطاب إلى الغيبة والإلتفات في القرآن موجود من الإلتفات إلى الغيبة ومن الضمير إلى الظاهر ومن الغيبة للمتكلم وفائدة الإلتفات العامة التي تشمل كل إلتفات هي تنبيه المخاطب لأن الكلام إذا كان على نسق واحد فربما ينام المخاطب ولا سيما إن طالت المدة لكن إذا إختلف النسق فكأنه يقرأه بدبوس يتنبه ، لأنه إذا كان السياق جار على مجرى واحداً ما يحس الإنسان ، ينساب معه لكن حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وهذا فيما إذا كان الإنسان يفهم المعني أما من لا يفهم المعني فكله سواء التفت أو ما التفت لكن إذا كان يفهم المعنى فسوف يقف عند ما يكون الإلتفات من أجل أن ينتبه الفلك يقولون إنها كلمة يستوي فيها الجماعة والواحد وأعجبني مرة في الفقه قال الفقهاء إذا كان الرجل أحدب فإنه ينوي الركوع بقلبه دون إحداث الفعل أتعرفون الأحدب؟ المنحني ظهره وهذا يكون غالباً في الكبر قال الأحدب ينوي الركوع بدون بدون إحداث فعل لأنه راكع قال ابن عقيل كفلك في العربية ما معنى كفلك في العربية ، فلك تصلح للجماعة والواحد إنحناء هذا الرجل يصلح للركوع والقيام ، انظر كيف جمع بين النحو والفقه ويقال إن الكسائي وأبا يوسف عند هارون الرشيد وكان الكسائي يقول إذا أتممت فناً من العلوم إستغنيت به عن غيره فاختبره أبو يوسف وقال ما تقولوا إذا سهى الإنسان في سجود السهو قال أقول إنه إذا سهى في سجود السهو فلا سهو عليه قال ومن أين أخذت هذا من علمك قال أخذته من القاعدة أن المصغر لا يصغر وأن سجود السهو بالنسبة للصلاة مصغر ولكن هذه قد تكون صريحة وقد تكون غير صريحة فإن كانت صحيحة فهذا من باب فإن كانت صحيحة فهذه من ظرافة الكسائي وإلا فالواقع أن العلموم لا يغني بعضها عن بعض وإن كانت لا شك أن الذي يكون قوة في علم من العلوم يسهل عليه بقية العلوم الأخرى فلنرجع إلى كلام البخاري رحمه الله ، قال وجرينا به أى بكم يريد أن يضرب أمثلة لكون الكلام يجري على خلاف ظاهره لتفسير ذلك الكتاب أى هذا القرآن وقال أنساً بعثه إلى قومه وقال أتؤمنوني .على كل حال أتؤمنوني أوضح في المعني أتؤمِنوني من آمنه لا من أَمنه ، آمنه فتكون من غير المضعف وهى لغة صحيحة الشاهد من هذا قوله أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها القرآن.

حدثنا الفصل ابن يعقوب حدثنا عبد الله ابن جعفر الرقي حدثنا المعتمر ابن سليمان حدثنا سعيد ابن عبيد الله الثقفي حدثنا بكر ابن عبد الله المزني وزياد ابن جبير ابن حية عن جبير ابن حية قال المغيرة " أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة ".

قوله أخبرنا عن رسالة ربنا وخبره فعله فيها لا تريد كما يفعله الناس اليوم تريد إذا أعجبك حسن عمل امرئ منهم من هؤلاء الخوارج الذين خرجوا على عثمان ثم على علي فقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فيكون تهديداً وليس ثناءً.

حدثنا محمد ابن يوسف حدثنا سفيان عن اسماعيل عن الشعبي عن مسروق " عن عائشة رضي الله عنها قالت من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً ، وقال محمد حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا شعبة عن اسماعيل ابن أبي خالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت من حدثك أن النبى صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحى فلا تصدقه إن الله تعالى يقول: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته ﴾ ".

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن عمرو ابن شرحبيل قال: قال عبد الله قال رجل يا رسول الله: أى الذنب أكبر عند الله تعالى؟ قال: أن تدعوا لله نداً وهو خلقك ، قال: ثم أى؟ قال: ثم أن تقتل ولدك أن يطعم معك ، قال ثم أى؟ قال: أن تزاني حليلة جارك ، فأنزل الله تصديقها ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق آثاما ، يضاعف له العذاب ﴾ الآية.

هذا كله تأكيد كما ذكرنا لأن أفعال الإنسان مخلوقة حتى ولو كان ينطق بالقرآن وعبد الله ابن مسعود رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم أو أكبر عند الله وسأله أى العمل أحب إلى الله ، مما يدل على حرص الصحابة رضى الله عنهم على معرفة الأحب إلى الله ، والأكبر عند الله من الذنوب حتى يفعل الأحب ويترك الأعظم ، وإن كانوا هم رضى الله عنهم يتركون من الذنوب ما هو أعظم وما هو دون ذلك ، لكن الأعظم يكونون أشد منه هرباً ، فأنزل الله تعالى تصديقها ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق آثاما ، يضاعف له العذاب ﴾ الآية.

باب قول الله تعالى: ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم « أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها ، وأعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به ، وأعطيتم القرآن فعملتم به »

سمى التمسك بالتوراة والإنجيل والقرآن سماه عملاً ، وسمى التوراة والإنجيل والقرآن إيتاءً ، وهذا كما ذكرنا يدل على أن ذلك من فعل العبد ، لأن العمل بالتوراة يشمل تلاوة التوراة ، وكذلك الإنجيل والقرآن ، وقوله تعالى ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ هذه الآية نزلت عند قوله تعالى ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ والمقصود من ذلك تكذيب اليهود في منعهم النسخ ، فإن هذا صريح في النسخ ، كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، فحرم على نفسه شيئاً ثم نزلت التوراة بحله ، وهذه يدل على أن النسخ جائز عقلا وواقع شرعاً ، واليهود منعوا ذلك ليبرروا تكذبهم لعيسى ثم تكذيبهم لمحمد عليهم الصلاة والسلام ، لأنهم قالوا الشرائع لا تنسخ ، والنسخ طعن في الله عز وجل ، لأنه يلزم عليه البدئ ، أى أنه بدى له غير ما كان أولا كما لو أمرت خادمك أن يفعل شيئاً ثم بدى لك أنه ليس بمناسب فنهيته عنه ، فلهذا منعوا النسخ ، ولكننا نقول لهم إن النسخ ثابت حتى في التوراة وفي جميع الشرائع ولا يلزم منه البدئ على الله ، وهو الظهور بعد الخفاء ، لأن الله عالم بالحكم الناسخ والحكم والمنسوخ ، لكن حكمة الله عز

وجل تقتضي أن يعمل بالمنسوخ في وقته وبالناسخ في وقته ، والأمم تختلف حالها وتختلف أيضاً فيما بينها[٢٠٢] – فقد يحرم على أمة ما يحلل لغيرها ، وقد يوجب عليها ما لا يوجب على غيرها ، ولهذا وصف الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم.

الدرس الخامس والثلاثون:–

باب قول الله تعالى: ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم « أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها ، وأعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به ، وأعطيتم القرآن فعملتم به ، وقال أبو رزين: يتلونه حق تلاوته: يعملون به حق عمله يقال يتلى: يقرأ ، حسن التلاوة: حسن القراءة للقرآن ، لا يمسه: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ، ولا يحمله بحقه إلا الموقن لقوله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾

التلاوة للقرآن تنقسم إلى قسمين:–**تلاوة لفظية وتلاوة إتباع**

أما التلاوة اللفظية فظاهر أن يقرأ الإنسان القرآن هذا يقال تلى قرآن.

وتلاوة التبعية:– هى أن يتبع القرآن تصديقاً لأخباره وإمتثالاً لأحكامه ، وهذا هو الثمرة والغاية ، واستدل المؤلف لذلك بما ذكره عن أبا رزين يتلونه: يتبعونه ويعملون به حق عمله ، ثم استدل للمعنى الثاني التلاوة يعني القراءة يتلى: يقرأ ، حسن التلاوة: حسن التلاوة للقرآن **لا يمسه:**– لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلا الموقن لا يمسه إلا المطهرون الصحيح أن ضمير فيه يعود على الكتاب المكنون لا على القرآن ، لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور ، ولأن الجملة خبرية وليست طلبية ومعلوم أن القرآن يمسه المطهر وغيره ، وأما من قال أنه يتلوا القرآن وأن المراد لا يمسه إلا المطهرون الذين تطهروا فهذا ليس بصحيح ، لأنه لو كان الأمر كذلك لقال لا يمسه إلا المُطَهرُنَ كما قال تعالى ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وإن كنتم جنباً فاطهروا** ﴾ فالضمير في يمسه يعود إلى الكتاب المكنون.

ثم إن المؤلف أشار إلى أن المس قد يكون حسياً باليد وقد يكون معنوياً بالقلب ، فلا يجد طعم الإيمان ولا يصل إلى عظمته وينتفع به إلا من آمن به ، ثم قال لقول الله تعالى ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً** ﴾ وهؤلاء هم اليهود ، حملوا التوراة بإنزالها عليهم وتعليمهم إياها ولكنهم لم يحملوها أى لم يقوموا بحقها ، فمثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً أى يحمل كتباً فإنه لا ينتفع بها وهؤلاء لما حملوا التوراة ولكن لم يعملوا بها صاروا كمثل الحمار ، وشبههم بالحمار لأن الحمار أبلد الحيوانات ، وقوله تعالى ﴿ **بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ بئس هذه فعل جامد لإنشاء الذنب ومثل فاعل والمخصوص محذوف أى بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله مثلهم ، والله لا يهدي القوم الظالمين هذه الجملة فيها دليل على أنهم ظلموا أنفسهم فحرموا الهدى ، وفيها أيضاً تحذير الإنسان من الظلم ، وأن الإنسان إذا ظلم حرم الهدى والعياذ بالله ، وإذا إهتدى زاده الله هدىً.

والمقصود من هذا الباب أن قراءة القارئ من الأشياء المخلوقة لأنها فعله والإنسان وفعله مخلوق وأما المقروء فإنه كلام الله عز وجل غير المخلوق.

وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام والإيمان والصلاة عملاً وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال أخبرني بأرجى عمل عملته في الإسلام قال: ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر إلا صليت ، وسئل: أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله ثم الجهاد ثم حج مبرور.

كل هذا يدل على أن عمل العبد من فعله وكسبه وإذا كان كذلك فهو مخلوق يبقى علينا الإيمان يسمى عملاً قال الله تعالى ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ قال العلماء صلاتكم إلى بيت المقدس وهي عمل وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عملاً إذا سئل أي العمل أفضل قال إيمان بالله ورسوله فسماه عملاً والإيمان لا شك أنه إقرار القلب وما يترتب على الإيمان من الرجاء والخوف فهو عمل القلب وهل نقول إن الإيمان مخلوق نقول الإيمان مخلوق لا شك لأنه إقرار القلب وإعتراف القلب فهو صفة في قلب المؤمن والمؤمن بصفاته مخلوق لكن ما يؤمن به ينقسم إلى مخلوق وإلى غير مخلوق فالرب عز وجل يؤمن به ، الإيمان بالله وهو سبحانه وتعالى بصفاته أزلي أبدي والخالق وما سواه مخلوق الملائكة يؤمن بهم وهم مخلوقون، الرسل مخلوقون الكتب غير مخلوقة القدر الذي هو تقدير الله غير مخلوق لأنه من صفاته فالمهم أن الإيمان نفسه الذي هو إيمان لعبد مخلوق لأنه من صفته وأما المؤمَن به فإنه ينقسم إلى مخلوق وغيره حسب ما تقتضيه الأدلة الشرعية.

حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني سالم « عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صليت العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين ، فقال أهل الكتاب هؤلاء أقل من عملاً وأكثر أجراً ، قال الله: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا ، فقال: فهو فضلي أوتيه من أشاء »

الشاهد من هذا قوله:- **فعملوا بها** أي بالتوراة ، وفي الإنجيل قال **عملوا به** ، وفي القرآن قال **عملتم به** ، ومن العمل به تلاوته ، فتكون التلاوة عملاً ، ويكون مثله كلام الله غير مخلوق.

باب وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عملاً ، وقال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب.

والفاتحة من الصلاة وهي ركن في الصلاة فتدخل في كون قراءة الفاتحة عملاً وهذا هو المقصود أن فعل الإنسان مخلوق وأما مفعوله فمنه مخلوق ومنه ما هو غير مخلوق.

حدثني سليمان حدثنا شعبة عن الوليد ، وحدثني عباد ابن يعقوب الأسدي أخبرنا عباد ابن العوام عن الشيباني عن الوليد ابن العيزار عن أبي عمرو الشيباني « عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً

سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها ، وبر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله »

والسائل هو رضى الله عنه كما جاء مسطتحاً به قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب إلى الله قال الصلاة لوقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد في سبيل الله وهذا السياق أتم مما ذكره المؤلف لكن الشاهد أن الرسول سمى الصلاة عملاً والصلاة فيها قرآن وما هو العمل من القرآن؟ هل هو المقروء أو القراءة؟ القراءة.

باب قول الله تعالى ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً ﴾ هلوعاً: ضجوراً

قوله تعالى ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً ﴾ الإنسان هنا إسم جنس بدليل قوله إلا المصلين خلق أى خلقه الله هلوعاً أى غير صبور بل هو ضجور يتضجر إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إذا مسه الشر يجزع ومن الشر الفقر وإذا مسه الخير ومنه الغنى كان منوعاً فيتضجر من غيره ولا يتضجر من نفسه إذا مسه الخير كان منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون إلى آخر أوصافهم.

حدثنا أبو النعمان حدثنا جرير ابن حازم عن الحسن حدثنا عمرو ابن تغلب قال: « أتى النبي صلى الله عليه وسلم مال فأعطى قوماً ومنع آخرين فبلغه أنهم عتبوا ، فقال: إني أعطى الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحب إلى من الذي أعطي ، أعطي أقواماً لما في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، منهم عمرو ابن تغلب ، فقال عمرو: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم »

هذا أحسن من كل مال أن الرسول شهد له بهذه الصفة الحميدة وهى ما جعل الله في قلبه من الغنى والخير وفى هذا الحديث دليل على كمال حكمة النبى صلى الله عليه وسلم في معاملة الخلق وأنه قد يعطي أقواماً ويدع آخرين وهذا موجود الآن حتى في عرف الناس تجده يعطي أحداً ولا يعطي الآخرين يكلهم إلى ما في قلوبهم وما في قلبه أيضاً لهم ولا يعدون ذلك نقصاً في حقه وهكذا ينبغي للإنسان في إعطائه ومنعه أن يراعي المصلحة حتى إذا رأى أن هذا الشخص لم يعطه أصيب بدينه فإنه يعطيه يكون هذا من باب التأليف ، والتأليف على الإسلام ابتداءً أو تقوية مما يجوز دفع الزكاة فيه فكيف بالصدقات والتبرع.

باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وروايته عن ربه.

حدثني محمد ابن عبد الرحيم حدثنا أبو زيد سعيد ابن الربيع الهروي حدثنا شعبة عن قتادة « عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل قال: إذا تقرب العبد إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإذا أتاني مشياً اتيته هرولة »

حدثنا مسدد عن يحي عن التيمى عن أنس ابن مالك عن أبي هريرة قال: ربما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا تقرب العبد مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً أو بوعاً »

وقال معتمر سمعت أبي قال سمعت أنساً عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل

حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا محمد ابن زياد قال « سمعت أبا هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربكم قال: لكل عمل كفارة والصوم لي وأنا أجزي به ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »

حدثنا حفص ابن عمر حدثنا شعبة عن قتادة ، ح وقال لي خليفة: حدثنا يزيد ابن زريع عن سعيد عن قتادة عن أبي العالية « عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال: لا ينبغي لعبد أن يقول أنه خير من يونس ابن متى » ونسبه إلى أبيه

حدثنا أحمد ابن أبي سريج أخبرنا شبابة حدثنا شعبة عن معاوية ابن قرة المزني عن عبد الله ابن المغفل المزني قال: « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح على ناقة يقرأ سورة الفتح – أو من سورة الفتح – قال: فرجع فيها قال: ثم قرأمعاوية يحكي قراءة ابن مغفل وقال: لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي النبى صلى الله عليه وسلم فقلت لمعاوية: كيف كانت ترجيعه قال: آ آ آ ثلاث مرات »

وهذا الترجيع للكلمة ترجيع للكلمات الممدودة ، يرجعها حتى تكون كأنها مكررة ، الشاهد من هذه الأحاديث أن النبى صلى الله عليه وسلم يروي الأحاديث عن الله وهذه الأحاديث تسمى الأحاديث القدسية وهى أرفع من الأحاديث النبوية ودون القرآن فهى في منزلة وسط ولهذا تضاف إلى الله فيقال الأحاديث القدسية ولكن لا يثبت لها أحكام القرآن فيجوز أن تنقل بالمعنى كما تنقل الأحاديث النبوية ويقرؤها الجنب وغير الجنب ويمسها المتوضي وغير المتوضي ولا يتعبد بتلاوتها يعني لا يتقرب الإنسان إلى الله بلفظها وإن كان الإنسان الذي يحفظها أو يفظ غيرها من الأحاديث النبوية يثاب على ذلك ولا تقرأ في الصلاة ولا يحنث بها من حلف ألا يقرأ القرآن إلى غير ذلك من الأحكام التي تخالف فيها الأحاديث القدسية أحكام القرآن وهى نحو عشرة أحكام وهذا يدل على أنها ليست من كلام الله لفظاً ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أضافها إلى الله لأنه أوحى إليه بها على وجه يخالف ما يوحى إليه في الأحاديث النبوية ولهذا أضافها الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ربه ولا يشكل على هذا أن يقول الرسول قال الله تعالى كذا وكذا لأن إضافة القول إلى القائل قد تكون بالمعني وذلك أن كل قول قاله الأنبياء في القرآن فهو منقول عنهم بالمعني بلا شك لأن لغتهم ليست اللغة العربية ثم إننا نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول عنهم قال كذا وفي آية أخرى يقول خلاف هذا ولكنه بمعناه مما يدل على أن الله تعالى نقل عنهم ما نقل بالمعنى وهذا لا إشكال فيه أما الحديث الأخير فهو عن الرسول عليه الصلاة والسلام وكان يقرأ سورة الفتح أو من سورتها حين دخل مكة إشارة إلى أن هذا الفتح المذكور هو فتح مكة وقد جاء ذكر الفتح في القرآن في عدة مواضع منها ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾ والمراد به فتح مكة ومنها ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ والمراد به فتح مكة ومنها قوله تعالى ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل** ﴾ والمراد به صلح الحديبية على القول الراجح والذي يعين المعنى هذا السياق أو الوقائع وفي هذا الحديث دليل على جواز ترجيع القرآن وهل هو سنة؟ قال

بعض العلماء إنه سنة وقال بعض العلماء إنه ليس بسنة وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرجع لأن الناقة تمشي به فهو بإهتزازه يحصل منه هذا الترجيع ولكن الظاهر هو الأول أنه يرجعه قصداً ، لا من أجل أن الناقة تهز به فيرجع قوله ، وإذا كان كذلك فهو دليل على جواز ترجيع القرآن.

وهل من ذلك ما يفعل الآن في بعض المساجد مما يسمى بالصدى؟ أنا لم أسمع القراءة بالصدى لكن يقولون إن بعض الناس يجعلون صدى في مكبر الصوت إذا سمعته كأنه طبل يقرأ عليه ، فهذا الظاهر أنه يغير تركيب القرآن ، ويحوله إلى أن يجعل القرآن أغاني.

باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقول الله تعالى: ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾

باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها ، التوراة باللغة العبرية والإنجيل باللغة السيريانية ، واللغة العبرية قريبة من اللغة العربية كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ولهذا تعلمها زيد بن ثابت أي تعلم العبرية في ستة عشر يوماً ، أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعلم لغة اليهود ليقرأ كتبهم إذا وردت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وليكتب لهم ما يرده عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فتعلمها في ستة عشر يوماً قال شيخ الإسلام لأنها قريبة من اللغة العربية وظاهر كلام الشيخ البخاري رحمه الله حيث قال وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها أنه يجوز أن نفسر القرآن بغير العربية وهذا هو الترجمة المعنوية فترجمة القرآن ترجمة معنوية جائزة بل واجبة لمن لا يفهمه إلا بذلك وأما ترجمة القرآن ترجمة لفظية فإن هذا لا يمكن فضلاً عن كونه جائزاً أو غير جائز هو غير جائز لأنه يخرج القرآن عن كونه كلام الله لكن مع ذلك قالوا إنه لا يمكن لماذا؟ لأن اللغة العربية تخالف غيرها من اللغات في الترتيب والبلاغة وغيرها فلا يمكن أن تترجم ترجمة لفظية نذكر لهذا مثلاً في اللغة العربية المضاف سابق على المضاف إليه وفي غيرها بالعكس في اللغة العربية الصفة متأخرة عن الموصوف وفي غيرها بالعكس ، يقال عندنا الآن في اللغة العامية مستودع الجاز يسمونه عندنا قاز خانة في اللغة العرفية وأصله خانة قاز ، لأن الخانة بمعنى المستودع ، فإذا كان الأمر كذلك وفي اللغة العربية حروف زائدة للتوكيد ، تقديم وتأخير ، لا توجد في اللغات الأخرى ، فالترجمة اللفظية ممتنعة حساً ممنوعة شرعاً ، أما الترجمة المعنوية فهي جائزة بل واجبة لمن يحتاج إلى تفهيم القرآن بالمعنى لأنه يجب علينا أن نبلغ القرآن ، فإذا وجب علينا أن نبلغ القرآن وهناك قوم لا يعرفون اللغة العربية فإننا نترجمه معناً إلى لغتهم حتى يفهموه ، وقال تعالى: ﴿ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ وجه الدلالة من هذه الآية قوله فاتلوها إن كنتم صادقين ، وهم سوف يتلونها باللغة العربية حتى نفهم.

وقال ابن عباس أخبرني أبو سفيان ابن حرب أن هرقل دعا ترجمانه ثم دعا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرأه باسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الآية

الشاهد من هذا قوله دعا ترجمانه والمترجم سيترجم كل الكتاب بما فيه الآية ، لكنه يترجم معناها أما لفظها فلا يمكن حساً ولا يجوز شرعاً.

حدثنا محمد ابن بشار حدثنا عثمان ابن عمرقال:- أخبرنا على ابن المبارك عن يحي ابن أبي كثير عن أبي سلمة « عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل ، الآية »

هذا فيه دليل على أنه يمكن تحريف المعنى لقوله " **يفسرونها بالعربية فقال لا تصدقوهم ولا تكذبوهم** " ومعلوم أن التوراة نازلة من عند الله حقاً يجب أن تصدق لكن أهل الكتاب حرفوا وبدلوا هذه من جهة ، من جهة أخرى ربما يفسرون المعنى الحق بمعنى باطل فهنا يعتري إخبار هؤلاء عن التوراة باللغة العربية يعتريها شيئان:- **الشيئ الأول:-** أنه ربما يكون النص المترجم إلى العربية محرفاً.

الشيئ الثاني:- ربما يكون ربما يكون على ما هو عليه لكن يحرف المعنى ، فلهذا يجب أن يحترز الإنسان من إخبار أهل الكتاب ، هذا وهم في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، واليوم أشد ، يجب أن نحترز من اليهود والنصارى فيما يبثونه من أفكار أو غيرها ، يجب أن نحترز منهم أشد من إحتراز الناس في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام.

حدثنا مسدد قال:- حدثنا اسماعيل عن أيوب عن نافع « عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: أتي النبى صلى الله عليه وسلم برجل وإمرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما؟ قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما ، قال: فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فجاءوا فقال لرجل ممن يرضون يا أعور: اقرأ فقرأ حتى إنتهى إلى موضع منهما فوضع يده عليه قال: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيه آية الرجم تلوح ، فقال: يا محمد إن عليهما الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فأمر بهما فرُجما ، فرأيته يجاني عليها الحجارة »

الشاهد من هذا قوله:- " **فأتوا بالتوراة فاتلوها** " وهم سوف يتلونها علينا بماذا؟ بالعربية ، وكان رجم الزاني حكماً شرعياً في التوراة لكن كثر الزنا فيأشرافهم فشق عليهم أن يرجموا كل يوم شريف منهم فقال لهم علماء الضلال لا حاجة للرجم ، سنضع لكم قانوناً جديداً وهو تسخيم الوجه ، وتسخيم الوجه يعني تسويده ، والخزى قالوا إنهم يركبون الزاني والزانية على حمار ويجعلون وجه أحدهما إلى دبر الحمار ووجه الثاني إلى وجه الحمار ويطوفون بهما في الأسواق ومعلوم أن هذا أهون من الرجم واستمروا على ذلك وهم في قلق وخوف لأنهم يعلمون أنهم محرفون فاما بعث النبى صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة جاؤا إليه وقالوا لعلكم تجدون عند هذا الرجل فرجاً وهم متلاعبون يريدون أن يأخذوا من الرسول ما يروق لهم والباقي يدعونه وكان ممن أسلم من أحبار اليهود عبد الله ابن سلام رضى الله عنه ويألم أن الرجم واجب عليهم فدعا بالتوراة أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤتي بالتوراة والظاهر أن هذا بمشورة من عبد الله ابن سلام لأنه يعلم ، فلما أتوا بها قالوا لرجل عندهم أعور إقرأ يا أعور وهو عبد الله ابن صوريا وسبحان الله جاء القدر مناسباً للشرع الأعور ما فيه خير فقرأ هذا الأعور ولهذا الدجال أعور وأكثر من يتبعه اليهود فاليهود كلهم عور كلهم عيب كلهم خبث ، قرأ التوراة ووضع يده على آية الرجم من أجل أن لا يطلع عليه المسلمون ، فقيل له إرفع يدك فلما رفع يده إذا آية الرجم تلوح ، واضحة بينة ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم برجمهما

فرجما فكان الرجل من شده عشقه للزانية وحنانه عليها كان يدرء عنها الحجارة ، ينحني عليهـا مـن أجـل ألا تصيبها الحجارة .

وفي هذا دليل على وجوب إقامة الحد على اليهود والنصارى ، لكن إن كان ذلك واجباً في شريعتهم وكان الشئ حراماً فيجب علينا إقامة الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه دون ما يعتقدون حله ، فلو شربوا الخمر فإننا لا نحدهم لكننا نمنعهم من إظهار شرب الخمر في بلاد المسلمين إنما لو كـانوا في بيتهم يشربون لا نتعرض لهم لأنهم يعتقدون أنه حلال ، كذلك أيضاً إقامة الحدود عليهم واجبة فيما يعتقدون تحريمه لكن على حكمنا نحن إذا ترافعوا إلينا في معصية وهم يعتقدون أنها معصية فإننا نحكم عليهم بحكمنـا لا بحكمهـم ، قال الله تعالى ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** ﴾ .

الدرس السادس والثلاثون:-

باب قول النبى صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة ، وزينـوا القـرآن بأصواتكم .

باب قول النبى صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع الكرام البررة جزم المؤلف رحمه الله بأن هـذا قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم وللحديث بقية وهو والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيـه وهـو عليه شاق لـه أجران أجر المعناة من التلاوة وأجر التلاوة أما الماهر الذي يسهل عليه القـراءة ويؤديهـا بـأداء جيد فإنـه مع السفرة الكرام البررة الذين ذكرهم الله في قوله ﴿ **كـلا إنهـا تذكـرة فمـن شـاء ذكـره في صحـف مكرمـة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة** ﴾ وزينوا القرآن بأصواتكم قال بعض العلماء إن هذا الحديث على القلب والمعنى زينوا أصواتكم بالقرآن وذلك لأن القرآن زين سواء بأصوات جميلة أو بغير جميلة ويكون المعنى زينوا أصواتكم بالقرآن يعني إجعلوا أصواتكم بالقرآن حسنة جميلة في الآداء والنطق وغير ذلك ويحتمـل المعنى زينوا القرآن بـأصواتكم أى زينـوا القـراءة بـأصواتكم بمعنـى أن تقـرأوا بـأصوات جميلـة لأن القـرآن إذا كـان بأصوات جميلة يتلذذ الإنسان به أكثر مما إذا كان بالعكس.

حدثني ابراهيم ابن حمزة حدثني ابن أبي حازم عن يزيد عن محمد ابن إبراهيم عن أبي سلمة « عن أبي هريرة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما أذن الله لشئ ما أذن انبى حسن الصـوت بـالقرآن يجهر به»

أذن بمعنى استمع من الأذن وهو الإستماع يعني أن الله عز وجل لا يستمع إلى شئ مثل مـا يستمع إلى نبى حسن الصوت يقرأ القرآن يجهر به فمن هذا النبى؟ هل هو رسول الله صلى الله عليـه وسـلم أو نبـى آخر نقول العبارة نبى نكرة فيحتمل أنه الرسول صلى الله عليه وسلم ويحتمل أنه داوود أو غيرهم من الأنبيـاء الذين آتاهم الله صوتاً حسناً وعلى كل حال فهو يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحسـن صوتـه بـالقرآن لأنـه كلما حسن صوته كان الله إليه أسمع والنبى جنس شائع في كل نبى فالمراد بـالقرآن القـرءة قـال ولا يجـوز أن يحمل الإسم مع الإصفاء إذ هو مستحيل على الله لكن قوله المراد بالقرءة فيه نظر وكما تعلمون نبي نكـرة في

سياق الإثبات أو في سياق النفى لكنها لا تختص بالرسول صلى ا لله عليه وسلم إلا أن يقول أما في الدنيا؟ فلا يتصور هذا إلا بالنبى صلى ا لله عليه وسلم محمد لأن غيره من الأنبياء قد هلكوا أما في الجنة فيحتمل أن ا لله عز وجل يأمر نبياً حسن الصوت يقرأ بالقرآن فيستمعوا له.

حدثنا يحي ابن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب أخبرنا عروة ابن الزبير وسعيد ابن المسيب وعلقمة ابن وقاص وعبيد ا لله ابن عبد ا لله عن حديث عائشة حين قال لها أهل الإفك ما قالوا وكل حدثني طائفة من الحديث قالت فاضجعت على فراشي وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن ا لله يبرئني ولكن ما كنت أظن أن ا لله ينزل في شأني وحياً يُتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم ا لله في بأمر يُتلى وأنزل ا لله عز وجل: ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ العشر الآيات كلها

هذا من فضائل عائشة رضى ا لله عنها ثقتها با لله عز وجل ، وأن ا لله تعالى سيبرؤها أولاً لأنها بريئة وثانياً من أجل الدفاع عن فراش الرسول صلى ا لله عليه وآله وسلم ، وهذا هو الذي وقع ، لكن ظنت أن ا لله تعالى يخبر نبيه ببرائتها دون أن ينزل فيها قرآن يتلى ، ولكن ا لله تعالى أنزل فيها القرآن الذي يتلى لأن الأمر عظيم ، والشاهد فيها قوله وحياً يتلى أى يقرأ والقرءة فعل القارئ.

حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن عدي ابن ثابت أراه « عن ال براء قال: سمعت النبى صلى ا لله عليه وسلم يقرأ في العشاء والتين والزيتون ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً ولا قراءة منه »

الشاهد قول أحسن صوتاً أو قراءة وأو هنا للتنويع وليس للشك يعني أن صوته أحسن الأصوات وأن قراءته أحسن القراءات وهنا صوت وقراءة ، القراءة هى حسن الآداء والصوت تحسين النطق بالقرآن وكما تشاهدون من الناس من يكون حسن الصوت والآداء ومن الناس من يكون حسن الآداء وليس حسن الصوت ومن الناس من يكون بالعكس حسن الصوت ضعيف في الأداء وخير الناس من كان حسن الصوت والآداء وهذا هو الذي حصل للرسول صلى ا لله عليه وسلم وهل نقول يؤخذ من هذا الحديث استحباب قراءة التين والزيتون في العشاء نقول لو واظب الرسول صلى ا لله عليه وآله وسلم لكانت سنة أما إذا لم يواظب فإنها جاءت إتفاقاً وما جاء إتفاقاً فإنه لا يعتبر مشروعاً بعينه ولكن مع هذا لو قرأها الإنسان وهو يشعر أنه بذلك متبع لرسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم لحصل على خير.

حدثنا حجاج ابن منهال حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير « عن ابن عباس رضى ا لله عنهما قال: كان النبى صلى ا لله عليه وسلم متوارياً بمكة وكان يرفع صوته ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن جاء به ، فقال ا لله عز وجل لنبيه صلى ا لله عليه وسلم ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾

حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن ابن عبد ا لله ابن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة عن أبيه أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضى ا لله عنه قال له: إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة ، قال أبو سعيد: سمعته من رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم »

في هذا الحديث دليل على أن قراءة الإنسان مخلوقة لأنها فعله لقوله إرفع صوتك بالنداء وفيه دليل على استحباب النداء للواحد إذا كان في البادية فإنه يؤذن استحباباً لا وجوباً وفيه أيضاً أن ما يسمعه من الإنس والجن والشئ أى شئ يكون من شجر أو حجر أو مدر أو جبال أو رمال فإنه يشهد له يوم القيامة لقول الله تعالى ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها** ﴾.

حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن منصور عن أمه « عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ورأسه في حجري وأنا حائض »

الشاهد قوله يقرأ القرآن مع إضافة الفعل إليهم وفي هذا الحديث من الفقه دليل على جواز قراءة القرآن والإنسان متكئ أو مضجع لأنها في بعض ألفاظ الحديث كان يتكئ في حجري وكان يقرأ القرآن وفيه دليل على أن الحائض ليست بنجسة وفيه أيضاً دليل على جواز استماع الحائض لقراءة القرآن ولكن هل لها أن تقرأ القرآن؟ هى بنفسها في هذا خلاف بين العلماء وليس فيه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سنة صحيحة صريحة تدل على تحريم قراءة القرآن على الحائض وعلى هذا فنقول الأفضل أن لا تقرأ القرآن طلباً للثواب وأن تقرأه لدفع السوء أو لحفظ ما حفظت وما أشبه ذلك يعني تقرأه عند الحاجة وهذا قول وسط بين من يقول إنه يجوز لها أن تقرأ من القرآن ما شاءت لعدم وجود دليل يدل على المنع وبين من يقول إنها لا تقرأ شيئاً من القرآن فالصواب أن هذا ينبغي أن يحتاط الإنسان فما إحتاجت إلى قراءته لحفظ القرآن أو أوراد تقرؤها في الليل أو في النهار أو لتعليم أبنائها أو لتعلمها فهذا لا بأس به أما لمجرد الأجر والثواب فالأولى ألا تقرأ لأن فيه أحاديث لكنها ضعيفة.

باب قول الله تعالى ﴿ فاقروا ما تيسر منه ﴾

حدثنا يحي ابن بكير حدثنا الليث عن عقيل ابن شهاب حدثني عروة أن المسور ابن مخرمة وعبد الرحمن ابن عبد القارى حدثاه أنهما سمعا عمر ابن الخطاب يقول: سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتي سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كذبت أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها فقال: اقرأ يا هشام؟ فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر؟ فقرأت فقال: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه »

هذه القصة فيها فوائد عظيمة:- **أولاً**:- فيها قوة عمر رضى الله عنه. **وثانياً**:- أن إنفعال الإنسان في صلاته لشئ سمعه لا يؤثر في الصلاة.

يعني سمع شيئاً يفرح ففرح وهو في الصلاة سمع شيئاً يحزن فحزن وهو في الصلاة سمع شيئاً يغضب فغضب كل هذا جائز الدليل فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت أساوره يعني أمسك به في الصلاة لكن

تصبرت حتى خلص وفيه أيضاً أنه لا ينبغي للإنسان أن يتسرع فيما دون الأهم لأن بقائه في صلاته أهم من مساورته إياه وفيه أيضاً دليل على توازي تلبيب الإنسان بردائه فيأخذ بلبته وينصرف به وفيه دليل على جواز الإنكار بالقول وبالفعل لقوله لبيته وقلت من أقرئك وفيه دليل على مسألة مهمة وهي أن إنكار شئ من القرآن جاهلاً لا يكفر به الإنسان لأن عمر أنكر القراءة التي قرأها هشام بل قال كذبت وهذه فرع من فروع المسألة السابقة التي بحثنا فيها وهي العذر بالجهل فإنه لو جاء أحد وأنكر شئ من القرآن وهو عالم فهذا كفر قال العلماء من أنكر حرفاً واحداً من القرآن وهو يعلم فإنه كافر وعمر أنكر عدة حروف لكنه كان جاهلاً لم يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم جازها وفيه دليل على حسن معاملة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث لم يؤاخذ هشاماً بمجرد قول عمر حتى استمع ما عنده واستمع أيضاً إلى ما عند عمر وفيه أيضاً دليل على إيقان الصحابة وإيمانهم فإن عمر رضى الله عنه لم يلحقه الشك حينما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لهشام إقرأ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام كذلك أنزلت ولا لعمر قال له كذلك أنزلت على خلاف ما أقرأ هشاماً ومع ذلك لم يحصل عنده ريب أو شك وأيضاً.

من فوائده:- أن القرآن أول ما نزل كان على سبعة أحرف أى كان موسعاً فيه حتى إنه يوسع لبعض الناس في لغتهم أى يقرأونه بلغتهم لكن بعد ذلك حصله الصحابة رضى الله عنهم على حرف واحد وهو لغة قريش خوفاً من الفتنة لأنه وقعت فعلاً ففي عهد عثمان رضى الله عنه كان الناس يقتتلون حيث يقرأ بعضهم على حرف والبعض الآخر على حرف آخر ثم جاء إلى عثمان وشكى إليه الأمر فأقام اللجان المعروفة لجمع القرآن على حرف واحد وهناك فوائد أخرى لكن بعضها قد مر.

باب قول الله تعالى: ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » ، يقال ميسر: مهيأ

وقال مجاهد: يسرنا القرآن بلسانك: هونا قراءته عليك.

وقال مطر الوراق ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ قال: هل من طالب علم فيعان عليه.

قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر الجملة هذه مؤكدة بثلاث مؤكدات كما هو معروف القسم واللام وقد ، والتيسير: التسهيل والتهيأة ، يسرنا القرآن: هيأناه فسهلناه للذكر ، والذكر بمعنى التذكر بدليل قوله تعالى ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ أى هل من متذكر فالإنسان إذا رجع إلى القرآن ليتذكر به فإن الله تعالى ييسر له التذكر به ، وإذا أعرض عنه فإنه يحال بينه وبين التذكر به ، وقوله ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ قال: هل من طالب علم فيعان عليه ، لأن طالب العلم إذا طلبه بصدق لابد أن يتذكر ، وهنا يقول فيعان عليه لماذا؟

الجواب: الاستفهام.

حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث قال يزيد حدثني مطرف بن عبد الله عن عمران قال: « قلت يا رسول الله فيما يعمل العاملون؟ قال: كل ميسر لما خلق له »

حدثني محمد ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن منصور والأعمش سمعا سعد ابن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في جنازة فأخذ عواد

وجعل ينكث في الأرض فقال: ما منكم من أحد إلا كتب مقعده من الجنة أو من النار ، قالوا: ألا نتكل؟ قال: اعملوا فكل ميسر ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ الآية

هذا أيضاً سبق ، والشاهد منه قوله فكل ميسر لما خلق له ، وفي لفظ آخر ميسر لما خلق له ، فأهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ييسرون لعمل أهل النار ، فإذا رأيت أن ا لله قد يسر لك العبادات وسهلها على نفسك ، فاعلم أن هذه بشرى وإذا رأيت من شخص أن ا لله قد عسر عليه العبادات فاعلم أن هذه بشرى سوء لأن أهل الشقاوة ييسرون لعمل أهل الشقاوة.

باب قول ا لله تعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ قال قتادة: مكتوب ، يسطرون: يخطون في أم الكتاب ، جملة الكتاب وأصله: ما يلفظ من قول . ما يتكلم من شئ إلا كتب عليه وقال ابن عباس يكتب الخير والشر ، يحرفون يزيلون وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب ا لله عز وجل ولكنهم يحرفونه يتأولونه عن غير تأويله ، دراستهم: تلاوتهم ، واعية: حافظة ، وتعيها: تحفظها ، وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به: يعني أهل مكة ، ومن بلغ هذا القرآن فهو له نذير.

هذا الباب مشتمل على أشياء متعددة: **أولاً**:- بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ، هذا آخر سورة البروج ، هذه السورة إذا تأملت من أولها إلى آخرها وإذا فيها الإشارة إلى القوة والعظمة والسلطة لأنها في التحدث عن قوم فتنوا المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم ، فيبين ا لله تعالى فيها أن ا لله أقوى من هؤلاء والسماء ذات البروج: جمع برج وهي المنازل العلية ، هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود وما حصل لهم من الإهانة ، ذو العرش المجيد فعال لما يريد وأشباه ذلك ، فكل السورة تجدها في بيان عظمة ا لله وسلطانه وقوته لأنها في التحدث عن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ، من ذلك قوله تعالى ﴿ **بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ** ﴾ هو الضمير يعود على القرآن والمجيد ذو العظمة وإذا كان القرآن مجيداً فمن تمسك به نال المجد وقوله في لوح محفوظ: أي في اللوح المحفوظ عند ا لله عز وجل ، والطور وكتاب مسطور **الطور**: هو الجبل المعروف ، **وكتاب مسطور**: يعني مكتوب مأخوذ من السطر لأن الكتاب يكتب على وجه الأسطر ، وما المراد بهذا الكتاب المسطور؟ إما أنه اللوح المحفوظ ، وإما أنه القرآن ويؤيده قوله في رق منشور ، والرق: الجلد ، وكانوا في الأول يكتبون القرآن في الجلود ، في عسيب النخل ، في اللخاف وهي حجارة رقيقة ملساء وغير ذلك ، والقلم وما يسطرون: قال وما يخطون ، يسطرون: يخطون لأن الخطاط يسطر المخطوط ، في أم الكتاب جملة الكتاب وأصله يشير إلى قول ا لله تعالى ﴿ **وإنه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم** ﴾ **ما يلفظ**: ما يتكلم من شئ إلا كتب عليه يشير إلى قوله تعالى ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ وقوله إلا كتب عليه فيها شئ من القصور ولهذا أردفها بقوله وقال ابن عباس يكتب الخير والشر وعلى هذا فيكون قوله من قول عاماً بأقوال الخير وأقوال الشر إلا لديه رقيب يراقب ، **عتيد**: حاضر لا يغيب ، قال يحرفون يزيلون وليس أحد يزيل لفظ الكتاب من كتب ا لله عز وجل ولكنهم يحرفونه ، يتأولونه على غير تأويله قوله يحرفون مأخوذ من التحريف وهو صرف الشئ يقال إنحرفت الدابة أي إنصرفت ويقال حرفت كذا أي صرفته وهو بمعنى التغيير والإزالة عن موضعه قال ا لله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه أي يزيلون عن مواضعها ولكن هل

التحريف لفظي أو معنوي أو هذا وهذا ، هذا وهذا قد يكون لفظياً وقد يكون معنوياً وقد يكون لفظياً معنوياً فإذا قال القارئ قل أعوذ برب الناسَ فهذا تحريف لفظي لكن لا يتغير به المعنى وإذا قال ثم استوى على العرش أى ملكه وقهره فهذا تحريف معنوي وإذا قرأ القارئ وكلم الله موسى تكليماً فهذا تحريف لفظي معنوي وكله مذموم لكن أشده التحريف اللفظي المعنوي وقوله ليس أحد يزيل لفظاً من كتاب الله عز وجل يعني في الغالب وإلا فإنهم أى الذين حرفوا ربما يغيرون يزيدون أو ينقصون وقوله تراثتهم تلاوتهم هل جاءت في القرآن تراثتهم؟ وإن كنا عن تراستهم لغافلين أى تلاوتهم واعية يعني وتعيها أذن واعية حافظة وتعيها تحفظها وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ يعني أهل مكة يريد بذلك أن الخطاب في قوله لأنذركم يعود إلى أهل مكة ومن بلغه هذا القرآن من غير أهل مكة قال ومن بلغه هذا القرآن فهو له نذير.

وقال لى خليفة ابن خياط حدثنا معتمر سمعت أبي عن قتادة عن أبي رافع « عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما قضى الله الخلق كتب كتاباً عنده ، غلبت – أو قال سبقت رحمتي غضبي فهو عنده فوق العرش ».

حدثني محمد ابن أبي غالب حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا معتمر سمعت أبي يقول حدثنا قتادة أن أبا رافع حدثه أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: أن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش »

الشاهد قوله:– كتب كتاباً عنده وهذا كأن المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى وكتاب مسطور.

الدرس السابع والثلاثون:–

باب قول الله تعالى ﴿ والله خلقكم وما تعلمون ﴾ ، ﴿ إن كل شئ خلقناه بقدر ﴾ ويقال للمصورين: احيوا ما خلقتم ، إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين

قال ابن عيينة: بين الله الخلق من الأمر بقوله تعالى: ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ وسمى النبى صلى الله عليه وسلم الإيمان عملاً

قال أبو ذر وأبو هريرة: « سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل؟ قال إيمان بالله وجهاد في سبيله ، وقال: جزاء بما كانوا يعملون ، وقال وفد عبد القيس للنبى صلى الله عليه وسلم مرنا بجمل من الأمر إن عملنا بها دخلنا الجنة فأمرهم بالإيمان والشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فجعل ذلك كله عملاً »

هذا الباب أراد المؤلف أن يبين به أفعال العباد هل هى مخلوقة أو غير مخلوقة ، فصدره بقول الله تعالى: **﴿ والله خلقكم وما تعلمون ﴾** خلقكم أمرها واضح ، وما تعملون قيل في إعرابها وجهان:–

الوجه الأول:– أن ما مصدرية ، أى خلقكم وعملكم.

الوجه الثاني:– أن ما موصولة ، وهو الصحيح ، لأنه قال ﴿ أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ﴾ أي ما تنحتونه ، فأصنامكم مخلوقة فكيف تعبدونها ولا تعبدون الذي خلقكم وخلقها ، فالصحيح الراجح أن ما موصولة لأن السياق يعين ذلك وهي من حيث العموم يجوز أن تكون مصدرية والتقي خلقكم وخلق عملكم ويكون دلالتها على خلق الأصنام من باب دلالة اللزوم لأنه إذا كان العمل مخلوقاً كان المعمول مخلوقاً كذلك أما على الوجه الأول فإنها تدل على أن الأصنام مخلوقة بدلالة التضمن والمطابقة ومع ذلك تدل على أن عمل الإنسان مخلوق بطريق الإلتزام ، فأيهما نأخذ؟ أن نأخذ أنها تدل على أن العمل وأن هذه الأصنام مخلوقة بطريق اللزوم أو بالعكس؟ بالعكس لأن السياق سياق الآية يراد به بطلان عبادة هذه الأصنام التي نحتموها أنتم فهي مخلوقة فلماذا تعبدونها ولا تعبدون الذي خلقكم وخلقها فتقدير الآية فالله خلقكم والذي تعملونه والعائد على الموصول محذوف من القائل والله خلقكم وما تعملون؟ القائل إبراهيم أنكر على قومه أن يعبدوا هذه الأصنام التي هم بأنفسهم ينحتونها وهي مخلوقة لله ثن نرجع فنعود هل أعمال العباد أفعال لهم أو أفعال لله؟ وهل هم مستقلين بها أو غير مستقلين بها سبق الكلام على هذا وبينا أن في هذه المسألة ثلاثة أقوال:– طرفان ووسط

القول الأول:– طرف يقول أفعال العباد مخلوقة لله وليست فعلاً لهم لأنهم مجبورون عليها يفعلون بغير إرادة ويقولون إن الإنسان الذي يأتي ويركب سيارته ويشغلها ويمشي كالإنسان الذي حمل وهو مغمى عليه ووضع في السيارة ويقولون إن الذي ينزل من السطح بالدرج رويداً رويداً كالذي يلقى من السطح أي أن الجميع يفعل بغير إرادة ولا إختيار ولا شك أن هذا قول باطل لأن كل إنسان يعرف الفرق بين ما يفعله بإختياره وما يفعله بإضطراره .

والقول الثاني:– بالعكس يقول إن الإنسان مستقل بعمله ولا علاقه لله فيه وأنه يفعل بإختياره ويترك بإختياره وبمشيئته وبإرادته وأن الله لا علاقة له بفعلة لا مشيئة ولا خلق وهؤلاء هم القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة وسبق لنا بيان وجه كونهم مجوساً أنهم جعلوا للحوادث خالقين كما جعلت المجوس للحوادث خالقين .

القول الثالث:– الوسط أن أفعال العباد أفعالهم هم بإختيارهم وإرادتهم لكنها مخلوقه لله من حيث أن فعل العبد صادر عن إرادة جازمة وقدرة تامة والذي خلق هذه الإرادة وخلق هذه القدرة هو الله وخالق السبب التام خالق للمسبب لأن المسبب ناشئ عن السبب فباعتبار الأصل يكون المسَبب خالق للمسبب الذي خلق السبب وهذا القول هو الصحيح والدليل على هذا أن الإنسان إذا أجبر على الفعل لم يترتب عليه أثره لأنه ليس بإختياره وأن الإنسان إذا فعل الشئ وهو نائم لم يترتب عليه أثره إلا ما كان من الإسلافات التي للخلق وأن الإنسان لو نسي وعمل عملاً لم يترتب عليه أثره لأنه بغير قصد وهذا القول تدل عليه القواعد الشرعية والواقع أيضاً لأننا إذا قلنا الإنسان يستقل بعمله ويفعل ما شاء ولا علاقة إلا بفعله صار في ملك الله ما لا يشاؤه وهذا ممتنع إذا تنسب أعمالنا إلى الله تعالى خلقاً ومشيئة وتنسب إلينا فعلاً وكسباً فنحن الساجدون الراكعون الصائمون المتصدقون الحاجون المعتمرون ولا ينسب هذا لله عز وجل لكن خالق هذه الأفعال هو

ا لله عز وجل ضرورة أنها صادرة منا وهى من صفاتنا ونحن وصفاتنا مخلوقون لله عز وجل ثم قال المؤلف[١٥] إن كل شئ خلقناه بقدر كل شئ هذه مفعول لفعل محذوف ويسميه النحويون الإشتغال لأن العامل إشتغل بضميره بضمير المتقدم فقوله إن كل شئ خلقناه تقديره إنا خلقنا كل شئ هذا الخلق إنا خلقنا كل شئ هل يشمل فعل العبد؟ الجواب نعم وهذا كقوله تعالى ﴿ **وخلق كل شئ فقدره تقديراً** ﴾ وهنا يقول ﴿ **كل شئ خلقناه بقدر** ﴾ فالآيتين متساويتين دلالة وإذا إختلفتا تعبيراً ويقال للمصورين أحيوا ما خلقتم متى يقال؟ يوم القيامة ، أحيوا ما خلقتم ، فأضاف الخلق إليهم فصاروا هم الفاعلين وهنا يشكل على بعض الناس كيف سمى فعلهم خلقا؟ الجواب لأنهم يضاهؤن بخلق ا لله ويريدون أن يكونوا كالخالق عز وجل في الإبداع والتصوير إذا قال قائل ألستم تقولون إن ا لله منفرد بالخلق فكيف قيل لهؤلاء أحيوا ما خلقتم؟ فالجواب أن الخلق الذي انفرد ا لله به غير الخلق الذي خلقه هؤلاء خلق ا لله الذي انفرد به إيجاد من عدم أما هؤلاء فإنهم لم يوجدوا من عدم وغاية ما صنعوا التغيير والتحويل تغيير الشئ وتحويله فمثلاً يقال الباب خلقه النجار هل هو أوجد المادة الخشب والمسامير وغيرها؟ لا ، لكن حول هذه الأخشاب والمسامير إلى باب وكذلك المصور عنده مادة هل خلق هو المادة؟ لا ، الذي خلق ذلك هو ا لله وهو الذي شكل هذه الصورة ﴿ **إن ربكم ا لله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك ا لله رب العالمين** ﴾ هذه الآية سبق الكلام عليها وبينا أن الأيام الستة أولها الأحد وآخرها الجمعة ونورد الآن إشكالاً وهو أنه كيف قدر خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة مع أنه ليس هناك شمس يقدر بها اليوم والجواب أنها تقدر بحركة الشمس على مدى ستة أيام وإن لم توجد الشمس ، قال ابن عيينة يعني سفيان بين ا لله الخلق من الأمر بينه أى ميزه فقال: ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ وكيف ذلك؟ لأنه عطف الأمر على الخلق والأصل في العطف المغايرة إذاً الأمر شئ والخلق شئ آخر الأمر أن يقول كن والخلق هو التكوين والإيجاد لقوله تعالى ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ وسمى النبى صلى ا لله عليه وسلم الإيمان عملاً وسبق ولنا إن الأيمان عمل الإنسان آمن أى كون الإيمان في قلبه كفر أى كون الكفر في قلبه فهو عمل ، وقال أبو ذر وأبو هريرة سئل النبى صلى ا لله عليه وسلم " **أى الأعمال أفضل قال إيمان با لله ، وجهاد في سبيله** " فجعل الإيمان عملاً وقال ا لله تعالى ﴿ **جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ أى جزاءً بالذي كانوا يعملونه سواء الخير أو الشر وقال وفد عبد القيس للنبى صلى ا لله عليه وسلم مرنا بجمل إن عملنا بها دخلنا الجنة فأمرهم بالإيمان والشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فجعل ذلك كله عملاً ، عملاً للإنسان ، فيضاف إليه على أنه هو العامل المباشر أما الخالق فهو ا لله.

حدثنا عبد ا لله ابن عبد الوهاب حدثنا أيوب عن أبي قلابة والقاسم التميمي « عن زهدم قال: كان بين هذا الحي من جرم وبين الأشعريين ود وإخاء ، فكنا عند أبي موسى الأشعري فقرب إليه الطعام فيه لحم دجاج وعنده رجل من بني تيم ا لله كأنه من الموالي فدعاه إليه فقال الرجل: إني رأيته يأكل شيئاً فقذرته فحلفت ألا آكله: فقال: هلم فلأحدثك عن ذاك ، إني أتيت النبى صلى ا لله عليه وسلم في نفر من الأشعريين نستحمله قال: وا لله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم ، فأتي النبى صلى ا لله عليه وسلم

بنهب إبل فسأل عنه فقال: أين النفر الأشعريون؟ فأمر لنا بخمس زود غر الذرى ثم إنطلقنا ، قلنا ما صنعنا؟ حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحملنا وما عنده ما يحملنا ثم حملنا ، تغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه ، والله لا نفلح أبداً فرجعنا إليه فقلنا له ، فقال لست أنا أحملكم ولكن الله حملكم ، إني والله لا أحلف على يمين فارى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها »

هذه القصة كان بين هذا الحي من جرم وبين الأشعريين ود وإخاء فكنا عند أبي موسى الأشعري فقرب إليه الطعام وفيه لحم دجاج وعند رجل من بني تيم الله كأنه من الموالي يعني في هيئته وشكله ، فدعاه إليه ليأكل فقال إني رأيته يأكل شيئاً فقذرته يعني الدجاج والدجاج كما تعرفون تأكل ما هب ودب كل ما على الأرض تأكله من طيب وخبيث وكأنه رآها تأكل شيئاً خبيثاً فقذره وكرهه وهنا نسأل لو أكلت الدجاجة شيئاً خبيثاً نجساً هل تكون حراماً في هذا تبصير إن كان أكثر علفها ولم تطهر منه فإنها تكون حراماً وإن كان نصف علفها أو أقل فهى حلال يعني مثلاً نعطيها غراماً من الدم النجس وغرامين من الخبز ونحوه تكون حراماً أو حلالاً؟ حلالاً ، لأن أكثر علفها الطاهر والعكس بالعكس تكون حراماً إلى أن تطهر وكيف تطهيرها؟ تطهيرها أن تحبس عن هذا الخبيث وتطعم الطاهر ثلاثة أيام وبهذا تعود طيبة وقال بعض العلماء إن الجلالة التي أكثر علفها النجاسة فهى حلال بناءً على أن استحالة النجاسة تطهرها وعلى هذا فتكون حلالاً لكن الرواية الأولى أصح وهاذان روايتان عن الإمام أحمد رواية على أن الجلالة حلال مطلقاً ورواية على أنها حرام إذا كان أكثر علفها النجاسة ثم ذكر قصة حمل النبى صلى الله عليه وسلم الأشعريين بعد أن أتوه وقالوا إحملنا يا رسول الله فقال ما عندي ما أحملكم وقد قال الله فيهم ﴿ **ما على الذين أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولو وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون** ﴾ ولكن الله تعالى يسر لهم ما يحملهم عليه فأتي النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنهب إبل أى بغنيمة إبل فسأل عنا فقال أين النفر الأشعريون فأمرنا بخمس زود غر الذرى الذرى الأسنمة والغر البيض يعني أن أسنمتها بيضاء فسألوا فيما بينهم وخافوا أن يقولوا أكرهوا النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك وقولهم تغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه لأنه حلف قال والله لا أحملكم فندموا على ذلك ثم رجعوا إليه فقالوا له هذا قال لست أنا أحملكم ولكن الله حملكم فأضاف حمله إلى الله وهذا استدل به الجبرية على مذهبهم وقالوا إن فعل العبد فعل الله كما استدلوا بذلك لقوله تعالى ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ قالوا فهذا صريح في أن الله أضاف فعل الإنسان إلى الله عز وجل وهنا قال ولكن الله حملكم والجواب على هذا أن نقول إن معنى قوله ولكن الله حملكم ولكن الله يسر لكم ما لا أقدر عليه حتى حملكم هذه الإبل ما كان يخطر ببال الرسول صلى الله عليه وسلم أنها ستأتي ولكن الله تعالى يسرها فكانت إضافة الحمل إلى الله من أجل أنه هو الذي يسر لهم ذلك فحملهم النبى صلى الله عليه وسلم عليه ثم أقسم فقال والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير منه وتحللتها وهكذا ينبغي على الإنسان إذا حلف على شئ ورأى غيرها خيراً منه أن يتحلل وأن يكفر عن يمينه مثال ذلك قال رجل والله لا أسلم على فلان ترك السلام على المسلم حرام والسلام عليه خير وواجب فهنا نقول كفر عن يمينك وسلم ، حلف شخص ا، لايجيب دعوة فلان

نقول كفر عن يمينك وأجب دعوته لأن هذا أفضل ومن ثم قال العلماء إن الحنث في اليمين تجري فيه الأحكام الخمسةوهى الواجب والحرام والمندوب والمكروه والمباح متى يكون الحنث واجباً؟ إذا حلف على ترك واجب أو على فعل محرم إذا حلف على تركواجب أو فعل محرم صار الحنث واجباً ما معنى الحنث؟ الحنث مخالفة ما حلف عليه فإذا قال وا لله لا أصلي مع الجماعة قلنا يجب عليك أن تصلي ولو تكفر إذا قال وا لله لا أترك شرب الدخان قلنا يجب أن تترك الدخان وتكفر ويكون الحنث حراماً إذا كان على فعل واجب أو على ترك المحرم فالحنث يكون حراماً مثاله قال وا لله لأصلين اليوم مع الجماعة ماذا نقول في الحنث لا يجوز أن يدع صلاة الجماعة حتى وإن قال إنه كفر وكذلك لو قال وا لله لأشربن الدخان ماذا نقول؟ يجب الحنث الأول:- فعل المستحب قال وا لله لا أصلي راتبة العشاء نقول الأفضل أن يحنث فيصلي ويكفر إذا قال وا لله لأصلين راتبة العشاء فالحنث خلاف الأولى فإذا قال وا لله لأكلن البصل ماذا نقول؟ أكل البصل إذا كان يستلزم ترك الجماعة فقد قال العلماء أنه مكروه فالقاعدة عندنا إذاً يكون الحنث واجباً إذا كان الحلف على ترك واجب أو فعل محرم ويكون حراماً إذا كان الحلف على فعل واجب أو ترك محرم والمسنون والمكروه إذا كان على فعل مستحب وتركه مما يكره لأنه لا يلزم منه ترك المستحب الوقوع في القراءة وإلا لقلنا كل إنسان لا يأتي بمسنونات الصلاة لكن إذا كان هذا الشئ مستحب تركه مكروه يكون الحنث فيه مكروهاً أما المباح فقد يقال إنه لا يتصور أن يكون الحنث مباحاً ولو كان حلفه على مباح وذلك لأن حفظ اليمين أولى من الحنث،

حدثنا عمرو ابن علي حدثنا أبو عاصم حدثنا قرة ابن خالد « حدثنا أبو جمرة الضبعي قلت لابن عباس فقال: « قدم وفد عبد القيس على رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فقالوا: إن بيننا وبينك المشركين من مضر ، وإنا لا نصل إليك في أشهر حرم ، فمرنا بجمل من الأمر إن عملنا بها دخلنا الجنة وندعوا إليها من وراءنا قال: آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان با لله وهل تدرون ما الإيمان با لله، شهادة أن لا إله إلا ا لله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الذكاة ، وتعطوا من الغنم الخمس وأنهاكم عن أربع: لا تشربوا في الدباء والنقير والظروف المزفتة والحنتمة »

أما الأول فظاهر الإيمان با لله فسره بالإسلام عليه الصلاة والسلام فدل ذلك على أن العمل يسمى إيماناً لأن شهادة أن لا إله إلا ا لله وأن محمداً رسول الله ما ذكر محمداً رسول ا لله لأنه طوى ذكرها لكونهم جاؤا مقرين بأنه رسول ا لله وإيقام الصلاة وإيتاء الذكاة وتعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن أربع وفسر هذا النهى بقوله لا تشربوا في الدبة والنقير والظروف المزفتة والحنتمة هذه أواني يجعل فيها النبيز وهى لحرارتها تطبخ النبى وربما يصل إلى حد المسكر وهم لا يعلمون فنهاهم عن ذلك ثم بعد ذلك نسخ هذا النهى وقال كنت نهيتكم عن الإنتباز في كذا وكذا وكذا فانتبزوا بما شئتم غير ألا تشربوه مسكراً فهذا النهي نسخ فيما بعد الدباء هى القراعة ولا سيما يقرع النجد هذا مثل الأوعية تماماً يقونه حتى ييبس في غسله فإذا يبس فإن المخ الذي في داخله ييبس ويكون مثل الورقة ثم يقصون أعلاه ويجعلونه وعاءً وهو في الشكل له حلقوم يعني أعلاه ضيق وأسفله متسع وأما النقير فهو حجر أو خشب أو ما أشبه ذلك ينقر ثم يوضع فيه النبيز وهو حار وأما الظروف المزفتة فهى المطلية بالزفت ، والزفت أيضاً حار والحنتمة هى الجرفة الخضراء وعلى هذا فنقول

هذا النهي قد نسخ وأذن النبى صلى الله عليه وسلم بالإنتباز في كل شئ إلا أن نشرب المسكر والنقير يقول - ٢١٨ -
إنها النخلة لكن بعضهم يقول إنها حجر ينقر ويصب فيه النبيز والحجر في الغالب أشد حرارة من جزع النخلة.

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا الليث عن نافع عن القاسم ابن محمد « عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم احيوا ما خلقتم»

حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن نافع « عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم إن أصحاب هذه الصور يعذبوك يوم القيامة ويقال لهم: احيوا ما خلقتم؟ »

حدثنا محمد ابن العلاء حدثنا ابن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة سمع أبا هريرة رضى الله عنه قال: « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة »

كل هذه سبق الكلام عليه والشاهد فيها إضافة الخلق إلى هؤلاء.

باب قراءة الفاجر والمنافق، وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز جناجرهم

حدثنا هدبة ابن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس « عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُر

ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل النظلة طعمها مُر ولا ريح لها »

هذا التشبيه العجيب الناس مؤمن يقرأ القرآن ويعمل به هذا كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب أتعرفون الأترجة هى مثل البرتقالة ولكنها أكبر وتختلف نوعاً ما عن البرتقالة هذه طعمها طيب وريحها طيب هذه مثل المؤمن الذي يقرآ القرآن مثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة لها ريح طيبة لكن طعمها مر مثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها حلو ولكن ليس لها رائحة والمراد ليس لها رائحة زكية ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة وهى مثل التفاحة الصغيرة ولكن طعمها مر جداً جداً وليس لها ريح يعني ليس لها ريح زكي يجزب هذه الحنظلة يقال إن الإنسان إذا وطء عليها وهى مستوية فإنها تسهل ما في بطنه يعني بدل ما يشرب المسهل أو المسهِل يضع عليها وهى مستوية فإذا به يخر كل ما في بطنه يفعلها بعض الناس فيما سبق لكن مع ذلك تأكلها المواشي ولا تتأثر بها وهذا من عجائب مخلوقات الله عز وجل الشاهد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أضاف القراءة إلى القارئ فجعلها من فعله وبين أن القرآن يقرأه المؤمن وغير المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم " ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن " وهذا يوجد منافقون يقرأون القرآن ولكن لا يعملون به.

الدرس الثامن والثلاثون والأخير:-

حدثنا علي حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري ح وحدثني أحمد ابن صالح حدثنا عنبسة حدثنا يونس عن ابن شهاب أخبرني يحيي ابن عروة ابن الزبير أنه سمع عروة يقول:- « قالت عائشة رضي الله عنها سأل أناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال: إنهم ليسوا بشيء ، فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً ، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة »

الكهان هم الذين يخبرون عن المغيبات في المستقبل ، فيقولون سيكون كذا في يوم كذا أو في شهر كذا أو في سنة كذا ، وهذا من علم الغيب الذي لا يطلع عليه إلا الله عز وجل ، ولهذا جاء في الحديث " **من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** " ووجه الكفر أنه صدق أن أحداً يعلم الغيب سوى الله ، فيكون في هذا تكذيب لقوله تعالى: ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ وهؤلاء الكهان كانوا حكاماً في الجهلية ، لأن لهم شياطين تتصل بهم وتخبرهم بخبر السماء ، ثم هذا الكاهن يزيد على هذه الأخبار أشياء من عنده يروج بها على الناس ، فإذا وقعت الكلمة الصدق التي سمعت من السماء ظن الناس أن كل كلامه صدق فصدقوه بما يقول ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول إنهم ليسوا بشيء ، ليس عندهم علم ، ولما أورد على الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم " **تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة** " هذه القرقرة يقرقرها الجني في أذنه ، يعني كلاماً ليس بمفهوم جيداً ، فيأخذ من الجني هذه القرقرة ويضيف إليها ما يضيف ثم يحدث الناس ، فإذا وقعت كلمة الحق قالوا هذا هو العالم ، وكما أن هذا موجود في الجاهلية فما زال الناس أيضاً يأخذون به الأن يصدقون ، حتى إني رأيت بعض الصحف في أول هذه السنة الميلادية كما هي عادتهم في التاريخ يكتبون في الصحف قالت الكاتبة فلانة ثم يصورونها سيكون كذا ، سيكون كذا ، الجهال من الناس يصدقون ، وضعفاء الدين يصدقون ، والواجب تكذيب هذا ، والواجب أيضاً منع الصحف من نشر هذه الأشياء ، ولكن مع الأسف فإنها تدخل بلادنا من غيرنا وتروج فينا ، حتى لو فرض أن القضاء والقدر صدق ما يقول هذا الكاهن فإننا نعلم علم اليقين أن هذا الكاهن لا يعلم الغيب ، ولا يجوز لنا أن نصدقه ، ولا أن نركن إلى ما قال قبل أن يقع ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال " **ليسوا بشيء** " فإن سأل الكاهن ليختبره ويكذبه فهذا لا بأس به ، بل قد يكون واجباً ، وقد اختبر النبي صلى الله عليه وسلم بن صياد فقال ما خبئت لك؟ قال الدخ ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أضمر في نفسه الدخان ، لكن هو قصر قال الدخ أعجز أن يكملها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إخسأ فلن تعدوا قدرك ، فسؤال الكهان ينقسم إلى ثلاثة أقسام: **القسم الأول:-** أن يراد به بيان عورهم وكذبهم فهذا جائز بل واجب بشرط ألا يكون في ذلك تغرير لأحد فيغتر إذا جاء هذا الرجل ليسأل الكاهن ، أو يموه هذا الكاهن ويقول فلان جاء إلي وسألني وما أشبه ذلك. **القسم الثاني:-** أن يسألهم لينظر ما عندهم لا لتصديقهم ، فهذا عليه الوعيد لا تقبل له صلاة أربعين ليلة ، لأن في سؤالهم إغراء لهم في ما هم عليه من الكذب والدجل

، وفي سؤالهم أيضاً تغرير للغير حيث يظنون أنهم على حق. **القسم الثالث**:- أن يسألهم ويصدقهم فهذا الكفر ، لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " **من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم** "

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الإنس قد يستخدم الجن لكن إذا استخدمه لأمر باطل فإنه حرام أو استخدمه بطريق باطل كالذبح له والركوع له والسجود له أو تمكينه من نفسه مثلاً فإن ذلك لا يجوز لأن الجن فيهم سفهاء فيهم من يختار هذه المرأة لجمالها ويختار أن تكون زوجة له وفيه من يختار هذا الصبي لجماله ويفعل به الفاحشة أو هي امرأة تعشق إنسياً وتريد أن تتصل به وما أشبه ذلك فإذا كان على هذا الوجه كان حرام فإذا كان توليهم لطريق محرم أو ليستعين بهم على محرم كان ذلك حرام بلا شك ، أما إذا كان يستعين بهم على شئ مباح فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن ذلك جائز ولكن إذا خيف أن يكون هذا ذريعة إلى أمر لا يجوز فلدينا قاعدة شرعية وهي سد الذرائع.

حدثنا أبو النعمان حدثنا مهدي بن ميمون سمعت محمد بن سيرين يحدث عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يخرج ناس من قبل المشرق ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه ، قيل ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق – أو قال – التسبيد »

سيماهم يعني علاماتهم وهؤلاء هم الخوارج الذين خرجوا من المشرق فكانوا كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤن القرآن لكن لا يجاوز تراقيهم والعياذ بالله وعليك يا أخي أن تفتش في نفسك هل إذا قرآت القرآن يصل إلى قلبك؟ أو ما في الحنجرة فقط ، إن كان الثاني فعليك بالمبادرة بالعلاج قبل أن يستشفي المرض فلا تستطيع الفكاك منه وإن كان الأول وهو أنك تجد لذة في قراءة القرآن وحلاوة وطعماً وإنشراح صدرك فاعلم أن هذه منة الله عليك فاشكره عليها ليزيدك عليها.

الظاهر والله أعلم أن قوله سيماهم التحليق ليس حلق الرأس كله ولكن يحلقون حلقاً كالحلقة على الرأس فإما أن يكون حلقة دائرة في وسط الرأس يكون ما فوق الرأس باقياً وما أسفل باقي حلقة كالطوق وإما أن تكون حلقة من أسفل ويكون أعلى الرأس باقياً ، وهناك إحتمال ثالث أن تكون حلقة في أعلى الرأس ، أما مجرد حلق الرأس فهذه ليست علامة على الخوارج ، لأن الناس يفعلون وهم ليسوا من الخوارج ، الشاهد من هذا قوله: " **يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم** " فدل هذا على أن القرآن يقرأه البر والفاجر.

باب قول الله تعالى:- ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن ، وقال مجاهد: القسطاس: العدل بالرومية ويقال القسط مصدر المقسط وهو العدل ، وأما القاسط فهو الجائر.

باب قول الله تعالى **﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾** ليوم القيامة ، اللام للتوقيت أي في يوم القيامة توضع الموازين وهي موازين القسط أي عدل كما قال تعالى:- **﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾** يعني بالعدل ، وقول المؤلف رحمه الله " **وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن** " هذا هو القول الراجح أن الذي يوزن

هو العمل سواء كان فعلاً أو قولاً وذهب بعض العلماء إلى أن الذي يوزن صحيفة العمل وذهب آخرون[٢١] إلى أن الذي يوزن العامل فأما الذين قالوا بأنه الذي يوزن العمل فأدلته من القرآن ظاهرة وكذلك من السنة قال الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا به ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ وقال تعالى في آيات أخرى تدل على أن الذي يوزن العمل وقيل الذي يوزن صحائف العمل واستدل هؤلاء بحديث صاحب البطاقة الذي يؤتى بسجلات كثيرة ويقال هذه سيئتك فإذا رأى أنه قد هلك قيل له إن عندنا لك حسنة فيؤتي ببطاقة فيها لا إله إلا الله فيقول يا ربي وما هذه البطاقة ما هذه السجلات فيقال إنك لا تظلم ثم توضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فترجح البطاقة وتطيش السجلات وهذا يدل على أن الذي يوزن صحائف العمل.

والقول الثالث:- أن الذي يوزن العامل واستدلوا بقول النبى صلى الله عليه وسلم " إن ساقيه يعني عبد الله ابن مسعود في الميزان أثقل من أحد " وبقوله تعالى ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ أما الآية فلا دليل فيها لأن المعنى لا نقيم لهم قيمة وإلا فسيقام الوزن لكل أحد وأما حديث عبد الله ابن مسعود فظاهره أن الذي يوزن العامل ولكن هل نقول إن هذا خاص بابن مسعود رضى الله عنه أو إنه قد يوزن غيره ولكنه نادر إنما القول الراجح أن الذي يوزن هو العمل كما قال البخاري رحمه الله وقوله المقسط وهو العادل وأما القاسط فهو الجائر الأمر كما قال رحمه الله قال الله تعالى: ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ وقال ﴿ وأما القاسطون فكانوا في جهنم حطباً ﴾ فالقاسط هو الجائر والمقسط هو العادل وسمى بذلك لأنه مزيل للقسط أو للقَسط وهو الجور.

حدثنا أحمد ابن إشكاب حدثنا محمد ابن فضيل عن عمارة ابن القعقاع عن أبي زرعة « عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم : كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »

هذا أيضاً مما يدل على أن الذي يوزن العمل ، قال النبى صلى الله عليه وسلم " **كلمتان حبيبتان إلى الرحمن** – أى أنه يحبهما عز وجل – **خفيفتان على اللسان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم** " لا تثقل على اللسان خفيفة، ثقيلتان في الميزان وهذا واضح في أن الذي يوزن العمل يعني يوم القيامة توضع هاتان الكلمتان في الميزان فتكون ثقيلة فإن قال قائل كيف توضع وهى عمل؟ فالجواب أن الله تعالى قادر على أن يجعل العمل أجساماً ونظير ذلك أن الموت وهو معناً وصفة يؤتى به يوم القيامة ويطلع عليه أهل النار وأهل الجنة ويذبح أمام الجميع ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت والله على كل شئ قدير ، سبحان الله وبحمده أى يسبح الله تسبيحاً مقروناً بحمده ، فيكون جمعاً بين التخلية والتحلية ، التخلية عن صفات العيب والتحلية بإثبات صفات الكمال ، وبذلك يتم الكمال إذ أن الكمال الذي يمكن أن يقترن به العيب ليس كاملاً والعيب الخالي من الكمال ليس كاملاً ، إذاً يتم الكلام حيث يتم

الكمال فيما إذا إنتفى النقص وثبت الكمال لهذا جمع بينهما فقال **سبحان الله وبحمده** والباء هنا تكون
للمصاحبة وقوله"**سبحان الله العظيم**" تأكيد لما سبق والعظيم: ذو العظمة والجلال. **وبهذا الحديث انتهى صحيح البخاري رحمه الله وغفر له وختم كتابه بهاتين الكلمتين نسأل الله أن يثقل ميزانه ويغفر لنا وله.**

ثناء الله خان